

تاريخ الطبرقة

تاريخ الرسل والملوك

مكتبة

0184406



Bibliotheca Alexandrina

تاريخ الطب

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة السادسة



دار المعارف

. الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. ٢٠٠٤ ع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم ، كما وصفهم الله عز وجل به من صفتهم في القرآن المجيد ، فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ^(١) .

٧٧٦/١

والرقيم هو الكتاب الذي كان القوم الذين منهم كان الفتية ، كتبوه في لوح بذكر خبرهم وقصصهم ، ثم جعلوه على باب الكهف الذي أووا إليه ، أو نقروه في الجبل الذي أووا إليه ، أو كتبوه ^(٢) في لوح وجعلوه في صندوق خلقوه ^(٣) عندهم ، « إذ أوى الفتية إلى الكهف » .

وكان عدد الفتية - فيما ذكر ابن عباس - سبعة ، وثامنهم كلبهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ،

عن سيمك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٤) ،

قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ،

قال : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى

الله تعالى ، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ^(٥) .

(١) سورة الكهف ٩ .

(٢) في الأصول : « وكتبوه » .

(٣) ت : « وخلقوه » .

(٤) سورة الكهف ٢٢ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

(٥) الخبر في التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

قال : وكان اسمُ أحلم - وهو الذى كان يلقى شيرًا الطعام لهم ، الذى ذكره الله عنهم أنهم قالوا إذ هبوا من رقنهم : ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ يَوْرِقَكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .^(١)
حدثني عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن مقاتل :
﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ يَوْرِقَكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ - اسمه بمليخا .^(٢)

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال - فيما حدثنا به ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عنه : اسمه بمليخا .

وكان ابن إسحاق يقول : كان عدد الفتية ثمانية ، فعلى قوله كان كلبهم تاسعهم . وكان - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - يسميهم فيقول : كان أحلم - وهو أكبرهم والذى كلم المليك عن سائرهم - مكسملينا ، والآخر محسملينا ، والثالث بمليخا ، والرابع مرطوس^(٣) ، والخامس كسوطونس^(٤) ، والسادس بيرونس^(٥) ، والسابع ريمونس^(٦) ، والثامن بطونس^(٧) ، والتاسع قالوس^(٨) . وكانوا أحرارًا .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضع الورق . وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم ، فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى في قول جماعة من سلف علمائنا .

(١) سورة الكهف ١٩ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٤٨ (هولاء) .

(٢) ت ، ح : « تمنيح » ، التفسير : « مليخ » .

(٣) التفسير : « مرطونس » .

(٤) التفسير : « كسوطونس » ، ل : « كسوطيس » .

(٥) التفسير : « بيرونس » .

(٦) التفسير : « يكرنوس » .

(٧) التفسير : « بطيونس » ، ل : « بطويس » ، ح : « بطوس » .

(٨) التفسير : « قالوش » .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا الحكم بن بشير، قال : حدثنا عمرو -

يعني ابن قيس الملائي - في قوله : (**أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ**) ، كانت الفتية على دين عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وكان ملكهم كافراً . وكان بعضهم يزعم أن أمرهم وصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ، وأن المسيح أخبر قومه خبرهم ، فإن الله عز وجل ابتعثهم من رقبتهم بعد ما رفع المسيح ، في الفترة بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم أي ذلك كان .

فأما الذي عليه علماء أهل الإسلام فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح . فأما أنه كان في أيام ملوك الطوائف ، فإن ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة .

وكان لهم في ذلك الزمان ملك يقال له : دقيوس ، يعبد الأصنام - فيما ذكر عنه - فبلغه عن الفتية خلافهم إياه في دينه ، فطلبهم فهربوا منه بدينهم ، حتى صاروا إلى جبل لم يقال له - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - نيطوس .

وكان سبب إيمانهم وخلافهم به قومهم - فيما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن سدوس^(١) ، - أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يخطبها ، فقيل له : إن على بابها صنماً لا يخطبها أحد إلا سجد له ، فكره أن يخطبها ، فأتى حماماً ، وكان فيه قرياً من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يواجر^(٢) نفسه من صاحب الحمام . ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ، ودر^(٣) عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه [الإسلام]^(٤) وجعل يسترسل إليه . وعلقه فتية من أهل المدينة وحمل يُخبرهم

(١) ل : « شروس » ، ح : « سروس » ، ت : « سدوش » .

(٢) ح : ل : « يأجر » . (٣) في ط : « د » وما أثبت من التفسير والظر التصويبات .

(٤) من التفسير .

خبر السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة ، وكان بشرط^(١) على صاحب الحمام أن الليل لي ، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت . فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فعيّره الخواري ، فقال : أنت ابن الملك وتدخل ومعهك^(٢) هذه الكلدان^(٣) ! فاستحيا ، فذهب . فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، وسبه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ، ودخلت معه المرأة فاتا في الحمام جميعاً ، فأتى الملك فقبل له : قتل صاحب الحمام ابنك . فالتمس ، فلم يُقدّر عليه فهرب . قال من كان يصحبه : فسموا الفتية ، فالتمسوا فخرجوا من المدينة ، فرأوا بصاحب لهم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التمسوا ، وانطلق معهم ومعه الكلب ؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه فقالوا : نبئت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله ، فترون رأيكم . فضرب على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ، فكلّما أراد رجل أن يدخل أُرعب ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ، فدعّتهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً . ففعل^(٤) . فغبروا — بعد ما بنى عليهم باب الكهف — زماناً بعد زمان .

٧٨٠/١

ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمي من المطر ! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخل فيه ، وردّ الله إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بوريق يشترى لهم طعاماً ، فكلّما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكره ، حتى دخل على رجل ، فقال : يعني بهذه الدراهم طعاماً ، قال : ومن أين لك هذه الدراهم ! قال : خرجت ، وأصحاب لي أمس ، فأوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال :

(١) ت والتفسير : بشرط .

(٢) ح ، ل ، ملك .

(٣) التفسير : الكلدان .

(٤) إلى هنا ، انظر في التفسير ١٥ : ١٣٦ (بولاق) .

هذه الدرام كانت على عهد الملك فلان فأنتى لك بها ! فرفعه إلى الملك - وكان ملكاً صالحاً - فقال : من أين لك هذه الوريق ؟ قال : خرجت أنا وأصحابى لى أمس حتى أدركتنا الليل فى كهف كذا وكذا ، ثم أمرنى أن أشتري لهم طعاماً . قال : وأين أصحابك ؟ قال : فى الكهف ، قال : فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعونى أدخل إلى أصحابى قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلُّهم دخل رجل أريب ، فلم يقدروا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ، واتَّخلوها مسجداً يصلُّون فيه .

٧٨١/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، ففُتروا^(١) بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على سمعنا^(٢)هم . فلبثوا دهراً طويلاً ، حتى هلكت أممتهم ، وجاءت أمة مسلمة ، وكان ملكهم مسلماً ، واختلَفوا فى الروح والجسد ، فقال قائل : تبع الروح والجسد جميعاً ، وقال قائل : تبع الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئاً . فشق على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المسوح ، وجلس على الرماد ، ثم دعا الله عز وجل ، فقال : يا رب ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم ما يبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً ، فدخل السوق ، فجعل يُنكير الجوه ويعرف الطرق^(٣) ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً ، فانطلق وهو مستخف ، حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً ، فلما نظر الرجل إلى الوريق أنكرها - قال : حسب أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبع - يعنى الإبل الصغار - قال له الفتى : أليس ملككم فلان ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجميعهم فقال : إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ،

(١) ت والتضير : وتصيوا .

(٢) ت : والطريق .

وإنّ الله عزّ وجلّ قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان - يعنى ملكهم
الذى مضى - فقال الفتى : انطلقوا بى إلى أصحابى ، فركب الملك ، وركب
معه الناس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى : دعونى أدخل إلى أصحابى ،
فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلما استبطئوه دخل الملك
ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها .
فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم ^(١) .

• • •

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، ففرّوا بالكهف ،
فلذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس :
لقد ذهب عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

• • •

قال أبو جعفر : فكان منهم ^(٢) :

(١) انظر في التفسير ١٥ : ١٤٣ (بلاق) .

(٢) أى من كان في أيام ملوك الملوك . انظر ابن الأثير ١ : ٢٠٨ .

يونس بن متى

— فكان فيما ذُكِرَ — من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها : نينوى ،
 وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم يونس بالنبوءة عن عبادتها ،
 والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم ، والأمر بالتوحيد . فكان من أمره وأمر الدين بُعِثَ
 إليهم ما قصه الله في كتابه ، فقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ
 فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَظَابَ الْخِزْيِ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعَّمْنَا هُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا
 فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ٨٨٣/١
 إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

• • •

وقد اختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في
 ذهابه لربه مغاضباً وظلته أن لن يُقْدَرَ ^(٣) عليه ، وفي ^(٤) حين ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أُرْسِلَ إليهم ، وقبل
 إبلاغه إياهم رسالة ربه ، وذلك أن القوم الذين أُرْسِلَ إليهم لما حضروهم عذاب
 الله أمير بالمصير إليهم ؛ ليعليهم ما قد أظلمهم من ذلك ، لينبئوا مِمَّا هم عليه
 مقيمون مما يسخطه الله ، فاستنظر ربه المصير إليهم ، فلم يُتَظَرَّه ، فغضب
 لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره .

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) كلما في ت : وفي ط : « لقدّر » .

(٤) ح ، ل : وفي « بدون واو » .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن الأشيب ، قال : سمعت أبا هلال
عمر بن سليمان ، قال : حدثنا شهر بن حوشب ، قال : أتاه جبريل عليه
السلام - يعني يونس - وقال : انطلق إلى أهل نينوى ، فأذيرهم أن العذاب
قد حضرهم . قال : ألتمس دابةً ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال :
ألتمس حذاء ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : فغضب ، فانطلق إلى
السفينة فركب ، فلما ركب احتسبت السفينة لا تتقدم ولا تأخر . قال :
فساهموا . قال : فسهم^(١) ، فجاء الحوت يبصص بذنبه ، فنودي الحوت :
أيا حوت ، إنا لم نجعل يونس لك رزقاً ، إنما جعلناك له حيزاً ومسجداً ،
فالتصم الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرَّ به على الأيلة^(٢) ، ثم انطلق
حتى مرَّ به على دجلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى^(٣) .

٧٨٤/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا أبو هلال ، قال :
حدثنا شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : إنما كانت رسالة يونس بعد
ما نبذته الحوت .

• • •

وقال آخرون : كان ذلك منه بعد دعائه من أرسل إليهم إلى ما أمره الله
بدعائهم إليه ، وتبليغه إياهم رسالة ربه ، ولكنّه وعدهم نزول ما كان حدّهم
من بأس الله في وقت وقته لهم ، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله والإيمان ،
فلما أظلم القوم عذاب الله ، فغضبهم - كما وصف الله في تنزيله - تابوا إلى
الله ، فرفع الله عنهم العذاب ، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي
كان وعدهموه ، فغضب من ذلك ، وقال : وعنتهم وعداً ، فكلذب وعدي !
فذهب مغاضباً ربه ، وكره الرجوع إليهم وقد جربوا عليه الكذب .

(١) سهم ، بالبناء السجول ، أى غلب .

(٢) ط : « الأيلة » ، وما أتبعه من ت ، والتضير .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : بعثه الله تعالى - يعني يونس - إلى أهل قريته ، فردّوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه : إني مرسل إليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فخرج من بين أظهرهم . فأعلم قومه الذي وعدهم الله من عذابه لإياهم ، فقالوا : ارمقوه ، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم . فلما كانت الليلة التي وُعدوا العذاب في صبيحتها أدلج وراءه القوم ، فحلبوا . فخرجوا من القرية إلى بَرّاز^(١) من أرضهم ، وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عجزوا إلى الله واستقالوه فأقالهم . وتنتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرّ به بار ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن نبّيهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى بَرّاز من الأرض ، وفرقوا^(٢) بين كل ذات ولد وولدها ، ثم عجزوا إلى الله وثابوا إليه ، فقبيل منهم ، وأخبر عنهم العذاب . قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لا أرجع إليهم كذا أبداً ، وعدتُهم العذاب في يوم ، ثم ردّ عنهم ! ونفى على وجهه مغاضباً لرَبِّه فاسترّهُ الشيطان^(٣) .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحاق بن الججاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع [بن أنس]^(٤) ، قال : حدثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب ، فحدث عن قوم يونس حيث أنذر قومه فكذبوه ، فأخبرهم أنه مصيبهم العذاب وفارقهم ، فلما رأوا ذلك وغشيتهم العذاب ، لكنّهم^(٥) خرجوا من مساكنهم ، وضعلوا

(١) البراز : الفضاء الواسع الخالي من البشر .

(٢) ت : « ثم فرقوا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ٦١ (يولان)

(٤) من التفسير .

(٥) كلما ورد الاستدراك هنا باللفظ « لكنهم » ، وورد بعد باللفظ « لكن » ، في التاريخ

والتفسير : وهو غير واضح .

في مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربهم ، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : ففي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَجَّيْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾^(١).

فلم يكن قرية غشيتها العذاب ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة ، فلما رأى ذلك يونس ، لکنه ذهب عاتبا على ربه ، وانطلق مغاضبا ، وظن أن لن نقدر عليه ، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح^(٢) . فقالوا : هذه بخطيئة أحدكم . وقال يونس - وقد عرف أنه هو صاحب اللذب : هذه بخطيئتي ، فالتفوني في البحر . وإنهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾^(٣) ، فقال لهم : قد أخبركم أن هذا الأمر بلذني . وإنهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر ، حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فقال لهم : قد أخبركم أن هذا الأمر بلذني ، وإنهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾^(٤) - وعرف الخطيئة - ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٥) . وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه . فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ؛ وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا حشر ، ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾^(٦) . وألقى على ساحل البحر ، وأثبت الله عليه شجرة من يقططين - وهي فيما ذكر - شجرة القرع يتقطر عليه

٧٨٦/١

(١) سورة يونس ٩٨ . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) سورة الصافات ١٤١ ، وفي التفسير : « فسام » : فجارح . ومن المجهولين : من المفلوطين ، يقال منه : أحضر الله حبة فلان فلدخلت ، أي أبطأ لها فبطلت .

(٤) سورة الأنبياء ٨٧ . (٥) سورة الصافات ٢٤٣ - ١٤٥ .

من اللين ، حتى رجعت إليه قُوته . ثم رجع ذات يوم إلى الشجرة ٧٨٧/١
فوجد لها قد يبست ، فعزّن وبكى عليها ، فعوبت فقيل له : أحزنت على
شجرة ، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكهم
جميعاً !

ثم إن الله اجتباه من الضلالة ، فجعله من الصالحين ، ثم أمر أن يأتي
قومه ويخبرهم أن الله قد تاب عليهم . فعمد إليهم ، حتى لقي راعياً ،
فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهم
على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم ، فقال له : فأخبرهم أنني قد لقيت يونس .
فقال : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمي له عتراً من غنمه ، فقال : هذه تشهد
لك أنك قد لقيت يونس ، قال : وماذا ؟ قال : وهذه البقرة التي أنت فيها
تشهد لك أنك قد لقيت يونس . قال : وماذا ؟ قال : وهذه الشجرة تشهد
لك أنك قد لقيت يونس . وإنه رجع الراعي إلى قومه فأخبرهم أنه لقي يونس
فكذبوه وسمّوا به شراً ، فقال : لا تعجلوا عليّ حتى أصبح ، فلما أصبح
غداً بهم إلى البقرة التي لقي فيها يونس فاستنطقها ، فأخبرته أنه لقي يونس ،
وسأل العترة ، فأخبرتهم أنه لقي يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فأخبرتهم
أنه قد لقي يونس . ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك . قال :
﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ • فَآمَنُوا فَفَرَّغْنَا لَهُمُ الْيُسْرَى ﴾ (١) .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العتقري (٢) ، قال : حدثنا أبي ، عن
إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : حدثنا ٧٨٨/١
ابن مسعود في بيت المال ، قال : إن يونس كان بعد قومه العذاب ، وأخبرهم
أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرقوا بين كلّ والدة/وولدها ، ثم خرجوا فجأروا
إلى الله ، واستغفروه ، فكفّ الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينتظر
العذاب ، فلم ير شيئاً ، وكان من كلب ولم يكن (٣) له بيعة قيل

(١) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ط : « العتري » ، والصواب ما في الباب لابن الأثير والفرد التبريات .

(٣) ت : « تكن » .

فانطلق مغاضباً ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ، قال : ظلّمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حدثه عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج ^(١) النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذْهُ ولا تخدش له لحمًا ، ولا تكسر عظمًا ، فأخله ، ثم هَوَى به إلى مسكنه من البحر . فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حسًا ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت : إن هذا تسبيح دواب البحر . قال : فسبّح وهو في بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحه ، فقالوا : يا ربنا ، إنا لنسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة . قال : ذلك عبدى يونس ، عصافى فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ! قال : نعم ، قال : فشفعوا له عند ذلك . فأمر الحوت ، فقلّفه في الساحل كما قال الله : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ . وكان مقمعه الذي وصفه الله به ، أنه ألقاه الحوت على الساحل كالصبي المنطوس ^(٢) ، قد بُشِّر ^(٣) اللحم والعظم ^(٤) .

٧٨٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به - يعني الحوت - حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحه مثل الصبي المنطوس ، لم يتقص من خلقه شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني أبو صخر ،

(١) كذا في ت ، وفي ط : « زوجة » . (٢) المنطوس : حديث العهد بالولادة .

(٣) ت : « نشر » ، والنشر : نشر . (٤) أخبرني الطبري ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

وفي ط : « نشر » .

قال : أخبرني ابن قسيط أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرح بالعراء ، فأثبت الله عليه يقطينة^(١) ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدباء ، هيأ الله له أروية^(٢) وحشية^(٣) ، تأكل من حشاش^(٤) الأرض — أو هشاش الأرض — فضشع^(٥) عليه ، فزُرويه من لبنها كل عشيّة وبُكره ، حتى نبت^(٦) .

• • •

وبما كان أيضاً في أيام ملوك الطوائف :

(١) الأروية ، بالفم والكسر : أنثى الوعل .

(٢) حشاش الأرض وحشاشها : يابس النبات .

(٣) يقال : فشحت الدابة ، إذا فرجت ما بين رجليها .

(٤) الحشاش في التفسير ٢٣ : ٦٦ (بولاق) .

إرسال الله رسله الثلاثة

٧٩٠/١ الذين ذكرهم في تتريله ، قال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾
إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ • إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ
فَقَالُوا إِنَّا إِلَاكُم مَّرْسَلُونَ^(١) الآيات التي ذكر تعالى ذكره في خبرهم .

• • •

واختلف السلف في أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة - الذين
ذكرهم الله في هذه الآيات ، وقص^٢ فيها خبرهم - أنبياء ورسلا أرسلهم إلى بعض
ملوك الروم ، وهو أنطيوخس ، والقرية التي كان فيها هذا الملك الذي أرسل
الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكية .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : كان من حديث صاحب
«يس» - فيما حدثنا محمد بن إسحاق - قال : مما بلغه عن كعب الأحبار ، وعن
وهب بن منبه اليماني ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية ، وكان اسمه حبيباً
وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجُلَام ، وكان منزله
عند باب من أبواب المدينة قاصياً ، وكان مؤمناً ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا
أمسى - فيما يذكر - فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفاً حياله ، ويتصدق
بنصف ، فلم يمهِّ سقته ولا عمله ولا ضعفه حين طهر قلبه ، واستقامت
فطرته ، وكان بالمدينة التي هو بها ، مدينة أنطاكية ، فرعون من الفراعنة يقال
له أنطيوخس بن أنطيوخس بن أنطيوخس^(٢) ، يعبد الأصنام ، صاحب شريك

(١) سورة يس ١٣ وما بعدها .

(٢) التفسير : « أنطيوخس » .

فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق وصادق وشلوم^(١) ، فقدّم الله إليه ٧٩١/١ .
وإلى أهل مدينته^(٢) منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزّز الله بثالث .

• • •

وقال آخرون : بل كانوا من حواريتي عيسى بن مريم ، ولم يكونوا رسلاً
لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن إرسال عيسى بن مريم لإياهم ،
لما كان عن أمر الله تعالى ذكره إياه بملك ، أضيف إرساله لإياهم إلى الله ، فقيل :
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بيشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة ، قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا
الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا
إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾ . قال : ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين
من الحواريتين إلى أنطاكية ، مدينة بالروم ، فكذبوهما ، فأعزّهما بثالث ،
﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . . . ﴾ ، الآية .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، فلما دعت الرسل ، ونادته بأمر
الله ، وصدّعت بالذي أمرت به ، وعابت دينهم وما هم عليه ، قال أصحاب
القرية^(٣) لهم : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَسْئَلَنَّ مِنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٤) . قالت لهم الرسل : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أي أعمالكم ،
﴿ أَتَيْنَ دُكْرَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ . فلما أجمع هو وقومه على قتل
الرسل بلغ ذلك حبيباً^(٥) ، وهو على باب المدينة الأخصى ، فجاء يسعى إليهم ٧٩٢/١

(١) التفسير : سلام . (٢) ح ، ل : المدينة .

(٣) زيادة يقتضيها السياق . (٤) الخبر إلى هنا في التفسير ٢٢ : ١٠١ (يولان)

(٥) قال في التفسير : اسمه - فيما ذكر - حبيب بن مري .

يَذَكِّرُهُمُ اللَّهُ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ الْمُرْسَلِينَ ، قَالَ : ﴿ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ .
 أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . أَيْ لَا يَسْأَلُونَكُمْ أَمْوَالَكُمْ عَلَى
 مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْهُدَى ، وَهُمْ لَكُمْ نَاصِحُونَ فَاتَّبِعُوهُمْ تَهْتَدُوا بِهِدَاهُمْ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد : قال : حدثنا سعيد ، عن
 قتادة ، قال : لما انتهى - يعني حبيباً - إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا
 من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : ﴿ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ .
 أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه
 من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه
 ولا ضرره غيره ، فقال : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .
 أَأَخِذُوا مِنْ دُونِهِ آيَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .
 أَيْ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ، الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي . فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه
 وثبة رجل واحد فقتلوه ، واستضعفوه لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يلدغ عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن
 بعض أصحابه ، أن عبد الله بن مسعود كان يقول : وطئوه بأرجلهم ، حتى
 خرج قصيبه من دبره (١) .

وقال الله له : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فدخلها حياً يرزق فيها ، قد
 أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها وتصببها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته
 وكرامته ، قال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمُكْرَمِينَ ﴾ . و غضب الله له لاستضعافهم إياه غضبة لم يبق [معها] من القوم
 شيئاً ف جعل لهم النعمة بما استحلوا منه وقال : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ
 مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ، يقول : ما كابدناهم بالجموع ،

٧٩٣/١

أى الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجُنداء قد أسرع فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي خُلَيد ، قال : كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مرى .

• • •

وكان فيهم ^(١) :

(١) أى فيمن كان في زمان ملوك الملوك .

شمسون

٧٩٤/١

وكان من أهل قرية من قرى الروم ، قد هداه الله لرشده ، وكان قومه
أهل أوثان يعبدونها فكان^(١) من خبره وخبرهم - فيما ذكر - ما حدثنا ابن
حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي لبيد ،
عن وهب بن منبه اليماني : أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت
أمه قد جعلته نذيرة^(٢) ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفاراً يعبدون
الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يذوم وحده
ويجاهدهم في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويسبي ، ويصيب
المال ، وكان إذا لقيتهم لقيهم بلحى بعير لا يلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه
وقاتلهم ، وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذى مع^(٣) اللحنى ماء عذب
فيشرب منه حتى يروى ، وكان قد أعطى قوة في البطش ، وكان لا يوثقه
حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدكم في الله ويذومهم ، ويصيب منهم
حاجته ، لا يقدر من على شيء ، حتى قالوا : لن تأتوه إلا من قبل امرأته ،
فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جمللاً ، فقالت : نعم أنا أوثقه لكم ، فأعطوها
حبلاً وثيقاً ، وقالوا : إذا نام فأوثقي يده إلى عنقه حتى تأتبه فناخله . فلما
نام أوثقت يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبّ جذبه بيده ، فوقع من عنقه ،
فقال لها : لم فعلت ؟ فقالت : أجرب به قوتك ، ما رأيت مثلك قط .
فأرسلت إليهم أنى قد ربطته بالحبل فلم أغن عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها بجامعة
من حديد ، فقالوا : إذا نام فاجعليها في عنقه ، فلما نام جعلتها في عنقه ،
ثم أحكمتها ، فلما هبّ جلبها ، فوقع من يده ومن عنقه ، فقال لها : لم
فعلت هذا ؟ قالت : أجرب به قوتك ، ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمسون !

٧٩٥/١

(١) ل : « وإما كان » .

(٢) النذيرة : الابن يحمل أبواه فيما أو خادماً للكنيسة أو المعبود .

(٣) ط : « في » وما أتبه من ل .

أمّا في الأرض شيء يغلبك ! قال : لا ، إلا شيء واحد ، قالت : وما هو ؟ قال : ما أنا بمخبرك به ، فلم تزل به تسأله عن ذلك — وكان ذا شعر كثير — فقال لها : ويحك ! إن أمّي جعلتني نادرة^(١) ، فلا يغلبني شيء أبداً ، ولا يضيقني إلا شعري فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه ، فأوثقه ذلك ، وبعثت إلى القوم ، فجاءوا فأخلوه ، فجدهوا أنفه وأذنيه ، وفقتوا عينيه ، ووقفوه للناس بين ظهري المثلثة — وكانت مثلثة ذات أساطين ، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمسون ، وما يصنع به — فدعا الله شمسون حين مثلوا به ووقفوه أن يسلطه عليهم ، فأمر أن يأخذ بعمودين^(٢) من حُمد المثلثة التي عليها الملك والناس الذين معه فيجلبهما ، فجلبهما فردّ الله عليه بصره وما أصابوا من جسده ، ووقعت المثلثة بالملك ومن عليها من الناس ، فهلكوا فيها هدمًا .

(١) ط : « لندراً » والنظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة السابقة ،

(٢) ل : « العمودين » . ابن الأثير : « عمودين » .

ذكر خبر جرجيس

وكان جرجيس - فيما ذكر - عبداً لله صالحاً من أهل فلسطين ، ممن أدرك بقايا من حواريتي عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغنى به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة . وإنه تجهز مرة إلى ملك بالموصل ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه وغيره من أهل العلم : أنه كان بالموصل داذاًه^(١) ، وكان قد ملك الشام^(٢) كله ، وكان جباراً عاتياً لا يطيقه إلا الله تعالى . وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين ، وكان مؤمناً يكتم إيمانه في عصابة معه صالحين ، يستخفون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريتين فسمعوا منهم ، وأخلوا عنهم . وكان جرجيس كثير المال ، عظيم التجارة ، عظيم الصدقة ، فكان يأتي عليه الزمان يتلطف ماله في الصدقة حتى لا يبقى منه شيء ، حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضربة فيصيب مثل ماله أضعافاً مضاعفة ، فكانت هذه حاله في المال . وكان إنما يرغب في المال ، ويعمره ويكسبه من أجل الصدقة ؛ لولا ذلك كان الفقر أحب إليه من الغنى .

وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يؤذوه في دينه ، أو يفتنوه عنه ، فخرج يؤم ملك الموصل ، ومعه مال يريد أن يهديه له ؛ لثلاث يجعل لأحد من تلك الملوك عليه سلطاناً دونه ، فجاءه^(٣) حين جاءه ، وقد برز في مجلس له ، وعنده^(٤) عظماء قومه وملوكهم ، وقد أوقد ناراً ، وقرب أصنافاً من أصناف العذاب الذي كان يعدّ به من خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له : «أفلون» فنُصِبَ ، فالتاس يَسْرَتُون عليه ، فمن لم يسجد له ألقى في تلك النار ، وعذب بأصناف ذلك العذاب . فلما رأى جرجيس ما يصنع فقطع به

(١) ل : « داذاه » .

(٢) ل : « شان له » .

(٣) ل : « فجاءه » ، وكذلك في ابن الأثير .

(٤) ل : « عنده » ، بدون واو .

وأعظمه ، وحدّث نفسه بجهاده ، وألقى الله في نفسه بخصّته ومحاربتة ، فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له قسّمه في أهل ميلته حتى لم يبق منه شيئاً ، وكره أن يجاهد بالمال ، وأحب أن يلكي ذلك بنفسه ، فأقبل عليه عند ما كان أشد غضباً وأسفاً ، فقال له : اعلم أنّك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربّاً هو الذي يملكك ويغيرك ، وهو^(١) الذي خلّقك ورزقك ، وهو الذي يحييك ويميتك ، ويضرّك وينفعك ، وأنت^(٢) قد عمدت إلى خلقي من خلقه — قال له : كن فكان — أصمّ أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ولا يغني عنك من الله شيئاً ، فزيّنته بالذهب واقضه لتجعله فتنة للناس ، ثم عبّدته دون الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربّاً .

فكلّم الملك جرجيس بنحو هذا ، من تعظيم الله وتمجيدته ، وتعريفه أمر الصنم ، وأنه لا تصلح عبادته . فكان من جواب الملك إياه مسألته إياه عنه ، ومن هو ؟ ومن أين هو ؟ فأجابه جرجيس أن قال : أنا عبد الله وابن عبده وابن أمّته ، أذلّ عباده وأقرّمهم إليه ، من التراب خلّقت ، وفيه أصير . وأخبره ما الذي جاء به وحاله . وإنه دعا ذلك الملك جرجيس إلى عبادة الله ورفض عبادة الأوثان . وإنّ الملك دعا جرجيس إلى عبادة الصنم الذي يعبد ، وقال : لو كان ربك الذي تزعم أنه ملك الملوك كما تقول ، لرفّعت عليك أثره كما ترى أثري على من حولي من ملوك قومي .

فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره . وقال له — فيما قال : أين تجعل طرقلينا^(٣) ، وما قال^(٤) بولايتك ، فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما قال إلياس بولاية الله ! فإنّ إلياس كان بدوّ آدمياً يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فلم تتّساه به كرامة الله حتى أنبت له الريش ، وألبسه الثور ،

(١) ل : وهو « من غير واو » .

(٢) ت : « وإلك » .

(٣) ت : « طرقلينا » .

(٤) ل : « وما قال » .

فصار إنسياً ملكياً ، مماثلاً أرضياً ، يطير مع الملائكة . وحدثنى : أين تجعل مجليطيس ، وما نال بولايتك : فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله ! فإن الله فضله على رجال العالمين ، وجعله وأمه آية للمعتبرين . ثم ذكر من أمر المسيح ما كان الله خصه به من الكرامة . وقال أيضاً : وحدثنى : أين تجعل أم هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته ، وطهر جوفها لروحه ، وسودها على إمامه ؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله ، من أزيل وما نالت بولايتك ؟ فإنها إذ^(١) كانت من شيعتك وملتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها ، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها ، فانتهشت لحمها وولغت دمه ، وجرت الثعالب^(٢) والضباع أوصالها . فأين تجعلها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله !

٧٩٩/١

فقال له الملك : إنك لتحدثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ، فأثنى بالرجلين اللذين ذكرت أمرهما ، حتى أنظر إليهما ، وأعتبر بهما ، فإني أنكر أن يكون هذا في البشر .

فقال له جرجيس : إنما جاعك الإنكار من قبل الغيرة^(٣) بالله ، وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك ، إلا أن تعمل بعملهما ، فتتزل منازلهما . فقال له الملك : أما نحن فقد أعذرنا إليك ، وقد تبين لنا كذبك ، لأنك فخرت بأمور عجزت عنها ، ولم تأت بتصديقها . ثم خير الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلتون ، فيثيبه !

فقال له جرجيس : إن كان أفلتون هو الذي رفع السماء - وعد عليه أشياء من قدرة الله - فقد أصيبت ونصحت [لى]^(٤) ، وإلا فاحسباً أيها النجس الملعون !

فلما سمعه الملك يسبه ويسب آلمته غضب من قوله غضباً شديداً ، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب ، وجعلت عليه أمشاط الحديد ، فخذش بها

(١) في الأصول : : إذا .

(٢) زاد في ل : : إليه .

(٣) الفرة ، بالكسر : الجهل .

(٤) تكله من ل .

جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ، ينضع خلال ذلك بالخلل والخردل .
 فلما رأى ذلك لم يقتله ، أمر بستة مسامير من حديد فأحسبت حتى إذا جعلت
 نارا ، أمر بها فمسرت بها رأسه حتى سال منه دماغه . فلما رأى ذلك لم يقتله ،
 أمر بمحوض من نحاس ، فأوقد عليه حتى إذا جعله نارا أمر به فأدخل في
 جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فيه حتى برّد حرّه .

فلما رأى ذلك لم يقتله ، دعا به فقال : ألم تعبد ألم هذا العذاب الذي تعذب به !
 فقال له جرجيس : أما أخبرتك أن لك ربّا هو أولّى بك من نفسك !
 قال : بلى قد أخبرتنى ، قال : فهو الذى حمّل عني عذابك ، وصبرني
 ليحتج عليك . فلما قال له ذلك أيقن بالشر ، وخافه على نفسه وملكه ،
 وأجمع رأيه على أن يخلّده في السجن ، فقال الملأ من قومه : إنك إن تركته
 طليقاً يكلم الناس أو شك أن يميل بهم عليك ، ولكن مرّ له بعذاب في السجن
 يشغله عن كلام الناس . فأمر فبسط في السجن على وجهه ، ثم أوثد في يديه
 ورجليه أربعة أوتاد من حديد ، في كلّ ركن منها وتد ، ثم أمر بأسطوان^(١)
 من رخام ، فوضّع على ظهره . حمّل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقتلوه ، ثم
 أربعة عشر رجلاً فلم يقتلوه ، ثم ثمانية عشر رجلاً فأقلّوه ، فظل يومه ذلك
 موتداً تحت الحجر .

فلما أدركه الليل أرسل الله إليه ملكاً — وذلك أوّل ما أيّد بالملائكة ،
 وأوّل ما جاءه الوحي — فقلع^(٢) عنه الحجر ، وزرع الأوتاد من يديه ورجليه ،
 وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له :
 الحقّ بعلوك فجاهده في الله حقّ جهاده ، فإنّ الله يقول لك : أبشر واصبر ،
 فإنّي ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين ، يعدّ بك ويقتلك فيهنّ أربع مرار ، في
 كلّ ذلك أردّ إليك روحك ، فإذا كانت القتلة الرابعة تقبّلت روحك وأوفيتك
 أجرك . فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد وقف جرجيس على رءوسهم يدعّون إلى الله .
 فقال له الملك : أجزيس ! قال : نعم ، قال : منّ أخرجك من السجن ؟

(١) ل : أسطوانة .

(٢) كذا في ابن الأثير ، وفي الأصل : قطع .

قال : أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك ملء غيطاً ،
فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلّف منها شيئاً ، فلما رآها جرجيس
تُصنّف له ، أوجس في نفسه خيفة وجزعاً ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها
بأعلى صوته ، وهم يسمعون . فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خشبتيّن ،
ووضعوا عليه سيفاً على مفريق رأسه ، فوثّروه^(١) حتى سقط بين رجليه ، وصار
جزّليّتين^(٢) ، ثم عملوا إلى جزّليّته ، فقطعوها قطعاً . وله سبعة أسدصارية في
جُبّ ، وكانت صنفاً من أصناف عذابه ، ثم رموا بجسده إليها ، فلما هوى
نحوها أمر الله الأسد فخضعت برؤوسها وأعناقها ، وقامت على رؤسها ، لا تألو
أن تقية الأذى ، فظلّ يومه ذلك ميتاً ، فكانت طولاً ميتة ذاقها . فلما أدركه
اللّيل جمع الله له جسده الذي قطعوه بعضه على بعض ، حتى سواه . ثم ردّ فيه
روحه وأرسل ملكاً فأخرجه من قعر الحبّ ، وأطعمه وسقاه ، وبشّره وجزّاه .
فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس ، قال : لبّيك ! قال : اعلم أن القدرة
التي خلّق آدم بها من تراب هي التي أخرجتك من قعر الحبّ ، فالحق بعنوك
ثم جاهدته في الله حقّ جهاده ، ومث موت الصابرين .

٨٠٢/١

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم غكوف على حين لم قد
صنعه فرحاً - زعموا بموت جرجيس - فلما نظروا إلى جرجيس مقبلاً ، قالوا :
ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنه هو ؟ قال الملك : ما بجرجيس من خفاء ،
إنه لم يأت إلاّ تروّناً إلى سكون ريمه ، وقلة هيئته . قال جرجيس : بلى ، أنا
هو حقّاً ! بشّ القوم أنتم اقلتم ومثلتم ، فكان الله - سبحانه - وأرحم منكم .
أحياناً وردّ على روعي . هلّم إلى هذا الربّ العظيم الذي أراكم ما أراكم .
فلما قال لهم ذلك ، أقبل بعضهم على بنص ، فقالوا : ساحر سحر أيديكم
وأعينكم عنه . فجمعوا له من كان ببلادهم من السحرة ، فلما جاء السحرة ،
قال الملك لكبيرهم : اعرض على من كبير سحرك ما تُسرّي به عني ، قال له :
ادع لي بثور من البقر ، فلما أتى به نفت في إحدى أذنيه فانشقت باثنتين ،
ثم نفت في الأخرى ، فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببلدر فحرث وبلر ، ونبت

(١) ت : « وثّروه » ، وما معنى .

(٢) يقال : قطع جزّليّين ، أي فصلين .

الزروع ، وأينع وحصد ، ثم داس وحرى ، وطحن وصجن ، وخبز وأكل ذلك فى ساعة واحدة كما ترون ! قال له الملك : هل تقدر على أن تمسخه لى (١) دابة ؟ قال الساحر : أى دابة أمسخه لك ؟ قال : كلباً ، قال : ادع لى بقدح من ماء ، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملك : اعزم عليه أن يشربه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره ، فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أبجد إلا خيراً ، قد كنت عطشت فلطف

٨٠٣/١

الله لى بهذا الشراب ، فقواتى به عليكم . فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال : اعلم أيتها الملك ، أنك لو كنت تقاسى رجلاً مثلك إذا كنت غلبته ، ولكنك تقاسى جبار السموات ، وهو الملك الذى لا يرَام !

وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب ، فأثته وهو فى أشد ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا جرجيس ، إئتى امرأة مسكينة ، لم يكن لى مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرث عليه فات ، وحتك لرحمتى وتدعو الله أن يُحْيى لى ثورى . فلرفت عيناه . ثم دعا (٢) الله أن يحيى لها ثورها ، وأعطاها عصا ، فقال : اذهبي لى ثورك ، فاقرعيه بهذه العصا وقول له : اجئى بإذن الله . فقالت : يا جرجيس مات ثورى منذ أيام ، وتفرقت السباع ، وبنى وبينك أيام ، فقال : لولم تجدى منه إلا سناً واحدة ثم قرعتها بالعصا لقام بإذن الله . فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها ، فكان أول شيء بدا لها من ثورها أحد رَوَقَيْهِ (٣) وشعر ذنبه ، فجمعت أحدهما لى الآخر ، ثم قرعتها بالعصا اتى أعطاهما ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بملك .

فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك - وكان أعظمهم بعد الملك : اسمعوا منى أيتها القوم أحدتكم ، قالوا : نعم ، فتكلم ، قال : إنكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر ، وزعم أنه سحر أبديتكم عنه وأعينكم . فأراكم أنكم تغلبونه ، ولم يصل إليه عذابكم وأراكم أنكم

٨٠٤/١

(١) ت : و تمسخ لى هـ .

(٢) ل : و دعا .

(٣) الروق : القرن من كل فى قرن .

قد قتلتموه فلم يمت ، فهل رأيتم ساحراً قط قد ر أن يدراً عن نفسه الموت ،
أو أحياً ميتاً قط ! ثم قص عليهم فعل جرجيس ، وفعلهم به ، وفعله بالثور
وصاحبته ، واحتج عليهم بذلك كله ، فقالوا له : إن كلامك لكلام رجل
قد أصغى إليه ، قال : ما زال أمره لى معجباً منذ رأيته منه ما رأيته ، قالوا
له : فلعله استهواك ! قال : بل آمنت وأشهد الله أنى يرى مما تعبدون . فقام
إليه الملك وصحابته بالخناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا :
أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلم .

فلما سمع الناس بموته أفرغهم ، وكنتموا شأنه ، فلما رآهم جرجيس
يكنمونهم برز للناس ، فكشف لهم أمره ، وقص عليهم كلامه ، فاتبه على
كلامه أربعة آلاف وهو ميت ، فقالوا : صدق ، ونعم ما قال ! يرحمه الله !
فعمد إليهم الملك فأوقفهم ، ثم لم يزل يلون لهم العذاب ويقتلهم بالمشلات^(١) .
حتى أفتاهم .

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس ، فقال له : هلا دعوت ربك .
فأحيا لك أصحابك ، هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك ! فقال له جرجيس : ما خلتي
بينك وبينهم حتى خارت لهم^(٢) . فقال رجل من عظمائهم يقال له مجليطيس :
إنك زعمت يا جرجيس أن إلهك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإننى سأثلك
أمرأ إن فعله إلهك آمنت بك وصدقتك ، وكفيتك قوى هؤلاء ، هله تحتنا
أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدة بيننا عليها أقذاح وصحاف ، وكل
صنيع من الخشب اليابس ، ثم هو من أشجار شتى ، فادع ربك ينشئ هله
الآتية وهله المنابر ، وهله المائدة ، كما بدأها أول مرة ، حتى تعود خضراً
نعرف كل عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره .

فقال له جرجيس : قد سألتَ أمراً عزيزاً علىّ وعليك ، وإنه على الله
لهين . فدعا ربه ، فإبرحو مكانهم حتى اخضرت تلك المنابر ، وتلك الآتية
كلها ، فساخت عروقها ، وأليست اللحاء ، وتشعبت ، ونبت ورقها وزهرها
وثمرها ، حتى عرفوا كل عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره .

فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مجليطيس ، الذى تمنى عليه ما تمنى ،

(١) المشلات : العقوبات .

(٢) ت : « جازاهم » .

فقال : أنا أعلِّبُ لكم هذا الساحر عذاباً يضلُّ عنه كيده . فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة ، ثم حشاها نَفْطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً ، ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ، ثم أوقد تحتَ الصورة ، فلم يزل يُوقد حتى التهبت الصورة ، وذاب كل شيء فيها واختلط ، ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً ، فلأت السماء محاباً أسوداً مظلماً ، فيه رعدٌ لا يفر ، وبرقٌ وصواعقٌ متداركات ، وأرسل الله إعصاراً فلأت بلادهم عجاجاً وقتاماً ، حتى اسود ما بين السماء والأرض وأظلم ، ومكثوا أياماً متحيرين في تلك الظلمة ، لا يفصلون بين الليل والنهار . وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس ، حتى إذا أقلتها ضرب بها الأرض ضرباً ، فزع من روعته أهل الشام أجمعون ، وكلهم يسمعه في ساعة واحدة ، فخرُّوا لوجوههم صاعقين من شدة المول ، وانكسرت الصورة ، فخرج منها جرجيس حياً ، فلما وقف يكلتهم انكشفت الظلمة ، وأسفر ما بين السماء والأرض ، ورجعت إليهم أنفسهم . فقال له رجل منهم يقال له طوقيلنا : لا ندرى يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربك ؟ فإن كان هو الذي يصنعها ، فادعه يُخَيِّر لنا موتانا ، فإن في هذه القبور التي ترى أمواتاً من أمواتنا ، منهم مَنْ نعرف ومنهم مَنْ مات قبل زماننا ، فادعه يُخَيِّرهم حتى يعودوا كما كانوا ونكلتهم ، ونعرف مَنْ عرفنا منهم ، ومَنْ لا نعرف أخبرنا خبره . فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصنف ، ويُرِيكم هذه العجائب ^(١) إلا ليمَّ عليكم حججه ، فتسرجوا بذلك غضبه . ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورقات وريم . ثم أقبل على الدماء لما برحوا مكانهم ، حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً : سعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ، فإذا شيخ منهم كبير ، فقال له جرجيس : أيها الشيخ ، ما اسمك ؟ فقال : اسمي يوبيل ^(٢) ، فقال : متى ميت ؟ قال : في زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمئة عام ^(٣) .

(١) ت : « الأماجيب » .

(٢) ل : « يوبل » .

(٣) ل : « سنة » .

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا : لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلا قد عذبتموه ، إلا الجوع والعطش ، فعدّ بهما . فعملوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً ، وكان لها ابنٌ أعمى أبكم مقعد ، فحصره في بيتها فلا يصلُّ إليه من عند أحدٍ طعام ولا شراب . فلما بلغه الجوع ، قال للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يَحْلُفُ^(١) به ، ما عهدنا بالطعام^(٢) منذ كذا وكذا ، ، وسأخرج وألتمس لك شيئاً . قال لها جرجيس : هل تعرفين الله ؟ قالت له : نعم ، قال : فإياه تعبدين ؟ قالت : لا ، قال : فدعاهما إلى الله فصدّقته ، وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي بيتها دُعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشيء حتى اخضرت تلك الدُعامة ، فأثبتت كل فاكهة تؤكل أو تعرف ، أو تسمى حتى كان فيما أثبتت اللبَاء^(٣) واللوبياء .

قال أبو جعفر : اللبَاء نبت بالشَّام له حب يؤكل . وظهر للدُعامة فرع من فوق البيت أظله وما حوله وأقبلت العجوز ، وهو فيما شاء يأكل رَغَدًا ، فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها ، قالت : آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع ، فادعُ هذا الربَّ العظيم ليشفي ابني ، قال : أذنيه مني ، فأدنته منه ، فبصق في عينيه فأبصر ، ففتحت في أذنيه فسمع ، قالت له : أطلق لسانه ورجليه ، رحمك الله ! قال : أخرّيه ، فإن له يومًا عظيمًا . وخرج الملك يسير في مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه : إني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به ، قالوا له : تلك الشجرة نبتت للملك الساحر الذي أردت أن تعدّ به بالجوع ، فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت^(٤) الفقيرة وشفي لها ابنها . فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة ليُقطع ، فلما هموا بقطعها أيسسها الله تعالى كما كانت أول مرة ، فتركوها ، وأمر بجرجيس فبسط على

(١) ل : وحلفت به .

(٢) ت : ما اعتدنا من طعام .

(٣) قال في اللسان : الباء : حب أبيض كالخمس شديد البياض يؤكل ، وفي ط : « الباء »

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « أشبعت » .

وجهه وأوتد^(١) له أربعة أوتاد ، وأمر بمعجل فأوفر أسطواناً ما حمل ، وجعل في أسفل المعجل خناجر وشفاراً^(٢) ، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالمعجل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فقتطع^(٣) ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار ، حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجالاً فذروه في البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء يقول : يا بحر ، إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب ، فإني أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعته حتى عاد الرماد صبرة كهيئته قبل أن يلزوه ، والذين ذروه قيام لم يبرحوا . ثم نظروا إلى الرماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبراً ينفخ رأسه ، فرجعوا ، ورجع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياه ، والريح التي جمعته . فقال له الملك : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك ! فلو أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لاتبعتك وأمنت بك ، ولكن اسجد لأقنئون سجدة واحدة ، أو اذبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرك .

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يهلك الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، ويخش منه ، فخدعه جرجيس ، فقال : نعم ، إذا شئت فأدخلتني على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، وفرح الملك بقوله ، فقام إليه فقبل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : إني أعزم عليك ألا تغفل هذا اليوم ، ولا تبیت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي ، ومع أهل حتى تسريح ويذهب عنك وصب العذاب ، فيرى الناس كرامتك على . فأخلى له بيته ، وأخرج منه من كان فيه . فظل فيه جرجيس ، حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلي ، ويقرأ الزبور - وكان أحسن الناس صوتاً - فلما سمعته امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها

(١) ت : « ووتد » .

(٢) في الأصل : « واشفارا » ، ولصواب ما أثبت من ابن الأثير .

(٣) ل : « فانقطع » .

جرجيس إلى الإيمان فآمنت ، وأمرها فكتمت لإيمانها . فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها ، وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها^(١) : هل علمت أن جرجيس قد فتن بعدك ، وأصفى إلى الدنيا ، وأطعمه الملك في ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها ! فخرجت العجوز في أعراضهم ، تحمل ابنتها على عاتقها ، وتوبخ جرجيس ، والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ، ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس منه مقاماً ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلم قبل ذلك قط ، ثم اقتحم عن عاتق أمته يمشي على رجله سويتين ، وما وطئ الأرض قبل ذلك قط بقدميه ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال : اذهب ، فادع لي هذه الأصنام ، وهي حينئذ على منابر من ذهب ، واحد وسبعون صنماً ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فقال له الغلام : كيف أقول للأصنام ؟ قال : تقول لها : إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خالصك إلا ما جنته^(٢) . فلما قال لها الغلام ذلك ، أقبلت تخرج إلى جرجيس ، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله ، فخسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هارباً فرقاً من الخسف ، فلما مر بجرجيس ، أخذ بناصيته ، فخضع له برأسه وعنقه ، وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أيتها الروح النجسة ، والخلق الملعون ، ما الذي يملكك على أن تهلك نفسك ، وتهلك الناس معك ، وأنت تعلم أنك وجندك يصيرون إلى جهنم ! فقال له إبليس : لو خيّر بين ما أشرقت عليه الشمس ، وأظلم عليه الليل ، وبين هلكة بني آدم وضلالتهم أو واحد منهم طرفة عين ، لاخترت طرفة العين على ذلك كله ، وإنه ليقع^(٣) لي من الشهوة في ذلك واللذة مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة ، فسجد^(٤) له : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وجميع الملائكة

(١) ل : « سكن في بيتها » .

(٢) ت : « إلا ما أجبت » .

(٣) ل : « يقع » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « فسجدوا » .

المقربين ، وأهل السموات كلهم ، وامتنعت من السجود ، فقلت : لا أسجد لهذا الخلق وأنا خير منه ! فلما قال هذا خلاه جرجيس ، فادخل إبليس ٨١١/١ منذ يومئذ جوف صنم ، مخافة الخسف ، ولا يدخله بعدها - فيما يذكر - أبدا . وقال الملك : يا جرجيس خدعتني وغررتني ، وأهلك آلهتي ، فقال له جرجيس : إنما فعلت ذلك تحمداً لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذا لامتنعت مني ، فكيف تفعلك وبلك بآلهة لم تمنع أنفسها مني ! وإنما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكتني ربى . قال : فلما قال هذا جرجيس ، كلمتهم امرأة الملك ، وذلك حين كشفت لهم إيمانها ، وباينتهم بدينها ، وعددت عليهم أفعال جرجيس ، والعبر التي أراهم . وقالت لهم : ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتخسف بكم الأرض فتهلكوا ، كما هلك أصنامكم . الله الله أيها القوم في أنفسكم ! فقال لها الملك : ويحاً لك إسكندرة ! ما أسرع ما أضلكت هذا الساحر في ليلة واحدة ! وأنا أقاسيه منذ سبع سنين ، فلم يطق مني شيئاً . قالت له : أما رأيت الله كيف يظفرك بك ، ويسلطه عليك ، فيكون له الفلج والحجة عليك في كل موطن ! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها ، فعلفت بها ، وجعلت^(١) عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس . فلما ألمت من وجع العذاب قالت : ادع ربك يا جرجيس يخفف عني ، فإنني قد ألمت [من] العذاب فقال : انظري فوقك . فلما نظرت ضحكك ، فقال لها : ما الذي يضحكك ؟ قالت : أرى ملكين فوق ، ٨١٢/١ معهما تاج من حكني الجنة ينتظران به روعي أن تخرج ، فإذا خرجت زيناهما بملك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء ، فقال : اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء ، لتعطيني به فضائل الشهداء ! اللهم فهذا آخر أبي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهم فإني أسألك ألا تقبض روعي ، ولا أزل من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطواتك وتقمطك ما لا قبل لهم به ، وما تشفي به صدرى ، وتقر به عيني ، فإنهم ظلموني وعذبوني . اللهم وأسألك ألا يدعوا

بعدي داعٍ في بلاء ولا كرب فيذكرني ، ويسألك باسمي إلا فرجت عنه
ورحمته وأجبت ، وشفعتني فيه .

فلما فرغ من هذا الدعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمسوا
إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق ، ليُعطيَهُ الله تعالى بالقتلة الرابعة
ما وعد . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من
وجه الأرض حتى أفلتها ، ثم جعل عاليها سافلها ، فلبثت زماناً من الدهر
يخرج من تحتها دخان متين ، لا يشمه أحد إلا سقم سقماً شديداً ، إلا أنها أسقام
مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ، فكان جميع من آمن بـمـرجيس ، وقتل معه
أربعة وثلاثين ألفاً ، وامرأة الملك . رحمها الله !

• • •

ونرجع الآن إلى :

٨١٣/١

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم

لسياق تمام التأريخ ، إذ كنا قد ذكرنا الجلال من الأمور التي كانت في أيام ملوك الطوائف في الفرس ، وبني إسرائيل ، والروم ، والعرب ، إلى عهد أردشير .

• • •

[ذكر ملك أردشير بن بابك]

ولما مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفي قول المجوس مائتان وست وستون سنة ؛ وثب أردشير بن بابك شاه ملك خير بن سامان الأصغر بن بابك ، بن سامان بن بابك بن مهرمس بن سامان بن بهمن الملك بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بن كيخسرو بن كيمنش - وقيل في نسبه : أردشير بن بابك بن سامان بن بابك بن زرار بن بهافريد بن سامان الأكبر ، بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب - بفارس طالباً - بزعمه - بدم ابن عمته دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار ، الذي حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، مريدًا - فيما يقول ^(١) - رد الملك إلى أهله ، وإلى ^(٢) ما لم يزل عليه أيام سلفه وآبائه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد .

وذكر أن مولده كان بقرية من قرى إصطخر يقال لها طيروده ، من رستاق خير من كورة إصطخر . وكان جدّه سامان شجاعاً شديداً البطش ، وإنه بلغ من شجاعته وشدة بطشه ، أنه حارب وحده ثمانين رجلاً من أهل إصطخر ، ذوى بأس ونجدة ، فهزمهم . وكانت امرأته من نسل قوم من الملوك ، كانوا بفارس ، يعرفون بالبازرنجين ، يقال لها : رامبهشت ، ذات جمال وكال ، وكان سامان كيمّاً على بيت نار إصطخر ، يقال له بيت

(١) ت : و نيم . (٢) ت : و عل .

نار أنا هيد،^(١) وكان مغرمًا بالصيد والفروسيّة ، فولدت راهيهشت لساسان بابلك ، وطول شعره حين ولدته أطول من شبر . فلما احتسنتك قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير .

وكان ملكك لصطخر يومئذ رجل من البازرنجين ، يقال له — فيما حدثت عن هشام بن محمد — جئزهر . وقال غيره : كان يسمى جئزهر ، وكان له خصي يقال له تيرى ، قد صيره أرجبدا^(٢) بدارا بتجيرد . فلما أتى لأردشير سبع سنين ، سار به أبوه إلى جئزهر ، وهو بالبيضاء ، فوقفه بين يديه ، وسأله أن يضمه إلى تيرى ؛ ليكون ربيبًا له ، وأرجبدا من بعده في موضعه . فأجابه إلى ذلك ، وكتب بما سأله من ذلك سجلاً ، وصار به إلى تيرى ، فقبله أحسن قبول ، وتبنّاه . فلما هلك تيرى تقلد أردشير الأمر ، وحسن قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجمين والعرافين صلاح مولده ، وأنه يملك البلاد . فذكر أن أردشير تواضع واستكان للملك ، ولم يزل يزداد في الخير كل يوم ، وأنه رأى في نومه ملكًا جلس إلى رأسه ، فقال له : إن الله يملكه البلاد ، فليأخذ لذلك أهبة ، فلما استيقظ سرّ بذلك ، وأحسن من نفسه قوةً وشدة بطش ، لم يكن يعهد مثله .

وكان أول ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا بتجيرد ، يقال له جوبانان ، فقتل ملكًا كان بها يقال له فاسين^(٣) . ثم سار إلى موضع يقال له كونس ، فقتل ملكًا كان بها يقال له مينوشهر ، ثم إلى موضع يقال له لروير^(٤) ، فقتل ملكًا كان بها يقال له دارا ، وملك هذه المواضع قوماً من قبله ، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بجئزهر وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك ، وقتل جئزهر وأخذ تاجه ، وكتب إلى أردوان البهلوى ملك الجبال وما يتصل بها ، يتضرع له ويسأله الإذن في تتويج سابور ابنه بتاج جئزهر . فكتب إليه أردوان كتابًا عنيفًا ، وأعلمه أنه وابنه أردشير على الخلاف بما كان من

(١) ت : « نار أهيد » ؛ س : « نار هيد » .

(٢) وهي أيضًا : « هرجبدا » ، والنظر ص ٤٤ ط ١٦ .

(٣) ت : « فاسين » ، س : « فاسير » .

(٤) ت : « لزوير » ، س : « لزوين » .

قتلها من قتلًا — فلم يحفل بابك بذلك ، وهلك في تلك الأيام ، فتزوج سابور ابن بابك بالتاج ، وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه . فامتنع أردشير من ذلك ، فغضب سابور من امتناعه ، وجمع جموعًا ، وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من لصطخر ، فألقى بها عدة من إخوانه ، كان بعضهم أكبر سنًا منه ، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك ، وسلم الجميع لأردشير ، فتزوج بالتاج ، وجلس على السرير ، وافتتح أمره بقوة وجيدة ، ورتب قومًا مراتب ، وصير رجلاً يقال له أبرسام بن رحفر^(١) وزيراً ، وأطلق يده وفوض إليه ، وصير رجلاً يقال له فاهر^(٢) مؤيداً موبدًا ، وأحسن من إخوانه وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعة منهم كثيرة . ثم أتاه أن أهل دارا بسجرد قد فسدوا عليه ، فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من أهلها . ثم سار إلى كترمان ، وبها ملك يقال له : بلاش ، فاقتتل وهو قتالاً شديداً ، وقاتل أردشير بنفسه حتى أسر بلاش ، واستولى على المدينة ، فلك أردشير على كترمان ابنًا له يقال له أردشير أيضًا .

وكان في سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنود ، كان يعظم ويعبد ، فسار إليه أردشير فقتله وقطعه بسيفه نصفين ، وقتل من كان حوله ، واستخرج من مطامير كانت لم كنوزاً مجموعة فيها ، وكتب إلى ميهرك ، وكان ملك إيراهاسان من أردشير خيرة ، وإلى جماعة من أمثاله في طاعته ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم ، فقتل ميهرك ، ثم سار إلى جور ، فأستسها ، وأخذ في بناء الجوسق المعروف بالطربال ، وبيت تارهنك .

فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رسول الأرد وأن بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك ، وقرأ الكتاب بحضرتهم ، فإذا فيه : إنك قد عدوت طورك ، واجتلبت حتفك ، أيها الكردى المربى في خيام الأكرادا من أذن لك في التاج الذى لبسته ، والبلاد التى احتوت عليها وغلبت ملوكها وأهلها ! ومن أمرك ببناء المدينة التى أستسها في صحراء — يريد جور — مع أننا إن خلتناك

(١) ت : زحفر .

(٢) ت : فاهر ، ل : هاهر .

وبناءها فابتن في صحراء طولها عشرة فراسخ مدينة ، وسميها رام أردشير .
 ٨١٨/١ وأعلمه أنه قد وجه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في وكاف .

فكتب إليه أردشير : إن الله حبانى بالتاج الذى لبسته ، وملكنى البلاد
 التى افتتحتها ، وأعاننى على من قتل من الجبابرة والملوك ، وأمّا المدينة التى
 أبنيها وسميها رام أردشير ، فأنا أرجو أن أمكن منك ، فأبعث برأسك وكنوزك
 إلى بيت النار الذى أسسته في أردشير خرة .

ثم شخص أردشير نحو إصطخر ، وخلف أبرسام بأردشير خرة ، فلم
 يلبث أردشير إلا قليلا حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز ، وانصرافه
 منكوبا . ثم سار^(١) إلى إصبهان فأمر شاذ سابور ملكها ، وقتله ، ثم عاد إلى
 فارس ، وتوجه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز ، وسار إلى الرجان وإلى بنيان^(٢)
 وطاشان من رامهرمز ، ثم إلى سرق . فلما سار إلى ما هناك ، ركب في
 رهط من أصحابه ، حتى وقف على شاطئ دجستيل ، فظفر بالمدينة ، وابتنى
 مدينة سوق الأهواز ، وانصرف إلى فارس بالغنائم ، ثم ارتحل من فارس راجعا
 إلى الأهواز على طريق جيره وكازرون ، ثم صار من الأهواز إلى ميسان ،
 فقتل ملكا كان بها يقال له بندو^(٣) ، وبني هناك كرخ ميسان ، ثم
 انصرف إلى فارس ، وأرسل إلى أردوان يرتاد موضعا يقتتلان فيه ، فأرسل إليه
 أردوان : إئتني أوافيك في صحراء تدعى هرمزجان ، لانسلاخ ميهرماء . فوافاه
 أردشير قبل الوقت ، وتبوأ من الصحراء موضعا ، وخذلق على نفسه وجنده ،
 واحتوى على عينه كانت هناك ، ووافاه أردوان . فاصطف القوم للقتال ،
 ٨١٩/١ وقد تقدم سابور بن أردشير دافعا عنه ، ونشب القتال بينهم ، فقتل سابور
 دارا بنداد ، كاتب أردوان بيده ، فانقض أردشير من موضعه إلى أردوان حتى
 قتله ، وكثر القتل في أصحابه ، وهرب من بقي على وجهه . ويقال : إن
 أردشير نزل حتى توطأ رأس أردوان بقدمه . وفي ذلك اليوم سمى أردشير
 « شَاهَنشَاه » .

(١) ل : و سار .

(٢) ط : و سار ، وما أثبت من التصويبات .

(٣) س : و بندو .

ثم سار من موضعه إلى هَمَكْدَان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذَرَبِيْجَان
وإرمينية والموصل عَتْنُو ، ثم سار من الموصل إلى سُوْرِسْتَان ، وهي السَّوَاد
فاحتلَّها ، وبني على شاطئ دِجْلَةِ قِبَالَةِ مَدِينَةِ طَهْسُون^(١) - وهي المدينة
التي في شرق المَدَائِن - مدينة^(٢) غربية سماها بِهْ أَرْدَشِير ، وكورها
وضم إليها بَهْرَسِير ، والرَّوْمَقَان ، ونهر دَرَقِيط ، وكَوْتِي ونهر جَوْبَر ،
واستعمل عليها عمالا ، ثم توجه من السَّوَاد إلى إصطخر ، وسار منها
إلى سجستان ، ثم جَرَنْجَان ، ثم إلى أِبْرَشَهْر ، ومَرَو ، وبلخ ، وخوارزم ،
إلى تخوم بلاد خراسان . ثم رجع إلى مَرَو ، وقتل جماعة وبعث رموسهم إلى
بيت فار أناهيْد ، ثم انصرف من مَرَو إلى فارس . وذلَّ جُور ، فأنته رسل
ملك كُوشَان ، وملك طُوران ، وملك مَكْرَان بالطاعة . ثم توجه أَرْدَشِير من ٨٢٠/١
جُور إلى البَحْرَيْن ، فحاصر منطرق^(٣) ملكها ، واضطره بالجهْد إلى أن يري
بنفسه من سُوْرِ الحصن ، فهلك . ثم انصرف إلى المَدَائِن ، فأقام بها وتوجَّع
سأبور ابنه بتاجه في حياته .

ويقال : إنَّه كانت بقرية يقال لها أَلَار^(٤) ، من رُسْتَق كُوجَرَان^(٥) من
رستاق سيف أَرْدَشِير خُرَّة ملكةٌ تعظَّم وتعبَّد ، فاجتمعت لها أموال وكنوز
ومقاتلة . فحارب أَرْدَشِير سدكتها وقتلها ، وضمَّ أموالاً وكنوزاً عظيماً كانت
لها : ولأنه كان بنى ثمانى مدن ، منها بفارس مدينة أَرْدَشِير خُرَّة ، وهي جُور ،
ومدينة رام أَرْدَشِير ، ومدينة ريو أَرْدَشِير ، وبالأهواز هَرْمُز أَرْدَشِير ، وهي
سوق الأهواز ، وبالسَّوَاد بِهْ أَرْدَشِير ، وهي غربي المَدَائِن ، وإستاباذ أَرْدَشِير ،
وهي كَرْنُخ مَيْسَان ، وبالبَحْرَيْن فَنِيَاذ أَرْدَشِير^(٦) ، وهي مدينة الخَطَّة ،
وبالموصل بوذ أَرْدَشِير ، وهي حَزَّة .

• • •

(١) ت : طَهْسُون ، س : طَهْسُون .

(٢) في الأصل : «مدينة» .

(٣) ت : «منطرق» .

(٤) ت : أَلَار ، أَس ، ل : أَلَان .

(٥) ت : «جوجران» . (٦) ط : «سأورشير» ، وما أثبت من النسخات .

وذكر أن أردشير عند ظهوره كتب إلى ملوك الطوائف كتباً بليغة ،
احتج عليهم فيها ، ودعاهم إلى طاعته ، فلما كان في آخر أمره رسم لمن بعده
عهده ، ولم يزل محموداً مظهرًا منصوراً ، لا يفشل له جمع ، ولا ترد له راية ،
وقهر الملوك حول مملكته وأذلّتهم ، وأثخن في الأرض ، وكثّر الكُور ، ومدّن
المدن ، ورتّب المراتب ، واستكثر من العمارة . وكان ملكه من وقت قتله
أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة . وقال بعضهم : كان ملكه أربع عشرة
سنة وعشرة أشهر .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : قدم أردشير في أهل فارس يريد
الغلبة على الملك بالعراق ، فوافق بابا ملكًا [كان] ^(١) على الأرمانيين ، ووافق
أردوان ملكًا على الأردينيين .

قال هشام : الأرمانيون أنباط السواد ، والأردانيون أنباط الشام .

قال : وكل واحد منهما يقاتل صاحبه على الملك ، فاجتمعا على قتال
أردشير . فقاتلاه متساندين ، يقاتله هذا يومًا ، وهذا يومًا ، فإذا كان يوم
بابا لم يبق له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يبق لأردشير ، فلما رأى ذلك
أردشير صالح بابا على أن يكف عنه ويدعه وأرادون ، ويخلى أردشير بين
بابا وبين بلاده وما فيها ، وتفرغ أردشير لحرب أردوان ، فلم يلبث أن قتله
واستولى على ما كان له ، وجمع له ، وأطاع بابا ^(٢) ، فقبض أردشير ملك العراق
ودانت له ملوكها ، وقهر من كان يناوئه من أهلها ، حتى حملهم على ما أراد
مما خالفهم ووافقه .

• • •

ولما استولى أردشير على الملك بالعراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا في
مملكته ، وأن يدينوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل قضاة اللبن كانوا
أقبلوا مع مالك وعمرو ابني فتهم ، ومالك بن زهير وغيرهم ، فلحقوا بالشام
إلى من هنالك من قضاة .

وكان فارس من العرب يُحندون في قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، ويتزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث :
ثلث تنوخ ، وهو مَنْ كان يسكن المظالَّ وبيوت الشعَر والوبر في غربي
الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها . والثلث الثاني العباد ، وهم الذين
كانوا سكنوا الحيرة وابتنَّوا بها . والثلث الثالث الأحلاف ، وهم الذين لحقوا
بأهل الحيرة ، ونزلوا فيهم ، ممَّن لم يكن من تنوخ الوبر ، ولا من العباد الذين
دانوا لأردشير .

وكانت الحيرة والأنبار بنيتا جميعاً في زمن بختنصر ، فخربت
الحيرة لتحوَّل أهلها عنها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار ، وعمرت الأنبار
خمسائة سنة وخمسين سنة ، إلى أن عمرت الحيرة في زمن عمرو بن عدى ،
باتخاذها إياها منزلاً ، فعمرت الحيرة خمسائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن
وُضعت الكوفة ، ونزلها الإسلام ، فكان جميعُ مُلْكِ عمرو بن عدى مائة
سنة وثمانى عشرة سنة ، من ذلك في زمن أردوان وملوك الطوائف خمس وتسعون
سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ؛ من ذلك في زمن أردشير بن
بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين
وشهران .

ذكر الخبر

عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

٨٢٣/١

ولما هلك أردشير بن بابك ، قام بملك فارس من بعده ابنه سابور .
وكان أردشير بن بابك لما أفضى إليه الملك أسرف في قتل الأشكانيين ،
الذين منهم كان ملوك الطوائف ، حتى أفناهم بسبب أليّة كان ساسان بن
أردشير بن بهمن بن إسفنديار الأكبر ، جدّ أردشير بن بابك ، كان آلاها ،
أنه إن ملك يوماً من الدهر لم يستبق^(١) من نسل أشك بن خرّه أحدًا ، وأوجب ذلك
على صحّبه ، وأوصاهم بالألا يبقوا منهم أحدًا إن هم ملكوا ، أو ملك منهم
أحد يومًا . فكان أول من ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك ، فقتلهم
جميعًا ، نساءهم ورجالهم ، فلم يستبق منهم أحدًا لعزيمة جدّه ساسان .

فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أن جارية كان وجدها أردشير^(٢) في
دار المملكة ، فأعجبه جمالها وحسنها ، فسأها — وكانت ابنة الملك المقتول —
عن نسبها . فذكرت أنها كانت خادمة لبعض نساء الملوك ، فسأها : أبكر أنت
أم تيب ؟ فأخبرته أنها بكر ، فواقعها واتخذها لنفسه ، فعلقته منه ، فلما أمته
على نفسها لاستمكاها منه بالحبل ، أخبرته أنها من نسل أشك ، فنفر منها^(٣)
ودعا هرجيدا أبرسام — وكان شيخًا مسنًا — فأخبره أنها أقرت أنها من نسل
أشك ، وقال : نحن أولى باستقام الوفاء بنظر أبنينا ساسان ، وإن كان موقعها

٨٢٤/١

من قلبي على ما قد علمت ، فأنطلق بها فاقتلها . ففنى الشيخ ليقتلها ، فأخبرته
أنها حبلى ، فأقى بها القوابل ، فشهدن بحبلها ، فأودعها سربًا في الأرض ، ثم
قطع ملاكيرة فوضعها في حرق ، ثم ختم عليه ، ورجع إلى الملك ، فقال له
الملك : ما فعلت ؟ قال : قد استودعتها بطن الأرض ، ودفع الحق إليه ،
وسأله أن يختم عليه بخاتمه ، ويؤدّعه بعض خزائنه ففعل ، فأقامت الجارية
عند الشيخ ، حتى وضعت غلامًا ، فكره الشيخ أن يُسمّى ابن الملك دونه ،

(١) ل : لا يستبق . س : ولا يستبق .

(٢) ل : كان أردشير وجدها .

(٣) ت : ونفر منها .

وكره أن يعلمه به صبيّاً حتى يدرك ، ويستكمل الأدب . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبي ساعة وُلد ، وأقام له الطالع ، فعلم عند ذلك أن سيملك ، فسماه اسماً جامعاً يكون صفة واسماً ويكون فيه بالخيار إذا علم به ، فسماه « شاه بور » ، وترجمتها بالعربية : ابن الملك ، وهو أول مَنْ سُمّي بهذا الاسم ، وهو سابور الجنود بالعربية ، بن أردشير . وقال بعضهم : بل سماه « أشه بور » ، ترجمتها بالعربية : ولد أشك ، الذى كانت أم الغلام من نسله .

• • •

فنبّر^(١) أردشير دهرأ لا يُولد له ، فدخل عليه الشيخ الأمين ، الذى عنده الصبي ، فوجده محزوناً ، فقال : ما يُحزنك أيها الملك ؟ فقال له أردشير : وكيف لا أحزن ، وقد ضربت بسفى ما بين الشرق والمغرب حتى ظفرت بحاجتى ، وصفا لى المُلْك ملك آباءى ، ثم أهيك لا يعقبى فيه عقيب ، ولا يكون لى فيه بقية ! فقال له الشيخ : سرّك الله أيها الملك وتحرك ! لك عندى ولد طيب نفيس ، فادع بالحق الذى استودعك ، وختمته بخاتمك أرك برهان ذلك .

فدعا أردشير بالحق ، فنظر إلى نقش خاتمه ، ثم فضّه ، وفتح الحق ، ٨٢٥/١ فوجد فيه ملاكبر الشيخ ، وكتاباً فيه : إننا لما اخترنا ابنة أشك التى عليقت من ملك الملوك أردشير حين أميرنا بقتلها حين حملها ، لم نستحلّ إناؤه^(٢) زرع الملك الطيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ملكنا ، وبترأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد حاضيه إلى عصهها سبيلاً ، وقمنا بتقوية الحق المتزوع^(٣) حتى لحق بأهله ، وذلك فى ساعة كذا من عام كذا . فأمره أردشير عند ذلك أن يبيته فى مائة غلام . وقال بعضهم : فى ألف غلام من أترياه وأشباهه فى الهيئة والقامة ، ثم يُدخِلهم عليه جميعاً لا يفرق بينهم فى زى ولا قامة ولا أدب ، ففعل ذلك الشيخ ، فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنة من بينهم ، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لُحِنَ به . ثم أمر بهم جميعاً

(١) ط : • • • • • (٢) إناؤه : إهلاك .

(٣) ط : • • • • • ت : • • • • • المتزوع .

فأخبرجوا إلى حجرة الإيوان ، فأعطوا صوابحة ، فلبعوا بالكرة وهو في الإيوان على سريره ، فدخلت الكرة في الإيوان الذي هو فيه ^(١) ، فكاح الغلمان ^(٢) جميعاً أن يدخلوا الإيوان ، وأقدم سابور من بينهم فدخل فاستدلّ أردشير بدخوله عليه ، وإقدامه وجترأته مع ما كان من قبول نفسه له أوّل مرة حين رآه ، ورقته عليه دون أصحابه أنه ابنه . فقال له أردشير بالفارسية : ما اسمك ؟ فقال الغلام : شاه بور ، فقال : أردشير : شاه بور ! فلما ثبت عنده أنه ابنه شهر أمره ، وعقد له التاج من بعده .

٨٢٦/١

وكان سابور قد ابتلى منه أهل فارس — قبل أن يُفَضِّيَ إليه المُلكُ في حياة أبيه — عقلاً وفضلاً وعلماً ، مع شدة بطش ، وبلاغة منطق ، ورأفة بالرعية ورقّة . فلما عقّد التاج على رأسه ، اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له بطول البقاء ، وأطنبوا في ذكر والده وذكر فضائله ، فأعلمهم أنهم لم يكونوا يستدعون لإحسانه بشيء يعدل عنده ذكركم والده ، ووعدهم خيراً .

ثم أمر بما كان في الخزائن من الأموال ، فوسّع بها على الناس ، وقسمها فيمن رآه لها موضعاً ، من الوجوه والجنود وأهل الحاجة ، وكتب إلى عماله بالكُور والنواحي أن يفعلوا مثل ذلك في الأموال التي في أيديهم ، فوصل من فضله وإحسانه إلى القريب والبعيد، والشريف والضيع ، والخاصّ والعامّ ما عثمهم ورُفِغَتْ ^(٣) معايشهم . ثم تخيّر لهم العمال ، وأشرف عليهم وعلى الرعية إشرافاً شديداً ، فبان فضل سيرته ، وبتعدّ صوته ، وفاق جميع الملوك .

وقيل : إنه سار إلى مدينة نصيبين ، لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، وفيها جنود من جنود الروم ، فحاصروهم حيناً ، ثم أتاه عن ناحية من خراسان ما احتاج إلى مشاهدته ، فشخص إليها حتى أحكم أمرها ، ثم رجع إلى نصيبين . وزعموا ^(٤) أن سور المدينة تصدّع وانفجرت له فُرْجة دخل ^(٥) منها ،

(١) ل : « فيه الملك » .

(٢) كاح الغلمان : جهنوا . وفي الحديث : « ما زالت قریش كاحاً حتى مات أبو طالب » .

(٣) ط : « رُفِغَتْ » تصحيف ، والرفع : السعة في الرزق .

(٤) ت : « فزعموا » .

(٥) ت : « فدخل » ، ل : « ودخل » .

فقتل المقاتلة وسبى وأخذ أموالا عظيمة كانت لقبصر هنالك ، ثم تجاوزها إلى الشام وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة .

وقيل : إن فيما افتتح قالوقية وقلوقية ، وإنه حاصر ملكا كان بالروم ، يقال له الريانوس بمدينة أنطاكية ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه ، وأسكنهم جندى سابور .

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذروان تستتر ، على أن يجعل عرصه ألف ذراع ، فبناء الروى بقوم أشخصهم إليه من الروم ، وحكم سابور في فكاهه بعد فراغه من الشاذروان ، فقيل إنه أخذ منه أموالا عظيمة ، وأطلقه بعد أن جدد أنفه . وقيل إنه قتله .

• • •

وكان بحبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحفضر ، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون ، وهو الذى يقول فيه أبو دود الأيادى :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْخُفِّ سِرَّ عَلَى رَبِّ أَهْلِ السَّاطِرُونَ^(١)

والعرب تسميه الضيّن . وقيل : إن الضيّن من أهل بآجرمى .

وزعم هشام بن الكلبي^(٢) أنه من العرب من قضاة وأنه الضيّن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ، وأن أمه من يزيد بن حلوان اسمها جيهلة^(٣) ، وأنه إنما كان يعرف بأمه . وزعم أنه كان ملك أرض الجزيرة ، وكان معه من بنى عبيد بن الأجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى ، وأن ملكه كان قد بلغ الشام ، وأنه تطرف من بعض السواد فى غيبة كان غابا إلى ناحية خراسان سابور بن أردشير ، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه ، فقال فى ذلك من فعل الضيّن ، عمرو بن إله^(٤) بن الجندى بن الداه بن جشم بن حلوان

(١) كذا فى اللسان ٦ : ٢٩ ، وقرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢ : وفى معجم البلدان ٣ :

٢٩٠ لسه إلى على بن زيد . (٢) الخبر فى الأغاني ٢ : ١٤٠ (طبعة دار الكتب) بسنده عن

جماعة ، منهم هشام الكلبي . (٣) فى الأغاني : « جيلة » .

(٤) فى الأغاني : « عمرو بن السليح بن على بن النخع بن غم بن حلوان » ، وفى معجم البلدان

٣ : ٢٩٠ : « الجندى بن النطاش » ، وفى ت : ل : « الجندى » .

ابن عمران بن الحلاف بن قضاعة :

لَقِينَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْحَيْلِ الصَّلَاحَةِ الذِّكُورِ^(١)

فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنَّا نَكَالًا وَقَتَلْنَا هَرَايِذَ شَهْرَزُورِ^(٢)

دَلَقْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِجَمْعٍ كَالْجَزِيرَةِ فِي السَّيْرِ

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إلى حنى أناخ على حصنه ، ونحصدن
الضبيزن في الحصن ، فرغم ابن الكلبى أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين ،
لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضبيزن .

وأما الأعشى ميمون بن قيس فإنه ذكر في شعره أنه إنما أقام عليه
حولين ، فقال^(٣) :

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضَرِ إِذْ أَهَلُّهُ بُنُوعَى وَهَلْ خَالِدٌ مِنْ نَعِيمِ^(٤)

أَقَامَ بِهِ شَاهِبُورُ الْجَنُودِ دَحْرَ لَيْلٍ تَضْرِبُ فِيهِ الْقَدَمُ^(٥)

فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمِ^(٦)

فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فَفَلَهُ أَنَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمِ

وَكَانَ دَعَا قُوَّمَهُ دَفْوَةً هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمُ

فَوْتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يَجْشَهُ مِنْ جَيْشِمْ

٨٢٩/١

• • •

ثم إن ابنة الضبيزن يقال لها الضبيزة عركت^(٧) لما خرجت إلى ربض^(٨)

(١) هو حلاف بن حلوان بن الحلاف بن قضاعة ، وإليه تنسب الحيل الجليلة . والحيل
الصلابة : القوة الشديدة .

(٢) شهر زور : كورة واسعة بين إربل وحملا ، قال ياقوت : وأهل هذه النواحي كلهم
أكرد ، ولأهلها بطش وشدة . (٣) ديوانه ٣٥ ، من قصيدته التي أولها :

أَتَهَجَّرُ غَانِيَةً أَمْ تُكَلِّمُ أَمَّ الْحَيْلِ وَأَوَّ بِهَا مُنْجِدُومُ

(٤) الليوان : وأُم ترى الحضر .

(٥) الليوان : وأقام به سابور . وللقدم : جمع قدم .

(٦) في ط : « ومثل مجاوره لم يقيم » وما أتبعه من الليوان .

(٧) في الأغاني : « عركت ، أي حانقت » . (٨) الربض : ما حول المدينة من الخارج .

المدينة ، وكانت من أجمل نساء زمانها — وكللك كان يفعل بالنساء إذا هنَّ عَرَكَتْنِ — وكان سابور من أجمل أهل زمانه — فيما قيل — فرأى كلَّ واحد منهما صاحبه ، فعشيقته وعشيقها ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دَلَّسْتُكَ على ما تهْدِم به سورَ هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : حكمك ^(١) وأرفعك على نسائي ، وأخصك بنفسى ذنبن . قالت : عليك بحمامة ورفاء مطوقة ، فأكتب في رجلها ببيض جارية بكثر زرقاء ، ثم أرسلتها ، فلما تقع على حائط المدينة ، فتداعى ^(٢) المدينة . وكان ذلك طلسم ^(٣) المدينة لا يهدمها إلا هذا ، ففعل وتأهب لهم ، وقالت : أنا أسقى الحرم من الخمر ، فإذا صرعوا فاقتلهم ، وادخل المدينة . ففعل وتداغت المدينة ، ففتحتها عتوة ، وقيل الضيَّيزن يومئذ ، وأبيدت أفاء قضاة الدين كانوا مع الضيَّيزن ، فلم يبقَ منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأصبحت قبائل من بني حُلوان ، فانقرضوا ودرجوا ، فقال عمرو ^(٤) بن لثة — وكان مع الضيَّيزن :

ألم يَحْزُنْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْبِي ^(٥) بما لَاقَتْ سَرَاهُ بَنِي عَيْدِ
وَمَصْرَعُ ضِيَّيزْنٍ وَبَنِي أَيْسِ وَأَحْلَاسُ الْكَتَّابِ مِنْ تَزِيدِ ^(٦)
أَتَانَهُمْ بِالْقِيُولِ مُجَلَّلَاتٍ وَبِالْأَبْطَالِ سَابُورُ الْجُنُودِ
فَهَدَمَ مِنْ أَوَاسِي الْحِصْنِ صَخْرًا ^(٧) كَانَ نِفَالَهُ زُبُرُ الْحَدِيدِ

وأخرب سابور المدينة ، واحتمل النضيرة ابنة الضيَّيزن ، فأعرس بها بعين التَّمَر ، فذكر أنها لم تزل ليلتها تَصُور ^(٨) من خشونة فرشها ، وهي من

(١) في الأمان : « أسحكم » .

(٢) ط : « فتداعى » ، وما أثبت من الأمان .

(٣) الطلم : السر المكتم .

(٤) نسب ياقوت هذه الأبيات ٣ : ٢٩١ إلى الجدي بن الدُّهات .

(٥) تنبى ، أى تشيع .

(٦) أحلاس الكتائب : الشجمان الملازيون لها .

(٧) الأمان : « من أواسي الحضر » . والأواسى : جمع أسيه ، وهو ما أسس من بنيان فأحكم

أصله ، من سارية أو غيرها .

(٨) الأمان : « تصور » .

٨٣٠/١ حَرِيرٌ مَحْشُوءٌ بِالْقَزِّ فَالْتَمَسَ مَا كَانَ يُؤْفِيهَا ، فَلَمَّا وَرَقَ آسٌ مَلْتَزَقَةٌ بِمَعْكَنَةٍ مِنْ عُكْنَتِهَا قَدْ أَثَرَتْ فِيهَا . قَالَ : وَكَانَ يُنْتَظَرُ إِلَى نُحْتِهَا مِنْ لَيْنٍ بَشَرْتَهَا - فَقَالَ لَهَا سَابُورُ : وَيَحْكُ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَغْدُوكَ أَبُوكَ ؟ قَالَتْ : بِالزُّبْدِ وَالْمَخِّ وَشَهِدَ الْأَبْكَارُ مِنَ النَّحْلِ وَصَفَوْا الْخَمْرَ . قَالَ : وَأَبِيكَ لِأَنَا أَحَدْتُ عَهْدًا بِكَ ، وَآثُرُ^(١) لَكَ مِنْ أَبِيكَ الَّذِي غَذَاكَ بِمَا تَذْكُرِينَ . فَأَمَرَ^(٢) رَجُلًا فَرَكِبَ فَرَسًا جَمُوحًا ، ثُمَّ عَصَبَ غَدَائِرَهَا بِذَنْبِيهِ ، ثُمَّ اسْتَرْكَضَهَا فَقَطَعَهَا قِطْعًا ، فَلَمَّا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَقَرَّ الْحِصْنُ مِنْ نَفِيرَةِ الْفَالِمِ بَاعُ مِنْهَا فَجَانِبُ الثَّرَاثِرِ^(٣)
وقد أكثر الشعراء ذكر ضَبْرُنَ هَذَا فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَإِيَّاهُ عَنَى عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ بِقَوْلِهِ :

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَمَّةٌ تُجَنِّي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٤)
شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَيْدًا فَلِيلَطِيرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ^(٥)
لَمْ يَهَبْهُ رَبِيبُ الْمَنُونِ فَبَادَ^(٦) أَلْ مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ^(٧)
وَيُقَالُ إِنَّ سَابُورَ بْنَ بَيْسَانَ شَاذَ سَابُورَ ، الَّتِي تَسْمَى بِالنَّبَطِيَّةِ «رِيْمًا» .

• • •

وَفِي أَيَّامِ سَابُورٍ ظَهَرَ مَانِيُ الزَّنْدِيقِ ، وَيُقَالُ : إِنَّ سَابُورَ لَمَّا سَارَ إِلَى مَوْضِعٍ جُنْدَى سَابُورَ لِيُؤَسِّسَهَا صَادَفَ عِنْدَهَا شَيْخًا يُقَالُ لَهُ بَيْلٌ ، فَسَأَلَهُ : هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَتَخَذَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَدِينَةً ؟ فَقَالَ لَهُ بَيْلٌ : إِنْ أَلْهِمْتُ الْكِتَابَةَ مَعَ مَا قَدْ بَلَغْتَ مِنَ السَّنِّ جَازَ أَنْ يَبْنِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَدِينَةٌ . فَقَالَ لَهُ سَابُورُ : بَلْ لَيْكُنِ الْأَمْرَانِ اللَّذَانِ أَنْكَرْتَ كَوْنَهُمَا . فَرَسَمَ الْمَدِينَةَ وَأَسْلَمَ بَيْلَ إِلَى مُعَلِّمٍ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ تَعْلِيمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ فِي سَنَةٍ ، فَخَلَا بِهِ الْمُعَلِّمُ وَبَدَأَ بِخَلْقِ رَأْسِهِ

٨٣١/١

-
- (١) ط : « وَأَوْتَرُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ عَنِ الْأَغَانِي . (٢) الْأَغَانِي : « ثُمَّ أَمَرَ » .
(٣) الثَّرَاثِرُ : وَادٍ بَيْنَ سَنَجَارٍ وَتُكْرَيْتَ ؛ كَانَ فِي الْقَدِيمِ مَنَازِلُ الْبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَيَمُرُّ بِمَدِينَةِ الْحَضَرِ ؛ ثُمَّ يَصِيبُ فِي دَجَلَةٍ أَسْفَلَ تُكْرَيْتَ .
(٤) الْخَابُورُ : اسْمُ نَهْرٍ كَبِيرٍ بَيْنَ رَأْسِ عَيْنٍ وَالْفَرَاتِ مِنْ أَرْضِ الْبَلْخَشَةِ .
(٥) الْكَلْسُ : الصَّارُوجُ ؛ وَهِيَ النَّوْرَةُ وَأَخْلَاطُهَا الَّتِي تَصْرَجُ بِهَا النَّوْلُ وَغَيْرُهَا . فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ .
(٦) ط : « دِيْمَا » .

ولحيته لثلا يتشاغل بهما ، وجادّه التعليم . ثم أتى به سابور وقد نفذ ومتهر ، فقتله إحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها ، وكور الناحية ومماها بيها زنديو سابور ، وتأويل ذلك : « خير من أنطاكية » ، ومدينة سابور - وهي التي تسمى جندى سابور ، وأهل الأهواز يسمونها « بيل » - بإسم القتيمة كان على بنائها . ولما حضر سابور الموت ملك ابنه هرمز وعهد إليه عهداً أمره بالعمل به .

واختلف في سنى ملكه ، فقال : بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً . وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوماً .

• • •

[ذكر ملك هرمز بن سابور]

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنه هرمز . وكان يلقب بالجرىء ، وكان يشبه في جسمه وخلقه وصورته بأردشير ، غير لاحق به في رأيه وتدييره ، إلا أنه كان من البطش والبحرأة وعظم الخلق على أمر عظيم . وكانت أمه - فيما قيل - من بنات ميهرك ، الملك الذي قتل أردشير بأردشير خيرة . وذلك أن المنجمين كانوا أخبروا أردشير أنه يكون من نسله من يملك . فاتبع أردشير نسله فقتلهم ، وأفلتت أم هرمز . وكانت ذات عقل وجمال وكمال وشدة خلق ، فوعدت إلى البادية ، وأوت إلى بعض الرعاء . وإن سابور خرج يوماً متصيداً ، فأمن في طلب الصيد ، واشتد به العطش ، ٨٣٢/١ فارتفعت له الأحبية التي كانت أم هرمز أوت إليها ، فقصدها فوجد الرعاء غيباً ، فطلب الماء ، فناولته المرأة ، فعابن منها جمالا فائقاً ، وقواماً عجيباً ، ووجهها حقيقاً . ثم لم يلبث أن حضر الرعاء ، فسألم سابور عنها ، فنسبها بعضهم إليه ، فسأله أن يزوجه منهن ، فسأله ، فصار بها إلى منازلها ، وأمر بها فنظفت وكسيت وحليت ، وأرادها على نفسها ، فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلمس الرجل من المرأة امتنعت وقهرته عند المجاذبة فهرأ ينكره . وتعجب من قوتها ، فلما تناول ذلك من أمرها أنكره ، ففحص عن أمرها

فأخبرته أنها ابنة مِهْرَك ، وأنها إنما فعلت ما فعلت لإبقاء عليه من أَرْدَشِير ،
فعاذهما على سِتْرِ أمرها ، ووطئها فولدت هُرْمَز ، فستر أمره حتى أتت له سنون .
وإن أَرْدَشِير ركب يوماً ، ثم انكفاً إلى منزل سابور لشيء أراد ذكره

له ، فدخل منزله مفاجأة ، فلما استقرّ به القرار خرج هُرْمَز ، وقد ترعرع
وبيده صولجان يلعب به وهو يصيح في أثر الكرة ، فلما وقعت عين أَرْدَشِير
عليه أنكره ، ووقف على المشابه التي فيه منهم ، لأن الكيئة التي في آل أَرْدَشِير
كانت لا تخفى ، ولا يلعب أمرهم على أحد ، لعلامات^(١) كانت فيهم ،
من حُسْن الوجوه ، وعَبَالَة^(٢) الخلق ، وأمور كانوا بها مخصوصين في
أجسامهم . فاستدناه أَرْدَشِير ، وسأل سابور عنه ، فخرّ مكفراً على سبيل الإقرار
بالخطأ بما كان منه ، وأخبر أباه حقيقة الخبر ، فُسِرَّ به ، وأعلمه أنه قد
تحقق الذي ذكر المنجمون في ولد مِهْرَك ، ومن يملك منهم ، وأنهم إنما ذهبوا
فيه إلى هُرْمَز ، إذ كان من نَسْلِ مِهْرَك ، وأن ذلك قد سلّى ما كان في
نفسه وأذهبه .

٨٣٣/١

فلما هلك أَرْدَشِير وأفضى الأمر إلى سابور وليّ هُرْمَز خراسان ، وصيره
إليها ، فاستقلّ بالعمل ، وقسّم متنّ كان يليه من ملوك الأمم ، وأظهر تجبراً
شديداً ، فوشى به الوشاة إلى سابور ، وحنّوه أنه إن دعاه لم يجيب ، وأنه
على أن يبتزّه الملك ، ونمت الأخبار بذلك إلى هرمز ، فقليل : إنه خلا بنفسه ،
فقطع يده وحسّمها ، وأتى عليها ما يحفظها ، وأدرجها في نفيس من الثياب ،
وصيرها في سَقَط^(٣) ، وبعث بها إلى سابور ، وكتب إليه بما بلغه ، وأنه إنما
فعل ما فعل ، لإزالة التهمة عنه ، ولأنّ في رسمهم ألا يملكوا ذا عاهة . فلما وصل
الكتاب بما معه إلى سابور ، تقطّع أسفاً ، وكتب إليه بما ناله من الغم بما فعل ،
وأعتمر ، وأعلمه أنه لو قطع بدنه عضواً عضواً ، لم يؤثر عليه أحد بالملك .
فلمعه .

* * *

(١) ت ، س : وعلامات . (٢) العبالة هنا : شغامة الجسم ، وأصله في اللزجين .

(٣) السقط : الجوارح .

وقيل : لأنه لما وضع التاج على رأسه ، دخل عليه العظماء ، فدعوا له فأحسن لهم الجواب ، وعرفوا منه صلق الحديث ، وأحسن فيهم السيرة ، وعدل في رعيته ، وسلك سبيل آبائه ، وكوّر كورة رام هرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

• • •

[ذكر ملك بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام . وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابلك .

وكان من محال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز بن سابور — ٨٣٤/١ — بعد مهليك عمرو بن علي بن نصر بن ربيعة على قَرَج^(١) العرب من ربيعة ومُضَرَ وسائر من بلاد العراق والحجاز والجزيرة يومئذ من عمرو بن علي ، يقال له امرؤ القيس البدء^(٢) ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمل ملوك الفرس ، وعاش — فيما ذكر هشام بن محمد — ملكاً في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ، من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفي زمن^(٣) هُرْمَز بن سابور سنة وعشرة أيام ، وفي زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور ثمانى عشرة سنة .

وكان بهرام بن هرمز — فيما ذكر — رجلاً ذا حلم وتؤدة ، فاستبشر الناس بولايته ، وأحسن السيرة فيهم ، واتبع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه ، وكان ماني الزنديق — فيما ذكر — يدعو إلى دينه ، فاستبرأ ما عنده ، فوجد دعاية للشيطان ، فأمر بقتله وسكنج جلده وحشوه تبناً وتعليقه على ياب من أبواب مدينة جُندى سابور ، يدهى باب الماني ، ويقتل أصحابه ومن دخل في ملته . وكان ملكه — فيما قيل — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام .

• • •

(١) الفرج هنا : موضع الخالة من العواالجاور . (٢) ت ، س : « البلى » .

(٣) ت ، س : « ثمان » .

[ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
 وكان ذا علم - فيما قيل - بالأمور ، فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء
 بمثل ما كانوا يدعون لأبائه ، فردّ عليهم مردّاً حسناً ، وأحسن فيهم السيرة ، ٨٢٥/١
 وقال : إن ساعدنا الدهر نقبل ذلك بالشكر ، وإن يكن غير ذلك نرضى بالقسم .
 واختلف في سني ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة .
 وقال بعضهم : كان سبع عشرة سنة .

. . .

[ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام]

ثم ملك بهرام الملقب بشاهنشاه بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن
 أردشير ، فلما عقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له ببركة
 الولاية وطول العمر ، فردّ عليهم أحسن الردّ ، وكان قبل أن يُفَضِّلَ إليه الملك
 مملوكاً على سجستان .
 وكان ملكه أربع سنين .

. . .

[ذكر ملك نرسی بن بهرام]

ثم قام بالملك بعده نرسی بن بهرام ، وهو أخو بهرام الثالث ، فلما
 عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء ، فدعوا له فوعدهم
 خيراً ، وأمرهم بمكافئته على أمره ، وسار فيهم بأعدل السيرة ، وقال يوم ملك :
 إِنَّا لَنُضَيِّعَ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا .
 وكان ملكه تسع سنين .

. . .

[ذكر ملك هرمز بن نرسی]

ثم ملك هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
 وكان الناس قد وحلوا منه ، وأحسوا بالفظاظة والشدّة ، فأعلمهم أنه قد

حكيم ما كانوا يخافونه من شدة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان في خلقه من الغلظة والفظاظة قرينة ورافة، وسامهم بأرفق السياسة، وسار فيهم بأعذل السيرة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعية. ثم هلك ولا ولد له، فشق ذلك على الناس، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حبلى. وقد قال بعضهم: إن هرمز كان أوصى بالملك لتلك الحمل في بطن أمه، وأن تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف.

وكان ملئك هرمز في قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر، وفي قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر.

...

[ذكر ملك سابور ذي الأكتاف]

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن ترمي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، ملكاً بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته، وبثوا خبره في الآفاق، وكتبوا الكتب، ووجهوا به البرد إلى الآفاق والأطراف، وتقلد الوزراء والكتاب الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك، حتى فشا خبرهم، وشاع في أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم، وأن أهلها إنما يتلومون^(١) صبيهاً في المهد، لا يدرون ما هو كائن من أمره، فطعنت في مملكتهم الترك والروم.

وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معاشهم وبلادهم، لسوء حالهم وشظف عيشهم، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة، حتى أناخوا على أبرشهر وسواحل أردشير خرة وأسياف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعاشهم، وأكثروا الفساد في تلك البلاد، فكنوا على ذلك من أمرهم حينئذ، لا يفرحهم أحد من الفرس، لعقدتهم تاج الملئك على طفل من الأطفال، وقلته هيبة الناس له، حتى تحرك سابور وترعرع، فلمّا ترعرع ذكر أن أول ما صرّف من تدبيره وحسن فهمه، أنه استيقظ ذات

ليلة وهو في قصر المملكة بطيْسِيُون ، من ضوضاء الناس بسَحَر ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن ذلك ضجَّةُ الناس عند ازدحامهم على جسر دِجَلَة مقبلين ومديرين ، فأمر باتخاذ جسر آخر ، حتى يكون أحدهما مِعْبَرًا للمقبلين ، والآخر مِعْبَرًا للمديرين ، فلا يزدحم الناس في المرور عليهما . فاستبشر الناس بما رأوا من فطنته لما قطع من ذلك على صِفَر سنه . وتقدّم فيما أمير به من ذلك ، فذكر أن الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عقد جسر بالقرب من الجسر الذي كان فامتراح الناس من المخاطرة بأنفسهم في الجواز على الجسر ، وجعل الغلام يتريّد في اليوم ما يتريّده غيره في الجوين الطويل .

وجعل الكتاب والوزراء يتعريضون عليه الأمر بعد الأمر ، فكان فيما عُرِض عليه أمر الجنود التي في الثغور ، ومن كان منهم بإزاء الأعداء . وإن الأخبار وردت بأن أكثرهم قد أخل ، وعظّموا عليه الأمر في ذلك ، فقال لهم سابور : لا يكبرن هذا عندكم ، فإن الحيلة فيه يسيرة ، وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود جميعاً ، بأنّه انتهى إليه طول مكثهم في النواحي التي هم بها ^(١) ، وعظّم غنائهم عن أوليائهم وإخوانهم ، فمن أحب أن ينصرف إلى أهله فلينصرف مأذوناً له في ذلك ، ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عُرِف ذلك له . وتقدّم إلى من اختار الانصراف في لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه .

٨٢٨/١

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله استحسّنه ، وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور ، وسياسة الجنود ما زاد رأيه وصحة منطقته على ما سمعنا به . ثم تتابعت أخباره إلى البلدان والثغور ، بما قوّم أصحابه ، وقمع أعداءه . حتى إذا تمت له ست عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل ، واشتدّ عظّمه ، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده ، ثم قام فيهم خطيباً ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه وعليهم بآبائه ، وما أقاموا من أجيهم ونفوا من أعدائهم ، وما اختل من أمورهم ، في الأيام التي مضت من أيام صباه ، وأعلمهم أنه

يبتدئ العمل في الذَّبَّ عن البيضة ، وأنه يقدر الشخص إلى بعض الأعداء
لحاربه ، وأنَّ عدة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل . فنهض إليه
القوم داعين متشكرين ، سألوهُ أن يُقيم بموضع ، ويوجه القواد والجند
ليكشفوه ما قدر من الشخص فيه ، فأبى أن يجيبهم إلى المقام ، فسألوهُ الزيادة
على العدة التي ذكرها فأبى . ثم انتخب ألف فارس من صناديد جنده
وأبطالهم ، وتقدّم إليهم في المضي لأمره ، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من
العرب ، والعرجة على إصابة مال . ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس
من العرب وهم غارون ، وقتل منهم أبرح القتل ، وأسر أحنف الأسر ، وهرب
بقيتهم . ثم قطع البحر في أصحابه ، فورد الخط ، واستقرى بلاد البحرين ،
٨٣٩/١ يقتل أهلها ولا يقبل فداء ، ولا يعرج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد
هجر ، وبها ناس من أعراب نعيم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأفشت فيهم
القتل ، وصفك فيهم من الدماء سقكاً سالت كسيل المعطر ، حتى كان الهارب
منهم يرى أنه لن ينجيه منه غار في جبل ، ولا جزيرة في بحر ، ثم عطف
إلى بلاد عبد القيس ، فأباد أهلها إلا من هرب منهم ، فليحق بالرمال ، ثم
أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا
عوره ^(١) ، ولا جُب من جبابهم إلا طسه . ثم أتى قرب المدينة ، فقتل من وجد
هناك من العرب وأسر ، ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة
فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فقتل من وجد بها من العرب ، وسبى وطم
مياهم . وإنه أسكن من من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما هينج -
والخط ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني نعيم هجر ، ومن كان من
بكر بن وائل كرمات ، وهم الذين يدعون بكر أبان ، ومن كان منهم من
بني حنظلة بالرملة من بلاد الأهواز . وإنه أمر فبُذيت بأرض السواد مدينة وسماها ،
بزرج سابور - وهي الأنبار - وبأرض الأهواز مدينتان : إحداهما إيران
خره سابور ، وتأويلها « سابور وبلاده » ، وتسمى بالسريانية الكرخ ، والأخرى
السوس ، وهي مدينة بناها إلى جانب الحصن الذي في جوفه تابوت فيه جثة
دانيال النبي عليه السلام . وإنه غزا أرض الروم فسبى منها سبيّاً كثيراً ،

(١) عوره ، أي طسه وكبه بالتراب

فأسكن مدينة إيران خرّه سابور ، وسمّتها العرب السوس بعد تخفيفها في التسمية . وأمر فبنيت بياجرتى مدينة سماها خنّى سابور وكوّر كورة ، وبأرض خراسان مدينة ، وسمّاها نيسابور وكوّر كورة .

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم ، وهو الذى بنى مدينة قُسْطَنْطِينِيَّة ، وكان أوّل مَنْ تنصّر من ملوك الروم ، وهلك قسطنطين ، وفترّق مُلْكُه بين ثلاثة بنين ، كانوا له ، فهلك بنوه الثلاثة ، فلَمَكَت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لُئليانوس ، وكان يدين بملّة الروم التى كانت قبل النصرانية ، ويُسِرُّ ذلك ويظهر النصرانية قبل أن يملك ، حتى إذا ملك أظهر ملّة الروم ، وأعادها كهيتها ، وأمرهم بإحيائها ، وأمر بهدم البيع وقتل الأساقفة وأحبار النصارى . وإنّه جمع جموعاً من الروم والخزر ، ومن كان في مملكته من العرب ، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس .

٨٤١/١

وانتهزت^(١) العرب بذلك السبب الفُرْصَة من الانتقام من سابور ، وما كان من قتله العرب ، واجتمع في عسكر لُئليانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل ، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم ، بعثه على مقدّمته يسمّى يوسانوس . وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس ، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر ، فهاله ذلك ، وجهه حيوناً تأتية بخبرهم ومبلغ عددهم وحالم في شجاعتهم وعيشهم^(٢) فاختلّفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوه به من الأخبار عن لليانوس وجنده ، فتنكّر سابور ، وسار في أناس من ثيقاته ليعاين عسكرهم ، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدّمّة لليانوس ، وجهه رهطاً ممّن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسّسوا الأخبار ، ويأتوه بها على حقائقها ، فنذرت الرّوم بهم ، فأخلصهم ودفنهم إلى يوسانوس ، فلم يقرّ أحدٌ منهم بالأمر الذى توجهوا له إلى عسكره ، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصة على وجهها ، وبمكان سابور حيث كان ، وسأله أن يوجه معه جنداً ، فيدفع إليهم سابور . فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً من بطانته ، يعلمه ما لقي من أمره ، وينذره ، فارتحل

سابور من الموضع الذى كان فيه إلى عسكره . وإن كان فى عسكر الليانوس من العرب سألوه أن يأذن لهم فى محاربة سابور ، فأجابهم إلى ما سألوه ، فزحفوا ٨٤٢/١ إلى سابور ، فقاتلوه ففَضُّوا جمعه ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب سابور فيمن بقي من جنده ، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون عتلة سابور ، وظفير ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها ، فكتب سابور إلى مَنْ فى الآفاق من جنوده يُعلمهم الذى لقي من الليانوس ومَنْ معه من العرب ، ويأمر مَنْ كان فيهم من القواد أن يقدّموا عليه فيمن قتلهم من جنوده ، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كل ألقى ، فانصرف فحارب الليانوس واستنقل منه مدينة طيسبون ، ونزل لُليانوس مدينة بهاردشير وما والاها بعسكره ، وكانت الرسل تختلف فيما بينه وبين سابور . وإن الليانوس كان جالساً ذات يوم فى حُجْرته ، فأصابه سهم غرّب^(١) فى قواده فقتله ، فأستقبط فى رُوع جنده ، وهالَم الذى نزل به ، ويشوا من التعضى من بلاد فارس ، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سائس لهم ، فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولّى المُلك لم يملكوه عليهم ، فأبى ذلك ، وألحوا عليه فيه ، فأعلمهم أنه على مِلّة النصرانية ، وأنه لا يلى ناساً له مخالفين فى المِلّة . فأخبرته الروم أنهم على مِلّته ، وأنهم إنما كانوا يكتمونها مخافة لليانوس ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وملكوه عليهم ، وأظهروا النصرانية .

وإن سابور علم بهلاك الليانوس ، فأرسل إلى قواد جنود الروم ، يقول : إن الله قد أمكننا منكم ، وأدانا عليكم ، بظلمكم إيانا ، وتخطيكم إلى بلادنا ، ولما نرجو أن تهلكوا بها جوعاً من غير أن نهبى قتالكم سيفاً ، ونشرع له ٨٤٣/١ ربحاً ، فاسترحوا إلينا رئيساً إن كنتم رستموه عليكم . فعزم يوسانوس على إتيان سابور ، فلم يتابعه على رأيه أحد من قواد جنده ، فاستبد برأيه ، وجاء إلى سابور فى ثمانين رجلاً من أشرف مَنْ كان فى عسكره وجنده ، وعليه تاجه ، فبلغ سابور بجيشه إليه ، فقتله وتساجداً ، فعانقه سابور شكرياً لما كان منه فى أمره ، وطمخه عنده يومئذ ونعم .

وإن سابور أرسل إلى قواد جند الروم وذوى الرياسة منهم^(٢) يُعلمهم أنهم

(١) بهم غرب : لا يدري وأمية . (٢) س ، ل : وفيهم .

لو ملّكوا غير يوسانوس لجرى هلاكهم في بلاد فارس ، وأنّ تملّكهم إياه يستنجيهم من سطوته . وقوى أمر يوسانوس بجهده ، ثم قال : إنّ الروم قد شنوا الغارة على بلادنا ، وقتلوا بشراً كثيراً ، وقطعوا ما كان بأرض السواد من نخل وشجر ، وخرّبوا^(١) عمارتها ، فلما أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخرّبوا ، وإما أن يعوّضونا من ذلك نصيبين وحيزها ، عوضاً منه ، وكانت من بلاد فارس ، فغلبت عليها الروم .

فأجاب يوسانوس وأشرف جنده سابور إلى ما سأل من العوّض ، ودفعوا إليه نصيبين ، فبلغ ذلك أهلها ، فجلّسوا منها إلى مدن في مملكة الروم ، مخافة على أنفسهم من ملك الملك المخالف ملّتهم ، فبلغ ذلك سابور ، فنقل اثني عشر ألف أهل بيت من أهل إصطخر وأصبهان وكور أختر من بلاده وحيزه إلى نصيبين ، وأسكنهم إياها ، وانصرف يوسانوس ومنّ معه من الجنود إلى الروم ، وملكها زمناً^(٢) يسيراً ثم هلك .

وإنّ سابور ضمرى بقتل العرب ، ونزع أكثاف رؤسائهم إلى أن هلك .
وكان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الأكثاف

• • •

وذكر بعض أهل^(٣) الأخبار أنّ سابور بعد أن أثنى في العرب وأجلاهم عن النواحي التي كانوا صاروا إليها مما قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة ، ثم هبط إلى الشام ، وصار إلى حدّ الروم ، أعلم أصحابه أنّه على دخول الروم حتى يبحث عن أسرارهم ، ويعرف أخبار ملّتهم وعدد جنودهم ، فدخل إلى الروم ، فجال فيها حيناً ، وبلغه أنّ قيصر أوّل ، وأمر بجمع الناس ليحضروا طعامه ، فانطلقت سابور بهيئة السؤال حتى شهيد^(٤) ذلك الجمع ، لينظر إلى قيصر ، ويعرف هيئته وحاله في طعامه ، ففطن له فأخيد ، وأمر به قيصر فأخرج في جلد ثور ، ثم سار بجنوده إلى أرض فارس ، ومعه سابور على تلك

(١) ت : « وأخرّبوا » .

(٢) ل : « زماناً » .

(٣) ت : « بعضهم » .

(٤) ت : « يشهد » .

الحالة ، فأكثر من القتل وخراب المدائن والقرى وقطع النخل والأشجار ، حتى انتهى إلى مدينة جُندَى سابور ، وقد تحصن أهلها ، فنصب المجانيق ، وهدم بعضها . فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ غفل الروم الموكلون بحراسة سابور ، وكان يقربه قوم من مستبى الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القيد الذى كان عليه زيتاً من زقاقى كانت يقربهم ، ففعلوا ذلك ، ولأن الجلد وانسل منه ، فلم يزل يدب حتى دنا من باب المدينة ، وأخبر حراسهم باسمه . فلما دخل على أهلها ، اشتد سرورهم به ، وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح ، فأنتهى ٨٤٥/١ أصحاب قيصر بأصواتهم ، وجمع سابور من كان في المدينة وعباتهم ، وخرج إلى الروم في تلك الليلة سحرراً ، فقتل الروم وأخذ قيصر أسيراً ، وغنم أمواله ونساءه ، ثم أثقل قيصر بالحديد وأخذه بعمارة ما أخرب ، ويقال : إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجُندَى سابور ، حتى يرم به ماله من مأكلها ، وبأن^(١) يفرس الزيتون مكان النخل والشجر الذى عقره ، ثم قطع عقبه ورتقه ، ويث به إلى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغيتك علينا ، فلذلك تركت الروم اتخذ الأعقاب ، ورتقت الذؤاب^(٢) .

ثم أقام سابور في مملكته حيناً . ثم غزا الروم فقتل من أهلها ، وسبى سبباً كثيراً ، وأسكن من سبى مدينة بناها بناحية السوس ، وسمّاها إيرانشهر سابور ، ثم استصلح العرب ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمّان وتّوج والأهواز ، وبني مدينة نيسابور ومدائن أخرى بالسند وسجستان ، ونقل طيبياً من الهند فأسكنه الكرخ من السوس ، فلما مات ورث طيّه أهل السوس ، ولذلك صار أهل تلك الناحية أطب العجم . وأوصى بالملك لأخيه أردشير . وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة .

• • •

وهلك في عهد سابور عامله على ضاحية مضر وربيعه ، امرؤ القيس البله^(٣) بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، فاستعمل سابور على عمله

(١) س : « وأن » . (٢) كلما وردت العبارة في ط ، وانظر المسعودى ١ : ٢٥٨ .

(٣) ت : « البلى » ؛ س : « البلى » .

ابنه عمرو بن امرئ القيس - فيما ذكر - فبقى في عمله بقية ملك سابور ،
 ٨٤٦/١ وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسی ، وبعض أيام سابور بن سابور .
 وكان جميع عمله - على ما ذكرت - من العرب ، وولايته عليهم - فيما
 ذكر ابن الكلبي - ثلاثين سنة .

• • •

[ذكر ملك أردشير بن هرمز]

ثم قام بالملك بعد سابور ذى الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز بن نرسی
 ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك . فلما عقد التاج
 على رأسه جلس للعظماء ، فلما دخلوا عليه دعوا له بالنصر ، وشكروا عنده
 أخاه سابور ، فأحسن جوابهم ، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه
 عنده ، فلما استقر به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم
 خلقاً كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

• • •

[ذكر ملك سابور بن سابور]

ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسی . فاستبشرت
 الرعية بذلك وبرجوع مُلْك أبيه إليه ، فلقبهم أحسن اللقاء ، وكتب الكتب إلى
 العمال في حُسْن السيرة والرفق بالرعية ، وأمر بمثل ذلك وزراءه وكتّابهم وحاشيته ،
 وخطبهم خطبة بليغة ، ولم يزل عادلاً على رعيته ، متحنناً عليهم لما كان تبيين
 من مودتهم وعجبتهم وطاعتهم ، وخضع له حمّة أردشير المخلوع ، ومنحه الطاعة .
 وإنّ العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فُسْطاط كان ضُرب عليه في حجرة
 من حُجَرِه ، فسقط عليه الفسطاط .
 وكان ملكه خمس سنين .

• • •

[ذكر ملك بهرام بن سابور]

ثم ملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف . وكان يلقب كَرْمَان
 ٨٤٧/١ شاه ، وذلك أنّ أباه سابور كان ولّاه في حياته كَرْمَان ، فكتب إلى قوّاده
 كتاباً يحثهم فيه على الطاعة ، ويأمرهم بتقوى الله والنصيحة للملك ، وبنّى
 يَكْرْمَان مدينة ، وكان حَسَنَ السياسة لرعيته ، محموداً في أمره .

وكان ملكه إحدى عشرة سنة . وإن ناساً من الفئاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برمية رماها إياه بنشاب^(١) .

[ذكر ملك يزجرد الأثيم]

ثم قام بالملك بعده يزجرد الملقب بالأثيم ، بن بهرام الملقب بكترمان شاه بن سابور ذي الأكتاف .

ومن أهل العلم بأنساب الفرس من يقول : إن يزجرد جرد الأثيم هذا ، هو أخو بهرام الملقب بكترمان شاه وليس بابنه ، ويقول : هو يزجرد جرد بن سابور ذي الأكتاف . ومن نسبه هذا النسب وقال هذا القول ، هشام بن محمد .

وكان - فيما ذكر - فظاً غليظاً ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وأعظمها - فيما قيل - وضعه ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصونفاً من العلم قد مهرها وعلمها ، غير موضعه ، وكثرة رؤيته في الضار من الأمور ،

واستعمال كل ما عنده من ذلك ، في المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة ، مع ٨٤٨/١ فطنة كانت بجهات الشر ، وشدة عجبته بما عنده من ذلك ، واستخفافه بكل ما كان في أيدي الناس من علم وأدب ، واحتقاره له ، وقلة اعتداده به ، واستطالته على الناس بما عنده منه . وكان مع ذلك غليظاً سبى الخلق ، ردى الطعنة^(٢) حتى بلغ من شدة غلظه وحديثه أن الصغير من الزلات كان عنده كبيراً ، واليسير من السقطات عظيماً . ثم لم يقدر أحد - وإن كان لطيف المتزلة منه - أن يكون لمن ابتلى عنده بشيء من ذلك شفيعاً ، وكان دهره كله للناس متهمياً ، ولم يكن يأتمن أحداً على شيء من الأشياء ، ولم يكن يكافي على حسن البلاء . وإن هو أولى الخسيس من العرف استجزل ذلك ، وإن جسر على كلامه في أمر كلمه فيه رجل لغيره قال له : ما قدر جعلتلك^(٣) في هذا الأمر الذي كلمتنا فيه ؟ وما أخذت عليه ؟ فلم يكن يكلمه في ذلك وما أشبهه إلا الوفود القادمون عليه من قبيل ملوك الأمم . وإن رعيته إنما سلبوا من سطوته ووليته ، وما كان جمع من الخلال السيئة بتمسكهم

(٢) روى الطعنة ، أي سيرة السيرة .

(١) ت ، س : بنشاب .

(٣) الجمالة : الرشوة .

بمن كان قبل مملكته بالسُّن الصالحة وبأدبهم . وكانوا لسوء أدبه ، وخفاة سطوته ، متواصلين متعاونين ، وكان من رأيه أن يعاقب كل من زلَّ عنده وأذنب إليه من شدة العقوبة بما لا يستطاع ^(١) أن يبلِّغ منه مثله في مدة ثلثائة . وكان لذلك لا يقرعه بسوط انتظاراً منه للمعاقبة له بما ليس وراءه أقطع منه . وكان إذا بلغه أن أحداً من بطانته صافى رجلاً من أهل صناعته أو طبقته نحاه عن خلته .

٨٤٩/١

وكان استوزر عند ولايته نرسي حكيم دهره . وكان نرسي كاملاً في أدبه ، فاضلاً في جميع مذاهبه ، متقدماً لأهل زمانه . وكانوا يسمونه ميهَر نرسي وميهَر نرسي ، ويلقب بالهزاربند ، فأملت الرحمة بما كان منه أن يتزع عن أخلاقه ، وأن يُصلح نرسي منه ، فلما استوى له الملك ، اشتدَّت ^(٢) إهانته الأشراف والعظماء ، وحمل على الضعفاء ، وأكدر من سقك الدماء ، وتسلط تسلطاً لم يُقبل الرحمة بمثله في أيامه . فلما رأى الوجوه والأشراف أنه لا يزداد إلا تايماً في الجور ، اجتمعوا فشكوا ما ينزل بهم من ظلمه ، وتضرعوا إلى ربهم ، وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه . فزعموا أنه كان يجرّجان ، فرأى ذات يوم في قصره فرساً عاتراً ^(٣) — لم يُر مثله في الخيل ، في حسن صورة ، وتمام خلقة — أقبل حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس منه ، لأنّه كان متجاوز الحال ، فأخير يزدد جرد خبره ، فأمر به أن يُسرج ويُسجّم ، ويلخل عليه ، فحاول ساسته وصاحب مراكبه إلحامه وإسراجه ، فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنهى إليه امتناع الفرس عليهم ، فخرج ببذنه ^(٤) إلى الموضع الذي كان فيه ذلك الفرس فألجمه ببذنه ، وألقى لينداً على ظهره ، ووضع فوقه سرجاً ، وشدّ حزامه ولبّبه فلم يتحرك الفرس بشيء من ذلك ، حتى إذا رفع ذنبه ليُسْفِره ^(٥) استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رحمة هلك منها مكانه ، ثم لم يعاين ذلك الفرس . ويقال : إن الفرس ملأ فروجه جريماً فلم يترك ولم

٨٥٠/١

(١) ت : « ما استطاع » .

(٢) في الأصول : « واشتد » ، والأجيد حلف الواو .

(٣) يقال : عار الفرس ، إذا ذهب كأنه مغفل من صاحبه .

(٤) البدن هنا : شبه الدرع ؛ إلا أنه قصير قدر ما يكون على البدن فقط .

(٥) ألقف النابتة ، أي عمل لها ثغراً ، والنفير : السير الذي في مؤخر السرج .

يوقف على السبب فيه ، وخاضت الرعية بينها ، وقالت : هذا من صنع الله لنا ورأفته بنا .

وكان مُلك يَزْدَجِيرْد في قول بعضهم اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوماً . وفي قول آخرين إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ولما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن عدى في عهد سابور ابن سابور ، استخلف سابور بن سابور على عمله أوس بن قلام في قول هشام . قال : وهو من العماليق من بني عمرو بن عَمَلِيق ، فثار به جَحْشَجَبِي بن عَتِيك بن لَحْم فقتله ، فكان جميع ولاية أوس خمس سنين ، وهلك في عهد بهرام بن سابور ذي الأكتاف . واستخلف بعده في عمله امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو خمساً وعشرين سنة ، وكان هلاكه في عهد يَزْدَجِيرْد الأثيم . ثم استخلف يزدجيرد مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذُهَل بن شيبان ، وهو فارس حلّيمة ، وصاحب الخورتنق .

وكان^(١) سبب بنائه الخورتنق - فيما ذكر - أن يَزْدَجِيرْد الأثيم بن بهرام كَرَمَان شاه بن سابور ذي الأكتاف كان لا يبق له ولد فولد له بهرام ، فسأل ٨٥١/١ عن منزل برئ مريء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورتنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب ، وكان الذي بنى الخورتنق رجلاً يقال له سِنَمَار ، فلما فرغ من بنائه ، تعجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تؤفونني أجري وتصنعون بي ما أنا أهله بنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنك لتقدير على أن تبني ما هو أفضل منه

(١) الخبر في الأغاني ٢ : ١٤٤ - ١٤٦ (طبعة دار الكتب) .

ثم لم تبنه إقامر به فطرح من رأس الخورنق^(١)، في ذلك يقول أبو الطمّحان
القبّبي :

جَزَاءَ سِينِمَارٍ جَزَاهَا ، وَرَبَّهَا . وَبِاللَّاتِ وَالْعُزَّى جَزَاءَ الْمَكْفَرِ^(٢)

وقال سليط بن سعد :

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْفِيلَانِ عَنْ كِبَرٍ وَحُسْنٍ فَنِلَ كَمَا يُجْزَى سِينِمَارُ

وقال يزيد بن لياس التّهشلي :

جَزَى اللَّهُ كَمَالًا بِأَسْوَأِ فَعِلِهِ جَزَاءَ سِينِمَارٍ جَزَاءَ مُؤَفَّرَا

وقال عبد العزّي بن امرئ القيس الكلبي - وكان أهدى أفراساً إلى
الحارث بن مارية الغسافي ، ووفد إليه فأعجبته وأعجب بهد العزّي وحديثه ،
وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم^(٣) بن عوف من بني عبد ودّ ، من كُتّاب ،
فنهشته حيّة ، فظنّ الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزّي : جنّني بهؤلاء
القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لي عليهم تفصيل في نسب ولا فَعَال ،
فقال : لتأبيني بهم أو لأفعلن^(٤) ولأفعلن^(٥) ! فقال : رجونا من حبالك أمراً حال
دونه عقابك . ودعا ابنه : شرّاحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

٨٥٢/١

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرُّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِينِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ^(٦)
سِوَى رَحْمَةِ الْبُنَيَانِ عَشِيرِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكَبِ^(٧)
فَلَمَّا رَأَى الْبُنَيَانُ تَمَّ سَمُوقُهُ وَأَضَى كَيْثُ الطُّودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّبِ^(٨)

(٢) في الأغاني : « من أهل الجوق » .

(٣) في الأغاني : ومعه في عزالة الأدب ١ : ١٤٢ : « جزوما » ، والمكفر : الحسن
المجيد إسماعيل .

(٤) كلما في الطبري وفي الأغاني : « ابن مسترضع في بني عبدة » .

(٥) وردت الأبيات في الحيوان ١ : ٢٣ ، وثمار القلوب ١٠٩ ، والروض الألف ١ : ٦٧ ،
والمنى ٢ : ٤٩٦ ، ومعجم البلدان (الخورنق) ، بروايات غثظة .

(٦) القراميد ، مفردة قريد ، وهو الأجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، وفي الحيوان :
« سبعين حجة » ، وفي معجم البلدان : « سبعين حجة » .

(٧) في معجم البلدان : « كفل الطود والشامخ الصب » .

فَأْتَتْهُمْ مِنْ بَنِي حَرْمٍ وَجَبَّةٌ وَقَدْ هَرَّهَ أَهْلُ الْمَشَارِقِ وَالْقُرْبِ
وَقَارَ لَدَيْهِ بِالْوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
فَإِذَا الْعَمْرَأَةُ مِنَ أَجْزَابِ الْخَطْبِ^(١)
مَنْ الذَّنْبِ مَا آلَى يَتِيئًا عَلَى كَلْبِ
تَحْلَلِ أَيْتِ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِكَ الْمُرِّي^(٢)
رَجَالٌ يَرُدُّونَ الظُّلُمَ عَنِ الشَّيْبِ
وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ الْمَرْءَ حَارِثٌ
فَنُودِيَ رَسَلُوا لَدَى الْأَكْمِ الصَّهْبِ^(٣)

٨٥٣/١

قال هشام : وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وأكثر المصائب في
أهلها ، وسبى وختم ، وكان من أشد الملوك نكابة في عهده ، وأبعدهم مغاراً
فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتين : يقال لإحداهما : كدور ، وهي
لتنوخ ، وللأخرى : الشهباء ، وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما : القليلتان ،
فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدين له من العرب .

قال : فلذكر لنا - والله أعلم - أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورثق ،
فاشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والحيطان والآبار مما
يلي المغرب ، وعلى القرآت مما يلي المشرق ، وهو على متن النجف ، في يوم
من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأتار ، فقال لوزيره
وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يوم ! قال :
فألذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فهم يتأل ذلك ؟ قال :
بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ، فترك ملكه من ليته وليس المسوخ ،
ونخرج مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضر
بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطل الإذن عليهم ، سألو عنه
فلم يحلوه ، وفي ذلك يقول عدى بن زيد العبادي :

(١) الحيرة : السور ، وفي الحيوان وسيم البلدان : « حبة » .
(٢) ت : « أظم الخطب » . (٣) المرز : الملقب المزج .

وَتَنَكَّرَ رَبُّ الْغَوَرِ نَقِيًّا إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَبْصِيرٌ^(١)

سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضٌ وَالسَّيْرِ^(٢) ٨٥٤/١

فَارْتَعَوَى قَلْبُهُ قَصَالَ وَمَا غِبْطَةً حَتَّى إِلَى الْعَمَاتِ يَصِيرُ^(٣)

ثُمَّ بَنَدَ الْفَلَاحِ وَالْمَلِكِ وَالْإِمَّةِ وَارْتَهَمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ^(٤)

ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ ، فَأَلَوْتَ بِهِ الْعَصَا وَالذُّبُورُ^(٥)

فكان مُلْكُ النعمان إلى أن ترك مُلْكُهُ وساح في الأرض تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر .

قال ابن الكلبي : من ذلك في زمن يَزْدَجِيرْدَ خمس عشرة سنة ، وفي زمن بَهْرَامِ جُورِ بن يَزْدَجِيرْدَ أربع عشرة سنة .

وأما العلماء من الفُرسِ بأخبارهم وأمورهم فلإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره .

• • •

[ذكر ملك بَهْرَامِ جُورِ]

ثم ملك بعد يَزْدَجِيرْدَ الأئيم ابنه بَهْرَامِ جُورِ بن يَزْدَجِيرْدَ الحثين

ابن بَهْرَامِ كَرْمَانَ شاه بن سابور ذي الأكتاف . وُذكر أن مولده كان

هُرْمَزْخُورْزَ فَرُورْدِيْنِ ماه^(١) ، لسبع ساعات مضيين من النهار . فلأن أباه

يَزْدَجِيرْدَ دعا ساعة ولدته بَهْرَامِ مَمْنُ كان ببابه من المنجمين ،

فأمروهم بإقامة كتاب مولده وتبينته بياناً يدل على الذي يثول إليه كل أمره ،

فحاسبوا الشمس ونظروا في مطالع النجوم ، ثم أخبروا يَزْدَجِيرْدَ أن الله

مورث بَهْرَامِ مُلْكُ أبيه ، وأن رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس ، وأن

من رأى أن يربى بغير بلاده ، فأجلك يَزْدَجِيرْدَ الرأى في دفعه

في الرضاع والتربية إلى بعض مَن ببابه من الروم أو العرب أو غيرهم ممن لم

يكن من الفرس ، فبدا له في اختيار العرب لتربيته وحضائته ، فدعا بالملنر ٨٥٥/١

(١) في الأغاني ٢ : ١٣٩ : وتذكره . (٢) الأغاني : وسره ماله .

(٣) الإمة : النعمة . (٤) ألوت به ، أي ذهبت به .

(٥) يريد أنه ولد في غرة شهر الربيع ، وهو أول شهر في السنة الشمسية عند الفرس .

ابن النعمان، واستحفظه بهرام، وشرّفه وأكرمه، وملكه على العرب، وجبّاه
بمرتبتين سنيتين، تدعى إحداهما: رام أبو ذيزدجيرد، وتأويله «زاد سرور
يزدجيرد»، والأخرى تدعى بمهشت، وتأويلها «أعظم الخول»، وأمر له بصلة
وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزله، وأمره أن يسير بهرام إلى بلاد العرب .

فسار به المنذر إلى محلّته منها، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام
صحيحة، وأذهان ذكية، وآداب رضية، من بنات الأشراف، منهنّ امرأتان
من بنات العرب، وامرأة من بنات العجم، وأمر لهنّ بما أصلحنّ من
الكسوة والفرش والمطعم والمشرب وسائر ما احتججنّ إليه، فتداولنّ رضاعه ثلاث
سنين، وقطّعنّ في السنة الرابعة، حتى إذا أتت له (١) خمس سنين، قال للمنذر:
أحضرنّ في مؤدّبين ذوي علم، مدرّبين بالتعليم، ليعلمنّ الكتابة والرّمي والفقه .
فقال له المنذر: إنك بعد صغير السن، ولم يأنّ لك أن تأخذ في التعليم،
فالزم ما يلزم الصّبيان الأحداث، حتى تبلغ من السنّ ما يطبق التعلّم والتأدّب،
وأحضرنّ (٢) من يعلمك كلّ ما سألت تعلّمه . فقال بهرام للمنذر: أنا لعمرى
صغير، ولكنّ عقلى عقل مُحثّنك، وأنت كبير السنّ وعقلك عقل ضرع (٣) .

أما تعلّم أيّتها الرجل؛ أن كلّ ما يُتقدّم في طلبه ينال في وقته، وما يُطلب
في وقته ينال في غير وقته، وما يُقرّط في طلبه يَفُوت فلا ينال ! وإنّى من ولد
الملوك، والمُلُك صائر إلى بإذن الله، وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح
العلم، لأنّه لم يَزَيّن، وللمكهم ركن به يقوّن . فعجل علىّ بمن سألتك
من المؤدّبين .

فوجّه المنذر ساعة سمع مقالة بهرام هذه إلى باب الملك منّ آتاه برهط
من فقهاء الفرس، ومعلّمي الرّمي والفروسية ومعلّمي الكتابة وخاصّة (٤) ذوي
الأدب، وجميع له حكماء من حكماء فارس والروم، ومحدثين من العرب، فالزمهم
بهرام، ووقّت لأصحاب كلّ مذهب من تلك الميّهن وقتاً يأتونه فيه؛ وقدّر

(١) ل : عليه . (٢) ت : «وأحضرك» .

(٣) الفرع ، بالتمريك : الصغير السن الضعيف .

(٤) ط : «وحصة» .

لم قلراً فيقبلونه ما عندهم ، فضرغ بهرام لتعلم كل ما سأل أن يتعلم ، وللإستماع ^(١) من أهل الحكمة وأصحاب الحديث ، ووعى كل ما استمع ، وثقيف كل ما علم . بأيسر تعليم . وألفين بعد أن بلغ اثني عشرة سنة ، وقد استفاد كل ما أفيد وحفظه ، وطاق معلميه ومن حضره من أهل الأدب ، حتى اعترفوا له بفضله عليهم .

وأثاب بهرام المنذر ومعلميه ، وأمرهم بالانصراف عنه ، وأمر معلمى الرمنى والقرصية بالإقامة عنده ، ليأخذ عنهم كل ما ينبغي له الترتب به ، والإحكام له ، ثم دعا بهرام بالنعمان بن المنذر ، وأمره أن يؤذن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها ، فأذن النعمان للعرب بذلك ، وبلغ المنذر الذى كان من رأى بهرام فى اختيار الخيل لمركبه ، فقال لبهرام : لا تجشمن ^{٨٥٧/١} العرب لإجراء خيلهم ، ولكن مر من يعرض الخيل عليك ، واختر منها رضاك ، وارتيطه لنفسك . فقال له بهرام : قد أحسنت القول ، ولكنى أفضل الرجال سؤداً وشرفاً ، وليس ينبغي أن يكون مركبى إلا أفضل الخيل ، وإنما يعرف فضل بعضها على بعض بالتجربة ^(٢) ، ولا تجربة بلا إجراء .

فرضى المنذر مقاتلته ، وأمر النعمان العرب فأحضروا خيولهم ، وركب بهرام والمنذر لحضور الخلبة ، وسرحت الخيل من فرسخين ، فبكر فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعاً سابقاً ، ثم أقبل بعله بقيتها بداد ^(٣) بداد بين فرسين تاليسن ، أو ثلاثة موزعة ، أو سكتيتا ^(٤) . فقرب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بهرام ، وقال : يبارك الله لك فيه ، فأمر بهرام بقبضه وعظم سروره به ، وشكر للمنذر .

وإن بهرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذى حملة عليه المنذر إلى الصيد ، فبصر بعانة ^(٥) ، فرمى عليها وقصد نحوها ، فإذا هو بأسد قد شد على

(١) س : ل : « والاستماع » .

(٢) ت : « فى التجربة » .

(٣) بداد بداد : أى مرتين . وفى الأصول : « بداد بداد » .

(٤) السكتيت : من محمى آخر الخلبة .

(٥) العانة : القطيع من حمر الوحش .

عَيتَرُ كَانَ فِيهَا ، فَتَنَاطَلَ ظَهْرُهُ بِفَيْسِهِ لِيَقْصِمَهُ وَيَقْرِصَهُ ، فَرَمَاهُ بِهَرَامٍ رَمِيَتْ فِي ظَهْرِهِ ، فَفَنَفَذَتْ النِّشَابَةُ مِنْ بَطْنِهِ وَظَهَرَ الْعَيتَرُ وَسُرَّتِيهِ حَتَّى أَفْضَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَسَاخَتْ فِيهَا إِلَى قَرِيبٍ مِنْ ثَلَاثِيهَا ، فَتَحَرَّكَ طَوِيلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَشْهَدِ نَاسٍ مِنَ الْعَرَبِ وَحَرَسِ بَهْرَامٍ وَغَيْرِهِمْ . فَأَمَرَ بِهَرَامٍ فَصَوَّرَ مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ الْأَسَدِ وَالْعَيتَرِ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ .

ثُمَّ إِنَّ بَهْرَامَ أَعْلَمَ الْمَنْتَرَ أَنَّهُ عَلَى الْإِلَامِ بِأَبِيهِ ، فَحَشَّصَ إِلَى أَبِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَزْدَجِيرْدُ لِسَوْءِ خُلُقِهِ لَا يَحْضِلُ بَوْلَهُ لَهُ ، فَاتَّخَذَ بِهَرَامَ لِلْخِدْمَةِ ، فَلَقِيَ بِهَرَامَ مِنْ ذَلِكَ عَنَاءً .

ثُمَّ إِنَّ يَزْدَجِيرْدَ وَقَدْ عَلِمَ عَلَيْهِ أَخَ الْقَبِيصَرِ ، يَقَالُ لَهُ : ثِيَا فُوسَ ، فِي طَلَبِ الصَّلَاحِ وَالْهَدَنَةِ لِقَبِيصَرٍ وَالرُّومِ ، فَسَأَلَهُ بِهَرَامُ أَنْ يَكَلِّمَ يَزْدَجِيرْدَ فِي الْإِذْنِ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْمَنْتَرِ ، فَانْصَرَفَ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى التَّنْعَمِ وَالتَّلَذُّذِ . وَهَلَكَ أَبُوهُ يَزْدَجِيرْدُ وَبَهْرَامُ غَالِبٌ ، فَتَعَاقَدَ نَاسٌ مِنَ الْعِظَمَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْوَاتِ أَلَّا يَمْلِكُوا أَحَدًا مِنْ ذُرِّيَّةِ يَزْدَجِيرْدَ لِسَوْءِ سِيرَتِهِ ، وَقَالُوا : إِنَّ يَزْدَجِيرْدَ لَمْ يَخْلُفْ وَلَدًا يَحْتَمِلُ الْمَلِكُ غَيْرَ بِهَرَامَ ، وَلَمْ يَلِرْ بِهَرَامَ وَلَايَةً قَطُّ يُبْلَى^(١) بِهَا خَبْرُهُ ، وَيَعْرِفُ بِهَا حَالَهُ ، وَلَمْ يَتَأَدَّبْ بِأَدَبِ الْعِجَمِ ، وَإِنَّمَا أَدَبُهُ أَدَبُ الْعَرَبِ ، وَخُلُقُهُ كَخُلُقِهِمْ ، لَنَشِئَتْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ . وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ وَكَلِمَةُ الْعَامَةِ عَلَى صَرْفِ الْمَلِكِ عَنْ بِهَرَامَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ عِتْرَةِ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَلِكْ ، يَقَالُ لَهُ كَسْرَى ، وَلَمْ يَقِيمُوا أَنْ مَلَكَوْهُ . فَانْتَهَى هَلَاكُ يَزْدَجِيرْدَ وَالَّذِي كَانَ مِنْ تَمْلِكِهِمْ كَسْرَى إِلَى بِهَرَامَ وَهُوَ بِبَادِيَةِ الْعَرَبِ ، فَدَعَا بِالْمَنْتَرِ وَالنَّعْمَانِ ابْنِهِ ، وَنَاسٍ مِنْ عِلْيَةِ الْعَرَبِ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي لَا أَحْسِبُكُمْ تَجْعَلُونِ خَصِيصِي وَالَّذِي كَانَ أَنَاكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ بِإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ كَانَ عَلَيْكُمْ ، مَعَ فِطَاظَتِهِ وَشِدَّتِهِ كَانَتْ عَلَى الْفَرَسِ ، وَأَحْبَرَهُمْ بِالَّذِي أَنَاهُ مِنْ نَحْوِ أَبِيهِ ، وَتَمْلِكُ الْفَرَسَ مِنْ مَلَكَوْهُ عَنْ تَشَاوُرِ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ .

فَقَالَ الْمَنْتَرُ : لَا يَهْوِلَنَّكَ ذَلِكَ حَتَّى الْطِيفِ الْحَبِيلَةِ^(٢) فِيهِ . وَإِنَّ الْمَنْتَرَ

(١) ت : « يَهْل » .

(٢) ط : « الْحَبِيلَةُ » ، وَبِأَبْنِهِ مِنْ ت .

جَهْرَ عَشْرَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مِنْ فُرْسَانَ الْعَرَبِ ، وَوَجَّهَهُمْ مَعَ ابْنِهِ إِلَى طَبِسُون^(١) وَبِهَارْ دَشِيرٍ مَدِينَتَيْ الْمَلِكِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْسَكَرَ قَرِيبًا مِنْهُمَا ، وَيَدْمِينَ لِرِسَالِ طَلَاعِهِ إِلَيْهِمَا ، فَإِنْ تَحَرَّكَ أَحَدُ لِقَاتِهِ قَاتِلَهُ وَأَغَارَ عَلَى مَاوَالِهِمَا ، وَأَسْرَ وَسَبَى ، وَنَهَاهُ عَنْ سَفْكَ الدِّمَاءِ . فَسَارَ النُّعْمَانُ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَتَيْنِ ، وَوَجَّهَهُ طَلَاعُهُ إِلَيْهِمَا ، وَاسْتَعْظَمَ قِتَالَ الْفُرْسِ . وَإِنْ مَنَ بِالْبَابِ مِنَ الْعِظَمَاءِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ أَوْفَدُوا جَوَانِي صَاحِبِ رِسَالٍ يَزِدُّ جِرْدَ إِلَى الْمَنْلَرِ ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ يَعْلَمُونَهُ أَمْرَ النُّعْمَانِ ، فَلَمَّا وَرَدَ جَوَانِي عَلَى الْمَنْلَرِ وَقَرَأَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : الْقِ الْمَلِكُ بَهْرَامَ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ مَنَ يُوصلُهُ إِلَيْهِ . فَدَخَلَ جَوَانِي عَلَى بَهْرَامَ فَرَاغَهُ مَا رَأَى مِنْ وَسَامَتِهِ وَبِهَائِهِ ، وَأَغْفَلَ السُّجُودَ دَهْشًا ، فَعَرَفَ بَهْرَامَ أَنَّهُ إِنَّمَا تَرَكَ السُّجُودَ لِمَا رَآهُ مِنْ رُؤَاةِ ، فَكَلَّمَهُ بِهْرَامَ ، وَوَعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَحْسَنَ الْوَعْدِ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْمَنْلَرِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَجِيبَ فِي الَّذِي كَتَبَ ، فَقَالَ الْمَنْلَرُ لِحَوَانِي : قَدْ تَدَبَّرْتُ الْكِتَابَ الَّذِي أَتَيْتَنِي بِهِ ، وَإِنَّمَا وَجَّهَ النُّعْمَانُ إِلَى نَاحِيَتِكُمُ الْمَلِكُ بِهْرَامَ حَيْثُ مَلَكَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَخَوَّلَهُ إِيَّائَكُمْ .

فَلَمَّا سَمِعَ جَوَانِي مَقَالََةَ الْمَنْلَرِ ، وَتَذَكَّرَ مَا عَايَنَ مِنْ رُؤَاةِ بَهْرَامَ وَهَيْبَتِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَأَنْ^(٢) جَمِيعَ مَنَ شَاوَرِ^(٣) فِي صَرْفِ الْمَلِكِ عَنْ بَهْرَامَ مَخْصُومَ مَحْجُوجَ ، قَالَ^(٤) لِلْمَنْلَرِ : إِنِّي لَسْتُ بِمُحِبٍّ جَوَابًا ، وَلَكِنْ سِرٌّ إِنْ رَأَيْتَ إِلَى مَحَلَّةِ الْمُلُوكِ فَيَجْتَمِعُ^(٥) إِلَيْكَ مَنَ بِهَا مِنَ الْعِظَمَاءِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَتَشَاوَرُوا فِي ذَلِكَ . وَأَتَى فِيهِ مَا يَحْمِلُ ؛ فَلَانَهُمْ لَنْ يَخَالَفُوكَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تُشِيرُ بِهِ .

فَرَدَّ الْمَنْلَرُ جَوَانِي إِلَى مَنَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، وَاسْتَعْدَّ وَسَارَ بَعْدَ فُصُولِ جَوَانِي مِنْ عِنْدِهِ يَوْمَ بِيَهْرَامَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفٍ رَجُلٍ مِنْ فُرْسَانَ الْعَرَبِ وَذَوِي^(٦) الْبَاسِ وَالنَّجْدَةِ مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَتَيْ الْمَلِكِ ؛ حَتَّى إِذَا وَرَدَهُمَا ، أَمَرَ فَرَجَعَ النَّاسَ ، وَجَلَسَ بِهْرَامَ عَلَى مِثْبَتٍ^(٧) مِنْ ذَهَبٍ مَكْلَلٍ بِجَوْهَرٍ ، وَجَلَسَ الْمَنْلَرُ عَنْ يَمِينِهِ ،

(١) ت : « طَبِسُون » . س : « طَبِسُون » . (٢) ل : « عِلْمُ بَانَ » .

(٣) ت : س : « تَشَاوَر » . (٤) ل : « فَقَالَ » .

(٥) ت : « فَيَجْتَمِعُ » . (٦) ت : « وَأَهْلًا » . (٧) ت : « سُرِير » .

وتكلم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة يزدد جرد أبي بهرام كانت ، وسوء سيرته ، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرض ، وأكثر القتل ظلماً ، حتى قد قتل الناس في البلاد التي كان يملكها ، وأموراً غير ذلك فظيمة . وذكروا أنهم إنما تعاقبوا وتوافقوا على صرف الملك عن ولد يزدد جرد للملك ، وسألوا المنذر ألا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه .

فوصى المنذر ما بشوا من ذلك ، وقال لبهرام : أنت أولي بإجابة القوم متى . فقال بهرام : إني لست أكذبكم معشر المتكلمين في شيء مما نسئ إليه يزدد جرد لئما استقر عندى من ذلك ، ولقد كنت زارياً عليه لسوء هديّه ، ومتكئاً لطريقه^(١) ودينه ، ولم أزل أسأل الله أن يمنّ علىّ بالملك ، فأصلح كلّ ما أفسد ، وأزب ما صدع ، فإن آتت الملكى سنة ولم أف لكم بهله الأمور التي عدت لكم تبرأت من الملك طامعاً ، وقد أشهدت بملك علىّ الله وملائكته وموبدان مؤبّد . وليكنّ هو فيها حكماً بينى وبينكم . وأنا مع الذي بينت على ما أحلصكم من رضاي بتمليككم من تناول التاج والزينة ، من بين أسدين ضاريض مشبّلين ، فهو الملك .

• • •

فلما سمع القومُ مقالة بهرام هذه ، وما وعد من نفسه ، استبشروا بملك ، وانبسطن آمالهم ، وقالوا فيما بينهم : إنّنا لسنا نقدر على ردّ قول بهرام ، مع ٨٦١/١ أنّا إن تمسنا على صرف الملك عنه نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمدّ واستجاش من العرب ، ولكنّا نتمتحن بما عرّض علينا مما لم يدعه إليه إلاّ ثقة بقوته وبطشه وجراته ، فإن يكنّ على ما وصف به نفسه ، فليس لنا رأى إلاّ تسليم الملك إليه ، والسمع والطاعة له ، وإن يهلك ضعفاً ومعجزةً ، فنحن من هلكته^(٢) برآء ، ولشره وغالته آمنتون .

وتفرّقوا على هذا الرأى ، فعاد بهرام بعد أن تكلم بهذا الكلام ، وجلس كمجلسه الذي كان فيه بالأمس ، وحضره من كان يحاده . فقال لهم : إمّا

أن تجيئوني فيما تكلمت أمس ، ولما أن تسكتوا باخمين^(١) لي بالطاعة .. فقال القوم : أمّا نحن ، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ، ولم نر منه إلا ما نحب ، ولكنّا قد رضينا مع ذلك أن يوضع التاج والزينة كما ذكرت بين أسدين ، وتتنازعا هما أنت وكسرى ، فأبكما تناولها من بينهما ، سلمنا له الملك . فرضى بهرام بمقاتلتهم ، فأقّى بالتاج والزينة موبدان موبد ، الموكل كان بعقد التاج على رأس كل ملك يملك ، فوضعهما في ناحية ، وجاء بسطام لصبتهبّد ، بأسدين ضاريين بجوعين مثبّلين ، فوقف أحدهما عن جانب الموضع الذي وُضع فيه التاج والزينة ، والآخر بحذائه ، وأرعى وثاقهما ، ثم قال بهرام لكسرى : دونك التاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وتناولها مني ، لأنك تطلب الملك بوراثة ، وأنا فيه مغتصب . فلم يكره بهرام قوله ، لفته كانت ببطشه^(٢) وقوته ، وحمل جرّزا^(٣) ، وتوجّه نحو التاج والزينة ، فقال له موبدان موبد : اسمائك في هذا الأمر الذي أقدمت عليه ، إنما هو تطوع منك ، لا عن رأى أحد من الفرس ، ونحن برآء إلى الله من إتلافك نفسك . فقال بهرام : أنتم من ذلك برآء ، ولا وزر عليكم فيه . ثم أسرع نحو الأسدين ، فلما رأى موبدان موبد جده في لقاتهما ، هتف به وقال : بئح بذنوبك ، وثب منها ، ثم أقدم إن كنت لا محالة مقدما ، فباح بهرام بما سلف من ذنوبه ، ثم مشى نحو الأسدين ، فبدر إليه أحدهما ، فلما دنا من بهرام وثب وثبة ، فعلا ظهره ، وعصر جنبى الأسد بفخذه عصراً أثخنه ، وجعل يضرب على رأسه بالجرز الذي كان حمل ، ثم شدّ الأسد الآخر عليه ، فقبض على أذنيه ، وعصر كهما بيكلتا يديه ، فلم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذي كان راكبه حتى دمغهما ثم قتلها كليهما على رأسهما بالجرز الذي كان حملة : وكان ذلك من صنيعه^(٤) بمراى من كسرى ومن حضر ذلك الحفل .

• • •

(١) ل : « باخمين » . (٢) ل : « كانت في بطشه » .

(٣) الجرّز : صيد من الحليد . (٤) ت : « صنعه » .

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة ، فكان كسرى أول من هتف به ، وقال : عمرك الله بهرام ! الذي منّ حوله سامعون ، وله مطيعون ، ورزقه ملك أقاليم الأرض السبعة . ثم هتف به جميع ^(١) الحضر ، وقالوا : قد أذعنا للملك بهرام ، وخضعنا له ورضينا به ملكاً . وأكثروا الدعاء له . وإنّ العظماء وأهل البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم ، وسألوه ^(٢) أن يكلم بهرام في التفتد لإساعهم في أمره ، والصفح والتجاوز عنهم ، فكلم المنذر بهرام فيما سأله من ذلك ، واستوبه ما كان احتمال عليهم في نفسه ، فأسغه بهرام فيما سأل ، وبسط أمامه .

وإنّ بهرام ملك وهو ابن عشرين سنة ، وأمر من يومه ذلك أن يلزم رعيته مراعاة ودعة ، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية ، يعدّهم الخير من نفسه ، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته .

• • •

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثراً للهو ^(٣) على ما سواه ، حتى كثرت ملامه رعيته إياه على ذلك ، وطمع منّ حوله من الملوك في استباحة بلاده ، والغلبة على ملكه ، وكان أول من سبق إلى المكاثرة ^(٤) له خليه خاقان ملك الترك ، فإنه غزاه في مائتين وخمسين ألف رجل من الترك ، فبلغ الفرس إقبال خاقان في جمّع عظيم إلى بلادهم ، فتعاضلهم ذلك وهلم ، ودخل عليه من عظمائهم أناس لم رأى أصيل ، وعندهم نظر للعامة ، فقالوا له : إنه قد أزمك أيها الملك من بالغة هذا العدو وما قد شغلك عما أنت عليه من الله والتلذذ ، فتأهب له كيلا يلحقنا منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار . فقال لهم بهرام : إن الله ربنا ^(٥) قوي ونحن أولياؤه . ولم يزد إلا مثابة على التلهو والتلذذ والصيد .

وإنه تجهّز فسار إلى أذربيجان لينسك ^(٦) في بيت نارها ، ويتوجّه منها إلى

(١) ت : الجميع . (٢) ل : سأله .

(٣) س : ل : اللهو . (٤) ت : س : المكاثرة .

(٥) ت : تعالى . (٦) ينسك : يصيد .

أرمينية ، ويطلب الصيد في آجامها ، ويلهو في مسيره في سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات ؛ وثلاثمائة رجل من رابطة ذوى بأس ونجدة ، واستخلف أخاً له يسمى نرسى على ما كان يدبر من ملكه . فلم يشك الناس حين بلغهم سير بهرام فيمن سار واستخلفه أخاه على ما استخلف في أن ذلك هرب من عدوه ، وإسلام للملك ، وتآمروا في إنفاذ وفد إلى خاقان ، والإقرار له بالخراج ، مخافة منه لاستباحة بلادهم ، واصطلامه مقاتلتهم إن هم لم يدعوا له بذلك . فبلغ خاقان الذى أجمع عليه الفرس من الانقياد والخضوع له ، فأمن ناحيتهم ، وأمر جنده بالتورع ، فأتى بهرام عين كان وجهه لياتية بخبر خاقان ، فأخبره بأمر خاقان وعزمه ، فسار إليه بهرام في العدة الذين كانوا معه فبيته ، وقتل خاقان بيده ، وأفشى القتل في جنده ، وانهمز من سليم من القتل منهم ، ومنحوه أكتافهم ، وخلعوا عسكرهم وذراريهم وأثقالهم ، وأمن بهرام في طلبهم يقتلهم ويحوى ما غنم منهم ، ويسبى ذراريهم . وانصرف وجنده سالمين ، وظفر^(١) بهرام بتاج خاقان ولائله ، وغلب على بلاده من بلاد الترك ، واستعمل^(٢) على ما غلب^(٣) عليه منها مَرزباناً حباه سريراً من فضة ، وأناه أناس من أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخعين له بالطاعة ، وسأله أن يعلمهم حداً ما بينه وبينهم فلا يتعدوه ، فحد لهم حداً ، وأمر فبنيت منارة ، وهى المنارة التى أمر بها فيروز الملك ابن يزدجيرد ، فقدمت إلى بلاد الترك ، ووجه بهرام قائداً من قواده إلى ما وراء النهر منهم ، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأخذ منهم ، حتى أقرؤا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية .

• • •

وإن بهرام انصرف^(١) إلى أذربيجان ، راجعاً إلى محلته من السواد ، وأمر بما كان في إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجواهر ، فعلق على بيت نار آذربيجان ، ثم سار وورد مدينة طيسبون ، فزل^(٢) دار المملكة بها ، ثم

(١) ت : « فظفر » ، ل : « وظفر » . (٢) ت : « واستخلف » .

(٣) ت : « ما غلب عليه » . س : ل : « على ما غلب عليه » .

(٤) ت : « سار » . (٥) ت : « وفضل » .

كتب إلى جُنْدِه وعَمَّاله بقتله خاقان ، وما كان من أمره وأمر جنده . ثم ولَّى
أخاه نَرَسِي خُرَّاسان ، وأمره أن يسير إليها وينزل ببلخ ، وتقدّم إليه
بما أراد .

ثم إنَّ بَهْرَام سار في آخر مُلْكِه إلى ماه للصيد بها ، فركب ذات يوم
للصيد ، فشَدَّ على عَيْرٍ ، وأمن في طلبه ، فارطم في جُبٍّ ، فغرق ، فبلغ
والدته فسارت إلى ذلك الحبِّ بأموال عظيمة ، وأقامت قريبة منه ، وأمرت
بإنفاق تلك الأموال على مَنْ يخرج منه ، فنقلوا من الحبِّ طيناً كثيراً وحِمْماً ،
حتى جمعوا من ذلك أكاماً عظيماً ، ولم يقدرُوا على جُشَّة بَهْرَام .

وذكر أن بَهْرَام لما انصرف إلى مملكته من غَزْوِه ^(١) الترك ، خطب أهلَ
مملكته أياماً متوالية ، حثَّهم في خطبته على لزوم الطاعة ، وأعلمهم أنَّ نيتَه
التَّوسُّعُ عليهم ، وإيصالُ الخير إليهم ، وأنَّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من
غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه ، وأنَّ أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة ،
فجحدوا ذلك أو مَنْ جحد منهم ، ولم يخضعوا له خضوع الخوَل والعبيد
للملوك ، فأصابه ذلك إلى الغِلْظَةِ وضرب الأُبْشار وسفك الدماء . وإنَّ
انصراف بهرام من غزوه ذلك كان على طريق أَذَرَبَيْجان ، وإنه نَحَلَ بيت نار ^{٨٦٦/١}
الشيْز ما كان في إكليل خاقان من البواقيت والجواهر ^(٢) ، وسبقاً كان لخاقان
مُفَصَّصاً بدرّ وجوه وحليّة كثيرة ، وأخذه خاتون امرأة خاقان ، ورفع عن
الناس الخراج ثلاث سنين شكراً على ما لقِيَ من النُصْر في وجهه ، وقسّم
في الفقراء والمساكين مالا عظيماً ، وفي البيوتات ونوى الأحساب عشرين ألف
ألف درهم ، وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتباً ، يذكر فيها أنَّ الخير ورد
عليه بورود خاقان بلاده ، وأنَّه مجدُّ الله وعظَّمه وتوكَّل عليه ، وسار نحوه في
سبعة رهط من أهل البيوتات ، وثلاثمائة فارس من نُحْبَةِ رابطته على طريق
أَذَرَبَيْجان وجبل القَبْقُ ، حتى نفَّذ على براري خوارِزم ومغازها ، فأبلاه

(١) ت : غَزْوِه .

(٢) ت : والجواهر .

الله أحسن بلاء ، وذكر لم ما وضع عنهم من الخراج ، وكان كتابه في ذلك كتاباً بليغاً .

وقد كان بهرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الخراج البقايا التي بقيت عليهم من الخراج ، فأعلم أن ذلك سبعون ألف ألف درهم ، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السنة التي ولى فيها .

وقيل إن بهرام جور لما انصرف إلى طيسبون من مغزاه خاقان التركي ، ولما ترمى أخاه خراسان ، وأنزله بلخ ، واستوزر ميهتر نرمتسي بن برآزة ، ونصته وجعله بزرجمندار ، وأعلمه أنه ماض إلى بلاد الهند ، ليعرف أخبارها ، والتلطف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته ، ليخفف بذلك بعض مؤونة عن أهل مملكته ، وتقدم إليه بما أراد التقدم إليه فيما خلقه عليه إلى أن انصرفه ، وأنه شخص من مملكته حتى دخل أرض الهند متكرراً ، فكث بها حيناً لا يسأله أحد من أهلها عن شيء من أمره غير ما يرون من فروسيته ^١ وقته السباع ، وجماله وكمال خلقه ما يعجبون منه . فلم يزل كذلك حتى بلغه أن في ناحية من أرضهم فيلا قد قطع السبل ، وقتل ناساً كثيراً ، فسأل بعضهم أن يدلّه عليه ليقبضه ، وانتهى أمره إلى الملك فدعا به ، وأرسل معه رسولاً ينصرف إليه بخبره . فلما انتهى بهرام والرسول إلى الأجمة التي فيها الفيل ، رقى الرسول إلى شجرة لينظر إلى صنع ^(٢) بهرام . ومضى بهرام ليستخرج الفيل ، فصاح به ، فخرج إليه مزبداً وله صوت شديد ، ومنظر هائل ، فلما قرب من بهرام رماء رمية وقعت بين عينيه حتى كادت تنقب ، وقتله بالنشاب ، حتى بلغ منه ، ووثب عليه فأخله بمشفره ، فاجتذبه جذبة جثا لها الفيل على ركبتيه ، فلم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه ، فاحتر رأسه وحمله على ظهره حتى أخرجه إلى الطريق ، ورسول الملك ينظر إليه . فلما انصرف الرسول اقتصر خبره على الملك ، فعجب من شدته وجراته ، وجاءه حياء عظيماً ، واستغفمه أمره . فقال له بهرام : أنا رجل من عظماء الفرس ، وكان

٨٦٧/١

(١) ت : « فروسه » .

(٢) ت : « إلى صنع » ، س : « ما يصنع » .

ملك فارس سخط على شيء فهربت منه إلى جوارك ، وكان لذلك الملك
 علو قد نازعه مملكته ، وصار إليه بجنود عظيمة ، فاشتد وجلُّ الملك صاحب
 بهرام منه لما كان يعرف من قوته ، وأراد على الخضوع له وحتم الخراج
 إليه ، وهم صاحب بهرام بإجابته إلى ذلك ، فنهاه بهرام عن ذلك ، وضمين له
 ٨٦٨/١ كفاية أمره ، فسكن إلى قوله ، وخرج بهرام مستعداً له ، فلما التقوا قال لأماورة
 الهند : احرسوا ظهري . ثم جعل عليهم فجعل يضرب الرجل على رأسه فتتهدى
 ضربته إلى فمه ، ويضرب وسط الرجل فيقطع بهاتين ، ويأتي الفيل فيقتله مشفره
 بالسيف ، ويحتمل الفارس عن سرجه — والهند قوم لا يحسنون الرمي ، وأكثرهم
 رجالة لا دواب لهم — وكان بهرام إذا رأى أحدهم أنفذ السهم فيه ، فلما عاينوا
 منه ما عاينوا ، ولوا منهزمين لا يلوون على شيء ، وضمين صاحب بهرام ما كان
 في عسكر علوه ، وانصرف مجبوراً مسروراً ، ومعه بهرام ، فكان في مكافأته
 إتياء أن أنكتحه ابنته ، ونحله الدبيل ومكران وما يليها من أرض السند ،
 وكتب له بذلك كتاباً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، وأمر بتلك البلاد حتى
 ضمنت إلى أرض العجم ، وحمل خراجها إلى بهرام ، وانصرف بهرام مسروراً .

ثم إنه أغزى ميهتر ترسي بن بראה بلاد الروم في أربعين ألف مقاتل ،
 وأمره أن يقصد عظيمها ، وينظره في أمر الإتاوة وغيرها ، مما لم يكن يقوم
 بمثله إلا مثل ميهتر ترسي ، فتوجه^(١) في تلك العدة ، ودخل القسطنطينية ،
 وقام مقاماً مشهوراً ، وهادنه عظيم الروم ، وانصرف بكل الذي أراد بهرام ،
 ولم يزل لميهتر ترسي مكثراً ، وربما خفف اسمه قليل «ترسي» وربما قيل
 «ميهتر ترسي» ، وهو ميهتر ترسي بن بראה بن فرخزاد بن خورهباز بن سيسفاز
 ابن سيسنا برو بن كتي أشك بن دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار بن
 بهشتاسب .

وكان ميهتر ترسي معظماً عند جميع ملوك فارس بحسن أدبه ، وجودة
 آرائه ، وسكون العامة إليه ، وكان له أولاد مع ذلك قد قاربوه في القدر ، وعملوا
 للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بميرته ، وإن منهم ثلاثة قد كانوا برزوا :

أحدهم زَرَوَانْدَادُ ؛ تَن مِهْرَ نَرْمِي قَصْدُ بِهِ لِلدِّينِ وَالْفَقْهِ ، فَأَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ
 امراً عظيماً ، حتى صيَّره بهرام جور هِرَبْدَانِ هَرَبْدَ ، مرتبة شبيهة بمرتبة مَوْبَدَانِ
 مَوْبَدَ . وكان يقال للآخر : مَا جُسْنَسَ ، ولم يزل متولياً ديوان الخراج أيام
 بهرام جور . وكان اسم مرتبته بالفارسية « راسترای وشاسلان » . وكان الثالث اسمه
 كارد صاحب الجيش الأعظم ، واسم مرتبته بالفارسية « أسطران سلار » ، وهذه
 مرتبة فوق مرتبة الإصبهتتت تقارب مرتبة الأرجببببب ، وكان اسم مِهْرَ نَرْمِي
 بمرتبة بالفارسية « بُزُرْ جَفَر مَانْدَار » ، وتفسيره بالعربية « وزير الوزراء »
 أو رئيس الرؤساء . وقيل إنه كان من قرية يقال لها إِبْرَوَان من رستاق
 دشتبارين من كبوة أردشير خُرة ، فابتنى فيه وفي جبره من كورة سابور
 لاتصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة ، واتخذ فيها بيت نار - هو باق فيما
 ذكر إلى اليوم . وناره توقد إلى هذه الغاية - يقال لها مِهْرَنَرَسِيَان ، واتخذ
 بالقرب من إِبْرَوَان أربع قرى ، وجعل في كل واحدة منها بيت نار ، فجعل
 واحداً منها لنفسه ، وسماه فَرَاذَ مَرَا آوَرْ خَلْدَايَان ، وتفسير ذلك : « أقبل إلى
 سيدي » ، على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لَزَرَوَانْدَادُ ، وسماه زَرَوَانْدَادَان ،
 والآخر لَكَارْدَ وسماه كَارْدَادَان ، والآخر لِمَا جُسْنَسَ ، وسماه مَا جُسْنَسَان ،
 واتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات^(١) ، جعل في كل باغ منها اثنتي عشرة
 ألف نخلة ، وفي باغ اثني عشر ألف أصل زيتون ، وفي باغ اثني عشرة ألف
 سرّوة^(٢) ، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين
 إلى اليوم ، وإن ذلك - فيما ذكر - إلى اليوم باقٍ على أحسن حالاته .

٨٧٠/١

٨٧١/١

وذكر أن بهرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملك الروم ، مضى إلى
 بلاد السودان من ناحية^(٣) اليمن ، فأوقع بهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . وسبى
 منهم خلقاً ، ثم انصرف إلى مملكته . ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصفت .
 واختطفوا في مدة ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة

(١) الباغ : البستان ، وانظر المعجم في اللغة الفارسية ٣٢ .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ، فسه صاحب القاموس بالمرمر ، وأصله سرّوة .

(٣) ت : مايل .

أشهر وعشرين يوماً . وقال آخرون كان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً .

• • •

[ذكر ملك يزددجرد بن بهرام جور]

ثم قام بالملك من بعده يزددجرد بن بهرام جور . فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف ، فدعوا له وهتفوا بالملك ، فرد عليهم ردًا حسنًا ، وذكر أباه ومناقبه ، وما كان منه إلى الرعية ، وطول جلوسه كان لها ، وأعلمهم أنهم إن قتلوا منه مثل الذي كانوا يمهّدونه من أبيه ، فلا ينبغي لهم أن يستنكروه ، فإن خلواته إنما تكون في مصلحة للمملكة وكيد للأعداء ، وأنه قد استوزر مهتر نرسي بن بُرازة صاحب أبيه ، وأنه سائر فيهم بأحسن^(١) السيرة ، ومسنّ لهم أفضل السنن ، ولم يزل قامعًا لعدوه ، رموفاً برعيته وجنوده ، محسنًا إليهم .

وكان له ابنان : يقال لأحدهما هرمز ، وكان ملكًا على سجستان ، والآخر يقال له فيروز ؛ فغلب هرمز على الملك من بعد هلاك أبيه يزددجرد ، ٨٧٢/١ فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة ، وأخبر ملكها بقصته وقصة هرمز أخيه ، وأنه أولى بالملك منه ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل بهم هرمز ، ويحتوى على مُلك أبيه ، فأبى ملك الهياطلة أن يُجيبه إلى ما سأل من ذلك ؛ حتى أخبر أن هرمز ملك ظلوم جائر فقال ملك الهياطلة : إن الجهور لا يرضاه الله^(٢) ، ولا يصلح عمل أهله ، ولا يستطيع أن يُنتصف ويحترف في مُلك الملك الجائر إلا بالجور والظلم . فأمدّ فيروز بعد أن دفع إليه الطالقان بجيش ، فأقبل بهم^(٣) وقاتل هرمز أخاه فقتله ، وشتت جمعه ، وغلب على الملك .

وكان الروم الثناو على يزددجرد بن بهرام في الخراج الذي كانوا يحملونه إلى أبيه ، فوجه إليهم مهتر نرسي بن بُرازة ، في مثل العدة التي كان بهرام وجهه إليهم عليها ، فبلغ له إرادته .

(٢) ل : وما لا يرضاه .

(١) ت : وأحسن .

(٢) ت : وفيهم .

وكان مَلِكُ يَزْدَجَرْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ .
وَفِي قَوْلِ آخَرِينَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

• • •

[ذَكَرَ مَلِكُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجَرْدَ]

ثُمَّ مَلِكُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ بَهْرَامِ جُورَ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَخَاهُ وَثَلَاثَةَ
نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ .

وَحُدُثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدَ ، قَالَ : اسْتَعَدَّ فَيْرُوزُ مِنْ خُرَّاسَانَ ،
وَاسْتَنْجَدَ بِأَهْلِ طَخَرِيسْتَانَ وَمَا يَلِيهَا ، وَسَارَ إِلَى أَخِيهِ هَرْمُزِ بْنِ يَزْدَجَرْدَ ،
وَهُوَ بِالرُّيِّ — وَكَانَتْ أُمُّهُمَا وَاحِدَةً ، وَاسْمُهَا دِينَتُكُ ، وَكَانَتْ بِالْمَدَائِنِ تَدْبِيرَ
مَا يَلِيهَا مِنَ الْمَلِكِ — فَظَفَرَ فَيْرُوزُ بِأَخِيهِ فَحَبَسَهُ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَحَسَنَ السِّيَرَةَ ،
وَكَانَ يَنْدِينُ ، وَتَحْتَضِرُ النَّاسَ فِي زَمَانِهِ سَبْعَ سِنِينَ ، فَأَحْسَنَ تَدْبِيرَ [ذَلِكَ] (١)
الْأَمْرَ حَتَّى قَسَمَ مَا فِي بَيْوتِ الْأَمْوَالِ ، وَكَفَّ عَنْ الْجَبَايَةِ ، وَسَاسَهُمْ أَحْسَنَ
السِّيَاسَةِ ، فَلَمْ يَهْلِكْ فِي تِلْكَ السِّنِينَ أَحَدٌ ضَيَاعًا إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا .

وَسَارَ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا قَدْ غَلَبُوا عَلَى طَخَرِيسْتَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْهَيَّاطِلَةُ ، وَقَدْ
كَانَ قَوَادِمُهُمْ فِي أَوَّلِ مُلْكِهِ لِمَعْرِفَتِهِمْ إِيَّاهُ عَلَى أَخِيهِ ، وَكَانُوا لَهَا زُعْمَاءُ — يَعْمَلُونَ
عَمَلَ قَوْمِ لُوطَ ، فَلَمْ يَسْتَحِلُّ تَرْكَ الْبِلَادِ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَقاتَلَهُمْ فَقتَلُوهُ فِي الْمَعْرَكَةِ ،
وَأَرْبَعَةَ بَنِينَ لَهُ ، وَأَرْبَعَةَ إِخْوَةٍ ، كُلُّهُمْ كَانَ يُسَمَّى بِالْمَلِكِ ، وَغَلَبُوا عَلَى عَامَةِ
خُرَّاسَانَ حَتَّى سَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ يُقَالُ لَهُ سُوخْرَا مِنْ أَهْلِ شِيرَازَ ،
وَكَانَ فِيهِمْ عَظِيمًا ، فَخَرَجَ فَيَمُنُ تَبِعَهُ شَبْهُ الْمُحْتَسِبِ الْمُتَطَوِّعِ حَتَّى لَقِيَ (٢)
صَاحِبَ الْهَيَّاطِلَةِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ ، فَأَفْرَقَا عَلَى الصَّلَاحِ ، وَرُدَّ مَا لَمْ
يُتَضَعْ مِمَّا فِي عَسْكَرِ فَيْرُوزَ مِنَ الْأَسْرَاءِ وَالسَّبْيِ . وَمَلَكَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .

وَقَالَ غَيْرُ هِشَامَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْخَبَارِ : كَانَ فَيْرُوزُ مَلِكًا مَحْمُودًا عَمَارًا (٣)
مَشْتُومًا عَلَى رِعْيَتِهِ ، وَكَانَ جَلَّ قَوْلُهُ وَفَعَلُهُ فِيمَا هُوَ ضَرَرٌ وَآفَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ
مَمْلَكَتِهِ . وَإِنَّ الْبِلَادَ قَتَحَطَّتْ فِي مُلْكِهِ سَبْعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةٍ ، فَغَارَتِ الْأَنْهَارُ
وَالْقُسْنِيُّ وَالْعَيُونُ ، وَقَتَحَلَّتْ (٤) الْأَشْجَارُ وَالْفَيَاضُ ، وَهَاجَتِ عَامَةُ الزُّرُوعِ

(١) تَكَلَّمَ مِنْ لَ ، سَ . (٢) تَ : « أَلَّ » . (٣) الْهَارِثُ : الْحَرِيمُ الَّذِي
إِذَا طُلِبَ شَيْئًا لَا يَرْتَقِي ، وَهُوَ غُلَافُ الْبَابِ . (٤) لَ : « وَحَلَّتْ » .

والآجام في السهل والجبل من بلاده ، وموت فيها الطير والحوش ، وجاعت
الأنعام والدواب ، حتى كانت لا تقدر أن تحمل حمولة ، وقل ماء دجلة ،
وعم أهل بلاده الزبابات ^(١) والمجاعة والجهد والشنالد .

فكتب إلى جميع رعيته يعلمهم أنه لا خراج عليهم ولا جزية ، ولا نافلة ^{٨٧٤/١}
ولا سخرة ، وأن قد ملكهم أنفسهم ، ويأمرهم بالسعي فيما يقوتهم ويقيمهم ،
ثم أحاد الكتاب إليهم في إخراج كل من كان له منهم مطمورة أو هرسى ^(٢)
أو طعام أو غيره ^(٣) ، مما يقوت الناس ، والتأسي فيه ، وترك الاستئثار فيه ،
وأن يكون حال أهل الغنى والفقر وأهل الشرف والفضة في التأسي واحداً .
وأخبرهم ^(٤) أنه إن بلغه أن إنسياً مات جوعاً عاقب أهل المدينة ، أو أهل
القرية ، أو الموضع الذي يموت فيه ذلك الإنسى جوعاً ، ونكّل بهم أشدّ
النكال .

فساس فيروز رعيته في تلك الزبابة والمجاعة سياسة لم يعط أحد منهم
جوعاً ، ما خلا رجلاً واحداً من رستاق كورة أردشير خرة ، يدعى بنديه ^(٥)
فتعظم ^(٦) ذلك عظماء الفرس ، وجميع أهل أردشير خرة وفيروز ، وأنه
ابتهل إلى ربه في نشر رحمته له ولرعيته ، وإنزال غيثه عليهم ، فأغاثه الله ،
وعادت بلاده في كثرة المياه على ما كانت تكون عليه ، وصلحت الأشجار .
وإن فيروز أمر فبنيت بالرى مدينة ، وسماها رام فيروز ، وفيما بين
جرجان وباب صول مدينة ، وسماها روتن فيروز ، وبناحية أذربيجان مدينة
وسماها شهرام ^(٧) فيروز .

(١) الزبابات : القذالذ .

(٢) المطمورة : حفرة تحت الأرض يبيع أسفلها تغياً فيها الحبوب ، والهرى ، بالهم :

بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

(٣) ت : وغير ذلك .

(٤) ت : وأهلهم ، ل : وأخبرهم .

(٥) ت : س : وبره .

(٦) ت : فيظم ، ل : فظم .

(٧) ت : ل : شهرام .

ولما حَبِيتْ بلاد فيروز ، واستوثق له المُلْكُ ، وأثخن في أعدائه وقهرهم ، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث ، سار بجنوده نحو خُرَّاسان مريداً حرب إخشنوار ملك الهَيَاطَلَة ؛ فلما بلغ إخشنوار خبره اشتدَّ منه رعبه . فذَكَّرَ أن رجلاً من أصحاب إخشنوار بدلَّ له نفسه ، وقال له : اقطع يدَيَّ ورجلي ، وألقني على طريق فيروز ، وأحسينْ إلى ولدي وحيالي — يريد بذلك فيما ذكر الاحتيا ل فيروز — ففعل ذلك إخشنوار بذلك الرجل ، وألقاه على طريق فيروز ، فلما مرَّ به أنكر حاله وسأله عن أمره ، فأخبره أن إخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له : لا قوام لك بفيروز وجنود الفرس^(١) . فرق له فيروز ورَحِيمه ، وأمر بحمله معه ، فأعلمه على وجه النصيح منه له — فيما زعم — أنه بدلَّه وأصحابه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهَيَاطَلَة منه أحد ، فاغترَّ فيروز بذلك منه ، وأخذ بالقوم في الطريق الذي ذكره^(٢) له الأَطْع ، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة ، فكلَّما شكوا عطشاً أعلمهم أنهم قد قَرَّبُوا من الماء ومن قطع المفازة ، حتى إذا بلغ بهم موضعاً علم أنهم لا يقدرُون فيه على تقدِّم ولا تأخُّر ، بيَّن لهم أمره ، فقال أصحاب فيروز لفيروز: قد كُنَّا حلزناك هذا أيها الملك فلم تحدَّرْ ، فأما الآن فلا بدَّ من المضيِّ قُدُّماً حتى نوافي القوم على الحالات كلَّها . فمضوا لوجوههم ، وقتل العطشُ أكثرهم ، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوهم ، فلما أشرفوا عليهم على الحال التي هم فيها دَعَوْا إخشنوار إلى الصلح ، على أن يخلِّيَ سبيلهم ؛ حتى ينصرفوا إلى بلادهم ؛ ٨٢٦/١ على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه ألاَّ يغزوهم ولا يروم أرضهم ، ولا يبعث إليهم جنداً يقاتلونهم ، ويعمل بين مملكتها حداً لا يجوزُه . فرضي إخشنوار بذلك ، وكتب له به فيروز كتاباً غثوماً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، ثم خَلَّى سبيله وانصرف .

فلما صار إلى مملكته حَمَلَه الأتف والحَمِيَّة على معاودة إخشنوار ، فغزاه بعد أن نَهاه وزرأؤه وخاصته عن ذلك ؛ لما فيه من نقض العهد ، فلم يقبل منهم

(١) س : « فارس » .

(٢) ت : « ذكره » .

وأبى إلا ركوب رأيه ، وكان فيمن نهاء عن ذلك رجل كان يخصمه ويحتج رأيه ، يقال له مَزْدَبُودُ^(١) ، فلما رأى مَزْدَبُودُ لِحاجته ، كتب ما دار بينهما في صحيفة ، وسأله الختم عليها ، ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد إخشنوار ، وقد كان إخشنوار حفر خندقاً بينه وبين بلاد فيروز عظيماً ، فلما انتهى إليه فيروز عَقَّدَ عليه القناطر ، ونصب عليها رايات جعلها أعلاماً له ولأصحابه في انصرافهم ، وجاز إلى القوم ، فلما التقى بمسكرهم احتج عليه إخشنوار بالكتاب الذي كتبه له ، وعظه بعهده وميثاقه ، فأبى فيروز إلا للجأاً وحكاً وتوافقاً ، فكلّم كل واحد منهما صاحبه كلاماً طويلاً ، ونشبت^(٢) بينهما بعد ذلك الحرب ، وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم ، للعهد الذي كان بينهم وبين الهياطة ، وأخرج إخشنوار الصحيفة التي كتبها له فيروز ، فرفعها على رُمح وقال : اللهمَّ خُذْ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ . فانهزم فيروز وسها عن موضع الرايات ، وسقط في الخندق ، فهلك ، وأخذ إخشنوار أثقال فيروز ونساءه وأمواله وجواوينه ، وأصاب جند فارس شيء لم يصبهم مثله قط .

وكان بسجستان رجل من أهل كُورَةِ أَرْدَشِيرِ خَرَّةَ من الأعاجم ، فوعِلِمَ وبأس وبطش ، يقال له : سوخرا ، ومعه جماعة من الأساورة ، فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته ، فأخذ السير حتى انتهى إلى إخشنوار ، فأرسل إليه وآذنه بالحرب ، وتوعّده بالخالحة والبوار ، فبعث إليه إخشنوار جيشاً عظيماً . فلما التقوا ركب إليهم سوخرا فوجدهم مدّلين ، فيقال : إنه رى بعض مَنْ ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عيني فرسه حتى كادت النشابة تغيب في رأسه ، فسقط الفرس ، وتمكن سوخرا من راحبه ، فاستبقاه وقال له : انصرف إلى صاحبك فأخبره بما رأيت ، فانصرفوا إلى إخشنوار ، وحملوا القوس معهم ، فلما رأى أثر الرمية بهت وأرسل إلى سوخرا : أن سَلْ حاجتك ، فقال له : حاجتي أن تردّ عليّ الديوان ، وتُطْلِقَ الأسرى . ففعل ذلك ، فلما صار الديوان في يده ، واستغذ الأسرى ، استخرج من الديوان بيوت الأموال التي كانت

(١) ت : « مردليذ » .

(٢) ت : « ونشبت » ، س : « ونشبت » .

مع فيروز، فكتب إلى إخشنوار أنه غير منصرف إلا بها . فلما تبين الجيد ،
افتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذ الأسارى وأخذ الديوان وارتجاع
الأموال ، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس ، فلما صار
إلى الأعاجم شرفوه وعظموا أمره ، وبلغوا به من المتزلة ما لم يكن بعده إلا الملك .

٨٧٨/١

وهو سوخرا بن ويسابور^(١) بن زهان^(٢) بن ترسمى بن ويسابور بن قارن
ابن كروان بن أبيد بن أوبيد بن تيرويه^(٣) بن كردنك^(٤) بن فاور بن طوس
ابن نودكا بن منشو^(٥) بن نودر بن منوشيهر .

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفرس من خبر فيروز وخبر إخشنوار
نحواً مما ذكرت ، غير أنه^(٦) ذكر أن فيروز لما خرج متوجّهاً إلى إخشنوار ،
استخلف على مدينة طيسبون^(٧) ومدينة بهر سير^(٨) - وكانتا محلة الملوك - سوخرا
هذا ، قال : وكان يقال لمريته قارن ، وكان يليّ معهما سجستان . وأن فيروز
لما بلغ منارة كان بهرام جور ابتناها فيما بين تخوم بلاد خراسان وبلاد الترك ؛
لئلا يجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين
التعدّي لها ، وكان فيروز عاهد إخشنوار ألاّ يجاوزها إلى بلاد الهياطلة ، أمر فيروز
فصعد^(٩) فيها خمسون فيلاً وثلثمائة رجل ، فجرت أمامه جراً ، واتبعها ، أراد
بذلك زعم الوفاء لإخشنوار بما عاهده عليه ، فبلغ إخشنوار ما كان من فيروز
في أمر تلك المنارة ، فأرسل إليه يقول : انته يا فيروز عما انتهى عنه أسلافك ،
ولا تقدم على ما لم يقدموا عليه . فلم يحفل فيروز بقوله ، ولم تكره رسالته ،
وجعل يستعلم محاربة إخشنوار ، ويدعوه إليها ، وجعل إخشنوار يمتنع من محاربته

٨٧٩/١

(١) ل : « ساپور » .

(٢) س : « زهان » .

(٣) س : « تيرويه » .

(٤) س : « كردنك » .

(٥) س : « منشو » .

(٦) ل : « من ذلك إلا أنه » . س : « ما قد ذكرت غير أنه » .

(٧) س : « طيسبون » ل : « طيسون » .

(٨) ت : « بهر سير » ، ل : « بهر سير » .

(٩) ط : « فصد » .

ويستكرهها^(١) ، لأنّ جلّ محاربة الترك إنّما هو بالخداع والمكر والمكايدة ، وأنّ إخشنوار أمر فحضر خلف عسكره حتّى عرّضه عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغشّى بخشب ضعاف ، وألّقى عليه تراباً ، ثم ارتحل في جنده ، ففزع غير بعيد ، فبلغ فيروز رحلة إخشنوار بجنده من عسكره^(٢) ، فلم يشكّ في أنّ ذلك منهم انكشاف وهرب ، فأمر بضرب الطبول ، وركب في جنده في طلب إخشنوار وأصحابه ، فأخذوا السير ، وكان مسلّهم على ذلك الخندق . فلما بلغوه أقبحوا على حصاية^(٣) ، فتردّى فيه فيروز وهامة جنده ، وهلكوا من عند آخرهم .

وإنّ إخشنوار عطف على عسكر فيروز ، فاحتوى على كلّ شيء فيه ، وأسر مؤلّمان موبداً وصارت فيروز دُخت ابنة فيروز فيمن صار في يده من نساء فيروز ، وأمر إخشنوار فاستخرجت جثة فيروز وجثة كلّ من سقط معه في ذلك الخندق ، فوضعت في النواويس ، ودعا إخشنوار فيروز دخت إلى أن يبأشرها ، فأبّت عليه .

وإنّ خبر هلاك فيروز سقط إلى بلاد فارس^(٤) ، فارتجوا له وفزعوا ، حتّى إذا استقرّت حقيقة خبره عند سوخرا تأهب^(٥) وسار في عظم من كان قبّله من الخند إلى بلاد الهياطة . فلما بلغ جرجان بلغ إخشنوار خبر مسيره لمحاربتة ، فاستعدّ وأقبل متلقياً له ، وأرسل إليه يستخبره عن خبره ، ويسأله عن اسمه ومربّته ، فأرسل أنّه رجل يقال له سوخرا ، ولمربّته قارن ، وأنّه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز ، فأرسل إليه إخشنوار يقول : إنّ سيّلك في الأمر الذي قدّمت له كسبيل فيروز . إذ لم يعقبه في كثرة جنوده من محاربتة إلى الهلكة واليوار ، فلم ينهيه سوخرا قول إخشنوار ، ولم يعبأ به ، وأمر جنوده فاستعملوا وتسلّحوا ، وزحف إلى إخشنوار لشدة إقدامه وحدة قلبه ، فطلب موادعته وصلّحه ،

(١) ت : ويستكرهها .

(٢) ت : وعسكره .

(٣) ط : وخاله .

(٤) س : والفارس .

(٥) ت : فاهم .

فلم يقبل منه سوخرا صلحاً حين أن يصير في يده كل شيء صار عنده من
عسكر فيروز. فسلم إخشنوار إليه ما أصاب من أموال فيروز وخزائنه ومرايطه
ونسائه ، وفيهن فيروز دخت ، ودفع إليه موبدان موبد وكل أحد كان عنده
من عظماء الفرس ، فانصرف سوخرا بذلك كله إلى بلاد الفرس .

واختلف في مدة ^(١) ملك فيروز ، فقال بعضهم : كانت ستاً وعشرين سنة .
وقال آخرون : كانت إحدى وعشرين سنة .

ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزيد جرد بن بهرام وفيروز بين عمالهما على العرب وأهل اليمن

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : كان يخدمُ الملوك من حمير في زمان ملكهم أبناءُ الأشراف من حمير وفيرم من القبائل ، فكان ممن يخدمُ حسان بن تُبّع عمرو بن حُجْر الكندي ، وكان سيدَ كِنْدَةَ في زمانه . فلما سار حسان بن تُبّع إلى جَدِيس خَلَفَهُ على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تُبّع أخاه حسان بن تُبّع ، وملك مكانه ، اصطنع عمرو بن حُجْر الكندي . وكان ذا رأي ونُبُل ، وكان مما أراد عمرو لإكرامته به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة حسان بن تُبّع ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ، لأنه لم يكن يطعمُ في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة حسان بن تُبّع لعمرو بن حُجْر الحارث بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تُبّع عبدُ كُلال بن مَثُوب ، وذلك أن ولدَ حسان كانوا صغاراً ، إلا ما كان من تُبّع بن حسان ، فإنَّ الجَنَّ استهامته ، فأخذ الملكَ عبدُ كُلال بن مَثُوب مخافة أن يطعم في الملك غير أهل بيت المملكة ، فوليه بسنٍّ وتجربة وسياسة حسنة . وكان — فيما ذكروا — على دين النصرانية الأولى ، وكان يُسير ذلك من قومه ، وكان الذي دعاه إليه رجل من حسان ، قلم عليه من الشام ، فوثبت حمير بالفسافي فقتلته ، فرجع تُبّع بن حسان من استهامته الجَنَّ إياه صحيحاً ، وهو أعلم الناس بنجم ، وأعدل من تعلم في زمانه ، وأكثره حديثاً عما كان قبله ، وما يكون في الزمان بعده . فلما تبع ابن حسان بن تُبّع بن مَلِكِيكَتْ كَرَب بن تُبّع الأقرن ، فهابته حمير والعرب هيبة شديدة ، فبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجْر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد مَعَد والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ٨٨٢/١ ابن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته ، وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمة ماء المياء ، امرأة من النَمير ، فلذهب مُلْكُ

آل النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون .

وقال هشام^(١) : ملك بعد النعمان ابنه المنلر بن النعمان وأمّه هند ابنة زيد مائة بن زيد الله بن عمرو الغساني أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمانى سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثمانى عشرة سنة . وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنلر ، وأمّه هرّ ابنة النعمان من بنى الهيجمانة ، ابنة عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو الذى أسرته فارس عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمن قباد بن فيروز ، ست سنين .

• • •

[ذكر ملك بلاش بن فيروز]

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه بلاش بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور ، وكان قباد أخوه قد نازحه الملك ، فغلب^(٢) بلاش ، وهرب قباد إلى خاقان ملك الترك يسأله المعونة والممدد ، فلما عقد التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهنئوه ودعوا له ، وسألوه أن يكافئ سونخرا بما كان منه ، فخصه وأكرمه وجساه ، ولم يزل بلاش حسن السيرة ، حريصاً على العيارة . وكان بلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أن بيتاً خرب وجلاً أهله عنه إلا عاقب صاحب القرية التى فيها ذلك البيت على تركه انتعاشهم وسد فافتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم ، وبني بالسواد مدينة سماها بلا شاواذ ، وهى مدينة ساباط التى بقرب المدائن . وكان ملكه أربع سنين .

• • •

[ذكر ملك قباد بن فيروز]

ثم ملك قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ، وكان قباد قبل أن يصير الملك إليه قد سار إلى خاقان مستنصر أبه على أخيه بلاش ، فمر في طريقه بحدود

نيسابور، ومعه جماعة يسيرة ممن شابهه على الشخص متكررين ، وفيهم زرميهـر بن سوخرا ، فتأقت نفس قباذ إلى الجماع ، فشكا ذلك إلى زرميهـر، وسأله أن يلتمس له امرأة ذات حسب ، ففعل ذلك، وصار إلى امرأة صاحب منزله ، وكان رجلا من الأساورة ، وكانت له ابنة يكثر فاتها في الجمال ، فتتصعح لها في ابنتها ، وأشار^(١) عليها أن تبعث بها إلى قباذ ، فأعلمت ذلك زوجها ، ولم يزل زرميهـر يرغب المرأة وزوجتها ، ويشير عليهما بما يرغبهما فيه حتى فعلا ، وصارت الابنة إلى قباذ ، واسمها نيوندخت^(٢) ، فغشيها ٨٨٤/١ قباذ في تلك الليلة ، فحملت بأنو شروان ، فأمر لها بجائزة حسنة ، وجباها حياء جزيلا .

وقيل : إن أم تلك البخارية سألتها عن هيئة قباذ وحاله ، فأعلمتها أنها لا تعرف من ذلك غير أنها رأت سراويله منسوجا باللحج ، فعلمت أمها أنه من أبناء الملوك ومرها ذلك . ومضى قباذ إلى خاقان ، فلما وصل إليه أعلمه أنه ابن ملك فارس ، وأن أخاه ضاده في الملك وغلبه ، وأنه أتاح يستنصره فوصله أحسن العدة ، ومكث قباذ عند خاقان أربع سنين يدافعه بما وعده . فلما طال الأمر على قباذ أرسل إلى امرأة خاقان يسألها أن تتخله ولدا ، وأن تكلم فيه زوجها ، وسأله إنجاز عديته ففعلت ، ولم تزل تحمِلُ على خاقان حتى وجّه مع قباذ جيشا ، فلما انصرف قباذ بملك الجيش ، وصار في ناحية نيسابور سأل الرجل الذي كان أتاحه بالبخارية عن أمرها ، فاستخبر ذلك من أمها ، فأخبرته أنها قد ولدت غلاما ، فأمر قباذ أن يؤتى بها ، فأتته ومعها أنو شروان تقوده بيدها . فلما دخلت عليه سألتها عن قصة الغلام ، فأخبرته أنه ابنه ، وإذا هو قد نزع إليه في صورته وجماله .

ويقال : إن الخبر ورد عليه في ذلك الموضع بهلاك بلاش ، فتيمن بالمولود ، وأمر بحمله وحمل أمه على مراكب نساء الملوك ، فلما صار إلى المدائن^(٣) ،

(١) ت : « وسألها » .

(٢) ت : « نيوندخت » ، س : « بيوندخت » .

(٣) س : « بالمدائن » .

واستوثق له أمرُ المُلْكِ خصَّ سُوخرا، وفوض إليه أمره، وشكر له ما كان من خدمة ابنه إياه، ووجه الجنود إلى الأطراف، ففتكوا في الأعداء، وسبوا سبائا كثيرة، وبني بين الأهواز ومارس مدينة الرّجّان، وبني أيضا مدينة حلوان، وبني بكورة أردشير خيرة في ناحية كازرين^(١) مدينة يقال لها قبّاذ خرة، وذلك سوى مدائن وقرى أنشأها، وسوى أنهار احتضرها، وجسور عقدها. فلما مضت أكثر أيامه، وتولى سُوخرا تدبير مملكه وسياسة أموره مال الناس عليه، وعاملوه واستخفوا بقبّاذ، وهانئوا بأمره، فلما احتشنتك لم يحتمل ذلك، ولم يرض به، وكتب إلى سابور الرازيّ - الذي يقال للبيت الذي هو منه مِهْران، وكان إصْبَهَبَك البلاد - في اقلّوم عليه فيمن قبلكه من الجنّد، فقدم سابور بهم عليه، فواصفه قبّاذ حالة سُوخرا، وأمره بأمره فيه، ففدا سابور على قبّاذ فوجد عنده سُوخرا جالسا، فشى نحو قبّاذ متجاوزا له متغافلا^(٢) لسُوخرا، فلم يأت سُوخرا للملك من أرب سابور، حتى ألى وهما^(٣) كان معه في عنقه، ثم اجتذبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السّجن، فحيثل قيل: «نقصت ريع سُوخرا وهبت لمِهْران ريع^(٤)»، وذهب ذلك مثلا. وإن قبّاذ أمر بعد ذلك بقتل سُوخرا فقتل، وإنه لما مضى لمُلْك قبّاذ عشر سنين اجتمعت كلمة موبدان موبد والعظماء على إزالته عن ملكه، فأزالوه عنه وجسوه، لمتابعته^(٥) لرجل يقال له مَزْدَك مع أصحاب له قالوا: إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتامس، ولكن الناس تظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردّون من الكثيرين على القليلين، وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره، فافترس السفلة ذلك واغتصموه، وكافؤوا^(٦) مزدك وأصحابه وشايعهم، فابتلّ الناس بهم، وهوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيطلبونه على منزله

(١) م: «كازرون». ت: «كارين».

(٢) م: «مغللا».

(٣) الحق: الخبل في طريقه أنشودة يطرح في حق الدابة أو الإنسان حتى يوصل.

(٤) ت: «وهبت ريع بهرام». (٥) ت: «لمبايعة».

(٦) المكافئة: المعادلة.

ونسائيه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قَبَاز على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعهم ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به . وصبروا قَبَاز في مكان لا يصل إليه أحد سواهم ، وجعلوا أخا له يقال له جاماسب مكانه ، وقالوا لقَبَاز : إنك قد أثمت فيما عملت به فيما مضى ، وليس يطهرك من ذلك إلا إباحة نسائك ، وأرادوه على أن يلجأ إليهم نفسه فيذبحوه ويحملهو قُربانا للنَّار ، فلما رأى ذلك زَرَمِيَهْر بن سوخرا خرج بمن شابهه من الأشراف باذلا نفسه ، فقتل من المَزْدَكِيَّة ناسا كثيرا ، وأعاد قَبَاز إلى ملكه ، وطرح أخاه جاماسب . ثم لم يزل المَزْدَكِيَّة بعد ذلك إنما يحرقون قَبَاز على زَرَمِيَهْر حتى قتله ، ولم يزل قَبَاز من خيار ملوكهم حتى حمله مَزْدَك على ما حمله عليه ، فانتشرت (١) الأطراف وهسدت الثغور .

• • •

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفُرس أن العظماء من الفرس هم حسبوا قَبَاز حين اتَّبع مَزْدَك وشابهه على ما دعاه اليه من أمره ، وملكوا مكانه أخاه جاماسب بن فيروز ، وأن أختا قَبَاز أتت الحبس الذي كان فيه قَبَازُ محبوسا ، فحاولت الدخول عليه (٢) ، فنعها إياه الرجلُ الموكل كان بالحبس ومن فيه ، وطمع الرجل أن يفضحها بذلك السبب ، وأتى إليها طمعه فيها ، فأخبرته أنها غير مخالفة في شيء مما يهوى منها ، فأذن لها فدخلت السجن فأقامت عند قَبَاز يوما ، وأمرت فلُفَّ قَبَازُ في بساط من البُسْط التي كانت معه في الحبس ، وحُمل على غلام من غليمانه قوى ضابط ، وأُخرج من الحبس . فلما مرَّ الغلامُ بوالى الحبس سأله عما كان حامله فأفجع ، واتبعته أخت قَبَاز فأخبرته أنه فِراش كانت اقترشته في صراكها ، وأنها إنما خرجت لتتطهر وتنصرف ، فصدقها الرجل ولم يمس البساط ، ولم يدن منه استفدارا له ، وخلص عن الغلام الحامل لقَبَاز ، ففضى بقَبَاز ومضت على أثره . وهرب قَبَازُ فلحق بأرض الهباطلة ليستمد ملكتها ويستجيشه فيحارب

من خالفه وخلعه . وأنه نزل في مبدئه ^(١) إليها بأبر شهر رجل من عظام أهلها ،
 له ابنةٌ معصير ^(٢) ، وأن نيكاحه أم كسرى أنوشروان كان في سفره ^(٣)
 هذا ، وأن قبادرجع من سفره ذلك معه ابنه أنوشروان وأمه ، فغلب أخاه
 جاماسب على ملكه بعد أن ملك أخوه جاماسب ست سنين ، وأن قباد
 غزا بعد ذلك بلاد الروم ، وافتتح منها مدينة من مدُن الجزيرة تُدعى
 آمِد ، وسبى أهلها ، وأمر فبُسَيْت في حد ما بين فارس وأرض الأهواز
 مدينة ، ومماها راقباد ^(٤) ، وهي التي تُسمى بومقباد ^(٥) ، وتُدعى أيضًا أرجان
 وكور كورة ، وجعل لها رصاتي من كورة سرق ، كورة رام هرمرز ، وملك
 قباد ابنه كسرى ، وكتب له بملك كتابًا وختمه بخاتمه .

فلما هلك قباد - وكان ملكه بسى ^(٦) ملك أخيه جاماسب :
 ثلاثًا وأربعين سنة - فنقل كسرى ما أمر به قباد من ذلك .

(١) الأصول : « مبداء » .

(٢) المعصر : البنت التي بلغت شبها ، وفارس : « حصن » .

(٣) ت : « سيرة » .

(٤) ط : « رام قباد » ، وما أثبت من تصحيحات ط ص ٥٩١ .

(٥) ط : « بومقباد » ، واقتصر تصويبات ط .

(٦) ت : « كسرى » .

ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قبّاذ في مملكته وبين عماله

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: لما لقي الحارث بن عمرو بن حُجْر ابن عدى الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة قتله، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك، بعث قبّاذ بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد، وإني أحب أن ألقاك.

وكان قبّاذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء، ويداري أعداءه فيما يكره من سفك الدماء، وكثرت الأهواء في زمانه، واستضعفه الناس، فخرج إليه الحارث بن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى التقوا بقطرة القيسوم، فأمر قبّاذ بطبق من تمر فتزع نواه، وأمر بطبق فجعل فيه تمر فيه نواه، ثم وضع بين أيديهما، فجعل الذي فيه النوى يلى الحارث بن عمرو، والذي لا نوى فيه يلى قبّاذ. فجعل الحارث يأكل التمر ويلقى النوى، وجعل ٨٨٩/١ قبّاذ يأكل ما يليه، وقال للحارث: مالك لا تأكل مثل^(١) ما آكل؟ فقال: [له الحارث]^(٢) إنما يأكل النوى إيلنا وغنمنا. وعلم أن قبّاذ يهزأ به، ثم اصطلحا على أن يورده الحارث بن عمرو ومن أحب من أصحابه خيولهم القرات إلى ألبابها^(٣)، ولا يحاوزوا أكثر من ذلك. فلما رأى الحارث ما عليه قبّاذ من الضعف طمّس في السواد، فأمر أصحابه مساحله أن يقطعوا القرات فيخبروا في السواد، فأتى قبّاذ الصريخ وهو بالمدائن فقال: هذا من تحت كنتف ملكهم. ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو أن لصوصاً من لصوص

(١) ط: وما ذكره، وما أثبت من ت.

(٢) ت: ومن.

(٣) ت: وكما آكل.

(٤) تكله من ت.

(٥) الألباب: جيع لب، وهو المنصر.

العرب قد أغاروا ، وأنه يجب لقاءه . فلقىته ، فقال له قُباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك ، فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب إلا بالمال والجنود ، قال له قُباذ : فما الذى تريد ؟ قال : أريد أن تُطعِمَتى من السَّواد ما أتخذُ به سلاحاً ، فأمر له بما يلى جانب العرب من أسفل الفرات ، وهى ستة طلساسيج^(١) ، فأرسل الحارث بن عمرو الكندى إلى تبَّع وهو باليمن : إئتني قد طمِعت فى مَلِك الأعاجم ، وقد أخذتُ منه ستة طلساسيج ، فاجتمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون مَلِكهم شىء . لأن الملك [عليهم] لا يأكل اللحم ، ولا يستحل هراقة الدماء لأنه زنديق . فجمع تبَّع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفُرات ، فأذاه البقي ، فأمر الحارث بن عمرو أن يتشقى له نهراً إلى النجف ففعل ، وهو نهر الحيرة . فنزل عليه وجه ابن أخيه شَميراً ذا الجناح إلى قُباذ ، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تبَّع شَميراً ذا الجناح إلى خراسان ، ووجه تبَّع ابنه حسان إلى الصفد ، وقال : أَيْكَمَا سَبَقَ إلى الصين فهو عليها . وكان كل واحد منهما فى جيش عظيم ، يقال : كانا فى ستمائة ألف وأربعين ألفاً . وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم ، وهو الذى يقول :

٨٩٠/١

أيا صاح حُجِّبَكَ للداهية لخمير إذ نزلوا الجابية
بمانون ألفاً رواياهمو لكل ممانية راوية

فسار يعفر حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة والإتاوة ، ثم مضى إلى رومية^(٣) وبينهما مسيرة أربعة أشهر ، فحاصرها وأصاب من معه جوع ، ووقع فيهم طاعون فرقوا ، فأبصرهم الروم وما لقوا ، فوثبوا عليهم فقتلهم ، فلم يفلت منهم أحد . وسار شَمير ذو الجناح حتى أتى سمرقند ، فحاصرها

(١) طلساسيج : جمع طسوج ، وهو الناحية .

(٢) تكلة من ت .

(٣) ت رومية .

فلم يَظْفَرْ بشيءٍ منها . فلما رأى ذلك أطاف بالحرّس ، حتى أخذ رجلاً من أهلها ، فسأله عن المدينة ومليكها ، فقال له : أَمَا مَلِكُهَا فَأَحَقُّ النَّاسِ ، ليس له همٌّ إِلَّا الشَّرَابُ وَالْأَكْلُ ، وله ابنة وهي التي تَقْضِي أَمْرَ النَّاسِ . فبعث معه بهدية إليها ، فقال له : أخبرها أنني إنما جئتُ من أرض العربِ للذي بلغني من عَقْلِهَا لَتُنَكِّحَني نَفْسَهَا ، فأصيبَ منها غلاماً بِمِلْكِ الْعِجَمِ والعربِ ، وأنى لم أجئِ أَلْتَمِسَ المَالَ ، وأنّ معي أربعة آلاف تابوت من ذهب وفضة هاهنا ، فأنا أَدْفَعُهَا إِلَيْهَا ، وأمضي إلى الصين ، فإن كانت الأرض لي كانت امرأتى ، وإن هَلَكْتُ كان ذلك المَالُ لها . فلما أُنْهِتَ ^(١) إِلَيْهَا رسالته قالت : قد أَجَبْتُهُ فَلْيَبْعَثْ بِمَا ذَكَرَ ، فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت ، في كلِّ تابوت رجلان ، فكان لسرقةِ أربعة أبوابٍ على كل بابٍ منها أربعة آلاف رجل ، وجعل العلامةَ بينه وبينهم أن يضربَ لهم بِالْحُلْجَلِ . وتقدّمَ في ذلك إلى رُسُلِهِ الذين وَجَّهَ معهم ، فلما صاروا في المدينة ضربَ لهم بِالْحُلْجَلِ فخرجوا ، فأدخلوا بِالْأَبْوَابِ ، ونهّد شمر في الناس ، فدخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها . ثم سار إلى الصين ، فلقى زُحُوفَ التُّرْكِ فهُزِمَ ، ومضى إلى الصين فوجد حَسَّانَ بنَ تَبَّعٍ قد كان سبقه إليها بثلاث سنين ، فأقاما بها - فيما ذَكَرَ بعضُ الناسِ - حتى ماتا . وكان مَقَامُهُمَا إِحْدَى وعشرين سنة .

قال : وقال مَنْ زعم أَنهما أقاما بالصين حتى هلكا : إن تَبَّعاً جعل النارَ فيما بينه وبينهم ، فكان إذا حدثَ حَدَثٌ أَوْقَدُوا النَّارَ بِاللَّيْلِ ، فأقْبَحَ الْخَبَرُ في ليلة ، وجعل آيةَ ما بينه وبينهم أن إذا أَوْقَدْتُ نَارَيْنِ مِنْ عِنْدِي فهو هلاكٌ يَغْفُرُ ، وإن أَوْقَدْتُ ثَلَاثًا فهو هلاكٌ تَبَّعٌ ، وإن كانت مِنْ عِنْدِهِمْ نَارٌ فهو هلاكٌ حَسَّانَ ، وإن كانت نارين فهو هلاكُهُمَا . ففكروا بذلك .

ثم إنه أَوْقَدَ نَارَيْنِ فكان هلاكٌ يَغْفُرُ ، ثم أَوْقَدَ ثَلَاثًا فكان هلاكٌ تَبَّعٌ . قال : وأما الْحَدِيثُ الْمُجْتَمِعُ عَلَيْهِ فَإِنَّ شَمِيرًا وَحَسَّانَ أَنْصَرَفَا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي كَانَا أَخْلَا فِيهِ حَيْثُ بَدَأَ ، حَتَّى قَدِمَا عَلَى تَبَّعٍ بِمَاحِازَا مِنَ الْأَمْوَالِ بِالصِّينِ ، وَصَنُوفِ

الجواهر^(١) والطبيب والسبي ، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم ، وسار^(٢) تبع حتى قدم مكة ، فنزل بالشعب من المطابخ^(٣) ، وكانت وفاة تبع باليمن ، فلم يخرج أحد من ملوك اليمن بعده عنها غازياً إلى شيء من البلاد ، وكان ملكه مائة وإحدى وعشرين سنة .

قال : ويقال إنه كان دخل في دين اليهود للأخبار الذين كانوا يخرجوا من يثرب مع تبع إلى مكة عدة كثيرة ..

قال : ويقولون : إن علم كعب الأخبار كان من بقية ما أوتيت تلك الأخبار ، وكان كعب الأخبار رجلاً من حمير .

وأما ابن إسحاق فإنه ذكر أن الذي سار إلى المشرق من التابعة تبع الآخر ، وأنه تبع ثبآن أسعد أبو كرب بن مليك كيرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار ، وهو أبو حسان ، حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه .

• • •

[ذكر ملك كسرى أنوشيروان]

ثم ملك كسرى أنوشيروان بن قباد بن فيروز بن يزدجيرد بن بهرام جور . فلما ملك كتب إلى أربعة فاذوسبائين - كان كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس ومن قبائلهم - كتباً نسخة كتابه منها إلى فاذوسبان آخر بيجان : بسم الله الرحمن الرحيم : من الملك كسرى بن قباد إلى واري ابن النخبرجان فاذوسبان آخر بيجان وأرمينية وحيزها ، ودُبَاوند وطبرستان وحيزها ، ومن قبله سلام ، فإن أحرى ما استوحش له الناس فقد من تخوفوا في فقدهم إياه زوال النعم ووقوع الفتن ، وحلول المكاره بالأفضل فالأفضل منهم ، في نفسه أو حشمه أو ماله أو كريمه ، وإن لا نعلم

٨٩٣/١

(١) س : الجواهر .

(٢) ت : ثم سار .

(٣) المطابخ : موضع بمكة ، ذكره ياقوت ، وقال : « مذكور في قصة تبع » .

وَحَشَّةٌ وَلَا فَقْدُ شَيْءٍ أَجَلَ رَزِيْنَةَ عِنْدَ الْعَامَةِ ، وَلَا أُحْرَى أَنْ تَعُمَّ بِهِ الْبَلِيَّةُ مِنْ
فَقْدِ مَلِكٍ صَالِحٍ .

وإن كَسِرَى لما استحکم له المُلْكُ أبطلَ ملَّةَ رجلٍ منافقٍ من أهل
فسا يقال له : « زراذُشت ^(١) » بن خُرَّكان « ابتدعها في المحبوسية ، فتابعه الناسُ
على بدعته تلك ، وفاق أمره فيها ، وكان ممن دعا العامة إليها رجلٌ من أهل
مذرية ^(٢) » يُقالُ له : « مزدق بن بامداد ^(٣) » ، وكان يَمَّا أمرَ به الناسُ وزِيْنَهُ لم
وَحْشَتِهِمْ عليه ، التَّاسَى في أموالهم وأهلِيهِمْ ، وذكرَ أن ذلك من البِرِّ الذي يَرْضَاهُ
اللهُ وَيُثِيبُ عليه أَحْسَنَ الثَّوَابِ ، وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به ، وَحْشَتِهِمْ
عليه من الدِّينِ كان مَكْرُمَةً في الفَعَالِ ، وِرِضًا في التَّوَاضُعِ . فحَضَرَ
بذلك السُّفْلَةَ على العِلِّيَّةِ ، واختلطَ له أجناسُ الزُّمَامِ بعناصرِ الكُرَمَاءِ ،
وصَهَّلَ السَّبِيلَ ^(٤) لِلْغَصْبَةِ إلى الغصبِ ، وَلِلظُّلْمَةِ إلى الظُّلْمِ ، وَلِلْعَهْأَرِ إلى
قُبْضِهِمْ نَهْمَتِهِمْ ، والوصولِ إلى الكِرَامِ الثَّلَاثِ لم يكونوا يطمعدنَ فِيهِمْ ، وشَمِلَ
النَّاسَ بِلَاءٌ عَظِيمٌ لم يكن لهم عهدٌ بِمِثْلِهِ . فَفَهِى النَّاسُ كَسِرَى عَنِ السَّيْرَةِ
بشَىءٍ مِمَّا ابْتَدَعَ زراذُشتُ ^(٥) خُرَّكان ، ومزدقُ بن بامداد ^(٦) ، وأبطلَ
بدعتهما ، وَقَتَلَ بِشَرًّا كَثِيرًا ثَبَتُوا عَلَيْهَا ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه منها ،
وقومًا من المَنَانِيَةِ ، ^(٧) وَثَبَّتَ لِلْمَجُوسِ مَلَّتَهُمْ الَّتِي لم يَزَالُوا عَلَيْهَا .

وكان يلى الإصْبَهَنِيَّةَ وهى الرِّياسَةُ على الجُنُودِ - قَبْلَ مُلْكِهِ رَجُلٌ ،
وكان إليه إصْبَهَنِيَّةُ الْبِلَادِ ، ففَرَّقَ كَسِرَى هَذِهِ الْوَلَايَةَ وَالْمَرْتَبَةَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ
إصْبَهَنِيِّينَ ، مِنْهُمْ أَصْبَهَنِيَّةُ الْمَشْرِقِ وَهُوَ خِرَاسَانُ وَمَا وَالَاهَا ، وَأَصْبَهَنِيَّةُ الْمَغْرِبِ ،
وَأَصْبَهَنِيَّةُ نِيْمِرُوزَ ، وَهِيَ بِلَادُ الْيَمَنِ ، وَأَصْبَهَنِيَّةُ أَذْرَبَيْجَانِ وَمَا وَالَاهَا ، وَهِيَ

(١) س : « زردشت » .

(٢) ت : « مذرية » .

(٣) ت : « بامداد » .

(٤) س : « السبل » .

(٥) س : « زردشت » .

(٦) ت : « بامداد » .

(٧) تجارب الأمم ١ : ١٧٧ : « المانوية » .

بلادُ الخزر ، [وما والاها] ^(١) ، لما رأى في ذلك من النظامِ المُلكي ، وقوى
المقاتلة بالأسلحة والكُراع ، وارتجع بلاداً كانت من مملكة فارس ، خرج
بعضها من يد الملك قبادُ إلى ملوك الأمم لعل شتى وأسباب ، منها السند ،
وبُست ، والرخج ، وزابُلستان ، وطخارستان ، ودرديستان ، وكابلستان ،
وأعظمَ القتل في أمةٍ يقال لها البارز ، ^(٢) وأجل بقيتهم عن بلادهم ،
وأسكنهم مواضع من بلاد مملكته ، وأذعنوا له بالعبودية ، واستعان بهم في
حروبه ، وأمر فأسيرت أمةٌ أخرى ، يقال لها صول ، وقُدِمَ بهم عليه ،
وأمر بهم فقتلوا ، ما خلا ثمانين رجلاً من كُمايتهم استحياهم ، وأمر بالإنزالهم
شهرام فيروز ، يستعين بهم في حروبه .

٨٩٥/١

وإن أمةً يقال لها أبخير ، وأمةٌ يقال لها بنجر ، وأمةٌ يقال لها بلنجر ،
وأمةٌ يقال لها ألان ، تمالثوا على غزو بلادهم ، وأقبلوا إلى أرمينية ليغيروا على
أهلها ، وكان مسلكهم إليها يومئذ سهلاً ممكناً ، فأغضى كسرى على
ما كان منهم ، حتى إذا تمكنوا في بلاده وجهه إليهم جنوداً ، فقاتلهم واضطلموم
ما خلا عشرة آلاف رجلٍ منهم أسيروا ، فأُسْكِنُوا أذربيجان وما والاها ،
وكان الملكُ فيروزُ بنى في ناحية صول والآن بناءً بصخرٍ أراد ^(٣) أن
يحصن بلاده عن تناول تلك الأمم إيتاها ، وأحدث الملكُ قبادُ بن فيروز
من بعد أبيه في تلك المواطن بناءً كثيراً ، حتى إذا ملك كسرى أمر فبنيت
في ناحية صول بصخرٍ منحوت في ناحية جرجان مدنٌ وحصونٌ وأكامٌ
وبنيانٌ كثيرٌ ، ليكون حِرْزاً لأهل بلاده يلجئون إليها من عدوٍ إن دهمهم .

وإن سينجيبوا خاقان كان أمتع الترك وأشجعهم ، وأعزهم وأكثرهم
جنوداً ، وهو الذي قاتل وزر ^(٤) ملك الهياطلة غير خائف كثرة الهياطلة
ومنعتهم ، فقتل وزرَ ملكها وعامة جنوده ، وغنم أموالهم ، واحتوى على

(١) تكله من ت .

(٢) الأصول : البارز .

(٣) ت : « أراد » .

(٤) ت : « دوز » .

بلادهم إلا ما كان كسرى غلب عليه منها ، وإنه استأل أبخز ، وبنجر ، وبلنجر ، فنهوه طاعتهم وأعلموه أن ملوك فارس لم يزالوا يتقونهم بفناء يكفونهم^(١) به عن غزو بلادهم ، وإنه أقبل في مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل حتى شارف ما وإلى بلاد صول ، وأرسل إلى كسرى في توعده منه إياه واستطالة عليه ، أن يبعث إليه بأموال ، وإلى أبخز وبنجر وبلنجر بالفداء الذي كانوا يعطونه إياه قبل ملك كسرى ، وأنه إن لم يعجل بالبعثة إليه بما سأل وطى بلاد وناجزه . فلم يحفل كسرى بوعيده ، ولم يجبه إلى شيء مما سألته لتحصينه كان ناحية باب^(٢) صول ، ومناعة السبل والفجاج التي كان سينجبوا خاقان سالكتها إياه ، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضبط ثغر أرمينية بخمسة آلاف مقاتل من الفرسان والرجال .

فبلغ سنجبوا خاقان تحصين كسرى ثغر صول ، فانصرف بمن كان معه إلى بلاده خائباً ، ولم يقدر من كان يلزاه جرجان من العدو - للحصون التي كان أمر كسرى فبنيت حولتها - أن يشنوها بغارة ، ويضربوا عليها ، وكان كسرى أنوشيروان قد عرف الناس منه فضلاً في رأيه وعلمه وعقله ، وبأمره وحزمه ، مع رأفته ورحمته بهم ، فلما عقيد التاج على رأسه دخل إليه العظماء والأشراف فاجتهدوا في الدعاء له ، فلما قضوا مقاتلتهم ، قام خطيباً ، فبدأ بذكر نعم الله على خلقه عند خلقه إياهم ، وتوكله بتدبير أمورهم ، وتقدير الأقوات والمعاش لهم ، ولم يدع شيئاً إلا ذكره في خطبته ، ثم أعلم الناس ما ابتلوا به من ضياع أمورهم ، وانحطاد دينهم ، وفساد حالهم في أولادهم ومعاشهم ، وأعلمهم أنه ناظر فيما يصلح ذلك ويحسبه ، وحث الناس على معاونته .

ثم أمر برعوس المزدكية فضربت أعناقهم ، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن كان دخل على الناس في أموالهم ، ورد الأموال إلى أهلها ، وأمر بكل مولود اختلّف فيه عنده أن يُلحق بمن هو منهم ؛ إذا لم

(١) س : « ويكفونهم » .

(٢) س : « بلاد » .

يُعرف أبوه ، وأن يُعطى نصيباً من مال الرجل الذي يُسندُ إليه إذا قبله الرجلُ ، وبكلِّ امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذَ الغالبُ لها حتى يفرمَ لها مهرهما ، وبرضى أهلها . ثم تُخير المرأة بين الإقامة عنده ، وبين تزويج من غيره ؛ إلا أن يكونَ كان لها زوج أول ، فتردَّ إليه . وأمر بكل من كان أضربَ برجل في ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرّمه . وأمر بعبال ذوى الأحساب الذين مات قيسمهم فكُتِبوا له ، فأنكح بناتهم الأكفاء ، وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وصاق عنهم ، وأغظم ، وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في أعماله ، وخيّر نساء والده بين أن يقيمن مع نسائه فيواستين ويصرن في الأجر إلى أمثالهن ، أو يبتغي لمن أكفاءهن من البعولة . وأمر بكبرى الأنهار ، وحفر القنى وإسلاف^(١) أصحاب العمارات وتقويتهم ، وأمر بإعادة كل جسر قطع أو قنطرة كسرت ، أو قرية خربت أن يرد ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح ، وتفقد الأساورة ، فن لم يكن له منهم يسار قواه باللواب والعدة ، وأجرى لهم ما يُقوتونهم ووكل بيوت النيران ، وسهل سبل الناس ، وبنى في الطرق القصور والحصون ، وتخير الحكام والعمال والولاة ، وتقدم إلى من ولي منهم أبلغ التقدم ، وحمد إلى سيبر أردشير وكتبه وقضاياه ، فاقتدى بها وحمل الناس عليها ، فلما استوثق له الملك ، ودانت له البلاد سار نحو أنطاكية بعدسنيين من ملكه ، وكان فيها عظماء جنود قيسر ، فاقتحمها . ثم أمر أن تُصوّر له مدينة أنطاكية على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وجميع ما فيها ، وأن يبنى له على صورتها مدينة إلى جنب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة أنطاكية ، ثم حمل أهل أنطاكية حتى أسكنهم إياها .

٨٩٨/١

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهل كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية ، كأنهم لم يخرجوا عنها . ثم قصد المدينة هرقل فاقتحمها ، ثم الإسكلرية ومادونها ، وخلف طائفة من

جنوده بأرض الروم ، بعد أن أذعن له ^(١) قتيصر وحمل إليه القدية ، ثم انصرف من الروم ، فأخذ نحو الخزر فأحرك فيهم تبلة ، وما كانوا يتروه به في رعيته. ثم انصرف نحو عدن ، فسكّر ناحية من البحر هناك بين جبليين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن ، وقد استقام له ماهدون هرقله من بلاد الروم وأرمينية ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عدن .

٨٩٩/١

وملك المنلربن النعمان على العرب وأكرمه ، ثم أقام في ملكه بالمدائن ، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاهده . ثم سار بعد ذلك إلى الهياطة مطالباً بوتر فيروز جدّه - وقد كان أنوشروان صاهرخاقان قبل ذلك - فكتب إليه قبل شخصه يعلمه ما عزم عليه ، ويأمره بالمسير إلى الهياطة . فأتاهم ، فقتل ملكهم ، واستأصل أهل بيته وتجاوز بلغ وما وراءها ، وأنزل جنوده فرغانة . ثم انصرف من خراسان ، فلما صار بالمدائن وإفاه قوم يستنصرونه على الحبشة ، فبعث معهم قائداً من قواده في جند من أهل الديلم وما يليها ، فقتلوا مسروقاً الحبشي باليمن ، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفراً منصوراً تنابه جميع الأمم ، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والخرز ونظرائهم ، وكان مكرماً للعلماء .

• • •

وملك ثمانيا وأربعين سنة ، وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر ملك أنوشروان .

قال هشام : وكان ملك أنوشروان سبعا وأربعين سنة . قال : وفي زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه ..

قال هشام : لما قوى شأن أنوشيروان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر - وأمه ماء السماء امرأة من النَمِير^(١) - فَلَكَ الحَيرة وما كان إلى آل الحارث بن عمرو ، آكل المَرار . فلم يزل على ذلك حتى هلك .
قال : وأنوشروان غزا بَزْجَان ، ثم رجع فبنى الباب والأبواب .

وقال هشام : ملك العرب من قبَل ملوك القرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان - وأمه هير ابنة النعمان - سبع سنين .
ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر - وأمه أم الملك ابنة عمرو بن حُجْر أخت الحارث بن عمرو الكِنْدِي - أربع سنين .
ثم استخلف أبو يعفر بن حلقة بن مالك بن عدى بن اللميل بن ثور ابن أسس بن ربي^(٢) بن نَمارة بن لَحْم ، ثلاث سنين .

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البله - وهو ذو القرنين ، قال : وإنما سُمي بذلك لضغيرتين^(٣) كانتا له من شعره ، وأمه ماء السماء ، وهى مارية ابنة عَوْف ابن جُشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضبيحان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَمِير بن قاسط ؛ فكان جميع مملكه تسعا وأربعين سنة .
ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر - وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المَرار - ست عشرة سنة .

قال : ولها في سنين وثمانية أشهر^(٤) من مملك عمرو بن هند ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك في زمن أنوشيروان وham الفيل الذي غزا فيه الأشرم أبو يكسوم البيت .

(١) س : ر : « النَمِير » .

(٢) س : « أَرَبِي » .

(٣) ط : « لضغيرتين كانتا » ؛ وما أثبت من س ، ل .

(٤) س : « ستة أشهر » .

ذكر بقية خبر تبّع أيام قباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إليهما

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: كان تبّع الآخر وهو ثُبَّان أسعد أبو كَرَب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها في بدوئه لم يُسِج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مُجمّع لإخرايها، واستصاع أهلها وقطع نخلها، فجمع له هذا الحى من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلحة، أحد بني النجّار، ثم أحد بني عمرو بن مبلول، فخرجوا لقتاله. وكان تبّع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم من بني عدى بن النجار يقال له أحمر - رجلا من أصحاب تبّع، وجده في عدوّ^(١) له يحدّه، فضربه بسنجه فقتله، وقال: إنما الشرُّ لمن أبرّه، ثم ألقاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تيمان. فزاد ذلك تبّعًا عليهم حنقًا.

فبينما تبّع على ذلك من حربه وحربهم يقاتلهم ويقاثلونه - قال: فترحم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويقرّونه بالليل فيمُجِّبه ذلك منهم، ويقول: واقع إن قومنا هؤلاء لكرام - إذ جاءه حَبْرَان من أحبار يهود من بني قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل، فإنّك إن أبيت إلّا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هي مهاجرة نبي يخرج من هذا الحى من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره فتتأهّى عند ذلك من قولهما عمّا كان يريد بالمدينة، ورأى أن لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتّبعهما على دينهما. وكان اسم الحَبْرَيْن كعبًا وأسدا، وكانا من بني قريظة، وكانا

(١) الملق بالفتح: المنفلة بما عليها من الثمر، وأجد هنا: القطع. (٢) أبره: أصله.

ابن عم، وكان أعلم أهل زمانهما كما ذكر لي ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عمرو، عن أبان بن أبي عيشة، عن أنس بن مالك، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، في حربهم وحرب تبّع، يفتخر بعمر بن طلبة ويذكر فضله وامتناعه :

أَصْحَا أَمْ انْتَهَى ذُكْرُهُ : أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهُ ^(١)
 أَمْ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ وَمَا ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ حُصْرَهُ ^(٢)
 إِنَّمَا حَرْبٌ رِبَاعِيَّةٌ مِثْلَهَا آتَى الْقَتْلَى حَيْرَهُ ^(٣)
 فَسَلَا عِمْرَانٌ أَوْ فَسَلَا أَشَدُّ أَدْخِلْهُ مَعَ الزُّهْرَةِ ^(٤)
 فَيَلْقَى فِيهَا أَبُو كَرْبٍ سَابِقًا أَبْدَانَهَا ذَفِرَهُ ^(٥)
 مِمَّ قَالُوا مَنْ يَوْمُهَا ابْنِي عَوْفٍ أَمْ النَّجْرَةِ ^(٦)
 يَا بَنِي النَّجَّارِ إِنَّا لَنَا فِيهِمْ قَبْلَ الْأَوَانِ تِرَهُ ^(٧)
 فَتَلَقَّيْنَاهُمْ عَشَقَةً مَدَّهَا كَالْقَبِيَةِ النَّيَرَةِ ^(٨)

٩٠٣١٠

- (١) الخبير والشعر في ابن هشام : ٢٥ - على هامش الروض الألف . والذكر : جمع ذكره بمعنى الذكرى ؛ كما تَقَطَّطَ : بكثرة وبكثرة .
 (٢) قال السهيل : « حرب رباعية مثل ؛ أي ليست بصغيرة ولا جلعة ؛ بل هي فوق ذلك » .
 (٣) قوله : « يلقو مع الزهرة » يريد سبحانه يلقى قبل طيب الزهرة .
 (٤) أهدانها ذفرة ؛ بمعنى الدروع ؛ والذفرة ؛ من اللفر ؛ وهو سطوح الرالعة طيبة كانت أو كريمة وأما اللفر ؛ بالفتح المهملة ؛ فإنما هو فنيا كره من الرواح . (السهيل) .
 (٥) النجرة : جمع ناجر ؛ والناجر والنجار بمعنى واحد .
 (٦) رواية ابن هشام :

• فِيهِمْ قَتْلَى وَإِنْ تَرَهُ •

- قال السهيل : « أظهر إن بعد الواو ؛ أراد أن لنا قتل وترة ؛ . والوترة ؛ الوتر » .
 (٧) في ابن هشام :

• فَتَلَقَّيْنَاهُمْ مَسَافَةً •

وقال السهيل في شرحه : « أي كتيبة مسافة » . والديبة : النعمة من المطر . والنثرة : المشتتة بحر
 وهي التي لا تمسك ماء ولا تشقق ؛ العلولة من الإبل .

سَيِّدُ سَامِ الْمُلُوكِ وَمَنْ يَغْزُ عَمْرًا لَا يَجِدُ قَدْرَهُ^(١)
وقال رجل من الأنصار ، يذكر امتناعهم من تبّع :

تَكَلَّفَنِي مِنْ تَكَالَيْفِهَا فَخِيلَ الْأَسَاوِفِ وَالنَّصَةِ
نَخِيلًا حَمَمًا بَنُو مَالِكٍ خِيُولَ أَبِي كَرَبٍ الْمُفْطَمَةِ

قال : وكان تبّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه إلى مكة - وهي طريقه إلى اليمن - حتى إذا كان بالدُّف من جُمُودان بين عُسْفان وأَمَج ، في طريقه بين مكة والمدينة ، أتاه نفر من هذيل ، فقالوا له : أيُّها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر ، قد أخفله الملك قبلك ، فيه الثَّوَر والزَّبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبد أهله ، ويصلون عنده . وإنما يريد الهذليون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أرادَه من الملوك وبقي عنده .

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الخبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم "إلا" هلاكك وهلاك جُنُودك ، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن مَنْ معك جميعاً ، قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق عنده رأسك وتتذلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنكما من ذلك ؟ قالوا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ؛ ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوا حوله ، وبالدِّماء التي يهريقون عنده ، وهم نجس أهل شرك . أو كما قالوا له .

فعرف نصحتهما وصدق حديثهما ، فقرب الثَّوَر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة ، وأرى في المنام أن يكسو البيت ،

(١) رواية ابن هشام :

سَيِّدُ سَامِ الْمُلُوكِ وَمَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدْرَهُ

قال النبهل : قوله : « لا يكن قدر » دعاء عليه ؛ والهاء عالة على عمرو ، أراد لا يكن قدر عليه .

فكساه الخَصَفُ^(١) ثم أَرَى أَن يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكْسَاهُ الْمَعَاْفِرَ^(٢) ،
 ثم أَرَى أَن يَكْسُوهُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكْسَاهُ الْمَلَاءَ وَالْوَصَائِلَ^(٣) ، فَكَانَ تَبِعَ
 — فِيمَا يَزْعُمُونَ — أَوَّلَ مَنْ كَسَاهُ وَأَوْصَى بِهِ وَلَاتِهِ مِنْ جُرْهُمَ ، وَأَمْرَهُمْ بِتَطْهِيرِهِ ،
 وَأَلَّا يَقْرَبُوهُ دِمًا وَلَا مَبِيتَةً وَلَا مِثْلًا^(٤) ، وَجَعَلَ لَهُ بَابًا وَمِفْتَاحًا ،
 ثُمَّ خَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْيَمَنِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ ، وَبِالْخَبْرَيْنِ ، حَتَّى إِذَا
 دَخَلَ الْيَمَنَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ حَتَّى يَحْكُمَهُ إِلَى
 النَّارِ الَّتِي كَانَتْ بِالْيَمَنِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي
 مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال : سمعتُ إبراهيم بن محمد بن طلحة
 ابن عبيد الله يحدث أن تَبِعًا لما دُنا من اليمن ليُدْخِلَهَا ، حَالَتِ حِمْيَرُ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا تَدْخُلْنَهَا عَلَيْنَا وَقَدْ فَارَقْتَ دِينَنَا ، فَدَعَاهُمْ إِلَى دِينِهِ ،
 وَقَالَ : إِنَّهُ دِينٌ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ ، قَالُوا : فَمَا كُنَّا إِلَى النَّارِ ، قَالَ : نَعَمْ — قَالَ :
 وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ نَارٌ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ،
 تَأْكُلُ الظَّالِمَ وَلَا تَضُرُّ الْمَظْلُومَ — فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لَتَبِعَ قَالَ : أَنْصَفْتُمْ ، فَخَرَجَ
 قَوْمُهُ بِأَوَانِهِمْ وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ ، وَخَرَجَ الْخَبْرَانِ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي أَعْنَاقِهِمَا
 مُتَقَلِّبِيهَا حَتَّى قَعَلُوا لِلنَّارِ عِنْدَ مَخْرَجِهَا الَّذِي تَخْرُجُ النَّارُ مِنْهُ ، فَخَرَجَتْ النَّارُ
 إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ حَادُوا عَنْهَا وَهَابُوهَا ، فَلَمَرَهُمْ مَنْ حَضَرَهُمْ مِنْ
 النَّاسِ ، وَأَمَرُوهُمْ بِالصَّبْرِ فَصَبَرُوا ، حَتَّى غَشِيَتْهُمْ وَأَكَلَتْ الْأَوْتَانُ وَمَا قَرَّبُوا
 مَعَهَا ، وَمَنْ حَمَلَ ذَلِكَ مِنْ رِجَالِ حِمْيَرٍ ، وَخَرَجَ الْخَبْرَانِ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي

٩٠٥/١

(١) الخَصَفُ : جَمْعُ خَصْفَةٍ ؛ وَهِيَ شَيْءٌ يَنْسُجُ مِنَ الْخُوصِ وَالْيَفِ .

(٢) الْمَعَاْفِرُ : بِرُودِ يَمَانِيَةٍ مَنْسُوبَةٍ إِلَى مَعَاْفِرِ قَبِيلَةِ بَايِنِ ؛ قَالَ فِي اللِّسَانِ مِنَ الْأَزْهَرِيِّ :

« بِرُودِ مَعَاْفِرٍ » : مَنْسُوبٌ إِلَى مَعَاْفِرِ الْيَمَنِ ؛ ثُمَّ صَارَ اسْمًا لَهَا مِنْ غَيْرِ لِسَانٍ .

(٣) الْوَصَائِلُ : ثِيَابٌ مُوصَلَةٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ ؛ وَاحِدُهَا وَصِيلَةٌ .

(٤) فِي ط : « الْحَائِضُ » ، وَصَوَاهِيهِ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ . قَالَ السَّهِيلُ : وَقَوْلُهُ : « وَلَا يَقْرَبُوهُ »

مَثَلَاتٌ ؛ وَهِيَ الْحَائِضُ ؛ وَلَمْ يَرِدِ الْحَيْضُ ؛ لِأَنَّهُ حَائِضًا لَا يَجْعَلُ عَلَى الْحَائِضِ ؛ وَإِنَّمَا هِيَ جَمْعُ حَيْضَةٍ .

وَهِيَ عِرْقَةُ الْحَيْضِ . قَالَ : « وَيُقَالُ لِلْعِرْقَةِ مَثَلَاتٌ . . . » وَيُرْوَى : « مَثَلَاتٌ » .

أعناقهما تمرق جباههما ، لم تضربهما ، فأصفت حمير عند ذلك على دينه ،
فن هناك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض
أصحابه أن الجبرين ومن خرج معهما من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها ،
وقالوا : من ردّها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ،
فدنت منهم لتأكلتهم ، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الجبران
بعد ذلك ، وجملاً يتلوان التوراة وتنكص ، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت
منه ، فأصفت عند ذلك حمير على دينهما ، وكان رثام بيتاً لم يعظمونه وينحرون
عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شيركهم ، فقال الجبران لتبع : إنما هو
شيطان يفتنهم ويلعب بهم ، فخل بيننا وبينه ، قال : فشانكما به ،
فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلباً أسود ، فلجأه وهدما ذلك
البيت ، فبقاياها اليوم باليمن - كما ذكر لي - وهو رثام به آثار الدماء التي كانت
تُهرق عليه ^(٢) .

فقال تبع في مسيره ذلك وما كانهم به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع
برجال هذيل الذين قالوا له ما قالوا ، وما صنع بالبيت حين قدم مكة من كسوته
وتطهيره ، وما ذكر له الجبران من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مَا بَالُ نَوْمِكَ مِثْلَ نَوْمِ الْأَرَمِدِ أَرَقًا كَأَنَّكَ لَا تَزَالُ تُسَبِّدُ
حَنَقًا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَتْرَبَا أَوْلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ !
وَلَقَدْ نَزَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَتَزِلًا طَابَ الْمَيْتُ بِهِ وَطَابَ الرَّقْدُ
وَجَلَّتْ عَرَصَةُ مَتَزِلِ بَرُؤَةِ بَيْنَ الْعَقِيقِ إِلَى بَقِيعِ الرَّقْدِ
وَلَقَدْ تَرَكْنَا لَابَتَا وَقَرَارَهَا وَسِبَاخَهَا فَرِشَتْ بِقَاعِ أَجْرَدِ
وَلَقَدْ هَبَطْنَا يَتْرَبَا وَصُدُورُنَا تَغْلَى بَلَابِلَهَا بِقَتْلِ مُحْصِدِ

٩٠٧/١

(١) الخبر في ابن هشام ٢٧: ١ ، والبيهان ٢٩٦ . (٢) الخبر في ابن هشام ٢٨: ١ .

(٢) بيت رثام ، زعموا أن شيطاناً كان فيه ، وكانوا يملكون له حياضاً من حماء القربان ،
فيخرج فيصيب منها .

وَلَقَدْ حَلَفْتُ بَيْنَ صَبْرٍ مُؤَلِّيَا
 إِنِ جِئْتُ يَتْرَبَ لَا أَغَادِرُ وَسْطَهَا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ قَرْيَظَةَ عَالِمٍ
 قَالَ ازْدَجِرْ عَنْ قَرْيَةٍ مَحْفُوظَةٍ
 فَصَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرَ مُتْرَبٍ
 وَتَرَكْتُهُمْ لِلَّهِ أَرْجُو عَفْوَهُ
 وَلَقَدْ تَرَكْتُ بِهَالَهُ مِنْ قَوْمِنَا
 نَفَرًا يَكُونُ النَّصْرُ فِي أَغْفَابِهِمْ
 مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ بَيْنَنَا طَاهِرًا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ هُدَيْلٍ أَعْبُدُ
 قَالُوا بِسَكَّةَ بَيْنَ مَالٍ دَائِرٍ
 فَأَرَدْتُ أَمْرًا حَالَ رَبِّي دُونَهُ
 فَرَدَدْتُ مَا أُمِلْتُ فِيهِ وَفِيهِمْ
 قَدْ كَانَ ذُو الْقَرَيْنَيْنِ قَبْلِي مُسْلِمًا
 مَلَكَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ يَنْتَنِي
 فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا
 مِنْ قَبْلِهِ بَلْقَيْسُ كَانَتْ عَمِّي

قَسَمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ بِالْمُتَرَدِّدِ
 عِذْقًا وَلَا بُشْرًا يَبْتَرِبُ يَخْلُدُ
 حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فِي الْيَهُودِ مُسَوَّدُ
 لَنَبِيٍّ مَكَّةَ مِنْ قَرْيَشٍ مُهْتَدٍ
 وَتَرَكْتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ مَرْمَدٍ
 يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
 نَفَرًا أُولَى حَسَبٍ وَأَمْرٍ يُحْمَدُ
 أَرْجُو بِذَاكَ ثَوَابَ رَبِّ مُحَمَّدٍ
 لِلَّهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ يُعْبَدُ
 بِالذُّفِّ مِنْ جُمُودَانِ فَوْقَ الْمُسَدِّ
 وَكُوزُهُ مِنْ لَوْلُؤٍ وَذَبْرُ جَدِّ
 وَاللَّهُ يَذْفَعُ عَنْ خَرَابِ الْمَسْجِدِ
 وَتَرَكْتُهُمْ مَثَلًا لِأَهْلِ الْمَشْهَدِ
 مِلْكَاتٍ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتُحْشَدُ
 أَشْبَابَ عِلْمٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ
 فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَاطٍ حَرَمَدٍ^(١)
 مَلَكَتُهُمْ حَتَّى أَتَاهَا الْهُدْهُدُ^(٢)

٩٠٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا مسلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ،
 قال : هذا الحَيُّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقٌ تَبَعَ على هذا الحَيِّ
 من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وأنه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة ،

(١) الخلب : الطين ، والثأط الحريد : الحمأ الأسود .

(٢) الشعر أوردته ابن هشام في التيجان ١١٢ - ١١٤ ، ولم يورده في السيرة وذكر أنه مصنوع .

فنعوه منهم ، حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعره :
 حَقًّا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَرْبَا أَوْ لِي لَمْ يَغَابِ يَوْمَ مُفِيدِ

٩٠٩/١ حدثنا ابن حمّيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد كان قديم على تَبَعٍ قبل ذلك شافع بن كَلَيْبِ الصَّدَقِ ، وكان كاهنًا ، فأقام عنده ، فلما أراد توديعه قال تَبَعٌ : ما بَقِيَ مِنِّكَ عِلْمُكَ ؟ قال : بقي خبر ناطق ، وعلم صادق ، قال : فهل تجد لِقَوْمِ مُلْكِكَ يوازي ملكي ؟ قال : لا إلا ملك غسان تجل ، قال : فهل تجد ملكًا يزيد عليه ؟ قال : نعم ، قال : ولمن ؟ قال أجده لبار مبرور ، أئد بالقهور ، ووُصِفَ في الزُّبُور ، وَفُضِّلَتْ أُمَّتُهُ فِي السُّفُور ، يَفْرَجُ الظُّلُمَ بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأُمَّتِهِ حين يحيى ، أحد بنى لوى ، ثم أحد بنى قصي . فبعث تَبَعٌ إلى الزُّبُور فنظر فيها ، فإذا هو يمد صفة النبي صَلَّى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن " حدثه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن ، ممن يروى الأحاديث ، فحدث بعضهم بعض الحديث ، وكل ذلك قد اجتمع في هذا الحديث : أن مَلِكًا من لَحْمٍ ، كان باليمن فيما بين التَّيْبَةِ من حمير ، يقال له : ربيعة بن تَمَرٍ ، وقد كان قَبْلَ ملكه باليمن مَلِكٌ تَبَعَ الْأَوَّلَ ، وهو زيد بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الراش بن قيس بن صبيئ ابن سبأ الأصغر بن كهف الظلم بن زيد بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جشم بن وائل بن الفوث بن قطن بن صريب بن زهير بن أيمن بن هَمَيْسَعِ ابن العرَجَجِ حمير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان . وكان اسم سبأ عَبدُ شمس ، وإنما سُمِّيَ سبأ - فيما يزعمون - لأنه كان أول من سبى في العرب .

٩١٠/١

فهذا بيت مملكة حمير الذى فيه كانت التَّيْبَةُ ، ثم كان بعد تَبَعِ الْأَوَّلِ زيد بن عمرو ، وشَمِيرُ يَرْعَشُ بن ياسر يَنْشُمُ بن عمرو ذى الأذعار ، ابن عمته . وشَمِيرُ يَرْعَشُ الذى غزا الصين وبني سَمَرَقَنْدُوحِيزَ الحيرة ، وهو الذى يقول :

أَنْشِيرَ أَبُو كَرْبَ الْيَمَانِي جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ يَمَنٍ وَشَامٍ
لَاقِيْ أَعْدَا مَرَدُوا عَلَيْنَا وَرَأَى الصَّيْنِ فِي عَنَمِهِ وَيَامِ
فَنَحْكُمُ فِي بِلَادِهِمْ بِحُكْمِهِ سَوَاهُ لَا يُجَاوِزُهُ غُلَامُ

القصيدة كلها .

قال : ثم كان بعد شمر يرعش بن ياسر يُسَمِّعُ تَبْنِعَ الأصغر ، وهو تَبْنَانُ
أسعد أبو كرب بن مَلِكِيْكَرْبَ بن زيد بن تَبْنِعَ الأول بن عمرو ذى الأذعار ،
وهو الذى قدم المدينة ، وساق التجيرين من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام
وكساه ، وقال ما قال من الشعر فكل هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر
اللمخمي ، فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن تَبْنَانِ
أسعد أبي كرب بن مَلِكِيْكَرْبَ بن زيد بن عمرو ذى الأذعار .

حدثنا ابن حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثني ابن إسحاق عن
بعض أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤيا هائلة ، ففُطِعَ بها ، فلما رآها
بعث في أهل مملكته ، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عاقلًا ولا منجمًا إلا
جَمَعَهُ إليه ، ثم قال لهم : إني قد رأيت رؤيا هائلة ففُطِعَ بها ، فأخبروني
بتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبرتكم
بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، إنَّه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل
أن أخبره بها . فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمعوا للملك : فإن
كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيطِيعٍ وشقيق ، فإنه ليس أحد أعلم منهما ،
فهما يخبرانك بما سألت واسم سَطِيطِيعٍ ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن
ذئب بن عدى بن مازن بن غسان ، وكان يقال لسطيط : الدائبى ، نسبته إلى
ذئب بن عدى . وشقيق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن
قيس بن عبقر بن أنمار . فلما قالوا له ذلك بعث إليهما ، فقدم عليه قبل شقيق
سطيطيع ، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكُهَّانِ ، فلما قدم عليه سطيطيع دعاها

فقال له : يا سطيج ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبرتني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها ، قال - أفعل ، رأيت جُمُجْمَةً - قال أبو جعفر : وقد وجدته في مواضع آخر ، رأيت حُمَمَةً^(١) - خرجت من ظُلْمَةٍ ، فوقعت بأرض نهمته ، فأكلت منها كل ذات جُمُجْمَةٍ . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيج ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنّش ، ليهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جرّش . قال له الملك : وأبيك يا سطيج ، إن هذا لغاظ مٌوجِع ، فني هو كائن يا سطيج ؟ أفي زمني أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : فهل يلوم ذلك من ملّكم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعون ، ويخرجون منها هاربين . قال الملك : ومن ذا الذي يلب ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذي يزن ، يخرج عليهم من عكدن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال : أفيلوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي ، يأتيه الوحي من العلى . قال : ومن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر ، قال : وهل للدهر يا سطيج من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرنا يا سطيج ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والخلق^(٢) إذا اتسق ، إن ما أنبأك به لحق . فلما فرغ قدّم عليه شقّ ، فدعاه ، فقال له : يا شقّ ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبرتني عنها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها - كما قال لسطيج ، وقد كتمه ما قال سطيج لينظر أيتفقان أم يختلفان - قال : نعم ، رأيت جُمُجْمَةً ، خرجت من ظُلْمَةٍ ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نَسَمَةٍ . فلما رأى ذلك الملك من قولها شيئاً واحداً ، قال له : ما أخطأت يا شقّ منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، ليزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة

(١) هي رواية ابن هشام في السيرة . (٢) ط : « والخلق » .

البنان ، وليس ملكن مابين أبين إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك يا شقيق إن هذا لنا لفاظ موجه ، قتي هو كائن ؟ أفي زمان أم بعده ؟ قال : بل بعدك بزمان ، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شان ، وبذلكهم أشد الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ليس بدني ولا مدني^(١) ، يخرج من بيت ذي يزن ، قال : فهل يدوم سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يحزى فيه الولاة ، يدعى من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه الناس للميعات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال : أحق ما تقول يا شقيق ؟ قال : إني ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما نبأك لحق ما فيه أمض^(٢) . فلما فرغ من مسألتها ، وقع في نفسه أن الذي قال له كائن من أمر الحبشة ، فجهز بنيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فن بقيت ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك في نسب أهل اليمن وعلمهم^(٣) .

٩١٤/١

. . .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما قال سطيح وشقيق لربيعة بن نصر ذلك ، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع ، ذهب ذكر ذلك في العرب ، وتحدثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم ، فلما نزلت الحبشة اليمن ، ووقع الأمر الذي كانوا يتحدثون به من أمر الكاهنين ، قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكري ، في بعض ما يقول ، وهو يذكر ما وقع من أمر ذينك الكاهنين : سطيح وشقيق :

ما نظرت ذات أشعار كنظرتها حقاً كما نطق الذئبي إذ سجعاً^(٤)

(١) الملف : المقصر في الأمر .

(٢) قال ابن هشام : أمض ، يعني شكاً ، هذا بلفظة حمير . وقال أبو عمرو : « أمض ، أي باطل » .

(٣) الخبر في ابن هشام : ١ : ١٨ - ٢٢ .

(٤) ديوانه ١٠٣ .

وكان مستطيع إنمّا يدعو العرب الذئبي، لأنّه من ولد ذئب بن عدى. فلما هلك ربيعة بن نصر، واجتمع ملك اليمن إلى حسان بن ثُبَّان أسعد أبي كرب ابن ملكي كسرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار، كان ممّا هاج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير وانقطاع مدّة سلطانهم - ولكلّ أمر سبب - أن حسان ابن ثُبَّان أسعد أبي كرب، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض العجم، كما كانت التبابعة قبله تفعل؛ حتى إذا كان ببعض أرض العراق، كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلّسوا أخاً له كان معه في جيشه، يقال له عمرو، فقالوا له: اقتل أخاك حسان نملكك علينا مكانه، وترجع بنا إلى بلادنا. فتابعهم على ذلك، فأجمع أخوه ومن معه من حمير وقبائل اليمن على قتل حسان، إلّا ما كان من ذى رُعَيْن الحميرى، فإنه نهاه عن ذلك، وقال له: إنكم أهل بيت مملكتنا، لا تقتل أخاك ولا تشتت أمر أهل بيتك - أو كما قال له - فلما لم يقبل منه قوله - وكان ذورُعَيْن شريفاً من حمير - تمخّذ إلى صحيفة فكتب فيها :

أَلَا مَنْ شَتَرَى سَهْرًا يَتَوَمَّ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَلَمَّا حَمِيرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَعَذْرَةُ الْإِلَهِ لَذَى رُعَيْنٍ

ثم ختم عليها. ثم أتى بها عمرًا، فقال له: ضع لى عندك هذا الكتاب؛ فإنّ لى فيه بغية وحاجة، ففعل. فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحمير وقبائل اليمن من قتله، قال لعمرو:

يَا عَمْرُو لَا تُعْجِلْ عَلَى مَنِيَّتِي فَالْمَلِكُ تَأْخُذُهُ بِفَيْرٍ حُشودٍ

فأتى إلا قتله، فقتله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن. فقال قائل من حمير:

إِنَّ اللَّهَ مَنْ رَأَى مِثْلَ حَسَا نَ قَتِيلًا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ (١)

(١) رواية ابن هشام في السيرة: «لأء عينا» قال السهيلي في شرحه: «وأراد الله وحلف لام الجهر واللام الأخرى مع ألف الوصل؛ وهذا الخلف كثير، ولكنه جاز في هذا الرسم خاصة لكثرة دوراته على الألسنة».

فَقَتَلَهُ الْأَقْيَالُ مِنْ خَشْيَةِ الْجَبْرِ شَوْقًا لَهُ لَبَابٍ لَبَابٍ^(١)
مَيْتَكُمْ خَيْرًا وَحَيُّكُمْ رَبُّ عَلَيْنَا وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِي

فلما نزل عمرو بن تَبَّان أسعد أبي كرب اليمن مُنِعَ منه النوم ، وسلط عليه السهر — فيما يزعمون — فجعل لا ينام ، فلما جتهد ذلك جعل يسأل الأطباء والخُزاة من الكهَّان والعُرافين عما به ، ويقول : منيع مني النوم فلا أقدر عليه ، وقد جهلني السهر ، فقال له قائل منهم : والله ما قتل رجل أخاه قطُّ أو ذا رحمٍ بغياً على مثل ما قتلته عليه أخاك إلا ذهب نومه ، وسلط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك ، جعل يقتل كلَّ مَنْ كان أمره بقتل أخيه حسان من أشرف حمير وقبائل اليمن ، حتى خَلَصَ إلى ذِي رُعَيْن ، فلما أراد قتله قال : إن لي عندك براءة مما تريد أن تصنع بي ، قال له : وما براءتك عندي ؟ قال : أخرج الكتاب الذي كنت استودعته ووضعته عندك ، فأخرج له الكتاب ، فإذا فيه ذاك البَيِّتان من الشعر :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٍ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَلَمَّا حَمِيرٌ غُلُوتٌ وَخَانَتْ فَمَعْزَةُ الْإِلَهِ لَذَى رُعَيْنِ

فلما قرأهما عمرو قال له ذورُعَيْن : قد كنت نهيْتُكَ عن قتل أخيك فمعيستني ، فلما أبيت على وضعتي هذا الكتاب عندك حجة لي عليك ، وعلماً لي عندك ، وتخوفت أن يصيبك إن أنت قتلتني الذي أصابك ، فإن أردت بي ما أراك تصنع بمن كان أمرك بقتل أخيك ، كان هذا الكتاب نجاةً لي عندك ، فتركه عمرو بن تَبَّان أسعد فلم يقتله من بين أشرف حمير ، ورأى أن قد نصحه لو قبل منه نصيحته . وقال عمرو بن تَبَّان أسعد حين قتل من قتل من حمير وأهل اليمن ممن كان أمره بقتل أخيه حسان ، فقال :

شَرِينَا النَّوْمَ إِذْ عُصِبَتْ عَلَابٍ بِتَسْهِيدٍ وَهَقْدٍ غَيْرِ مَيْنِ^(٢)

تَنَادَوْا عِنْدَ غَذَرِهِمْ : لَبَابٍ وَقَدْ بَرَزَتْ مَعَاذِرُ ذِي رُعَيْنِ

فَقَتَلْنَا مَنْ تَوَلَّى الْمَكْرَ مِنْهُمْ بَوَاءَ بَابِنِ رُحْمٍ غَيْرَ دَيْنِ .

(١) قال ابن اسحاق قوله : «لَبَابٌ، لَبَابٌ»، لا بأس بلفظ حمير . (٢) ط : «مَيْنِ» .

قَتَلْنَاهُمْ بِحَسَنَ بْنِ رُفَيْمٍ وَحَسَنٌ قَتِيلُ النَّائِرِينَ
 قَتَلْنَاهُمْ فَلَا بُقْيَا عَلَيْهِمْ وَفَرَّتْ عِنْدَ ذَاكُمْ كُلُّ عَيْنٍ
 عِيُونُ نَوَادِبٍ يَبْكِينَ شَجْوًا حَرَّائِرَ مِنْ نِسَاءِ الْفَيْلَقِينَ
 أَوَائِسَ بِالْعِشَاءِ وَهْنٌ حُورٍ إِذَا طَلَعَتْ فُرُوعُ الشَّعْرَيْنِ
 فَتُغْرِفُ بِالْوَفَادِ إِذَا انْتَمَيْنَا وَمَنْ يَفْدِرُ بُيَانَهُ بَيْنَ
 فَضَلْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا كَفَضَلِ الْإِمْرِئِ عَلَى اللَّجَيْنِ
 مَلَكْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا لَنَا الْأَسْبَابُ بَعْدَ التَّبَعِينَ
 مَلَكْنَا بَعْدَ دَاوُدَ زَمَانًا وَعَبَدْنَا مُلُوكَ الْمَشْرِقَيْنِ
 زَبَرْنَا فِي ظَفَارِ زَبُورَ تَجْدٍ لِيَقْرَأَ قُرُومُ الْقَرِيبَيْنِ
 فَجَنَ الطَّالِبُونَ لِكُلِّ وَتَرٍ إِذَا قَالَ الْقَاوِلُ أَيْنَ أَيْنِ
 سَأَشْفِي مِنْ وَلَايَةِ الْمَكْرِ نَفْسِي وَكَانَ الْمَكْرُ حَيَّيْهُمْ وَحَيِّي
 أَطَعْتَهُمْ فَلَمْ أَرْشُدْ وَكَانُوا غَوَاةً أَهْلَكُوا حَيِّي وَزَيِّي

قال : ثم لم يلبث عمرو بن تَبَّان أسعد أن هلك .

قال هشام بن محمد : عمرو بن تبع هذا يدعى مَوْثَبَان ؛ لأنه وثب على أخيه حَسَنَانَ بِفَرْضَةِ نَعْمٍ فقتله — قال : وفَرَضَةُ نَعْمٌ رَحْبَةٌ طَوْقُ بَنِ مَالِكٍ ، وكانت نَعْمٌ سَرِيَّةٌ تَبِعَ حَسَنَانَ بَنِ أَسْعَدِ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحق . قال : فِيرَجُ أَمْرُ حَمِيرٍ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَتَفَرَّقُوا ، فَوُثِبَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ بِيُوتِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ لَحْمِيَّةٌ يَنْوُفُ ذَوْشَنَاتِرٌ ^(١) ، فَلَمَّكَهُمْ قَتْلُ خِيَارِهِمْ ، وَجَبَتْ بِيُوتُ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ قَاتِلُ مِنْ حَمِيرٍ ، يَذْكُرُ مَا ضَيَّعَتْ ^(٢) حَمِيرٌ مِنْ أَمْرِهَا ، وَفَرَّقَتْ جَمَاعَتَهَا ، وَنَفَتْ مِنْ خِيَارِهَا :

٩١٨/١

تَقْتُلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي مَرَاتَهَا وَتَبِي بِأَيْدِيهِمْ لَهَا أُلْدَلْ حَمِيرُ
تُدْمِرُ دُنْيَاهَا بَطْلَيْشِ حُلُومِهَا وَمَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَعَمُّ أَكْثَرُ
كَذَلِكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بَغْلَمِهَا وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشُّرُورَ فَتَخْصُرُ

وكان تخنيسة ينوف ذو شناتر يصنع ذلك بهم - وكان امرأ فاسقاً يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، ثم كان - مع الذي بلغ منهم من القتل والبغى - إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك ، لثلاث يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكاً ، فجعله في فيه - أى ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلت سبيله ، فيخرج على حرسه وعلى الناس وقد فضحه ؛ حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زُرعة ذو نواس بن تَبَّان أسعد أبي كرب بن مَلِكِيكَسَرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذهار أخو حسان - وزُرعة كان صبيّاً صغيراً حين أصيب أخوه ، فشبّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعقل - فبعث إليه تخنيسة ينوف ذو شناتر ؛ ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبله ، فلما أتاه رسوله عرف الذى يريد به ، فأخذ سيكينةً حديداً لطيفاً ، فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلما خلا به في مشربته تلك أغلقها عليه وعليه ، ثم وثب عليه وواثبه ذو نواس بالسكينة فطعنه به حتى قتله ، ثم احتز رأسه ، فجعله في كوة مشربته تلك التى يطلع منها إلى حرسه وجنده ، ثم أخذ سواكه ذلك ، فجعله في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس ، أرطب أم يَبَّاس (١) ؟ فقال : سل نخماس (٢) استرطبان (٣) ذو نواس ، استرطبان ذو نواس ؛ لا بأس . فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس تخنيسة ينوف ذى شناتر في الكوة مقطوع في فيه سواكه ، قد وضعه ذو نواس فيها . فخرجت حمير والأحراس في أثر ذى نواس حتى أدركوه ،

٩١٩/١

(١) اليباس والبهس : مثل الكبار والكبير . (٢) النخماس في لغة اليمن : الرأس .

(٣) قال السهيل : قوله : «استرطبان» إلى آخر الكلام مشكل ؛ وفي الأغاني : «سعلم الأحراس ،

است ذى نواس ، رطب أم يباس .»

فقالوا له : ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت ؛ إذ أرحمتنا من هذا الخبيث .
فلتكوه واستجمعت عليه حمير وقيائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وثبوت
وثبوت معه حمير ، وتسمى يوسف ، فأقام في ملكه زماناً . وبنجران بقايا
من أهل دين عيسى على الإنجيل ؛ أهل فضل واستقامة ، لم من أهل دينهم
رأس يقال له عبد الله بن الثامر ؛ وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهي
بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان
يعبدونها . ثم إن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون ،
فحملهم عليه فدانوا به ^(١) .

قال هشام : زرعة ذو نواس ؛ فلما تهود سمى يوسف ، وهو الذي خد ^{٩٢٠/١}
الأخود بنجران وقتل النصارى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ،
عن المغيرة بن أبي ليبيد مولى الأخنس ، عن وهب بن منبه البائي ^(١) ، أنه حدثهم
أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم
يقال له فيميون ، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، محاب الدعة ،
وكان سائحاً يتزل القرى ، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف فيها
وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان يتنزه يعمل الطين ، وكان يعظم
الأحد ؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فلاة من الأرض
فصلى بها حتى يُمسي ، وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ؛
إذ فطن لشأنه رجل من أهلها ، يقال له صالح ، فأحبه صالح حباً لم يحبه
شيئاً كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون حتى خرج
مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح ،
وفيميون لا يدرى ، فجلس صالح منه منظر العين ، مستخفياً منه لا يحب
أن يعلم مكانه ، وقام فيميون يصلي ، فيبنا هو يصلي إذ أقبل نحوه التئنين -
الحية ذات الرموس السبعة - فلما رآها فيميون دعا عليها فأتت ، ورآها صالح ،

(١) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٣٠ ، ٢٨ - ٢٩ ، والألفاظ ٢٠ : ٧ - ٩ (سأى) .

ولم يدرك ما أصابها ، فخافها عليه فعيل عَوَّلَهُ^(١) ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ وأمسى ، وانصرف وعرف أنه قد عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فكلّمه ، فقال : يا فيميون ، يعلم الله ما أحببت شيئاً حبك قط ، وقد أردت صُحبتك ٩٢١/١ والكينونة معك حيناً كنت . قال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعيم . فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية أن يغطنوا لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرّاً ، دعا له فشفي ، وإذا دُعِيَ إلى أحد به الضر لم يأت . وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنه لا يأتي أحداً إذا دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارتك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال : ما تريد أن تعمل في بيتك ؟ قال : كذا وكذا . ثم انتشط^(٢) الرجل الثوب عن الصبي ، ثم قال : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ، فقال فيميون حين رأى الصبي : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفيه وعافه ، وامنعه منه ، فقام الصبي ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض الشام مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : أفيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنتظرك وأقول : متى هوجاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم على ، فإنني ميت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى إراه ثم انصرف ومعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدي عليهما فاختلطتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران — وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لم عيد كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها ٩٢٢/١

(١) عيل عوله ، أي غلب على صبره ، وفي ط : « فعيل عليه عولة » ، وما أثبت من ابن هشام .
 وانظر السان . (٢) انتشط الثوب : جلبه ورضه إليه .

كلّ ثوب حسن وجدوه، وحلّى النساء . ثم خرجوا، فعكفوا عليها يوماً - فابتاع رجل من أشrafهم فيميين ، وابتاع رجل آخر صالحاً ، فكان فيميين إذا قام من الليل - في بيت له أسكنه إياه سيّده الذي ابتاعه - يصلّي، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح ؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميين : إنّما أنتم في باطل ؛ وإنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها اللّٰهى أعبد أهلّكها ، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيّده : فافعل ؛ فإنّك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما كنّا عليه ، قال : فقام فيميين ، فتطهّر ثم صلّى ركعتين ، ثم دعا الله عليهما ، فأرسل الله ريحاً فجعفتها^(١) من أصلها فألقنتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم . ثم دخل عليهم . بعد ذلك الأحداث الى دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض . فن هنالك كانت النصرانيّة بنجران في أرض العرب^(٢) .

فهذا حديث وهب بن منبه في خبر أهل نجران .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، مولى لبني هاشم، عن محمد بن كعب القرظي. قال: وحدثني محمد بن إسحاق أيضاً عن بعض أهل نَجْرَان أن أهل نَجْرَان كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها قريباً من نَجْرَان - ونَجْرَان القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نَجْرَان السحر ، فلما أن نزلها فيميين - قال: ولم يسمّوه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبه، قالوا: رجل نزلها - ابني خيمة بين نَجْرَان وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نَجْرَان يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الظمربانة عبد الله بن الثامر، مع غلمان أهل نَجْرَان ، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى

(١) جففتها ، أى قلّمتها وأسقطها .

(٢) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٢٩ : ٣٠ .

أسلم، فوحد الله وعبيده وجعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتبه
 لإتياء وقال : يا بن أخي ، إنك لن تحتمله ، أخشى ضعفك عنه . فلما أتى
 عليه - والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما
 يختلف الغلمان - فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه
 فيه حمّد إلى قيد آح فجمعها ، ثم يَبْقِي الله اسماً يعلمه إلا كتبه في قيد^(١) ، لكل
 اسم قيد^(٢) ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ، ثم جعل يقدفها فيها قيد حاقداً ،
 حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقيدحه ، فوثب القيدح حتى خرج
 منها ، لم يضره شيء ، فقام إليه فأخذه ، ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه^(٣) قد علم
 الاسم الذي كتبه ، فقال له : ما هو ؟ قال : كذا وكذا ، قال : وكيف
 علمته ؟ فأخبره كيف صنع ، قال : فقال : يا بن أخي ، قد أصبته فأمسك
 على نفسك ، وما أظن أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثامر إذا أتى تجرّان
 لم يلق أحداً به ضراً إلا قال له : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو
 الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويسلم ، ويدعو
 له فيشفي ، حتى لم يبق أحدٌ بنجران به ضراً إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا
 له فشفى ، حتى رُفِع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على
 أهل قريني ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك ا قال : لا تقدر على
 ذلك ، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيُطرح عن رأسه فيقع على الأرض ،
 ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بسحور لا يقع فيها شيء إلا
 هلك ، فبِئَلَقَى فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبد الله بن الثامر :
 إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنت به ، فأُنك إن
 فعلت ذلك سلّطت على قتلتي ، فوحد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبد الله
 ابن الثامر ، ثم ضربه بعضاً في يده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك
 مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء
 به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم
 من الأحداث ، فن هنالك كان أصل النصرانية بنجران^(٤) .

(١) القيدح : السهم . (٢) ح ، ل ، هـ ، و .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ ، ٣٢ .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن ذلك. والله أعلم.
قال : فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن ،
فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا
القتل ، فخذلهم الأخدود ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثل بهم كل مثلة ،
حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يقال له دؤس
ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلط الرمل فأعجزهم .

قال : وقد سمعت بعض أهل اليمن يقول : إن الذي أفلت منهم رجل
من أهل نجران يقال له جبّار^(١) بن فيض^(٢) .

قال : وأثبت الحديثين عندي الذي حدثني أنه دؤس ذو ثعلبان .

ثم رجع ذو نواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .

ففي ذي نواس وجنوده تلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن
الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿ قُتِلَ
أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٣) .

يقال : كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم .
ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِلَ قبل ذلك ، قتله ملك كان قبّله ، هو
كان أصل ذلك الدين ، وإنما قُتِلَ ذو نواس من كان بعده من أهل دينه^(٤) .

• • •

وأما هشام بن محمد فإنه قال : لم يزل ملك اليمن متصلاً لا يطعم فيه
طامع ، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم في زمن أنوشيروان . قال : وكان
سبب ظهورهم أن ذا نواس الحميري ملك اليمن في ذلك الزمان ، وكان
يهودياً ، فقدم عليه يهودي ، يقال له دؤس من أهل نجران ، فأخبره
أن أهل نجران قتلوا ابنين له ظلماً ، واستنصره عليهم — وأهل نجران نصارى —
فحسبى ذو نواس لليهودية ، ففزا أهل نجران ، فأكثريهم القتل ، فخرج رجل

(١) ر ٤ : ل : « حيار » ، ح : « حيان » . (٢) ر ٤ : ل : « قبض » .

(٣) سورة البروج ٤ - ٨ . قال ابن هشام : « الأخدود : الحفر المسطحة في الأرض كانتنق

والجداول ونحوه » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ - ٣٥

من أهل نَجْرَان ، حتى قدِم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضه ، فقال له : الرجال عندى كثير ، وليست عندى سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر فى البعثة إلى بسفن أحمل فيها الرجال . فكتب إلى قيصر فى ذلك ، وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنه حدث أن رجلاً من أهل نَجْرَان فى زمن عمر بن الخطاب حضر خربة من خرب نَجْرَان لبعض حاجاته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن^(١) منها قاعداً واضعاً يده على ضربة فى رأسه ممسكاً عليها بيده ، فإذا أخبرت يده عنها انثعبت^(٢) دماً ، وإذا أرسلت يده ردتها عليها ، فأمسك دمه ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » . فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره ، فكتب إليهم عمر : أن أقرؤه على حاله ، وردوا عليه الدفن الذى كان عليه . ففعلوا . ٩٢٧/١

ونخرج قَوْسُ فَوْ ثَعْلَبَان^(٣) ، حين^(٤) أعجز القوم على وجهه ذلك ، حتى قدم^(٥) على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذى نَواَس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود ، ولكننى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك منا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بشارك ممن ظلمك ، واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل . فكتب معه قيصر إلى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره ، ويطلب

(١) الدفن : يتر أو حوض أو منهل سفت الريح فيه التراب حتى دفن .

(٢) انثعبت : تقجرت ، وقُر ، ت : « انثعبت » ، ح ، ل : « انثعبت » .

(٣) فى ابن هشام : « هو رجل من سبأ » .

(٤) ت ، ح : « حتى » .

(٥) كلما ت ، وق ، ط : « تقدم » ، وفى ابن هشام : « أتى » .

ثَارِهِ مَمَّنْ بَنِي عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ دِينِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ كَدُوسُ ذُو ثَعْلَبَانَ بِكِتَابِ قَيْصَرَ
 عَلَى النَّجَاشِيِّ صَاحِبِ الْحَبْشَةِ بَعَثَ مَعَهُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْحَبْشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ
 رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَبْشَةِ ، يُقَالُ لَهُ أَرِيَاطُ ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ : إِنْ أَنْتَ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمُ
 فَاقْتُلْ ثَلَاثَ رِجَالِهِمْ ، وَأَخْزِبْ ثَلَاثَ بِلَادِهِمْ ، وَاسْبِ ثَلَاثَ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ .
 فَمَخْرَجَ أَرِيَاطُ مَعَهُ جُنُودَهُ ، وَفِي جُنُودِهِ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمُ ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ وَمَعَهُ كَدُوسُ
 ذُو ثَعْلَبَانَ ، حَتَّى نَزَلُوا بِسَاحِلِ الْيَمَنِ ، وَجَمَعَ بِهِمْ ذُو نُوَاسٍ فَجَمَعَ إِلَيْهِ حِمِيزُ
 وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قِبَالِ الْيَمَنِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ عَلَى اخْتِلَافٍ وَتَفَرُّقٍ ، لَا تَقْطَاعُ
 الْمُدَّةَ وَحُلُولَ الْبَلَاءِ وَالنَّقْصَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَرْبٌ غَيْرُ أَنَّهُ نَاضَى ذُو نُوَاسٍ شَيْئًا
 مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَدَخَلَهَا أَرِيَاطُ بِجُمُوعِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا رَأَى
 مِمَّا نَزَلَ بِهِ وَبَقِيَّتِهِ وَجَهَّ فَرَسَهُ إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِمُخْلٍ فِيهِ فَمَخَاضَ بِهِ ضَحْفَاحًا ^(١)
 الْبَحْرَ ، حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى غَمْرَةٍ ، فَأَقْبَحَهُ فِيهِ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .
 وَوُطِئَ أَرِيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبْشَةِ ، فَقَتَلَ ثَلَاثَ رِجَالِهَا ، وَأَخْرَبَ ثَلَاثَ بِلَادِهَا ، وَبَعَثَ
 إِلَى النَّجَاشِيِّ بِثَلَاثِ سَبَايَاهَا ثُمَّ أَقَامَ بِهَا ، قَدْ ضَبَطَهَا وَأَذَلَّهَا ، فَقَالَ قَاتِلُ مَنْ
 أَهْلُ الْيَمَنِ ، وَهُوَ يَذْكُرُ مَا سَاقَ إِلَيْهِمْ كَدُوسُ ذُو ثَعْلَبَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَبْشَةِ ، فَقَالَ :

« لَا كَدُوسَ وَلَا كَأَعْلَاقٍ رَحِلَهُ » . يَعْنِي مَا سَاقَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَبْشَةِ ،

فَهِيَ مَقْتَلٌ بِالْيَمَنِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَقَالَ ذُو جَدْنِ الْحَمِيرِيِّ وَهُوَ يَذْكُرُ حِمِيزَ ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مِنَ الدَّلِّ
 بَعْدَ الْعَزِّ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، وَمَا هُدِّمَ مِنْ حَصُونِ الْيَمَنِ ، وَكَانَ أَرِيَاطُ قَدْ أَخْرَبَ
 مَعَ مَا أَخْرَبَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ سِلْعِينَ وَيَمِينُونَ وَغَمْدَانُ ، حَصُونًا لَمْ يَكُنْ فِي
 النَّاسِ مِثْلَهَا ، فَقَالَ :

هَوْنَكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَا . لَا تَهْلِكِ أَسْقَى ذِكْرٍ مَن مَّاتَا

أَبَدَ يَمِينُونَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ . وَبَعْدَ سِلْعِينَ يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتَا

وَقَالَ ذُو جَدْنِ الْحَمِيرِيِّ فِي ذَلِكَ :

دَعِينِي لَا أَبَالِكَ لَنْ تُطِيعِي . حَلَاكِ اللَّهِ قَدْ أَزْفَتْ رِيْقِي ^(٢)

(١) الضحاح من الماء : الذي يظهر منه القمر .

(٢) أزفرت ريق ، أي أكثرت حل من اللؤلؤ ، حتى أبست ريق في لي ، وقلة الريق من

الحصر . قاله السهيلي .

لَدَى حَزَفِ الْعِيَانِ إِذِ انْتَشَيْنَا
وَشَرَبُ الْخَمْرِ لَيْسَ عَلَى عَارًا
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَنْهَاهُ نَامٍ
وَلَا مَتْرَهَبٌ فِي أَسْطَوَانٍ
وَعُذْنَانِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ
بِمَنْعَةٍ وَأَسْفَلِهِ جُرُوبٌ
مَصَابِيحُ السَّلَاطِ تَلُوحُ فِيهِ
وَتَخْلُتُهُ إِلَى غُرَسَتْ إِلَيْهِ
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا
وَأَسْلَمَ ذُو نَوَاسٍ مُسْتَعِيمًا
وَلَمَّا نُسْقَى مِنَ الْخَمْرِ الرَّحِيقِ
إِذَا لَمْ يَشْكُنْ فِيهَا رَفِيقِي
وَلَوْ شَرِبَ الشَّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ^(١)
يُنَاطِحُ جُدْرَهُ بَيْضَ الْأُنُوقِ^(٢)
بَفَوْهُ مُسْمِكًا فِي رَأْسِ رِيقِ^(٣)
وَحُرِّ الْمَوْحِلِ اللَّيْقِ الزَّلِيقِ^(٤)
إِذَا يُنْسَى كَتَمَ مَاضِيَ الْبُرُوقِ
يَكَادُ الْبُسْرُ يَهْضِرُ بِالْمُدُوقِ^(٥)
وغير حُسْنِهِ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْكُ الْمَضِيقِ^(٦)

١٢٩/١

وقال ابن الذبابة^(٧) الثَّقَفَى ، وهو يذكر حمير حين نزل بها السودان وما أصابوا

منهم :

لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَقَى مِنْ مَتَرٍ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكِبَرُ
لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَقَى صَحْرَةٌ لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ لَهُ مِنْ وَرَرٍ^(٨)

(١) الشفاء هنا : ما يطوى به ، تسمية السبب باسم المسبب ، والنشوق : كل دواء يشفى من
الألف لينشق .

(٢) الأنوق : الرخم ، ويقال في المثل إذا أريد ما لا يوجد : وأعز من بيض الأنوق .

(٣) رواية ابن هشام : « مسمكا » ، وهو المرفق . والثيق : أهل الجبل .

(٤) اللهمة : موضع القربان . والجروب : الحجارة السوداء ؛ ورواية ابن هشام « جرون » ،
جميع جرن ، وهو التغير . وحر الموحل : خالص كل شيء . والثيق ، من الثيق ، وهو اختلاط الماء
بالتراب فيكثر منه الزلق . (من شرح السهيل) .

(٥) ط : « يزر » ، وما أتت من ابن هشام ، قال السهيل : أي يحل بها ، والمعلق : جميع
خلق ، بالكسر ، وهي الكباسة . (٦) في ابن هشام : « مستكين » . (٧) في ابن
هشام « عذنان » ، والذبة : واسمه ربيعة بن عبد الويل بن سالم .
(٨) الصحرة : الصح ، أخذ من لفظ الصحراء ، والورر : الملجأ .

أَبَدَ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ أَتَوْا ذَا صَبَاحٍ بِذَاتِ الْعَبَرِ^(١)
 بِالْبِ أَلُوبِ وَحَرَابَةِ^(٢) كَيْثِلِ السَّمَاءِ قُبَيْلَ الْمَطَرِ
 يُعِمْ صِيَابَهُمُ الْمُقَرَّبَاتِ وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالزُّمَرِ^(٣)
 سَعَالَى كَيْثِلِ عَدِيدِ الثَّرَا بِ يَبِيسٍ مِنْهُمْ رَطَابُ الشَّجَرِ^(٤)

• • •

وأما هشام بن محمد ، فإنه زعم أن السفن لما قلمت على النجاشي من عند قيصر حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنذب . قال : فلما سمع بهم ذو نواس كتب إلى المقاويل يدعهم إلى مظاهرتهم ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة يدفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوا وقالوا : يقاتل كل رجل عن مقولاته وناحيته . فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدَّة من الإبل ، وخرج حتى لقي جمعهم ، فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جشتم بها ، فلكم المال والأرض ، واستبقوا الرجال والريّة . فقال عظيمهم : اكتب بملك إلى الملك ، فكتب إلى النجاشي ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نواس حتى إذا دخل بهم صنعاء ، قال لعظيمهم : وجّه ثقات أصحابك في قبض هذه الخزائن . ففرق أصحابه في قبضها ودفع إليهم المفاتيح ، وصبغت كتب ذى نواس إلى كل ناحية : أن اذهبوا كل نور أسود في بلدكم ، فقتلت الحبشة ، فلم يبق منهم إلا الشريد . وبلغ النجاشي ما كان من ذى نواس ، فجهز إليه سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة الأشرم ، فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نواس ألا طاقة له بهم ركب فرسه ، واحترض البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به .

وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخالفها ، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء ،

(١) ذات العبر : ذات الحزن ؛ يقال : عبر الرجل ؛ إذا حزن .

(٢) ط : « ألف ألوب » ، وألب ألوب ، أى يجمع كثير . الحرابة : أصحاب الحراب ،

وافظر السان .

(٣) المقربات من الخيل : المتاق التي لا تروح ؛ ولكن تحبس قرب البيوت للمو .

ابن هشام : « الذفر » ، وهو شدة الريح .

(٤) شهبهم بالسعال من الجفن ؛ جمع سحلة .

فقبل للنجاشي : إنه قد خلع طاعتك ، ورأى أنه قد استغنى بنفسه ، فوجه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حلّ بساحته ، بعث إليه أبرهة أنه يجمعني وإياك البلاد والدين ، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأبينا ظفر بصاحبه كان المُلْك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا . فرضى بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به ، فاتعدا موضعاً يلتقيان فيه ، وأكن أبرهة لإرياط عبداً له ٩٣١/١ يقال له أرنجده ، في وهدة قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق^(١) أبرهة بحمرته ، فزالته الحربة عن رأسه وشمرت أنفه فسمى الأشرم ، ونهر أرنجده من الحفرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله ، فقال أبرهة لأرنجده : احتكمت فقال : لا تلخل امرأة اليمن على زوجها حتى يبدأ بي ، قال : لك ذاك ، فغبر بملك زماناً . ثم إن أهل اليمن عدّوا عليه فقتلوه ، فقال أبرهة : قد أنسى لكم أن تكونوا أحراراً ، وبلغ النجاشي قتل أرياط ، فأبى ألا يكون له ناهية دون أن يهريق دم أبرهة ، ويطأ بلاده ، وبلغ أبرهة أليته ، فكذب إليه : أيها الملك ، إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، قدم عليّ يريد توهين ملكك ، وقتل جنك ، فسألت أن يكف عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولا ، فإن أمرته بالكف عني ، وإلا سلمت إليه جميع ما أنا فيه ، فأبى إلا محاربتني ، فحاربتني فظهرت عليه ، وإنما سلطاني لك ، وقد بلغني أنك حلفت ألا تنتهي حتى تهريق دمي ، وتطأ بلادى . وقد بعثت إليك بقارورة من دمي ، وجراب من تراب أرضي ، وفي ذلك خروجك من يمينك ، فاستم أيها الملك يدك عندي ، فلنما أنا عبدك وعزى عزك . فرضى عنه النجاشي وأقره على عمله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فأقام أرياط باليمن سنين^(٢) في سلطانه ذلك ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ،

(١) زرقه : طعنه بالزراق ، وهي الحربة .

(٢) ح : وسنين .

وكان في جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانهاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لن تصنع بأن تلتق الحبشة ببعض حتى تُفنيها شيئا ، فابرز لي وأبرز لك ، فأيتنا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرياط : أن قد أنصفتني فاخرج . فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحيماً حادراً^(١) ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيمًا طويلًا وسيمًا وفي يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره ولحمها غلام له يقال له عتودة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة — يريد يافوخه^(٢) — فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ، فبذلك سُمي أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، فقال عتودة في قتله أرياط : « أنا عتودة » ، من فرقة أريدته ، لا أب ولا أم نجده ، أي يقول : قتلك عبده ، قال : فقال الأشرم عند ذلك^(٣) لعنودة : حكمك يا عتودة . .^(٤) وإن كنت قتلتني ، ولا ينبغي لنا ذلك إلا ديتي ، فقال عتودة : حكمتي ألا تدخل عروس من أهل اليمن على زوجها منهم حتى أصيبها قبله . فقال : ذلك لك ، ثم أخرج دية أرياط ، وكان كل ما صنع أبرهة بغير علم النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً ، وقال : عدا على أميرى ، فقتله بغير أمرى . ثم حلف ألا يدع أبرهة حتى يظا بلاده ، ويمز ناصيته ، فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جراباً من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، وكتب إليه : أيها الملك ، إنما كان أرياط عبلك ، وأنا عبلك ، فاختلطنا في أمرك ، وكل طاعته لك ، إلا أني كنت أقوى منه على أمر الحبشة ، وأضبط لها

(١) الحادر : الغليظ المجمع ، كلما فيه صاحب اللسان ، وأورد نص ابن إسحاق .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس .

(٣) ح : « بعد ذلك » .

(٤) كلما في ط ، وفي الكلام نقص .

وأسوس لها ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه
يجراب من ثراب أرض اليمن ، ليضعه تحت قدميه فير قسمه .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت على عملك
بأرض اليمن ، حتى يأتى بك أمرى . فلما رأى أبرهة أن النجاشي قد رضى عنه ،
وملكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرة بن ذى يزن ، فتنزع منه امرأته
ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان - وأبو ريحانة ^(١) ذو جدان ،
وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد
أبي مرة مسروق بن أبرهة ، ويسباسة ابنة أبرهة ، وهرب منه أبو مرة فأقام أبرهة
باليمن وغلामه عتودة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حيناً ، ثم عدا
على عتودة رجل من حيمير - أو من خشم - فقتله ، فلما بلغ أبرهة قتله -

وكان رجلاً حليماً سيداً شريفاً ورعاً في دينه من النصرانية - قال : قد أنتى لكم ١٣٤/١
يا أهل اليمن أن يكون فيكم رجل حازم ، يأنف مما يأنف منه الرجال ، وإنى
والله لو علمت حين حكمته أنه يسأل الذى سأل ما حكمته ، ولا أنعمته
عيناً ، وإيم الله لا يؤخذ منكم فيه عَقْلٌ ، ولا يتبعكم منى في قتله شيء تكرهونه .
قال : ثم إن أبرهة بنى القليس ^(٢) بصنعاء ، فبنى كنيسة لم يرمثلها في زمانها
بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إنى قد بنيت لك أياها
الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها
حاج العرب .

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من
النساء ^(٣) أحد بنى فقيم ، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القليس ففقد ^(٤)
فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟
ف قيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة ، لما سمع

(١) ط : « مرة » ؛ والصواب ما أثبت ، وانظر ص ١٤٣ ، والتصويبات .

(٢) القليس : الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حاج العرب ؛ قال السهول : « وميت
هذه الكنيسة القليس ؛ لارتقاع بنائها وطولها » .

(٣) ط : « النساء » ؛ وما أثبت عن ابن هشام ؛ والنساء : هم الذين كانوا يؤفرون شهر
الحرم إلى صفر ، لحاجتهم إلى شن الغارات ، وطلب الغارات .

(٤) قعد فيها ، قال ابن هشام : « يعنى أحدث فيها » .

من قولك : أصرف إليه حاج العرب ، فغضب فجاء فقعده فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب ، قد قد موا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خزاعى بن حزابة الدكاوى ، ثم السكلى ، فى نفر من قومه ، معه أخ له ، يقال له قيس بن خزاعى ، فبينما هم عنده غشيتهم عيد لأبرهة ، فبعث إليهم ٩٣٥/١ فيه بغداته ، وكان يأكل الخصى ، فلما أتى القوم بغداته قالوا : والله لن أكلنا هذا لا تزال تعيننا به العرب ما بقينا ، فقام محمد بن خزاعى ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا يوم عيد لنا ، لا نأكل فيه إلا الجنوب والأيدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليك ما أحببتم ، فلما أكرمتمكم بغدأتى لمتزلتكم منى . ثم إن أبرهة توج محمد بن خزاعى ، وأمره على مضر ، وأمره أن يسير فى الناس يدعوهم إلى حج القلبيين ، كنيسته التى بناها . فسار محمد بن خزاعى ، حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كنانة - وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له - بعثوا إليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصق ، فرماهم بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خزاعى أخوه قيس ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحقاً ، وحلف ليفزون بنى كنانة وليهدم البيت .

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : بنى أبرهة بعد أن رضى عنه النجاشى وأقره على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناء معجيباً لم ير مثله ، بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبق أثرها وذكرها ، وسأله المعونة له على ذلك فأعانه بالصناعات والفستيساء والرخام ، وكتب أبرهة إلى النجاشى حين استتم بناؤها : إني أريد أن أصرف إليها حاج العرب . فلما سمعت بذلك العرب أعظمته ، وكبر عليها ، فخرج رجل من ٩٣٦/١ بنى مالك بن كنانة حتى قدم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدم البيت ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه القليل ، فلقيه ذو نقر الحميرى ، فقاتله فأمره ، فقال : أيها الملك ، إنما أنا عبدك فاستبقنى ، فإن حياتى خير لك من قتلى ، فاستبقاه ، ثم سار فلقيه نقيل

ابن حبيب الخثعمي ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأسره ، فسأله أن يستبقيه ، ففعل وجعله دليلاً في أرض العرب .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحبشان فتهيأت وتجهزت ، وخرج معه بالقبيل - قال : وسمعت العرب بذلك فأعظموه ، وقطعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام - فخرج له رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر وأصحابه ، وأخذ له ذو نفر أسيراً ، فأتى به ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون كوفي معك خيراً لك من قتلني . فتركه من القتل وجسه عنده في وثاق - وكان أبرهة رجلاً حليماً - ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم ، عرض له نقييل ابن حبيب الخثعمي في قبيل خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نقييل أسيراً ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له نقييل : أيها الملك ، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يدائ لك على قبيلتي خثعم ، شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فأعفاه وخلص سبيله ، وخرج به معه يدله على الطريق ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، إننا نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هنا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك من يدلك . فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال ، حتى أنزله المغنم ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت العرب قبره ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغنم .

ولما نزل أبرهة المغنم بعث رجلاً من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود

على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدّها ، فهتّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنّه لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حنّاطة الحميري إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : ٩٣٨/١ إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بسلامتكم ، فإن لم يُردّ حربى فأنتى به .

فلما دخل حنّاطة مكّة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربته ، وما لنا بملك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم - أو كما قال - فإنّ يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دفع عنه - أو كما قال له - فقال له حنّاطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرني أن آتيه بك - فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيّه ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر - وكان له صديقاً - حتى دُلّ عليه ، وهو في محبسه ، فقال له : يا ذا نفر ، هل عندك غنّاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غنّاء رجل أسير يبدى ملك ينتظر أن يقتله غلواً أو عشيّاً ! ما عندى غنّاء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل لي صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال : حسبي .

فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس ، إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب غير مكة يطعم الناس بالسّهل ، والوحوش في رموس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه ، وانقمه عنده بما استطعت . قال : أفعل ، فكلّم أنيس أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب غير مكة يطعم الناس بالسّهل ، والوحوش في رموس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلّمك بحاجته وأحسن إليه . قال : فأذن له

أبرهة - وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً - فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة فيجلسه معه على سرير ملكه ، فترك أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك إلى الملك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني ، أنك لم تحسن في مائتي بعير قد أصبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لخدمه لا تكلمني فيه ! قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع مني ، قال : أنت وذلك ، اردد إليّ إبلتي .

وكان - فيما زعم بعض أهل العلم - قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حنّاطة بمعمرو بن نفاعة بن عديّ بن الدّليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيّد بني كنانة - ونحويلد بن وائلة الهذلي - وهو يومئذ سيّد هذيل - ٩١٠/١ فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تيهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم .

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شتّى الجبال والشتّاب تخوفاً عليهم معرة الجيش ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَانْتَعِ مِنْهُمْ حَيًّا كَا
إِنْ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ انْتَمَهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

ثم قال أيضاً :

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَنْدُ نَحْرُ رَحْلَةٍ فَاثْمَعُ حِلَالِكَ (١)
 لَا يَنْقَلِبْنَ صَالِبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ غَدَوْا مَحَالِكَ (٢)
 فَلَيْنٌ فَعَلَتْ فَرُبَّمَا أَوْلَى فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ (٣)
 وَلَنْ فَعَلَتْ فَإِنَّهُ أَمْرٌ نَتَمُّ بِهِ فِعَالِكَ
 جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْقِيلَ كَتَى يَسْبُوا عِيَالِكَ
 عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهْلًا وَمَا رَقِبُوا جَلَالِكَ

[وقال أيضاً] (٤) :

وَكُنْتُ إِذَا أَتَى بَاغٍ بِسَلْمٍ نَزَجِي أَنْ تُكُونَ لَنَا كَذَلِكَ
 فَوَلَوْا لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خِزْمِي وَكَانَ الْعَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكَ
 وَلَمْ أَسْمَعْ بِأَرْجَسَ مِنْ رِجَالٍ أَرَادُوا الْعِزَّ فَانْتَهَكُوا حَرَامَكَ

٩١١/١

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال ، فحترزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيأ للدخول مكة ، وهياً فيله ، وعبى جيشه - وكان اسم الفيل محموداً - وأبرهة يجمع هدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ؛ فلما وجهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك محمود ، وارجع راشداً من حيث جئت ؛ فلما لك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشدد حتى صعد

(١) الحلال في البيت : القوم الحلول في المكان .

(٢) غلماً ، أى غدا ولم يستعمل تماماً إلا في الشعر ، وانظر اتفاق ١ : ٢٦٠ .

(٣) ولم يذكر ابن هشام سوى هذه الأبيات الثلاثة ؛ وقال : هذا ما صح له منها .

(٤) زيادة يقتضها اختلاف بحر الأبيات التالية عما قبلها .

في الجبل ، وضربوا القيل ليقوم فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين^(١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن^(٢) لهم في مراقيه فبرزوه^(٣) ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن ، فقام يبرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى البحر ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجله مثل الحمص والعذس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هارين يتلثرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

٩٤٢/١

أَيْنَ الْمَفَرِّ وَالْإِلَهَ الطَّالِبِ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ !
وقال نفيل أيضا :

أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَمِينَا كَمْ مَعَ الْإِضْبَاحِ عَيْنَا
أَتَانَا قَائِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءَ فَلَمْ يُقَدِّرْ لِقَائِيكُمْ لَدَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَمْ تَرَيِي لَدَى جَنْبِ الْمُحْتَسِبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا تَعَذَّرْتِنِي وَحَدَّثْتَ رَأْيِي وَلَمْ تَأْمُرِي عَلَى مَا فَلَ تَبَيْنَا^(١)
حَدَّثْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ جِبَارَةً تُثَلِّقِي عَلَيْنَا
فَكَلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَى اللَّحْشَانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب أبوهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة ، كلما سقطت منه

(١) الطبرزين : فأس السرج ؛ فارسي : عرب ؛ قال الجوهري : « لأن فرسان العم كانت

تحمله معها يقاتلون به » . للمعرب ٢٢٨ .

(٢) يبرزوه : أدموه .

(٣) قال السهيلي : نصب « بينا » نصب المصدر المؤكدة لما قبله ؛ إذ كان في معناه ولم يكن

على لفظه ؛ لأن « فات » معناه « فارق » ، و « بان » .

أَمَلَّة اتبعتها منه مِدَّة تَمَّت^(١) قِيحًا ودمًا حتى قَدِمُوا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطير ، فَمَاتَ حتى انصدع صدره عن قلبه - فيما يزعمون^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عجر ، قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ، عن أبيه . قال : وحدثنا محمد بن عبد الرحمن بن السلمي ، عن أبيه . قال : وحدثنا عبد الله ابن عمرو بن زهير البكعي ، عن أبي مالك الحميري عن عطاء بن يسار . ٩٤٣/١
قال : وحدثنا محمد بن أبي سعيد الشقي عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن عمه أبي رزين العقيلي . قال : وحدثنا سعيد بن مُسْلَم ، عن عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : كان النجاشي قد وجّه أرياط أبا صحم^(٣) في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأدأحها^(٤) ، وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابوه ، فقتل أرياط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى البيت الحرام ، فسأل : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال : ممّ هو ؟ قالوا : من حجارة ، قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتيها من الوصائل ، قال : والمسيح لأبنيين لكم خيراً منه ! فبني لهم بيتاً ، عمّله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلّاه بالذهب والفضة ، وحفّه بالجواهر ، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجواهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجاباً ، وكان يوقد بالمنشدك ، ويلطّخ جدّره بالمسك ، فيسوّده حتى يغيب الجواهر . وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبّدون ويتألّهون ، ونسكوا له ، وكان نُفيل الخثعمي يؤرّض^(٥) له ما يكره ، فلما كان ليلة من

(١) قال السهيلي : تمّت ، بالضم والكسر ؛ فعل رواية اللغز يكون الفعل متعدياً ، ونصب « قِيحاً » على المفعول ، وعمل رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب « قِيحاً » على التمييز .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ - ٤٦ . (٣) ر : « صحم » .

(٤) أدأحها : أذلّها . (٥) أرض الله : سواه وزيّته .

اليالى لم ير أحداً يتحرك، فقام فجاء بمذبة فطبخ بها قبلته، وجمع جيعاً
 فألقاها فيه . فأخبر أبرهة بذلك، فغضب غضباً شديداً ، وقال : إنما فعلت
 هذا العرب غضباً لبيتهم ، لأنقضته حجراً حجراً . وكتب إلى النجاشي يخبره
 بذلك، ويسأله أن يبعث إليه بغيلة ومحمود— وكان فيلا لم ير مثله في الأرض
 عظيمًا وجسمًا وقوة — فبعث به إليه ، فلما قدم عليه الغيل سار أبرهة بالناس
 ومعه ملك حيمير ، ونُفَيْل بن حبيب الخثعمي ، فلما دنا من الحرم أمر
 أصحابه بالغارة على نعم الناس فأصابوا إبلًا لعبد المطلب ، وكان نُفَيْل
 صديقًا لعبد المطلب، فكلّمه في إبله، فكلّم نُفَيْل أبرهة، فقال : أيّها الملك ،
 قد أتاك سيّد العرب وأفضلهم قدراً ، وأقدمهم شرفاً ، يحصل على الجياد ،
 ويعطى الأموال، ويعطى ما هبت الريح . فأدخله على أبرهة، فقال : حاجتك؟
 قال : تردّ على إيلي ، فقال : ما أرى ما يلتقي عنك إلا الفرور ، وقد ظننت
 أنّك تكلّمني في بيتكم الذي هو شرفكم ، فقال عبد المطلب : ارددّ على إيلي ،
 ودونك البيت ، فإن له رباً سيمنعه . فأمر بردّ إبله عليه ، فلما قبضها قلّدها
 النّعال ، وأشعرها ، وجعلها هدياً ، وبثها في الحرم لكي يصاب منها شيء .
 فيغضب ربّ الحرم ، وأوفى عبد المطلب على حيراء ومعه عمرو بن عاذل بن
 عمران بن غزوم ومطعم بن عدي وأبو مسعود الثقفي ، فقال عبد المطلب :

لَاَهُمْ إِنْ الرِّءُيَا نَعُ رَحَلَهُ فَاَنْتَعُ حِلَالِكَ
 لَا يَنْلِينُ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوْا مِحَالِكَ
 إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَقَدْ لَمَتْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

قال : فأقبلت الطير من البحر أبابيل ، مع كل طير [منها] ^(١) ثلاثة أحجار :
 حجران في رجله وحجر في منقاره ، فقلّفت الحجارة عليهم ، لا تصيب شيئاً
 إلا هشمته ، ولا نفط ذلك الموضع ، فكان ذلك أول ما كان الجندري والحصبه
 والأشجار المروّة ، فأهملتهم الحجارة ، وبعث الله سيلاً آتياً ، فذهب بهم
 فألقاهم في البحر .

قال: وولّى أبرهة ومنّ بقيّ معه هُرَابًا، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً. وأما وعمود، فيل النجاشي فربّض ولم يشجع على الحرم فنجأ، وأما الفيل الآخر فشجع فحُصِب. ويقال: كانت ثلاثة عشر فيلاً، ونزل عبد المطلب من حراء، فأقبل رجلان من الحبشة فقبلاً رأسه وقالا: أنت كنت أعلم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أنه حدث أن أول ما رُبِّيت الحبشة والجدري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُئِيَ بها مُرَارُ الشجر: الخُرْمَل والخَنْظَل والمُسَّر، ذلك العام.

• • •

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنه في الحبشة يكسوم بن أبرهة — وبه كان يكنى — فدلّت حمير وقبائل اليمن ووطنتهم الحبشة؛ فنكحوا نساءهم، وقتلوا رجالهم، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب. قال: ولما ردّ الله الحبشة عن مكة، فأصابهم ما أصابهم من النّقمة، عظمت العرب قريشاً، وقالوا: أهل الله، قاتل الله عنهم، فكفّاهم مؤونة عدوهم.

قال: ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة، فلما طال البلاء على أهل اليمن — وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقاً، وأخرجوا الحبشة من اليمن ١٩٦/١ ثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة ملوك: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة — خرج سيف بن ذى يزن الحميري، وكان يكنى بأبي مُرّة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا ما هم فيه، وطلب إليه أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشكِهِ ولم يجد عنده شيئاً مما يريد، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر — وهو حامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق — فشكا إليه ما هم فيه من البلاء والذلّ، فقال له النعمان: إنّ لي على كسرى وفادة كلّ عام، فأقيم عندي حتى يكون ذلك، فأخرج بك معي. قال: فأقام عنده حتى خرج النعمان إلى كسرى، فخرج معه إلى

كيسرى ، فلما قديم التعمان على كسرى وفرغ من حاجته ، ذكر له سيف بن ذى يزن وما قدم له ، وسأل أن يأذن له عليه ، ففعل . وكان كسرى إنما يجلس في إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تلجه مثل التسنقل^(١) العظيم ، مضروباً فيه الباقوت والبرجد والمؤلؤ والذهب والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاق مجلسه ذلك ، كانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشف الثياب عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك ، ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأخرية ، فقال كسرى : أى الأخرية ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، فجئت لك لتنتصرنى عليهم ، وتخرجهم عنى ، ويكون ملكك بلادى لك ، فأنت أحب إلينا منهم . قال : بعدت أرضك من أرضنا ، وهى أرض قليلة الخير ، إنما بها الشاء والبعر ، وذلك مما لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب . لا حاجة لى بذلك ! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك سيف بن ذى يزن ، خرج فجعل يثر الورق للناس يُنهبها الصبيان والبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أن دخل على كسرى ، فقيل له : العربى الذى أعطيت ما أعطيت يثر دراهمه للناس يُنهبها العبيد والصبيان والإماء . فقال كسرى : إن لهذا الرجل لشأناً ، اتنى به ، فلما دخل عليه قال : عمدت إلى حياء الملك الذى حباك به تنره للناس ! قال : وما أصنع بالذى أعطانى الملك ! ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة — يرغبه فيها لما رأى من زهادته فيها — إنما جئت الملك ليمنعنى من الظلم ، ويدفع عنى الدل ، فقال له كسرى : أقم عندى حتى أنظر فى أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مرازبته وأهل الرأى ممن كان يستشير فى أمره ، فقال : ما ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل منهم : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن هلكوا كان الذى أردت بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان ملكاً ازددته إلى ملكك . فقال : إن هذا الرأى ! أحصوا لى كم فى سجونى من الرجال ، فحسبوا له ،

(١) التسنقل : ميكال يسع ثلاثين منا ، والمنا : وزان رطلين .

فوجدوا في سجنه ثمانمائة رجل ، فقال : انظروا إلى أفضل رجل منهم حسبًا وبيتًا ، اجعلوه عليهم . فوجدوا أفضلهم حسبًا وبيتًا وهريز . وكان ذا منـ فبعثه مع سيف ، وأمره على أصحابه ، ثم حملهم في ثمانين سفائن ، في كل سفينة مائة رجل ، وما يصلحهم في البحر .

فخرجوا حتى إذا لججوا في البحر ، غرقت من السفن سفيتان بما فيهما ، فخلص إلى ساحل اليمن من أرض عدن ست سفائن ، فبهن سبائة رجل ، فيهم وهريز ، وسيف بن ذى يزن ، فلما اطمانا بأرض اليمن ، قال وهريز لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من رجل عربي ، وفرس عربي ، ثم اجعل رجل مع رجلك ، حتى نموت جميعًا أو نظهر جميعًا . قال وهريز : أنصفت وأحسن ! فجمع إليه سيف من استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة ، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناس بعضهم إلى بعض بعث وهريز ابنًا له كان معه — يقال له توراذ — على جريدة خيـل ، فقال له : ناوشهم القتال ، حتى ننظر كيف قتالهم . فخرج إليهم فناوشهم شيئًا من قتال ، ثم تورط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهريز حنقًا عليهم ، وجيدًا على قتالهم .

١٤١/١ فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهريز : أروني ملكهم ، فقالوا : نرى زجلًا على القيل عاقدًا تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال : نعم ، قالوا : ذاك ^(١) ملكهم ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس ، فقال : اتركوه ، فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة ، قال : ابنة الحمار ! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أثنى سأريه ، فإن رأيتم أصحابه وقوفًا لم يتحركوا فائتوا حتى أؤذنكم ، فإني قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استنداروا ولالوا به ، فقد أصعب الرجل ، فاحملوا عليهم .

ثم أوتر قومه — وكانت فيما زعموا لا يوترها غيره من شدتها — ثم أمر بحاجبيه

فُعَصِّبَا لَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ فِي قَوْمِهِ نَشَابَةَ فُغْطَ (١) فِيهَا حَتَّى إِذَا مَلَأَهَا أَرْسَلَهَا فَصَلَّتْ بِهَا الْيَاقُوْتَةُ الَّتِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَتَغْلَغَلَتْ النِّشَابَةُ فِي رَأْسِهِ ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ قِفَاهُ ، وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ ، وَاسْتَدَارَتْ الْحَبْشَةُ ، وَلَاثَتْ بِهِ ، وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْفُرْسُ ، وَانْهَزَمَتِ الْحَبْشَةُ ، فَقَتَلُوا وَهَرَبَ شَرِيْدُهُمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، فَأَقْبَلَ وَهَرِزُ يَرْيِدُ صَنْعَاءَ يَدْخُلُهَا ، حَتَّى إِذَا أَتَى بِأَبَايَا قَالَ : لَا تَدْخُلْ رَايَتِي مِنْكَسَّةً أَبَدًا ، أَهْلِمُوا الْبَابَ . فَهَدَمَ بَابَ صَنْعَاءَ ، ثُمَّ دَخَلَهَا نَاصِبًا رَايَتَهُ يُسَارِبُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ .

فلما ملك اليمَن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى : إني قد ضبظت لك اليمَن ، وأخرجت مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْحَبْشَةِ ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِأَمْرِهِ أَنْ يَمْلِكَ سَيْفُ بَنِ ذِي يَزْنَ عَلَى الْيَمَنِ وَأَرْضَهَا ، وَفَرَضَ كَسْرَى عَلَى سَيْفِ بَنِ ذِي يَزْنَ جِزْيَةً وَخَرَجًا يُؤَدِّبُهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مَعْلُومٌ ، يُبْعَثُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ . وَكَتَبَ إِلَى وَهْرِزَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَيْهِ . فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ وَهْرُزُ ، وَمَلِكُ سَيْفِ بَنِ ذِي يَزْنَ عَلَى الْيَمَنِ ، وَكَانَ أَبُوهُ ذُو يَزْنَ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ . ٩٠٠/١

فهذا ما حدثنا به ابن حميد ، عن سلمة عن ابن إسحاق ، من أمر حُمَيْرِ وَالْحَبْشَةِ ، وَمُلْكِهِمْ وَتَوْجِيهِ كَسْرَى مِنْ وَجْهِ لِحَرْبِ الْحَبْشَةِ بِالْيَمَنِ (٢) .

• • •

وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا قَالَ : مَلِكٌ بَعْدَ أَبْرَهَةَ يَكْسُومُ ، ثُمَّ مَسْرُوقٌ . قَالَ : وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ وَهْرِزُ فِي مُلْكِ كَسْرَى بَنِ قُبَاذَ ، وَنَفَى الْحَبْشَةَ عَنْ الْيَمَنِ . قَالَ : وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنْ أَبَا مَرْثَةَ الْفَيَّاضِ ذَا يَزْنَ ، كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ رِيحَانَةُ ابْنَةِ ذِي جَنْدَنَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا سَمَّاهُ مَعْمَدٌ يَكْرُبُ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ ، فَانْتَرَعَهَا الْأَشْرَمُ مِنْ أَبِي مَرْثَةَ ، فَاسْتَنَكَحَهَا ، فَخَرَجَ أَبُو مَرْثَةَ مِنَ الْيَمَنِ ، فَلَحِقَ بِبَعْضِ مُلُوكِ بَنِي الْمَنْدَلِ — أَظْنَاهُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ — فَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى كَسْرَى كِتَابًا ، يَعْلَمُهُ فِيهِ قَدْرَهُ وَشَرَفَهُ وَنَزْوَعَهُ إِلَيْهِ فِيمَا نَزَعَ إِلَيْهِ فِيهِ . فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ ، فَإِنِّي لَأُكْتُبُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَفَادَةً ، وَهَذَا وَقْتُهَا ، فَأَقَامَ قَبْلَهُ حَتَّى وَفَدَ عَلَيْهِ مَعَهُ ، فَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ عَلَى كَسْرَى ،

(١) مخط الرجل القوس مغطاً ؛ إِذَا مَدَّهَا بِالْوَقْرِ . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٥٠ - ٥٢

فلما ذكر له شرف ذى يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه ، فألفقه وأحسن مسأله ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ؟ قال : أيها الملك ، إن السُّودان قد غلبونا^(١) على بلادنا ، وركبوا منّا أموراً شنيعة^(٢) ، أجل الملك ٩٥١/١
عن ذكرها ، فلو أن الملك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقاً بذلك لفضله وكرمه وتقدمه لسائر الملوك . فكيف وقد نزعنا إليه ، مؤتملين له ، راجين أن يقصم الله عدونا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم ! فإن رأى الملك أن يصدق ظنتنا ، ويحقق رجاءنا ، ويوجه معي جيشاً يفتون هذا العدو عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه — فلاها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما على الملك من بلاد العرب — فعل .

قال : قد علمت أن بلادكم كما وصفت ، فأى السودان غلبوا عليها ؟ الحبيشة أم السند ؟ قال : بل الحبيشة ، قال أنوشير وان : إننى لأحب أن أصدق ظنك ، وأن تنصرف بحاجتك ، ولكن المسلك للجيش إلى بلادك صعب ، وأكره أن أغرره بمجندى ، ولى فيما سألت نظّر ، وأنت على ما تحب .
وأمر بإنزاله وإكرامه ، فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك . وقد كان أبو مرة قال قصيدة بالخميرية يمدح فيها كسرى ، فلما ترجمت له ، أحجب بها .

وولدت ريحانة ابنة ذى جند لابنة الأشرم غلاماً ، فسماه مسروقاً ، ونشأ معديكرب بن ذى يزن مع أمه ريحانة في حجير أبرهة فسبّه ابن لأبرهة ، فقال له : لعنك الله ، ولعن أباك ! وكان معد يكرب لا يحسب إلا أن الأشرم أبوه ، فأقى أمه فقال لها : من أبى ؟ قالت : الأشرم ، قال : لا والله ، ما هو أبى ، ولو كان أبى ما سبى فلان ، فأخبرته أن أباه أبو مرة القياض ، واقتصت عليه خبره ، فوقع ذلك في نفس الغلام ، وليث بعد ذلك لبثاً . ٩٥٢/١

ثم إن الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذى يزن قاصداً إلى ملك الروم ، وتجنب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجدته يحامى عن الحبشة لموافقتهم إياه على الدين ، فانكفاً راجعاً إلى كسرى ، فاعترضه يوماً وقد ركب ، فصاح به : أيتها الملك ، إن لي عندك ميراثاً . فدعا به كسرى لما نزل ، وقال : من أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليماني ذى يزن ، الذى وعدته أن تنصره ، فأتى بيابك وحضرتك ، فتلک العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . ففرق له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتبهها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : إني لم آت لك للمال ، إنما جئت لك للرجال ، ولتمنعي من ذلك . فأعجب ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقم حتى أنظر في أمرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له المؤيدان : إن لهذا الغلام حقاً بتروعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عِدته إياه ، وفي سجون الملك رجال نوونجلة وبأس ، فلو أن الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرأى ، وأمر بمن كان في السجون من هذا الضرب ، فأحصبوا فبلغوا ثمانمائة نفر ، فقاد عليهم قائداً من أساورته ، يقال له وهريز ، كان كسرى يعد له بألف أسوار^(١) ، وقوامهم وجهزهم وأمر بحملهم في ثمانى سفائن ، في كل سفينة مائة رجل ، فركبوا البحر ، ففرقت من الثمانى السفن سفينتان ، وصليت ست ، فخرجوا بساحل حضرموت ، وصار إليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحيمير والأعراب ، ولحق بابن ذى يزن بَشْر كثير ، ونزل وهريز على سيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلمّا نظر مسروق إلى قلتهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهريز : ما جاء بك ، وليس معك إلا من

(١) ح : ه وكان .

(٢) الأسوار بالضم والكسر : القائد في الفرس .

أرى ، ومعى مَنْ تَرى ! لقد غررت بنفسك وأصحابك ، فإن أحبيت أذنت لك ، فرجعت إلى بلادك ولم أهجك ، ولم ينك ولا أحداً من أصحابك متى ولا من أحد من أصحابي مكروه ، وإن أحبت فاجزتك الساعة ، وإن أحبيت أجلتك حتى تنظر في أمرك ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهزأ أمرهم . ورأى أنه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق : بل تضرب بيني وبينك أجلاً ، وتعطيني موثقاً وعهداً ، وتأخذ مثله متى ، ألا يقاتل بعضنا بعضاً حتى ينقضى الأجل ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كل واحد منهما في عسكره ، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج ^(١) ابن وهزأ يسير على فرس له ، حتى دنا من عسكرهم ، وحمله فرسه ، فتوسط به عسكرهم ، فقتلوه - وهزأ لا يشعر به - فلما بلغه قتل ابنه أرسل إلى مسروق : قد كان بيني وبينكم ما قد علمتم ، فليكن قتلهم ابني ؟ فأرسل إليه مسروق : إن ابنتك حملت علينا ، وتوسط عسكرنا ، فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، فقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهاً . قال وهزأ للرسول : قل له : إنه لم يكن ابني ، إنما كان ابن زانية ، ولو كان ابني لصبر ولم يغدر حتى ينقضى الأجل الذي بيننا . ثم أمر فرمى به في الصعيد حيث ينظر إلى جثمانه ، وحلف ألا يشرب خمرأ ، ولا يدهن رأسه حتى ينقضى الأجل بينه وبينهم .

فلما انقضى الأجل إلا يوماً واحداً ، أمر بالسفن التي كانوا فيها فأحرقت بالنار ، وأمر بما كان معهم من فضل كسوة فأحرق ، ولم يدع منه إلا ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكل زاد معهم . فقال لأصحابه : كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهوا أمر بفضله فالتى في البحر ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : أما ما حرقت من سفنكم ، فلاني أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرقت من ثيابكم ، فإنه كان يفيظني إن ظفرت بكم الحبش أن يصير

ذلك إليهم ، وأما ما ألقيت من زادكم في البحر ، فلأنتى كرهت أن يطعم أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً ، فإن كنتم قوماً تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك . وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سفي هذا حتى يخرج من ظهري ؛ فلأني لم أكن لأمكنهم من نفسي أبداً . فانظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسى ! فقالوا : لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نلفظ.

فلما كان صبح اليوم الذى انقضى فيه الأجل عتبت أصحابه ، وجعل البحر خلفه ، وأقبل عليهم يحضتهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خلتين ، ٩٥٥/١
إمّا ظفروا بعدوهم ، وإمّا ماتوا كراماً ، وأمرهم أن تكون قسيهم موترة ، وقال : إذا أمرتكم أن ترموا فارموم رشقاً بالبسجكان - ولم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك - وأقبل^(١) مسروق في جَمْع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج ، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يرى أن دون الظفر شيئاً . وكان وهّز قد كلّ بصره فقال : أرونى عظيمهم ، فقالوا : هو صاحب الفيل ؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرساً ، فقالوا : قد ركب فرساً ، فقال : ارفعوا لى حاجبى ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكبّر ، فرفعوهما بعصاة ، ثم أخرج نُسابة ، فوضعها في كبد قوسه ، وقال : أشيروا لى إلى مسروق ، فاشاروا له إليه حتى أثبتته^(٢) ، ثم قال لهم : ارموا ، فرموا ، ونزع في قوسه حتى إذا ملأها^(٣) سرح النشابة ، فأقبلت كأنها ريشاء ، حتى صكت جبهة مسروق ، فسقط عن دابّته ، وقتل في ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة ، وانفض صفّهم لما رأوا صاحبهم صريعاً ، فلم يكن دون المزيمة شيء ، وأمر وهّز بجثة ابنه من ساعته فووريت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقيت مكاتها ، وغنم من عسكرهم ما لا يحصى ولا يُعدّ كثرة ، وجعل الأسوار يأخذ من الحبشة ومن حيمير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتفين ، لا يتمتعون منه .

(٢) أثبتة : عرفه حق المعرفة .

(١) ح : « فأقبل » .

(٢) ح : « ملأها » .

فقال وهزِرْ : أما حمير والأعراب فكفوا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا
تُبَقُوا منهم أحداً . فقتلت الحبشة يومئذ حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب
رجل من الأعراب على جمل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا في
الحقبة نشابة ، فقال : لأملك الويل ! أبعد أم طول مسير - حسب أن ٩٥٦/١
النشابة لحقته . وأقبل وهزِرْ حتى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرق
عماله في المخاليف .

وفي ابن ذى يزن وما كان منه ومن وهزِرْ والفرس ، يقول أبو الصلت
أبو أمية بن أبي الصلت التميمي :

لِيَطْلُبِ الْوَيْلُ أَشْثَالَ ابْنِ ذِي يَزْنَ رَيْمٌ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوالاً^(١)
أَيُّ هِرْقَلٍ وَقَدْ شَالَتْ لِعَمَانِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي قَالَ^(٢)
ثُمَّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ سَابِعِ مِنْ السَّنِينَ لَقَدْ أَبْعَدْتَ لِيغْلَا
حَتَّى أَتَى بَنِي الْأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ لَمَعْرِى لَقَدْ أَطَوَّلْتَ قَلْبَا^(٣)
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهْنَشَاوِ الْمُلُوكِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهَزِرَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالَا
لَهُ دَرُهُمْ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا مَا إِنْ تَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
غُرّاً جَعَّاجَةً ، يَبِضُّ مَرَاذِبُهُ ، أَسْدٌ تَرُبُّبٌ فِي الْفَيْصَاتِ أَشْبَالَا
يَرْمُونَ عَنْ شَدَفٍ كَانَتْهَا غُبُطٌ فِي زَمْعَرٍ يُنْجِلُ الْمَرِيَّ إِصْبَالَا^(٤) ٩٥٧/١
أُرْسَلَتْ أَسْدًا عَلَى سَوْدِ الْكِلَابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فُلَالَا
فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُتَكِنًا فِي رَأْسِ غُمْدَانٍ دَارًا مِنْكَ مَحَالَلَا

(١) القصيدة في ابن هشام ١ : ١٥٢ ، وقال : « وتروى لأمية بن أبي الصلت » . دمج في البحر :
أقام فيه .

(٢) شالت لعمانهم ، أي هلكوا ، والنشابة في الأصل : باطن القدم .

(٣) بنو الأحرار : الفرس ، والقلقال : شدة الحركة .

(٤) يراد بالشدف هنا القسي . والغبط : الموادج . والزيمخر : القصب الفارسي .

وَأُظِّلَ بِالْمِسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأَسْبَلَ الْيَوْمَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالًا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنٍ شَيْبًا بِمَاءِ قَعَادَا بَعْدُ أَبُو الْإِلَا^(١)

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فلما انصرف وهريز إلى كسرى،
وملك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقر النساء عما في بطونها،
حتى إذا أفناها إلا بقايا ذليلة قليلة، فاتخذهم خوفاً، واتخذ منهم جمّازين
يسعون بين يديه بحراهم، فكث بذلك حينئذ كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة
تسعى بين يديه بحراهم، حتى إذا كان في وسط منهم وجنوه بالحراهم حتى قتلوه،
ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى
بعث إليهم وهريز في أربعة آلاف من الفرس، وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا
ولد عربيّة من أسود إلا قتله، صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلاً جعداً
قططاً^(٢) قد شرك فيه السودان إلا قتله.

٩٥٨/١ فأقبل وهريز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك، ولم يترك بها حبشياً إلا
قتله، ثم كتب إلى كسرى بذلك، فأمره كسرى عليها. فكان عليها، وكان
يتجسسها إلى كسرى حتى هلك، وأمر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهريز،
فكان عليها حتى هلك، فأمر كسرى بعده البينجان بن المرزبان بن وهريز حتى
هلك، ثم أمر كسرى بعده خسرته بن البينجان بن المرزبان بن وهريز،
فكان عليها.

ثم إن كسرى غضب عليه، فحلف ليأتينه به أهل اليمن يحملونه على
أعناقهم ففعلوا، فلما قُدم على كسرى تلقاه رجل من عظماء فارس، فألقى
عليه سيفاً لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتل ونزعه، وبعث بأذان
إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم.
وكان - فيما ذكر - بين كسرى أنوشير وان وبين يخطيانوس ملك

(١) قال ابن هشام بعد أن أورد الأبيات: هنا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا
آخرها بيتاً، قوله: «تلك المكارم لا قعبان من لبن». (٢) الجعد: التقصير الشعر، وكلك القطط.

الروم ، مودعة وهذنة ، فوق بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لخم ، كان ملكه كسرى على ما بين نمران والبَحْرَيْن واليَسَامَة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ؛ يقال له المنذر بن النعمان - فائزاً^(١) ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى يخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة ٩٥٩/١ والصلح ، ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالد أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ، ويدفع إليه دية من قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألا يستخف بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .

وواتر الكتب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر ، فلم يحفل بها ، فاستعد كسرى ، ففزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرها ، ومدينة منبج ، ومدينة قنسرين ، ومدينة حلب ، ومدينة أنطاكية - وكانت أفضل مدينة بالشام - ومدينة فامية ، ومدينة حمص ، ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن ، عتوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسبى أهل مدينة أنطاكية ، ونقلهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طيسبون على بناء مدينة أنطاكية على ما قد ذكرت قبل - وأسكنهم إياها ، وهي التي تسمى الرومية ، وكور^(٢) لها كورة ، وجعل لها خمسة طاسيج : طسوج نهر وان الأعلى ، وطسوج نهر وان الأوسط ، وطسوج نهر وان الأسفل ، وطسوج بادرايا ، وطسوج باكسايا ، وأجرى على السبى الذين نقلهم من أنطاكية إلى الرومية الأرزاق . ولتى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاه الرياسة على أصحاب

٩٦٠/١

صناعاته^(١) ، يقال له : بَرَّاز ، رِقَّة منه لذلك السَّيِّ ، إرادة أن يستانسوا ببراز
لحال ملته ، ويسكنوا إليه . وأمَّا سائر مدن الشام ومصر فلأن يخطليانوس ابتاعها
من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمن له فدية يحملها إليه في كل
سنة على ألا يغزو بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتاباً ، وختم هو وعظماء
الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه في كل عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُور من كُورهم قبل ملك كسرى أنوشيروان
في خراجها الثلث ، ومن كُور الربع ، ومن كُور الخمس ، ومن كُور
السدس ، على قدر شربها وعمارتها ، ومن جزية الحمام شيتاً معلوماً ، فأمر
الملك قُبَّاذ بن فَيروز في آخر ملكه بمسح الأرض ، سهلها وجبلها ليصبح
الخراج عليها ، فمسيحت ، غير أن قُبَّاذ هلك قبل أن يستحكيه له أمر تلك
المساحة ، حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستئمانها وإحصاء النخل والزيتون
والحمام ، ثم أمر كتابه فاستخرجوا جُمْل ذلك ، وأذن للناس إذناً عاماً ،
وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل التي استخرجت من أصناف غلات
الأرض ، وعدد النخل والزيتون والحمام ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى :
إننا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جِرْبَان^(٢) هذه المساحة من النخل والزيتون
والحمام وضائع^(٣) ، ونأمر بإنجامها في السنة في ثلاثة أنجُم ، ونجمع في بيوت
أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثَغَر من ثغورنا ، أو طَرَف من أطرافنا
فَتَقَّ أوشى نكرهه ، واحتجنا إلى تداركه أو حَسَمُه ببلدنا فيه مالا ، كانت
الأموال عندنا معدة موجودة ، ولم نرد استئانها اجتبائها على تلك الحال .
فأثرون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟

فلم يُشِر عليه أحد منهم فيه بمشورة ، ولم ينيس بكلمة ، فكرر كسرى
هذا القول عليهم ثلاث مرات . فقام رجل من عَرَضهم وقال لكسرى : أتضع
أيها الملك - عمرك الله - الخالد من هذا الخراج على القاني من كَرَم يموت ، وزرع
يتهييج^(٤) ، ونهر يغور ، وعين أوقناة ينقطع ماؤها ! فقال له كسرى : ياذا الكلفة

(١) ح : « صناعاته » . (٢) الجربان : جمع جريب ؟ وهو مقدار معلوم من
الأرض ؛ نقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف وسبائة ذراع .
(٣) الوضيمة : ما يأخذه السلطان من الخراج والمشور .
(٤) يهيج : يحبس .

المشوم ، من "أى طبقات الناس أنت ؟ قال : أنا رجل من الكتاب ، فقال كسرى : اضربوه بالدّوى^(١) حتى يموت ، فضربه بها الكتاب خاصة تبرؤا منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون أيها الملك بما أنت ملزم منا من خراج .

وإن كسرى اختار رجالا من أهل الرأى والنصيحة ، فأمرهم بالنظر فى أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدة النخل والزيتون ورووس أهل الجزية . ووضع الوضائع على ذلك بقدر ما يرون أن فيه صلاح رعيته ، ورفاعة^(٢) معاشهم ، ورفعها إليه . فتكلم كل امرئ منهم بمبلغ رأيه فى ذلك من تلك الوضائع ، وأداروا الأمر بينهم ، فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهاائم ، وهو الحنطة والشعير والأرز والكرّم والرطاب والنخل والزيتون ؛ وكان الذى وضعوا على كل جريب أرض من مزارع الحنطة والشعير درهماً ، وعلى كل جريب أرض كرم ثمانية دراهم ؛ وعلى كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهماً ، وعلى كل ست نخلات دقل^(٣) مثل ذلك ؛ وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ؛ ولم يضعوا إلا على كل نخل^(٤) فى [أحد] حديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع . فقوى الناس فى معاشهم ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والمرايضة والكتاب ؛ ومن كان فى خدمة الملك ، وصيروهوا على طبقات : اثني عشر درهماً وثمانية وستة وأربعة ، كقدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يُلزموا الجزية من كان أتى له من السن دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضيها وأمر بلمضائها والاجتماع عليها فى السنة فى ثلاثة أنجم ، كل نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار ، وتأويله «الأمر المتراضى» ؛ وهى الوضائع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس ، وأمر باجتماع أهل الذمة عليها ، إلا أنه وضع على كل جريب أرض غامر على قدر احتماله ؛ مثل الذى وضع على الأرض المزروعة ، وزاد على كل

(١) الدوى : جمع دواة ؛ وهى أداة يوضع فيها الحجر .

(٢) ح : « رفاهية » وهما بمعنى .

(٣) الدقل : أردأ القهر .

(٤) من س

٩٦٣/١ جريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزاً من حنطة إلى القفيزين ، ورزق منه الجند . ولم يخالف عمر بالعراق خاصة وضائع كسرى على جربان الأرض وعلى النخل والزيتون والجحاجم ، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معاش الناس . وأمر كسرى فدونت وضائعه تُسخَّ ، فاتخذت نسخة منها في ديوانه قِبَلِه ، ودفع نسخة إلى عمال الخراج ، ليجتبا خراجهم عليها ، ونسخة إلى قضاة الكُور ، وأمر القضاة أن يحولوا بين عمال الكُور وزيادة على أهل الخراج فوق ما في الديوان الذي دفعته إليه نسخته ، وأن يدفعوا الخراج عن كل مَنْ أصاب زرعه أو شيئاً من غلاته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة ، وتضمن هلك من أهل الجزية أو جاوز خمسين سنة ، ويكتبوا إليه بما يدفعون من ذلك ، ليأمر بحسبه للعمال ، وألا يخلطوا بين العمال وبين اجتباء مَنْ أتى له دين عشرين سنة .

* * *

وكان كسرى ولّى رجلاً من الكتاب - ناهياً بالنبل والمروءة والغشاء والكفاية ، يقال له بابك بن البروان - ديوان المقاتلة ، فقال لكسرى : إن أمرى لا يتم إلا بإزاحة عيسى في كل ما بي إليه الحاجة من صلاح أمر الملك في جنده . فأعطاه ذلك ، فأمر بابك فبنيت له في الموضع الذي كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سُوسَجَرْد وتَمَطَّ صوف فوقه ، ووضعت له وسائل لتسكاته ، ثم جلس على ما فرش له ، ثم نادى مناديه في شاهد عسكر كسرى من الجند أن يحضره الفرسان على كُرَاعِهِمْ وأسلحتهم والرجالة على ما يلزمهم من السلاح ، فاجتمع إليه الجند على ما أمرهم أن يحضروه عليه ، ولم يعاين كسرى فيهم ، فأمرهم بالانصراف ، ونادى مناديه في اليوم الثاني بمثل ذلك ، فاجتمع إليه ^(١) الجند . فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغلبوا ^(٢) إليه ، وأمر مناديه أن ينادى في اليوم الثالث : ألا يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد ، ولا من أكرم بتاج وسرير ، فإنه عزّم لا رخصة فيه ولا محاباة . فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسلّح بسلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك

(١) ر : عليه .

(٢) ر : ويغلبوا .

ليعرض عليه ، وكان الذى يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف^(١) ودرعا ، وجوشنا^(٢) ، وساقين ، وسيفاً ، ورعاً ، وترساً ، وجُرْزاً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتريهما ، وثلاثين نشابة ووترين مضافين يعلتقهما الفارس فى مغفر له ظهرياً .

فاعترض كسرى على بابك بسلام تام ما خلا الوترين اللذين كان يستظهر بهما . فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له : إنك أيها الملك واقف فى موضع المعدلة التى لا محاباة تكون منى معها ولا هواة ، فهلم كل ما يلزمك من صنوف الأسلحة . فذكر كسرى قصة الوترين فتعلقهما ، ثم غرد داعى بابك بصوته ، وقال : للكمى سبند الكماء أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم الصرف . وكان يفضل الملك فى العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بلوهم .

١٦٥/١

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال : إن غلظتى فى الأمر الذى أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك ، إنما هى لأن ينفذ فى عليه الأمر الذى وضعنى بسبيله ، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكانى^(٣) . فقال كسرى : ما غلظ علينا أمر أريد به صلاح رعيئتنا ، وأقيم عليه أود ذى الأود منهم .

ثم إن كسرى وجه مع رجل من أهل اليمن يقال له سبغان بن معبد يكره — ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذى يزن — جيشاً إلى اليمن ، فقتلوا من بها من السودان ، واستولوا عليها . فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سرّكديب من بلاد الهند — وهى أرض الجوهر — قائداً من قواده فى جند كثيف ، فقاتل ملكها فقتله ، واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة ، وجوهرأ كثيراً .

ولم يكن ببلاد القرس بنات آوى ، فساقت إليها من بلاد الترك فى ملك كسرى أنوشيروان ؛ فبلغ ذلك كسرى ، فبلغ ذلك منه مشقة ، فدعا

(١) التجافيف : جمع تجاف ، بالكسر ، وهو من آلات الحرب .

(٢) الجوشن : نوع من الدروع .

(٣) ر ، ل : « بمكانى » .

بموبدّان موبّد ، فقال : إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاضل
الناس ذلك ، فتعجبنا من استعظامهم أمرها لهوانها ، فأخبرنا برأيك في ذلك .

فقال له موبدّان موبّد : فإني سمعت أيها الملك - عمرك الله - فقهاءنا

يقولون : متى لا يغمر في بلدة العدل الجور ، ويمحق ، بئس أهلها بغزو
أعدائهم لهم ، وتساقط إليهم ما يكرهون ، وقد تخوّفت أن يكون تساقط

هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب . فلم يلبث كسرى أن

تناهى إليه أن فتياناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وأصحاب

أعماله ألا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا في شيء منه إلا به ،

فصرّف الله لما جرى من العدل ذلك العدو عن بلاده من غير أن يكون

حاربهم ، أو كلف مؤونة في أمرهم .

وكان لكسرى أولاد متآدون ، فجعل الملك من بعده هُرمز ابنه الذي

كانت أمّه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة

وما رجا بذلك من ضبط هُرمز الملك وقدرته على تدبير الملك^(١) ورعيته^(٢) .

ومعاملتهم .

• • •

وكان مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلم في عهد كسرى أنوشيروان ، عام

قديم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكة ، وساق فيه إليها القيل ،

يريد هلم بيت الله الحرام ، وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى

أنوشروان . وفي هذا العام كان يوم جبلة ، وهو يوم من أيام العرب المذكور .

(١) ح ، ن : « ملكه » .

(٢) ح ، ن : « ورعيته » .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن ٩٦٧/١
مخرمة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

قال : وسأل هيثم بن عفتان قنات بن أشيم ، أخا بني عمرو بن لَيْث : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد ، ورأيت خذق^(١) الفيل أخضر محيلاً بعده بعام ، ورأيت أمية بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقوده عبده . فقال ابنه : يا قنات ، أنت أعلم وما تقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن المطلب ابن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مخرمة ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن ليدان^(٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع وعشرين مئنة من سلطان كسرى أنوشيروان ، وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

وحدثت عن يحيى بن معين ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

حدثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ،

(١) خلق الفيل : روثه .

(٢) المنبر في ابن هشام ١ : ١٠٧ ؛ لدان : مئى لدة ؛ وهو الترب .

قال : حدثنا الزبير بن موسى ، عن أبي الحوirth ، قال : سمعت عبد الملك ابن مروان يقول لقباث بن أشيم الكِنانيّ التليّ : يا قباث ، أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا أعقله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لاثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول ، وقيل إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تُعرف بدار ابن يوسف ، وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب ، فلم تزك في يد عقيل حتى توفي ، فباعها ولده من محمد بن يوسف ، أخى الحجاج بن يوسف ، فبنى داره التي يُقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيت في الدار ، حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجداً يصلى فيه .

٩٦٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون فيما يتحدث الناس — والله أعلم — أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع بالأرض فقول : أعيدّه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سمّيه محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصري من أرض الشام ، فلما وضعت أرسلت إلى جدّه عبد المطلب ، أنه قد ولد لك غلام فأناه فانظر إليه . فأناه فانظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه . وما أمرت أن تسميه .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سُلَيْمان بن جُبَيْر بن مطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سُوَيْد الثقفي ، عن

عثمان بن أبي العاص ، قال : حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب ٩٦٩/١ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك ليل ولدتته - قالت : فاشيء أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو ، حتى إني لأقول : لتقن عليّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فبزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به على هبل في جوف الكعبة ، فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس له الرضعا ، فامرضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله ، بن الحارث ، بن شجينة ، بن جابر ، بن رزام ، بن ناصرة ، بن فصيصة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزى ، بن رفاعه ، بن ميلان ، بن ناصرة ، بن فصيصة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم إخوانه من الرضاة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وخدامة^(١) ابنة الحارث وهي الشيماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به .

وهي حليلة ابنة عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبزعمون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذ كان عندهم صلى الله عليه وسلم^(٢) .

وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن شيبة ، عن عميرة ابنة عبيد الله بن كعب بن مالك ، عن برة ابنة

(١) قال السهيل : « خدامة ، بكسر الخاء المنقوطة » ، ونقل أيضاً أنه يقال : خذانة ، بالخاء المضمومة ، وبالفاء مكان الميم .

(٢) الخبر في ابن هشام : ١٠٨ .

أَبِي تُجْرَزَةَ، قَالَتْ : أَوَّلُ مَنْ أَرْضَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبِيَّةَ ،
بَلِّغِ ابْنَ لَهَا — يُقَالُ لَهُ مَسْرُوحٌ — أَيَّامًا قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ حَلِيمَةُ ، وَكَانَتْ
قَدْ أَرْضَعَتْ قَبْلَهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَرْضَعَتْ بَعْدَهُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ
عَبْدِ الْأَمَدِ الْخَزَوِيَّ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ —
وَحَدَّثَنَا هُنَادُ بْنُ السَّرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
ابْنُ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُحَارَبِيُّ ،
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى مُحَمَّدِ
ابْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ — عَنْ الْجَهْمِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ مَوْلَى
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : كَانَتْ
حَلِيمَةُ ابْنَةُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ .
تُحَدَّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بِلَدِهَا مَعَهَا زَوْجُهَا وَابْنٌ لَهَا تَرْضَعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ
بَنِي سَعْدٍ بِنِ بَكْرٍ ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ^(١) ، قَالَتْ : وَذَلِكَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ
لَمْ تُبْقِ شَيْئًا ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَسْرَاءَ ، مَعَنَا شَارَفٌ ^(٢) لَنَا ، وَاللَّهُ
مَا تَبَيَّضَ بِقَطْرَةٍ ، وَمَا نَنَامُ لِبَلْتَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيَّتِنَا الَّذِي مَعِيَ مِنْ بَكَائِهِ مِنْ
الْجُوعِ ، وَمَا فِي ثَدْيِي مَا يُشْبِهُهُ ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يَغْدُوهُ ^(٣) ، وَلَكِنَّا نَرْجُو
الْفَيْثَ وَالْفَرَجَ ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ ، فَلَقَدْ أَذْمَتُ ^(٤) بِالرَّكْبِ حَتَّى شَقَّ
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضِعْفًا وَجَعَفًا ، حَتَّى قَدَمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ، فَمَا مَنَّا
امْرَأَةً إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَابَاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ
يَتِيمٌ ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا نَرْجُو الْمَرْوُفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا نَقُولُ : يَتِيمٌ

(١) الرضعاء ؛ يريد بها المراضع ؛ وأما الرضعاء فهو جمع رضيع ؛ وأول السبيل رواية ابن
إسحاق من وجهين ؛ أحدهما حذف المضاف ؛ كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثاني أن يكون أراد
بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعاً
يرضع منه . (٢) الشارف من الإبل : المسنة الهرمة .

(٣) في ابن هشام : « ما يغدو » .

(٤) قال السبيل : أذمت ، أى جاءت بما يلم عليه .

ما عسى أن تصنع أمه وحده ! فكنا نكرهه لذلك ، فابقيت امرأة قدّمت
معي إلّا أخذت رضيعاً ، غيري . فلما أجمعتنا الانطلاق قلت لصاحبي :
إني لأكرهه أن أرجع من بين صواحياتي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن
إلى ذلك البتيم فلاخذته ، قال : لا عليك أن تفعل ، فعسى الله أن يجعل
لنا فيه بركة ! قالت : فذهبت إليه فأخذته وما حملني على ذلك إلّا أني لم
أجد غيره . قالت : فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في
حججري أقبل عليه ثدياً بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب
معه أخوه حتى روي ، ثم ناما وما كان ينام قبل ذلك - وقام زوجي إلى
شارفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنتها لحافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ،
حتى انتهينا ربياً وشبعاً ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول لي صاحبي حين
أصبحت : أتعلمين والله يا حليلة ، لقد أخذت نسمة مباركة ، قلت : والله
إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى تلك ، وحملته عليها
معي ، فوالله لقطعت بنا الركب ما يقدم عليها شيء من حميرهم ،
حتى إن صواحي ليقلن لي : يا بنة أبي ذؤيب اربعي^(١) علينا .
أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لي
هي ، فيقلن : والله إن لها لثأناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ،
وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنى تروح على حين
قدمنا به معنا شباعاً لبناً ، فحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة ولا
يجدها في ضرع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم ،
اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ! فتروح أغنامهم جاعاً ماتيفس^(٢)
بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبناً . فلم نزل نتعرف من الله زيادة الخير
به ، حتى مضت سنتان وفصلته . وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم
يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً^(٣) ، فقد منا به على أمه ونحن أحرص
شيء على مكته فينا ، لما كنا نرى من بركته . فكلّمنا أمه وقلنا لها : يا ظنير ،
لو تركت بني عندى حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وباء مكة ! قالت :

٩٧٢/١

(١) إربى : أقمى وانظري ؛ ربيع فلان على فلان ؛ إذا أقام عليه وانظره .

(٢) ماتيفس : ما ترشح . (٣) الجفر : الشديد .

فلم نزل بها حتى ردّناه معنا . قالت : فرجعنا به ، فوالله إنّه بعد بمقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعهما وشقّا بطنه وهما بسوطانه^(٢) . قالت : فخرجتُ أنا وأبوه نشتدّ ، فوجدناه قائمًا منتقمًا وجهه ، قالت : فالتزمته والترمه أبوه ، وقلنا له : مالك يا بنى ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعا في فشقّا بطني فالتمسا فيه شيئًا لا أدرى ما هو ! قالت : فرجعنا إلى خيائنا . قالت : وقال لي أبوه : والله يا حليلة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فالتحقه بأهله ١٧٣/ قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتسبناه ، فقلعنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظيئر ، وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عنك ؟ قالت : قلت : قد بلغ الله بابي وقضيتُ الذى علىّ وتخوفتُ الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا بشأنك ، فاصدقني خبرك ، قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر ، قالت : فتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : فقلت : نعم ، قالت : كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإن لبني لثأنا ، أفلا أنخبرك خبره ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيت حين حملتُ به أنّه خرج مني نورٌ أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ منه ولا أيسر منه ، ثم وقع حين ولدته وإنّه لواضعٌ يديه بالأرض ، رافعٌ رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلق راشدة^(٣) .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزدي ، قال : حدثنا محمد بن يعقوب ، عن عمر بن صبيح ، عن ثور بن يزيد الشافى ، عن مكحول الشافى ، عن شداد بن أوس ، قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بني عامر ، وهو ميذرة قومه وسيدهم ، من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فتمشك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قائمًا ، ونسبه

(١) بهم : الضمار من القوم .

(٢) قال السهيلي : ويقال : سطت العين أو الدم أسوطه إذا غربت بضه ببعض ، والسوط :

عود يضرب به . (٣) الخبر في ابن هشام : ١٠٨٠ - ١١٢ .

إلى جده، فقال: يا بن عبد المطلب، إني أنبيئت أنك ترم أنك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك فوّهت بعظيم، وإنما كانت الأنبياء والخلفاء في بيتين من بني إسرائيل، وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان، فإلك والنبوة! ولكن لكل قول حقيقة، فأنبئي بحقيقة قولك، وبدء شأنك، قال: فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألتيه، ثم قال: يا أخا بني عامر، إن لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأً وجلساً، فاجلس، فقصتني رجليته ثم برك كما يبرك البعير، فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال: يا أخا بني عامر، إن حقيقة قول وبدء شأنى، أنى دعوة أبى إبراهيم، وبشورى أخى عيسى بن مريم. وإنى كنت بكر أمى، وإنها حملت بى كأنقل ماتحمل، وجعلت تشكى إلى صواحيبها قل ما تجد. ثم إن أرى فى المنام أن الذى فى بطنها نور، قالت: فجعلت أتبع بصرى النور، والنور يسبق بصرى، حتى أضاءت لى مشارق الأرض ومغاربها. ثم لأنها ولدتنى فنشأت، فلما أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش، وبغضى إلى الشجر، وكنت مسترضعاً فى بنى ليث بن بكر، فبينما أنا ذات يوم متبذ من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان نقاذف بيننا بالحلقة، إذ أنا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً، فأخلفنى من بين أصحابى، فخرج أصحابى هرباً حتى انتهوا إلى شفير الوادى، ثم أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام، فإنه ليس منا، هذا ابن سيد قريش، وهو مسترضع فىنا، من غلام يتيم ليس له أب، فإذا يرد عليكم قتله، وماذا تصيبون من ذلك! ولكن إن كنتم لا بد^(١) قاتليه، فاختاروا منا أيتنا شئتم، فليأتكم مكانه فاقتلوه، ودعوا هذا الغلام فإنه يتيم. فلما رأى الصبيان القوم لا يحIRON^(٢) إليهم جواباً، انطلقوا هرباً مسرعين إلى الحى، يؤذنونهم ويستصرخونهم^(٣) على القوم، فعمد أحدهم فأضجعنى على الأرض

١٧٥/١

(٢) ط : لا يخبرون

(١) ح : ولا .

(٣) ح : مصرخين .

إِضْجَاعًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانِي ، وَأَنَا أَنْظُرُ
إِلَيْهِ ، فَلَمْ ^(١) أَجِدْ لِلْمَلِكِ مَسًّا . ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ التَّلَجِ
فَأَنْتَعِمَ غَسْلَهَا ، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لِمُصَاحِبِهِ : تَنَحَّ ،
فَنَحَّاهُ عَنِّي ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جُوفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَصَدَّعَهُ ،
ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ ، فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً مِنْهُ ، كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ
شَيْئًا ، فَلَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ ، فَخَمَّ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ
نُورًا ، وَذَلِكَ نُورُ النَّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ
فِي قَلْبِي دَهْرًا ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِمُصَاحِبِهِ : تَنَحَّ عَنِّي ، فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ
مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانِي ، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي
فَأَهْبَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْشَاءً لَطِيفًا ، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي : زِنَهُ بِعَشْرَةِ
مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي
بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ .
فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ . قَالَ : ثُمَّ ضَمَمُونِي إِلَى
صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ، ثُمَّ ^(٢) قَالُوا : يَا حَبِيبُ ، لَمْ تُرَخَّ ، إِنَّكَ
لَوْ تَدْرِي مَا يَرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَرْتَ عَيْنَاكَ . قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذَا أَنَا
بِالْحَيِّ قَدْ جَاعُوا بِحُذَافِيرِهِمْ ، وَإِذَا أُمِّي - وَهِيَ ظَهْرِي - أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتَفُ بِأَعْلَتِي
صَوْتًا وَتَقُولُ : يَا ضَعِيفَاهُ ! قَالَ : فَانْكَبُوا عَلَيَّ فَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ،
فَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ! ثُمَّ قَالَتْ ظَهْرِي : يَا وَحِيدَاهُ ! فَانْكَبُوا
عَلَيَّ فَضَمَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ، ثُمَّ قَالُوا : حَبِّدَا
أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ ! إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ . ثُمَّ قَالَتْ ظَهْرِي : يَا يَتِيمَاهُ ، اسْتَضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ
فَقُتِلْتَ لَضَعْفِكَ ، فَانْكَبُوا عَلَيَّ فَضَمَمُونِي ^(٣) إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي
وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْ ، وَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ ، مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ ! لَوْ تَعْلَمُ
مَاذَا يَرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ ! قَالَ : فَوَصَلُوا بَنِي إِلَى شَقِيرِ الْوَادِي ، فَلَمَّا بَصُرْتُ بَنِي

٩٧٦/١

(١) كَذَا فِي ت ، ح ، وَط : « لَمْ » . (٢) ح : « وَقَالُوا » .

(٣) ت ، ر : « وَضَمَمُونِي » .

أمتي - وهي ظري - قالت : يا بُنى ألا أراك حياً بعد ! فجاءت حتى
 انكبَّت على وُضعتي إلى صدرِها ؛ فوالذي نفسي بيده ، إنني لفي حِجْرِها
 وقد ضمتني إليها ، وإن يدي في يد بعضهم ، فجعلت ألتفت إليهم وظننتُ
 أن القوم يصبرونهم ، فإذا هم لا يصبرونهم ، يقول بعض^(١) القوم : إن هذا
 الغلام قد أصابه لَمَمٌ أو طائفٌ من الجن ، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه
 ويدُأويته . فقلت : يا هذا ، ما بي شيء مما تذكر ، إن أرايت سليمة وفؤادي
 صحيح ، ليس بي قَلْبَةٌ^(٢) . فقال أبي - وهو زوج ظري - ألا ترون كلامه
 كلامَ صحيح ! إني لأرجو ألا يكون بابي بأس^(٣) ، فاتفقوا على أن يذهبوا
 بي إلى الكاهن ، فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليه ، فلما قصوا عليه قصتي قال :
 اسكنوا حتى أسمع من الغلام ، فإنه أعلمُ بأمركم ، فسألني ، فاقصصت^(٤)
 عليه أمري ما بين أوله وآخره ، فلما سمع قولي وكتب إلى فضممتي^(٥) إلى صِدره
 ثم نادى بأعلى صوته : يا لكُعرَب ، يا لكُعرَب ! اقلوا هذا الغلام واقتلوني معه ،
 فواللآت والعزى لئن تركتموه وأحرك ، ليُبدلن دينكم وليُسْفهن عقولكم
 وعقول آبائكم ، وليخالفن أمركم ، وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط !
 فعمدت ظري فانتزعتنى من حِجْرِهِ وقالت : لَأَنْتِ أَعْنَتُهُ وَأَجَنُّ مِنْ
 ابْنِي هَذَا ! فلو علمتُ أن هذا يكونُ من قولك ما أتيتك به ، فاطلب
 لِنَفْسِكَ من يقتلك ، فإننا غيرُ قَاتِلِي هذا الغلام . ثم احتملوني فأدوني
 إلى أهلي فأصبحت مُفْرَعًا مما فعل بي ، وأصبح أثر الشقِّ ما بين صدري إلى
 مُنْتَهَى عاتني كأنه الشراك ؛ فذلك حقيقة قولي وبده شائبي يا أبا بني عامر .
 فقال العامري : أشهدُ بالله الذي لا إله غيره^(٦) أن أمرَك حق^(٧) ، فأنبشني

(١) ر ، ح : « بعضهم » .

(٢) ليس بي قَلْبَةٌ ؛ أي ليس به شيء ؛ وأصله من القلاب ؛ وهو داء يأخذ الإبل في ريوها ،

فيقلها إلى فوق ؛ قال في اللسان : « ولا يستعمل إلا في النسي » .

(٣) ت ، ح : « شيء من البأس » .

(٤) ل : « فقصصت » .

(٥) ت ، ح : « وضممت » .

(٦) ت ، ح : « إلا هو » .

(٧) ت ، ح : « الحق » .

بأشياء أسألك عنها ! قال : سل عنك - وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يقول للسائل : سل عما شئت ، وعما بدا لك ، فقال للعامري يومئذ : « سل عنك » ، لأنها لغة بني عامر ، فكلمه بما عليم - فقال له العامري : أخبرني يا بن عبد المطلب ما يزيد في العليم ؟ قال : التعلم ، قال : فأخبرني ما يدل على العلم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : السؤال ، قال : فأخبرني ماذا يزيد في الشر ؟ قال : التهادي ، قال : فأخبرني هل ينفع البئر بعد الفجور ؟ قال : نعم ، التوبة تغسل الحوبة ، والحسنات يذهب السيئات ، وإذا ذكر العبدُ ربَّه عند الرِّخاء ، أغاثه ^(١) عند البلاء ، قال العامري : وكيف ^(٢) ذلك يا بن عبد المطلب ؟ قال : ذلك بأن الله يقول : لا وعزتي وجلالي ، لا أجمع لعبدي أمنين ، ولا أجمع له أبداً خوفين ، إن هو خافني في الدنيا أمينني يوم أجمع فيه عبادي عندني في حظيرة الفردوس ^(٣) ، فيلوم له أمنه ، ولا أمحقه ^(٤) ، فيمن أحق ، وإن هو أمينني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم ، فيلوم له خوفه ، قال : يا بن عبد المطلب ، أخبرني إلام تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تخلع الأنداد ، وتكفر باللات والعزى ، وتقر بما جاء من الله من كتاب أورشول ، وتصلّي الصلوات الخمس بحقائقهن ، وتصوم شهراً من السنة ، وتؤدى زكاة مالك ، يطررك الله بها ويطيّب لك مالك ، وتحج البيت إذا وجدت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموت ، وبالبعث بعد الموت ، وبالجنة ، والنار . قال : يا بن عبد المطلب ، فإذا فعلت ذلك فما لي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تركني » ^(٥) . قال : يا بن عبد المطلب ، هل مع هذا من الدنيا شيء ؟ فإنه يُعجبني الوطاءة من العيش ! قال النبي

(١) ت ، ل : « أغاثه » .

(٢) ت ، ح : « وكيف » .

(٣) ط : « القمص » ، وما أثبت من ر .

(٤) ل : « وأحق » .

صلى الله عليه وسلم : نعم ، النَّصْبُ وَالْتِمَكُّنُ فِي الْبِلَادِ . قال : فَأَجَابَ وَأَنَابَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلاعي ، أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى من أرض الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهنماً لنا ، أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطشت من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأخذاني ، فشققا بطني ، ثم استخرجا منه قلبي ، فشقاها فاستخرجا منه علقمة سوداء ، فطرحاها ، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقياها ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزنتني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : دعه عنك ، فلو وزنته بألفه لوزنتها^(١) .

قال ابن إسحاق : هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم رسول الله أمته بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به . وأما هشام فإنه قال : توفي عبد الله أبو رسول الله ، بعد ما أتى على رسول ٩٨٠/١
الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرين شهراً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدي : الثبت عندنا مما ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في غير لقريش ، فزل بالمدينة — وهو مريض — فأقام بها حتى توفي ، ودفن في دار النابغة ، في الدار الصغرى إذا دخلت الدار على يسارك في البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ، توفيت — ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين — بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قلمت به المدينة على أخواله من

بنى عدي بن النجار تزييره لئلاهم ، فأتت وهي راجعة به إلى مكة (١) .

وقد حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني ابن جريج ، عن عثمان بن صفوان ، أن قبر آمنه بنت وهب في شعب أبي ذر بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العباس ابن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، أن عبد المطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين ، وكان بعضهم يقول : توفي عبد المطلب ورسول الله ابن عشرين سنين (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في حجر أبي طالب بعد جدته عبد المطلب ، فيصبيح ولد عبد المطلب غمماً رُمماً ، ويصبح صلى الله عليه وسلم صبيلاً دهنياً (٢) . ٩٨١/١

• • •

رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباد أنوشروان

حدثنا علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي ، قال : حدثني مخزوم بن هاني المخرومي عن أبيه - وأنت له خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت ليلة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام (٣) ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبد أن إبلاً صعباً ، تقود خيلاً حراً ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها . فلما أصبح كسرى أفزعته ما رأى ، فصبر تشجعاً ، ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازميه ، فليس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

(١) الخبر في ابن هشام : ١١٣ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٠٣ . والنفس والرمص : اليأس الذي يجمع في زوايا الأجفان .

(٣) الفائق : ألف عام .

فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالذي بعث إليهم فيه ودعاهم . فيبيناهم
كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النار فازداد غمًا إلى غمه ، فقال الموبدان :
وأنا أصلح الله الملك ! قد رأيت في هذه الليلة ... وقص عليه الرؤيا في الإبل .
فقال : أى شيء يكون هذا يا موبدان ؟ — وكان أعلمهم عند نفسه بملك —
فقال : حادث يكون من عند العرب ، فكتب عند ذلك :

من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد ؛
فوجه إلى رجلا عالمًا بما أريد أن أسأله عنه .

فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقبيلة الغساني ، فلما قدم
عليه ، قال له : أعتدك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليخبرني
الملك ، فإن كان عندي منه علم ، وإلا أخبرته بمن يعلمه له ، فأخبره
بما رأى ، فقال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام ، يقال له
سطيح ، قال : فأتته فأسأله عما سألتك ، وأتى بجوابه . فركب عبد المسيح
راحلته حتى قدم على سطيح — وقد أشفى على الموت — فسلم عليه وحياته ،
فلم يغير سطيح جوابًا ، فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصمٌّ أم يَسْنَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ ١ يا فاصِلَ الْخُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ
أَمْ قَاَزَ قَاَزَلَمْ بِهِ شَأْوُ الْعَمَنِ ٢ أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بَدْرِ حَجَنْ ٣ أَزْرَقُ مُمَعَى النَّابِ صَرَارُ الْأُذُنِ ٤
أَبْيَضُ فَضْضَاضُ الرَّدَاهِ وَالْبَدَنْ ٥ رَسُولُ قَبِيلِ الْعَجْمِ يَسْرِي لِلْوَسَنْ
يَحْبُوبُ بِي الْأَرْضَ عَلَنَدَاةً شَزَنْ ٦ تَرْفَعُنِي وَجَنْ وَتَهْوِي بِي وَجَنْ ٧
لَا يَرْعَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ ٨ حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَلَا حِي وَالْقَطَنْ

(١) الفائق : « فاد » ، وما جمعى مات ، وأزلم : أولى . (٢) ممهى : محدد .

(٣) العلندي : الشديد ، والفاء للمبالغة . والشزون : التشيط .

(٤) الوجين : التلطيظ من الأرض ، جمعه وجين .

تَلَفَهُ فِي الرِّيحِ بَوَغْلَهُ الدِّمْنُ كَأَنَّمَا حُثِثَ مِنْ حِصْنِي نَكَنْ^(١)

فلما سمع سطيط شعتره ، رفع رأسه وقال : عبدُ المسيح ، على جمل يسيع^(٢) ، إلى سطيط ، وقد أوفى على الضريح ، بتعتك ملككُ بنى سامان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبتدان . رأى إبلاً صعباً ، تقود خينلاً عرابياً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، يا عبدُ المسيح : إذا كثرت التلاوة ، وبعت صاحبُ الهراوة ، وفاض وادى السماء ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نارُ فارس ، فليست الشامُ لسطيط شاماً ، بملكُ منهم ملوكٌ ومليكات ، على عددِ الشرفات ، وكلُّ ما هو آت آت . ثم قضى سطيط مكانه ، فقام عبدُ المسيح إلى رحله وهو يقول :

شمرْ فإنك ماضى الهم شمرْ لا يفزعك تفريقٌ وتغييرُ
إن يك ملكُ بنى سامان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوارٌ دهايرُ
فرُبماً ربماً أضحوا بمنزلةٍ تهابُ صولهم الأسدُ المهايرُ
منهم أخوالُ الصريح مهران وإخوته والمُرْمران وسابورُ وسابورُ
والناسُ أولادُ علاتٍ فمن علموا أن قد أقل ، فمهجورٌ ومحقورُ
وهم بنو الأمِّ كما أن رأوا نشباً فذاك بالغيثِ محفوظٌ ومنصورُ
والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرنٍ فالخيرُ متبعٌ والشرُّ مخدورُ

٩٨٤/١

فلما قدم عبدُ المسيح على كيسرى ، أخبره بقول سطيط ، فقال : إلى أن يملك منك أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور .

فملك منهم عشرة أربع سنين ، وملك الباقيون إلى ملك عثمان بن عفان^(٣) .

* * *

(١) البوق : دقاق التراب ، وحث : حث وأسرع . ونكن : اسم جبل .

(٢) ر : و مشج .

(٣) الخبر في ألفاظ : ١ : ٤٦٠ ، ٤٦١

وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : بَعَثَ وَهْرَيزُ بِأَمْوَالٍ وَطُرْفٍ مِنْ طُرْفِ الْيَمَنِ إِلَى كَسْرَى ، فَلَمَّا صَارَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، دَعَا صَعْفَصَةَ ابْنَ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ الْمَجَاشِعِيِّ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى الْوُثُوبِ عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي بِلَادِ بَنِي يَرْبُوعٍ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَهَابُوهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي يَرْبُوعٍ ، كَأَنِّي بِهَذِهِ الْعِيرِ قَدْ مَرَّتْ بِلَادُ بَكْرَ بْنِ وَاثِلٍ ، فَوُتِبُوا عَلَيْهَا فَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى حَرْبِكُمْ ! فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ انْتَهَبُوهَا ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَسْلُطٍ يَقَالُ لَهُ النَّطِيفُ خُرْجًا فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَانَ يَقَالُ : « أَصَابَ كَثْرَ النَّطِيفِ » ، فَصَارَ مَثَلًا ، وَأَخَذَ صَعْفَصَةَ خَصْفَةً ^(١) فِيهَا سَبَائِكُ فَيْضَةٍ ، فَصَارَ أَصْحَابُ الْعِيرِ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْخَنْزِيِّ بِالْيَمَامَةِ ، فَكَسَاهُمْ ، وَزَوَّدَهُمْ وَحَمَلَهُمْ ، وَصَارَ مَعَهُمْ حَتَّى دَخَلَ عَلَى كَسْرَى . وَكَانَ لِهَوْذَةَ جَمَالٌ وَبَيَاضٌ ، فَأَعْجَبَ بِهِ كَسْرَى وَحَفِظَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَدَعَا بِعَقْدٍ مِنْ دُرٍّ فَقَعَدَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَكَسَاهُ قَبَاءَ دِيْبَاجٍ ، مَعَ كِسْفَةٍ كَثِيرَةٍ ، فَنَزَّ مَسْمًى هَوْذَةَ ذَا التَّاجِ ، وَقَالَ ٩٨٥/١ كَسْرَى لِهَوْذَةَ : أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنْ قَوْمِكَ هَمْ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَصْلَحَ هَمْ لَكَ ؟ قَالَ : بَيْنَنَا الْمَوْتُ ، قَالَ : قَدْ أَدْرَكْتُ بَعْضَ حَاجَتِكَ [وَنَلْتُ ثَارَكَ] ^(٢) . وَعَزِمَ عَلَى تَوْجِيهِ الْخَيْلِ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ سَوْءٍ ، إِنَّمَا هِيَ مَفَاوِزُ وَصَحَارَى لَا يَهْتَدَى لِمَسَالِكِهَا ، وَمَاؤُهُمْ مِنَ الْآبَارِ ، وَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُعَوَّزُوا فِيهِلِكَ جَنْدُكَ . وَأَشِيرَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَحْرَيْنِ وَهُوَ آزَادُ فَرْوَزِ بْنِ جُشْنَسَاسٍ الَّذِي سَقَتَهُ الْعَرَبُ الْمَكْتَعْبِيرَ - وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَكْتَعْبِيرَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقَطَعُ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ وَأَلَى أَلَا يَدْعُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَيْنًا تَطْرَفُ - فَقَعَلَ ، وَوَجَّهَ لَهُ رَسُولًا . وَدَعَا يَهُوذَةَ فَجَدَّدَ لَهُ كِرَامَةً وَصِلَةً وَقَالَ : سِيرْ مَعَ رَسُولِي هَذَا فَاشْتَفِينِي وَاشْتَفِ ، فَأَقْبَلَ هَوْذَةَ وَالرَّسُولَ مَعَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى الْمَكْتَعْبِيرِ ، وَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ أَبْنَامِ اللَّقَاطِ ^(٣) ، وَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ يَصِيرُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ إِلَى هَجَرٍ ، لِلْمِيرَةِ وَاللَّقَاطِ ، فَنادَى مُنَادِي الْمَكْتَعْبِيرِ : مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَلْيَسْخَرْ

(١) الخَصْفَةُ : وَهَاءٌ مِنْ خَوْصٍ . (٢) مِنْ ح .

(٣) الْقَاطِ ، بِالْفَمِ : جَمْعُ الْقَاطِطِ ، وَهُوَ مَا التَّقَطَّ مِنْ كَرْبِ النَّخْلِ بِمَدِّ الصَّرَامِ .

فإن الملك قد أمر لتهنم بميرة وطعام يُقسم فيهم ؛ فحضروا ، فأدخلهم
المشقر - وهو حصن حباله حصن يقال له الصفا ، وبينهما نهر يقال له
حلثم - وكان الذي بنى المشقر رجلا من أساورة كسرى يقال له : «بسلك بن
ماهوذ» ، كان كسرى وجهه لبنائه ، فلما ابتدأه قيل له : إن هؤلاء القعكة
٩٨٦/١ لا يقيمون بهذا الموضع إلا أن تكون معهم نساء ، فإن فعلت ذلك بهم تم
بناؤك ، وأقاموا عليه حتى يقرعوا منه ، فنقل إليهم الفواجير من ناحية
السواد والأهواز ، وحملت إليهم روابيا الحمير من أرض فارس في البحر ،
فتناكحوا وتوالدوا ، فكانوا ^(١) جل أهل مدينة هجر ، وتكلم القوم بالعربية ،
وكانت دعوتهم إلى عبد القيس ، فلما جاء الإسلام قالوا لعبد القيس :
قد علمت عددنا وعدتنا وعظيم غنائنا ، فأدخلونا فيكم وزوجنا ،
قالوا : لا ، ولكن أقيموا على حالكم ، فأنتم إخواننا وموالينا ،
فقال رجل من عبد القيس : يا معاشر عبد القيس ، أطيعوني
والحقوم ، فإنه ليس عن مثل هؤلاء مرغب ، فقال رجل من القوم : أما
تستحي ! أتأمرنا أن ندخل فينا من قد عرفت أولته وأصلته ! قال : إنكم
إن لم تفعلوا ألحقهم غيركم من العرب ، قال : إذا لا نستوحش لهم ، فتفرق
القوم في العرب ، وبقيت في عبد القيس منهم بقية فانتصروا إليهم ، فلم
يردوهم عن ذلك . فلما أدخل المكعب بن تميم المشقر قتل رجالهم واستبقى
الغلمان ، وقتل يومئذ قعنب الرياحي - وكان فارس بن يربوع - قتل رجلان
من شين ^(٢) كانا ينوبان الملوك ، وجعل الغلمان في السفن ، فعب بهم إلى فارس ،
فحصروا منهم بشرا . قال هيرة بن حدير العدوي : رجع إلينا بعد ما فتحت
إصطخر عدة منهم ، أحدهم خصي والآخر خباط . وشد رجل من بني
تميم ، يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعتها وخرج ، فقال :
٩٨٧/١ تَذَكَّرْتُ هَذَا لَا تَحِينَ تَذَكَّرْ تَذَكَّرْتُهَا وَدُونَهَا سَبْرُ أَشْبُرِ
حِجَازِيَّةٌ غُلُوبَةٌ حَلَّ أَهْلِهَا مُصَابُ الْخَرِيفِ بَيْنَ زُورٍ وَمِنْوَرٍ ^(٣)

(١) ح : «وكانوا» .

(٢) بنو شين ، من عبد القيس ، وانظر الاشتقاق ٣٢٥ .

(٣) ر ، ل : «مصاب الخريف» .

أَلَا هَلْ أَتَى قَوْمِي عَلَى الثَّانِي أَنِّي حَبَيْتُ ذِمَارِي يَوْمَ بَابِ الشَّقَرِ
ضَرَبْتُ رِتَاجَ الْبَابِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً تَفَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرٍ
وَكَلَّمَ هُوْدَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْمُكْتَبِيرَ بِمِثْلِ فِي مِائَةٍ مِنْ أَسْرَى بَنِي تَمِيمٍ ،
فَوَهَبَهُمْ لَهُ يَوْمَ الْفَيْصَحِ ، فَأَعْتَقَهُمْ ، فَبَيَّ ذَكَ قَوْلَ الْأَعْمَى :

سَائِلُ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفَقَتِهِمْ لَمَّا أَتَوْهُ أَسَارَى كُلَّهُمْ ضَرْعًا^(١)
وَسَطَ الشَّقَرِ فِي غَبْرَاءِ مُظْلِمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ بَعْدَ الضَّرِّ مُنْتَفِعًا
قَالَ لِلْمَلِكِ أَطْلِقْ مِنْهُمْ مِائَةً^(٢) رِسْلًا مِنَ الْقَوْلِ مَحْفُوضًا وَمَارَفًا
فَكَذَّبَ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ لِإِسَارَتِهِمْ^(٣) وَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلَّةِ خِلْمَا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفَيْصَحِ ضَاحِيَةً^(٤) يَرْجُو الْإِلَهَ بِمَا أَسَدَى وَمَا صَنَعَا^(٥)
فَلَا يَزُونَ بِذَاكُم نِعْمَةً سَبَقَتْ إِنْ قَالَ قَاتِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسَيَا ٩٨٨/١
يَصِفُ بَنِي تَمِيمٍ بِالْكَفْرِ لِنِعْمَتِهِ .

قال : فلما حضرت وهريز الوفاة - وذلك في آخر ملك أنوشيروان -
دعا بقومه ونشأته ، ثم قال : أجلسوني ، فأجلسوه ، فرى وقال : انظروا حيث
وقعت نشأتي فاجعلوا نأوسي هناك ، فوَقعت نشأته من وراء الدَّيْرِ ،
وهي الكنيسة التي عند نَعْمِ ، وهي تسمى اليومَ مَقْبَرَةُ وَهْرِيزَ ، فلَمَّا بَلَغَ
كِسْرَى مَوْتَ وَهْرِيزَ ، بَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ أَسْوَارًا يَقَالُ لَهُ وَين^(١) ، وكان جَبَّارًا
مُسْرِفًا ، فَعَزَلَهُ هُرْمُزُ بْنُ كَيْسَرَى ، واستعمل مكانه المَرْوَزَانَ ، فأقام

(١) من قصيدة في ديوانه ٧٢ - ٨٧ ، والفصح ، بالفتحين : الدليل الضعيف .

(٢) الديوان : « سرح منهم مائة » .

(٣) الديوان : « وثاقهم » .

(٤) الديوان : « يوم الفصح » .

(٥) الديوان : « سدى » .

(٦) ط : « زين » ، وأثبت ما في العصريات .

باليمن حتى وُلِدَ له بها ، وبلغ ولده . ثم هلك كِسْرَى أنوشروان ،
وكان ملكه ثمانياً وأربعين سنة .

[ذكر ملك هرمز بن كِسْرَى أنوشروان]

ثم ملك هُرْمُزُ بن كِسْرَى أنوشروان ، وكانت أمه ابنة خاقان
الأكبر ، فحدثت عن هشام بن محمد ، قال : كان هُرْمُزُ بن كِسْرَى
هذا كثير الأدب ، ذانية في الإحسان إلى الضعفاء والمساكين ، والحمل على
الأشراف ، فعادوه وأبغضوه ، وكان في نفسه عليهم مثل ذلك ، ولما عقيده
التاج على رأسه ، اجتمع إليه أشراف أهل مملكته ، واجتهدوا في الدعاء
له والشكر لوالده ، فوعدهم خيراً . وكان متحرياً للسيرة في رعيته بالعدل ،
شديداً على العظماء لاستطاعتهم كانت على الوضعاء ، وبلغ من عدله أنه
كان يسير إلى ماء ليصيف ، فأمر فتوى في مسيره ذلك في جنديه وسائر من
كان في عسكره أن يتحاموا مواضع الحرث ولا يضرّوا بأحد من الدهاقين
فيها ، ويضبطوا دوابهم عن الفساد فيها ، وكلّ يتعاهد ما يكون في عسكره
من ذلك ومعاينة من تعدّى أمره .

٩٨٩/١

وكان ابنه كِسْرَى في عسكره ، فعار مركب^(١) من مراكيبه ووقع
في متحرّكة من الحارث التي كانت على طريقه فرتع فيها وأفسد منها ،
فأخذ ذلك المركب ، ودفع إلى الرجل الذي وكل هُرْمُزُ بمعاينة من أفسد
أو دأبته شيئاً من الحارث وتغريمه . فلم يقدر الرجل على إنفاذ أمر هُرْمُزُ
في كِسْرَى ، ولا في أحد ممن كان معه في حشمه ، فرفع ما رأى من إفساد
ذلك المركب إلى هُرْمُزُ ، فأمر أن يمدح أذنيه ، ويشتدّ ذنبه ، ويغرم
كِسْرَى ؛ فخرج الرجل من عند هُرْمُزُ لينفذ أمره في كِسْرَى ومركبه
ذلك ، فدرس له كِسْرَى رهطاً من العظماء ليسألوه التّغيب في أمره ،
فلقوه وكلموه في ذلك فلم يجب إليه ، فسألوه أن يؤخّر ما أمر به هُرْمُزُ في
المركب حتى يكلموه فيأمر بالكف عنه ، ففعل . فلق أولئك الرهط هُرْمُزُ

(١) عار : ضلّ ، والمركب هنا : الدابة .

وأعلموه أن بالمركب الذى أفسد ما أفسد زعارة^(١)، وأنه عار فوقع فى محرقة؛ فأخذ من ساعة وقع فيها، وسألوه أن يأمر بالكف عن جدِّه وتبشيريه لما فيها من سوء الطيرة على كيسرى. فلم يجيبهم إلى ما سألوا من ذلك، وأمر بالركب فجُدِّع أذناه، وبثَّر ذنبه، وغرم كيسرى مثل ما كان يغرم غيره ٩٩٠/١ فى هذا الحدث، ثم ارتحل من معسكره. وكان هرمز ركب ذات يوم فى أوان ليناع الكرم إلى ساباط المدائن، وكان ممره على بساتين وكروم، وإن رجلاً ممن ركب معه من أساورته اطلع فى كرم فرأى فيه حصيراً، فأصاب منه عنقيداً ودفعها إلى غلام كان معه، وقال له: اذهب بها إلى المنزل واطبخها بلسج واتخذ منها مرقّة فلها نافعة فى هذا الإبان^(٢). فأتاه حافظ ذلك الكرم فلترمه وصرخ، فبلغ [من]^(٣) إشفاق الرجل من عقوبة هرمز على تناوله من ذلك الكرم أن دفع إلى حافظ الكرم منطلقه عملة بذهب كانت عليه، عوضاً له من الحصرم الذى رزأ من كرمه، واقتدى نفسه بها، ورأى أن قبض الحافظ إياها منه وتخليته عنه، مئة من بها عليه، ومعروف أسداه إليه. وقيل إن هرمز كان مظفراً منصوراً لا يمسد يده إلى شيء إلا ناله، وكان مع ذلك أديباً أريباً داهياً ردىء النية، قد نزع أحواله الإتراك، وكان مقصياً^(٤) للأشراف، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وسبائة رجل، وإنه لم يكن له رأى إلا فى تأليف السفلة واستصلاحهم، وإنه حبس ناساً كثيراً من العظماء وأستقطهم وحط مراتبهم ودرجاتهم، وجهز الجنود وقصر بالأساورة ففسد عليه كثير ممن كان حوله لِمَا أراد الله من تغيير أمرهم وتحويل ملكهم، ولكل شيء سبب. وإن الهرايلىة رفعوا إليه قصة يبغون فيها على النصارى، ٩٩١/١ فوقع فيها: إنه كما لا قيام لسرير ملكتنا بقاغمته المقدمتين دون قائمتيه

(١) الزعارة، بتخفيف الراء أو تشديدها: شراسة الطبع.

(٢) ل: «الأوان».

(٣) من ح.

(٤) ل: «مضباً».

المؤخرتين ، فكنك لك لاقوام للمكينا ولا ثبات له ، مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل الخالفة لنا ، فأقصروا عن البغى على النصارى ، وواظبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل [والأديان] ، ^(١) فيحسدوكم عليه ، وتتوق أنفسهم إلى ملتكم .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : خرج على هرمز الترك - وقال غيره : أقبل عليه ^(٢) شابة ملك الترك الأعظم - في ثلثمائة ألف مقاتل ، في سنة إحدى عشرة من ملكه ، حتى صار إلى بادغيس وهرة . وإن ملك الروم صار إلى الضواحي في ثمانين ألف مقاتل قاصداً له ، وإن ملك الخزر صار في جمع عظيم إلى الباب والأبواب ، فعات وأخرب ، وإن رجلين من العرب يقال لأحدهما : عباس الأحول ، والآخر : عمرو الأزرق ، نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطئ الفرات ، وشئوا الغارة على أهل السواد ، واجتمع أعداؤه عليه وغزوا بلاده ، وبلغ من اكتنافتهم إياها أنها سُميت منخلا كثير السهام . وقيل : قد اكتنف بلاد الفرس الأعداء من كل وجه كاكنتاف الوتر مسيتي القوس . وأرسل شابة ملك الترك إلى هرمز وعظماء الفرس يؤذنتهم بإقباته في جنوده ، ويقول : رُموا قناطر أنهار وأودية أجتاز عليها إلى بلادكم ، واعتقدوا القناطر على كل نهر من تلك الأنهار لا قنطرة له ، وافعلوا ذلك في الأنهار والأودية التي عليها مسلكي من بلادكم إلى بلاد الروم ، لإجتماعي بالمسير إليها من بلادكم . فاستظفح هرمز ما ورد عليه من ذلك ، وشاور فيه ، فأجمع له على قصد ملك الترك ، فوجه إليه رجلاً من أهل الرأي يقال له بهرام بن بهرام جشنس - ويعرف بجوبين - في اثني عشر ألف رجل ، اختاره بهرام على عينيه من الكهول دون الشباب . ويقال : إن هرمز عرض ذلك الوقت من كان بحضرته من الديوانية ، فكانت عديتهم سبعين ألف مقاتل ، ففضى بهرام بمن ضم إليه مغيذاً حتى جاز هرة وبادغيس ، ولم يشعر شابة بهرام حتى نزل بالقرب منه متسكراً ، فجرت

٩٩٢/١

بَيِّنَتْهُمَا رِسَالٌ وَحُرُوبٌ ، وَقَتَلَ بَهْرَامُ شَابِيَةَ بَرْمِيَّةَ رِمَاهُ لِيَأْهَا . وَقِيلَ : إِنَّ
الرَّحْمَى فِي مَلِكِ الْعَجَمِ كَانَ لثَلَاثَةِ نَقَرٍ ، مِنْهَا رَمِيَتْ أَرَشِيَاطِينَ بَيْنَ مِيْنُوشَهْرٍ ،
وَأَفْرَاسِيَابَ ^(١) ، وَمِنْهَا رَمِيَتْ سُوخْرَا فِي التُّرْكِ ، وَمِنْهَا رَمِيَتْ بَهْرَامُ هَذِهِ . وَاسْتَبَاحَ
عَسَاكِرَهُ وَأَقَامَ بِمَوْضِعِهِ ، فَوَافَاهُ بِرُمُودَةَ بْنِ شَابِيَةَ ، وَكَانَ يَعْدِلُ بِأَبِيهِ ، فَحَارَبَتْهُ
فَهَزَمَتْهُ ، وَحَصَرَهُ فِي بَعْضِ الْحَصُونِ ، ثُمَّ أَلْحَقَ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَسْلَمَ لَهُ ، فَوَجَّهَهُ
إِلَى هَرْمِزٍ أَسِيرًا ، وَغَنِمَ مِمَّا ^(٢) كَانَ فِي الْحَصَنِ [وَكَانَتْ] ^(٣) كَنْزًا عَظِيمَةً ^(٤) .

وَيَقَالُ إِنَّهُ حَمَلَ إِلَى هَرْمِزٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخَوَهِرِ وَالْآثِيَةِ وَالسَّلَاحِ وَصَائِرِ
الْأُمْتَعَةِ مِمَّا غَنِمَهُ وَقَرَّ مَائَتَى أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَشَكَرَ هَرْمِزُ
لِبَهْرَامٍ مَا كَانَ مِنْهُ بِسَبَبِ الْغَنَائِمِ الَّتِي صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَخَافَ بَهْرَامُ مَسْطُورَةَ هَرْمِزٍ ،
وَخَافَ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْخَنُودِ ، فَخَلَعُوا هَرْمِزَ وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ ،
وَأَظْهَرُوا الْأُمْتِعَاصَ مِمَّا كَانَ مِنْ هَرْمِزٍ ، وَأَنَّ ابْنَةَ أَبَرْوِيزٍ أَصْلَحَ لِلْمُلْكِ
مِنْهُ . وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضٌ مِنْ كَانَ بِحَضْرَةِ هَرْمِزٍ ، فَهَرَبَ أَبَرْوِيزُ بِهَذَا
السَّبَبِ إِلَى آذَرْبِيجَانِ خَوْفًا ^(٥) مِنْ هَرْمِزٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ هُنَاكَ عِدَّةٌ مِنَ الْمَرَازِيَةِ
وَالْإِسْبَهْلِيِّينَ ، فَأَعْطَوْهُ بَيْعَتَهُمْ ، وَوَثَبَ الْعُظَمَاءُ وَالْأَشْرَافُ بِالْمَدَائِنِ ،
وَلِيَهُمْ بِيْنْدِي وَبِسْطَامُ خَالَا أَبَرْوِيزِ ، فَخَلَعُوا هَرْمِزَ وَمَمْلُوكًا ^(٦) عَيْنِيهِ وَتَرْكُوهُ
تَحَرَّجًا مِنْ قَتْلِهِ .

وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَبَرْوِيزَ ، فَأَقْبَلَ بِمَنْ شَايَعَهُ ^(٧) مِنْ آذَرْبِيجَانٍ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ
مُسَابِقًا لِبَهْرَامٍ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا اسْتَبَدَّ عَلَى الْمُلْكِ وَتَحَرَّزَ مِنْ بَهْرَامٍ ، وَالتَقَى
هُوَ وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَانْ ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَنَاظَرَةٌ وَمَوَاقِفَةٌ ، وَدَعَا أَبَرْوِيزُ
بَهْرَامَ إِلَى أَنْ يُؤَمِّنَهُ وَيَرْفَعَ مَرْتَبَتَهُ وَيُسْنِي لَإِيَّتِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ ، وَجَرَتْ
بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ أَضْطَرَّتْ أَبَرْوِيزَ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى الرُّومِ مُسْتَعِثًا بِمُلْكِهَا بَعْدَ حَرْبٍ

(١) ط : فراسيات ، ، وأثبت مافي الشاهنامه .

(٢) ح : « ما كان » .

(٣) من ح .

(٤) ح : « عظاما » .

(٥) ح : « تخوفا » .

(٦) سمل عينيه : فقأهما بمجديدة محصاة . (٧) ر : « بأبيه » .

شديدة وبيات كان من بعضهم لبعض . وقيل إنه كان مع بهرام جماعة من
الأشداء ، وكان فيهم ثلاثة نفر من وجوه الأتراك لا يعدل بهم في فروسيتهم^(١)
وشدهم من الأتراك أحد ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز . فلما كان الغد من
ليلة البيات وقف أبرويز ودعا الناس إلى حرب بهرام فتأقلموا عليه ،
قصده نفر الثلاثة من الأتراك ، فخرج إليهم أبرويز فقتلهم بيده واحداً
واحداً ، ثم انصرف من المعركة وقد أحس من أصحابه بالفتور والتغير ،
فصار إلى أبيه بطيئسبون حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبينه من أصحابه
وشاورة ، فأشار عليه بالمصير إلى موريق ملك الروم ليستنجد ، فأحرز حرمة
في موضع أمين عليهم بهرام ، ومضى في عدة يسيرة ، منهم يشدو بيسطام وكردى
أخو بهرام جوبين حتى صار إلى أنطاكية ، وكاتب موريق فقبيله ،
وزوجه ابنة له كانت عزيزة عليه^(٢) ، يقال لها : مريم . وكان جميع مدة
ملك هرمز بن كسرى في قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر
وعشرة أيام . وأما هشام بن محمد فإنه قال : كان ملكه اثنتي عشرة سنة .

• • •

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

ثم ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشيروان ، وكان
من أشد ماوكلهم بطشاً ، وأنفذهم رأياً ، وأبغدهم غوراً ، وبلغ - فيما
ذكر - من البأس والنجدة والنصر والظفر وجشع الأموال والكنوز ومساعدة
القدر ومساعدة^(٣) الدهر إياه ما لم يتهياً لملك أكثر منه ، ولذلك سمي
أبرويز ، وتفسيره بالعربية : المظفر . وذكر أنه لما استوحش من أبيه هرمز -
ليما كان من احتيال بهرام جوبين في ذلك ، حتى أوهم هرمز أنه على أن
يقوم بالملك لنفسه دونهم - سار إلى آذربيجان مكتئباً ، ثم أظهر أمره بعد
ذلك ، فلما صار في الناحية اجتمعت إليه جماعة ممن كان هناك من
الإصبيييين وغيرهم ، فأعطوه بيعتهم على نصرته ، فلم يحدث في الأمر
شيئاً . وقيل إنه لما قتل آذينجشنس الموجه لمحاربة بهرام جوبين ، انفض

٩٩٥/١

(١) ط : « فروسيتهم » وما أثبتته من ت ، ل . (٢) ح : « عنده » . (٣) كلا في ل ، ح .

الجمع الذى كان معه حتى وافوا المدائن ، واتبعهم جوبين ، فاضطرب أمر هرمز ، وكتبَتْ أختُ آذِينَجُشْتَنْسَ إلى أبرويز - وكانت تربيّه - نخبره بضعف هرمز للحادث فى آذِينَجُشْتَنْسَ ، وأنَّ العظماءَ قد اجتمعوا على خلعه ، وأعلمته أنَّ جوبين إن سبَّقه إلى المدائن قبل موافاته احتوى عليها .

فلما ورد الكتاب على أبرويز ، جمع من أمكنه من أرمينية وآذربيجان ، وصار^(١) بهم إلى المدائن ، واجتمع إليه الوجوه والأشراف مسرورين بموافاته ، فتتوَّج بتاج الملك ، وجلس على سرير ، وقال : إنَّ من ملتنا لئثار البرِّ ، ومن رأينا العمل بالخير ، وإنَّ جدنا كِسْرَى بن قُبَاذ كان لكم بمنزلة الوالد ، وإنَّ هرمز أبانا كان لكم قاضياً عادلاً ، فعليكم بلزوم السَّمع والطاعة . ٩٩٦/١
فلما كان فى اليوم الثالث ، أتى أباه فسجد له ، وقال : عمرك الله أيها الملك ! إنَّك تعلم أنَّى برىء مما أتى إليك المنافقون ، وأنى إنَّما تواريت ولحقت بأذربيجان خوفاً من إقدامك على القتل . فصدقه هرمز وقال له : إنَّ لى إليك يا بئى حاجتين ، فأستغنى بهما ؛ إحداهما : أن تستقم لى ممَّن حاون على خلعي والسَّمَل لعبتى ، ولا تأخذك فيهم^(٢) رافة ، والأخرى : أن تؤنسى كلَّ يوم بثلاثة نفر لهم أصالة رأى ، وتأذن لهم فى الدخول على . فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيها الملك ، إنَّ المارق بهرام قد أظلمنا ومعه الشجاعة والنَّجدة ، ولستنا نقدر أن نعدَّ يداً إلى من أتى إليك ما أتى ، فإن أدالنى الله على المنافق ، فأنا خليفتك وطوئُ يدك .

وبلغ بهرام قدم كِسْرَى وتمليك الناس إياه ، فأقبل بجنده حيثما نحو المدائن ، وأذكى أبرويز العين عليه ، فلما قُرب منه رأى أبرويز أنَّ الترفُّق به أصلح ، فسلَّح وأمر بِندويه وبِسَطام وناساً كان يثقُ بهم من العظماء وألف رجل من جنده ، فترسَّوا وتسَلَّحوا ، وخرج بهم أبرويز من قصره نحو بهرام ، والنَّاس يدعون له ، وقد احتوشه بِندويه وبِسَطام

(١) ت ، ح : « صار » .

(٢) ت ، ح : « بهم » .

٩٩٧/١ غيرُهما من الوجوه حتَّى وقف على شاطئ النهرَوان ، فلمَّا عرف بهرام مكانه ، ركب برذونا له أبلقَ كان معجبًا به ، وأقبلَ حاسرًا ومعه ليزدَجُشنس وثلاثة نفر من قرابة ملكِ الترك كانوا جتمعوا لبهرام على أنفسهم أن يأتوه بأبرويز أسيرًا ، وأعطاهم بهرامُ على ذلك أموالًا عظيمة . ولمَّا رأى بهرامُ بيزةَ كسرى وزينته والتاجَ ، بسَّيره معه ودَرَقش كإبيانَ علمهمُ الأعظم منشورًا ، وأبصرَ بيندويته وبِسْطامَ وسائرَ العظماء وحسنَ تسلُّحهم وفراحةَ دوابهم ، اكتبَ لذلك ، وقال لمن معه : ألا ترونَ ابنَ الفاعلة قد التحمَ وأشحمَ ، وتحولَ من الحداثة إلى الحُنْكة ، واستوتَ لِحْيَتُهُ وكملَ شبابهُ ، وعظمَ بدَنُهُ ! فبينما هو يتكلَّم بهذا وقد وقف على شاطئ النهرَوان . إذ قال كيسرى لبعض من كان واقفًا : أى هؤلاء بهرام ؟ فقال أخُ لبهرام يسمي كُرْدِي لم يزل مُطيعًا لأبرويز مؤثرًا له : عمرك الله ! صاحبُ البرذون الأبلق . فبدأ كيسرى فقال : إنك يا بهرام ركنُ مملكتنا وسنادُ لرحمتنا ، وقد حسنَ بلاؤُك عندنا ، وقد رأينا أن نختار لك يومًا صالحًا لنوليَّتك فيه إصْبَهْبَدَةَ بلادِ الفرس جميعًا ، فقال له بهرام - وازداد من كيسرى قربًا - : لكنى اختار لك يومًا أصْلُك فيه . فامتأ كيسرى حزنًا من غير أن يلبو في وجهه من ذلك شيء ، وامتدَّ بينهما الكلام ، فقال بهرام لأبرويز : يا ابن الزانية المُرْبِي في خيام الأكراد ! هذا ومثله ، ولم يقبل شيئًا ممَّا عرضه عليه ، وجرى ذِكْرُ إيرش جدِّ بهرام ، فقرعه أبرويز بطاعة إيرش كانت لِمِنْوِشهر جده . وتفرَّقا وكلُّ واحد منهما على غاية الوحشة لصاحبه .

٩٩٨/١ وكانت لبهرامَ أختٌ يقال لها كُرْدِيَّة ، من أمِّ النساء وأكملهن ، وكان تزوجها ، فعاتبت بهرام على سوء مُلافظته كانت لكيسرى ، وأرادتَه على الدخول في طاعته ، فلم يقبل ذلك ، وكانت بين كيسرى وبهرام مُباينة ، فيُقَال إنه لما كان من غدِ الليلة التي كان البيات فيها ، أبرز كسرى نفسه ، فلما رآه الأتراك الثلاثة قصلوه ، قتلهم بيده أبرويز ، وحرَّضَ الناسَ

على القتال فنبين فشلاً ، فأجمع ^(١) أبرويز على إتيان بعض الملوك للاستعانة به ، فصار إلى أبيه وشاورة ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأجرز نساءه وشخص في عدة يسيرة ، فيهم بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام ، فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يردّ هرمز إلى الملك ويكتب إلى ملك الروم عنه في ردّهم فبيّتلقوا ، فأعلموا أبرويز ذلك ، واستأذنتوه في إتلاف هرمز فلم يجر جواباً ، فانصرف بندويه وبسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلّفوه خنقاً ، ثم رجعوا إلى كيسرى وقالوا : سير على خير طائر ، فحشوا دوابهم وصاروا إلى القنرات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له خرشيدان ، وصاروا إلى بعض الديارات التي في أطراف العمارة ، فلما أوطأوا إلى الراحة غشيتهم خيل بهرام ، يرأسها رجل يقال له بهرام بن سياوش ، فلما نذروا بهم أنه بندويه أبرويز من نومه وقال له : احتل لنفسك ، فإن القوم قد أطلوك ، قال كيسرى : ما عندى حيلة ، فأعلمه بندويه أنه يدل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بيزته ويخرج ومن معه من الدّير ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القوم حتى تواروا بالجلجل ، فلما وافى بهرام بن سياوش ، أطلع عليه من فوق الدّير ينشويه وعليه بيزة أبرويز ، فوثقه بذلك أنه أبرويز ، وسأله أن ينظره إلى غده ليصير في يده مسلماً ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جوبين ، فحبسه في يدى بهرام بن سياوش .

٩٩٩/١

ويقال إن بهرام دخل دور الملك بالمدائن ، وقعد على سريره ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع في أبرويز ، وذمه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام] ^(٢) كان كلهم منصرفاً عنه ، إلا أن بهرام جلس على سرير الملك وتوّج وانقاد له الناس خوفاً - ويقال إن بهرام بن سياوش واطأ بندويه على الفتك بجوبين ، وإن جوبين ظهر على ذلك فقتله ، وأفلت ينشويه فلحق بأذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية ، وكاتب مؤريق ملك الروم

(١) ت ، ح . : « فأجمع رأيه »

(٢) من ح .

منها ، وأُرسل إليه بجماعة ممن كان معه وسأله نُصْرَتَه ، فأجابَه إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زوّجه مريم ابنته وحملها إليه ، وبعث إليه بثيادوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له سَرَجِس ، يتولّى تدبير أمرهم ، ورجل آخر كانت قوته تعدل بقوة ألف رجل ، واشترط عليه حياته ، وألاّ يسأله إلاّ تاتوة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم . فلما ورد القوم على أبرّويز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثمّ عرضهم وعرف عليهم العرفاء ، وفي القوم ثيادوس وسَرَجِس والكمي الذي يعدل بألف رجل ، وسار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق ، فوافاه هناك بـسندويه ورجل من أصهبندى الناحية يقال له مُوسيل في أربعين ألف مقاتل ، وانقضّ الناس من فارس وأصهبان وخراسان إلى أبرّويز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجرت بينهما حرب شديدة قُتِل فيها الكمي الرومي . ويقال إن أبرّويز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلاً - منهم كُردي أخو بهرام ، وبسندويه وبسطام ، وسابور^(١) بن أفران بن فرخزاد^(٢) ، وفرخندهرمز - حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض . والمحسوس تزعم أن أبرّويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام ، فلما ظن أنه قد تمكّن منه ، رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه .

وذكر أن المنجمين أجمعت أن أبرّويز يملك ثمانياً وأربعين سنة . وقد كان أبرّويز بارزاً بهرام فاختلف رُمحه من يده وضرب به رأسه حتى نقص ، فاضطرب على بهرام أمره ووجيل ، وعلم أنه لا حيلة له في أبرّويز فانحاز نحو خراسان ، ثم صار إلى الترك ، وصار أبرّويز إلى المدائن بعد أن فرّق في جنود الروم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق . ويقال إن أبرّويز كتب للنصارى كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بيعةهم وأن يدخل في ملتهم من أحبّ الدخول فيها من غير المحسوس ، واحتجّ في ذلك أن أنوشيروان كان

هَادَنَ قَيْصَرَ فِي الْإِثْمَةِ الَّتِي أَخْلَاهَا مِنْهُ عَلَى اسْتِصْلَاحٍ مِنْ فِي بَلَدِهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَاتَّخَذَ بَيْوتَ النِّيرانِ هُنَاكَ . وَإِنْ قَيْصَرَ اشْتَرَطَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي النَّصَارَى ، وَلَيْتَ بَهْرَامُ فِي التُّرْكِ مَكْرَمًا عِنْدَ الْمَلِكِ ، حَتَّى احْتَالَ لَهُ أَبَرْوِيزُ بِتَوْجِيهِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ هُرْمُزُ ، وَجَّهَهُ إِلَى التُّرْكِ بِجَوْهَرِ نَفِيسٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى احْتَالَ لِحَاثُونَ أُمْرَأَةِ الْمَلِكِ وَلَا طَافَتْهَا بِذَلِكَ الْجَوْهَرِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى دَسَّتْ لِبَهْرَامٍ مَنَ قَتْلِهِ . فَيُقَالُ إِنَّ خَاقَانَ اغْتَمَّ لِقَتْلِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى كَرْدِيَةِ أَخِيهِ وَأُمْرَأَتِهِ^(١) يُعَلِّمُهَا بَلُوغَ الْحَادِثِ بِبَهْرَامٍ مِنْهُ ، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا نَظَرًا أَخَاهُ ، وَطَلَّقَ خَاتُونَ بِهَذَا السَّبَبِ ، فَيُقَالُ إِنَّ كَرْدِيَةَ أَجَابَتْ خَاقَانَ جَوَابًا لَيْسَتْ وَصَرَفَتْ نَظَرًا ، وَإِنَّهَا ضَمَّتْ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ مَعَ أَخِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَخَرَجَتْ بِهِمْ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى حُدُودِ مَمْلُوكَةِ فَارَسَ ، وَإِنْ نَظَرًا التُّرْكِ اتَّبَعَهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، وَإِنْ كَرْدِيَةَ قَتَلَتْ نَظَرًا بَيْدَهَا وَمَضَتْ لِحُجَّتِهَا ، وَكَتَبَتْ إِلَى أَخِيهَا كَرْدِي فَأَخَذَهَا أَمَانًا مِنْ أَبَرْوِيزَ . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهِ تَزَوَّجَهَا أَبَرْوِيزُ وَاعْتَبَطَ بِهَا وَشَكَرَهَا مَا كَانَ مِنْ حُبِّهَا لِبَهْرَامَ ، وَأَقْبَلَ أَبَرْوِيزُ عَلَى بَرْمُورِيٍّ وَالطَّافَةِ . وَإِنَّ الرُّومَ خَلَعُوا — بَعْدَ أَنْ مَلَكَ كَسْرَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً — مَورِيْنَ وَقَتْلُوهُ وَأَبَادُوا وَرَثَتَهُ — خَلا ابْنَ لَهُ هَرَبَ إِلَى كَسْرَى — وَمَلَكَوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ قُوفَا .

فَلَمَّا بَلَغَ كَيْسَرِي نَكَثَ الرُّومُ عَهْدَ مَورِيْنَ وَقَتَلُوهُمْ إِيَّاهُ ، اِمْتَنَعَ ١٠٠٢/١ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْفَتَ مِنْهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْحَفِيزَةُ ، فَأَوَى ابْنَ مَورِيْنَ اللَّاجِئُ إِلَيْهِ ، وَتَوَجَّهَ وَمَلَكَهُ عَلَى الرُّومِ ، وَجَّهَهُ مَعَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنْ قُوَادِهِ فِي جُنُودٍ كَثِيفَةٍ . أَمَّا أَحَدُهُمْ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ رُمُوزَانُ^(٢) ، وَجَّهَهُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَدَوَّخَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينِ ، وَوَرَدَ مَدِينَةَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَأَخَذَ اسْتَقْفَهَا وَمِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْقَسْبِيِّينَ وَسَائِرِ النَّصَارَى بِخَشْبَةِ الصَّلِيبِ ، وَكَانَتْ وَضَعَتْ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَطَبَّعَ فِي بُسْتَانٍ وَزُرْعَ فَوَقَفَهُ مَبْقِلَةً ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى دَلُّوهُ عَلَى مَوْضِعِهَا ، فَاحْتَضَرَهَا بِيَدِهِ وَاسْتَخْرَجَهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى كَيْسَرِي فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مَلِكِهِ .

(١) ط : « مريمه » ، ربما أثبتته من ت ، ح .

(٢) ت ، ح : « دميان » .

وأما القائد الآخر - وكان يقال له شاهين ، وكان فاذوسبان المغرب - فإنه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلاد نوبة ، وبعث إلى كيسرى بمفتاح مدينة إسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه . وأما القائد الثالث فكان يقال له فترهان ، وتدعى مرتبته شهربراز . وإنه قصد القسطنطينية حتى أناخ على ضفة الخليج القريب منها ، وخيم هنالك ، فأمره كيسرى فغرب بلاد الروم غضباً مما انتهكوا من موريق ، وانتقاماً له منهم ، ولم يخضع لابن موريق من الروم أحد ولم يمنعه الطاعة ، غير أنهم قتلوا قوطا الملك الذي كانوا ملكوه عليهم لِمَا ظهَرَ لهم من فجوره وجراته على الله وسوء تدبيره ، وملكوا عليهم رجلاً يقال له هيرقل . ١٠٠٢/١

فلما رأى هيرقل عظيم ما فيه بلاد الروم من تخريب جنود فارس إيَّاهَا وقتلها مُقاتلتهم وسبيهم ذراريهم واستباحة أموالهم وانتهابهم ما بحضرتهم ، بكى إلى الله وتضرع إليه وسأله أن يُنْقِذَهُ وأهل مملكته من جنود فارس ، فرأى في منامه رجلاً ضلخم الجثة رفيع المجلس ، عليه بزة ، قائماً في ناحية عنه ، فدخل عليهما داخل ، فألقى ذلك الرجل عن مجلسه ، وقال لهيرقل (١) : إني قد أسلمته (٢) في يدك . فلم يقصص رؤياه تلك في بقلته على أحد ، ورأى الليلة الثانية في منامه أن الرجل الذي رآه في حلمه جالس في مجلس رفيع ، وأن الرجل الدّاخل عليهما أتاهُ وبِيَدِهِ سُلْسِلَةٌ طويلة ، فألقاها في حنق صاحب المجلس وأمكنه منه ، وقال له : هأنذا قد دفعتُ إليك كيسرى بمرمته ، فاغزُهُ فإنَّ الظفر لك ، وإنَّك مدالٌ عليه ونائلٌ أمنيَّتِكَ في غزائك . فلما تابعت عليه هذه الأحلام ، قصّها على عظماء الروم وذوى الرأى منهم .

فأخبروه أنّه مدالٌ عليه ، وأشاروا عليه أن يغزوّه ، فاستعدّ هيرقل واستخلف ابنًا له على مدينة قسطنطينية ، وأخذ غير الطريق الذي فيه شهر براز ، وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية ، فزل نصيبين بعد سنة ، وكان

(١) ح : ولم .

(٢) ت ، ح : سلمته .

شاهين - فاخوسبانُ المغرب - بباب كيسرى حين ورد هيرقل نصيبين لموجدة كانت من كسرى عليه ، وعزله إنياء عن ذلك الثغر ، وكان شهر براز ١٠٠٤/١ مرابطاً للموضع الذى كان فيه لتقدم كسرى كان إليه فى الجفوم فيه ، وترك البراح منه ، فبلغ كسرى خبر تساقط هيرقل فى جنوده إلى نصيبين ، فوجه لمحاربة هرقل رجلاً من قوادده يقال له : راهزار ، فى اثني عشر ألف مقاتل ، وأمره أن يقيم بنيينوى من مدينة الموصل على شاطئ دجلة ، ويمنع الروم أن يجوزوا - وكان كيسرى حين بلغه خبر هيرقل مقيماً بدسكرة الملك - ففتك راهزار لأمر كسرى ، وعسكر حيث أمره ، فقطع هيرقل دجلة فى موضع آخر إلى الناحية التى كان فيها جند فارس ، فأذكى راهزار العيون عليه ، فانصرفوا إليه وأخبروه^(١) أنه فى سبعين ألف مقاتل ، وأيقن راهزار أنه ومن معه من الجنود عاجزون عن مناهضة سبعين ألف مقاتل ، فكتب إلى كيسرى خبر مرة دهم هرقل إنياء بمن لا طاقة له ولمن معه بهم ، لكثرتهم وحسن عدتهم ، كل ذلك يحبه كسرى فى كتابه ، أنه إن عجز عن أولئك الروم فلن يعجز عن استيفائهم وبذل دماهم فى طاعته . فلما تابعت على راهزار جوابات كُتِبَ إلى كيسرى بذلك ، حثى جندة وناهض الروم ، فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل ، وانهمز بقيتهم وهربوا على وجوههم ، وبلغ كسرى قتل الروم راهزار وما نال هرقل من الظفر ، فهذه ذلك وانحاز من دسكرة الملك إلى المدائن ، وتحصن فيها لعجزه كان عن محاربة هرقل .

١٠٠٥/١ وسار هيرقل حتى كان قريباً من المدائن ، فلما تساقط إلى كيسرى خبره واستعد لقتاله ، انصرف إلى أرض الروم وكتب كيسرى إلى قواد الجنود الذين انهزموا يأمرهم أن يدكوه على كل رجل منهم ومن أصحابهم ، ممن فشل فى تلك الحرب ولم يربط مركزه فيها ، فيأمر أن يعاقب بقدر ما استوجب ، فأخرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ، ويصف ما كان من أمر الروم فى عمله .

وقد قيل: إن قول الله: ﴿الْم • غُلِبَتِ الرُّومُ • فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ • فِي بَعْضِ سِنِينَ اللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ • يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، إنما نزل في أمر أبرويز ملك فارس وملك الروم هيرقل، وما كان بينهما مما قد ذكرت من هذه الأخبار.

ذكر من قال ذلك :

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عكرمة : أن الروم وفارس اقتتلوا في أذنى الأرض . قال : وأذنى الأرض يومئذ^(٢) أذرعان ، بها التقوا فهزمت الروم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة ، فشق ذلك عليهم - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأمميون من المحبوس ١٠٠٦/١ على أهل الكتاب من الروم - وفرح الكفار بمكة وشمتوا ، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أمميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله : ﴿الْم • غُلِبَتِ الرُّومُ •﴾ - إلى - ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٣) ، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ! فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا . فقام إليه أبي بن خلف الجهمي ، فقال : كذبت يا أبا فصيل ! فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله ! فقال : أنا جليك^(٤) ! عشر قلائص^(٥) مني ، وعشر قلائص منك ،

(١) سورة الروم ١ - ٨ .

(٢) ط : « يوم » ، والصواب ما أثبتته من التفسير .

(٣) المناجاة : المخاطرة والمراعاة .

(٤) القلائص : جمع قلوص ، وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

فإن ظهرت الروم على فارس غرِمتُ ، وإن ظهرت فارس غرِمتَ إلى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرتُ ، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزأيدُه في الخطر^(١) ومادُه في الأجل . فخرج أبو بكر فلقى أبايًّا فقال : لعلك ندمت ، قال : لا ، تعال أزايدُك في الخطر وأمادُك في الأجل ، فاجعلتها مائة قلووس إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لا تليدُ إلاَّ الملوك الأبطال ، فدعاها كِسرى ، فقال : إنني أريدُ أنْ أبعثَ إلى الروم جيشًا وأستعملَ عليهم رجالًا من بنيك ، فأشيري على أيهم أستعمل ، قالت : ١٠٠٧/١ هذا فلان وهو أروغ من ثعلبه ، وأحذر من صقر ، وهذا قرطخان وهو أفعدُ من سينان ، وهذا شهريراز وهو أحلم من كذا ، فاستعملَ أيُّهم شئت ، قال : فإني قد استعملت الحليم ، فاستعمل شهريراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتلهم وخرَّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم . قال أبو بكر : فحدَّثت هذا الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لو أتيتها لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع ، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيتها^(٣) .

قال عطاء الخراساني : حدثني يحيى بن يعنبر ، أن قيسر بعث رجلاً يُدعى قطمة بجيش من الروم ، وبعث كِسرى بشهريراز ، فالتقيا بأذرعَات وبصرى - وهى أدنى الشام إليكم - فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كفار قرطش وكرهه المسلمون ، فأنزل الله : ﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ ... ﴾ الآيات . ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يبرح شهريراز يبطوهم ويخرَّب مدائنهم حتى بلغ الخليج ، ثم مات كِسرى فبلغهم موته ، فانهزم

(١) الخطر ، بالتحريك : ما يتخاطر عليه ويتراهن به .

(٢) الخبر في التفسير ٢٠ : ١٣ (بولاق) .

شَهْرَبَرَّازَ وَأَصْحَابَهُ ، وَأَدِيلَتِ بِهِمُ الرُّومُ حَندَ ذَلكَ فَاتَّبَعُوهُمُ يُقَتِّلُونَهُمْ .
 قال : وَقَالَ عِكرْمَةُ فِي حَدِيثِهِ : لَمَّا ظَهَرَتِ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ ، جَلَسَ
 فَرَّخَانُ يَشْرِبُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَقَدْ رَأَيْتُ كَأَنِّي جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ كِسْرَى ؛
 فَلَبِثْتُ كِسْرَى ، فَكُتِبَ إِلَيَّ شَهْرَبَرَّازُ : إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَبِثْ إِلَيَّ بِرَأْسِ
 فَرَّخَانٍ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مِثْلَ فَرَّخَانٍ ؛ إِنْ لَمْ
 نَكَايَةً وَصَوْنًا فِي الْعَدُوِّ فَلَا تَفْعَلْ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنْ فِي رِجَالِ فَارِسٍ خِطَفًا
 مِنْهُ ، فَعَجِّلْ عَلَيَّ بِرَأْسِهِ . فَرَاغَهُ ، فَغَضِبَ كِسْرَى فَلَمْ يَجِئْهُ ، وَبَعَثَ بِرِيدًا
 إِلَى أَهْلِ فَارِسَ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنْكُمْ شَهْرَبَرَّازَ ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ فَرَّخَانَ .
 ثُمَّ دَفَعَ إِلَى الْبَرِيدِ صَحِيفَةً صَغِيرَةً ، وَقَالَ : إِذَا وَلَّى فَرَّخَانُ الْمَلِكَ وَاتَّقَادَ لَهُ
 أَخُوهُ ، فَأَعْطِهِ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ . فَلَمَّا قَرَأَ شَهْرَبَرَّازُ الْكِتَابَ ، قَالَ : سَمِعًا
 وَطَاعَةً ، وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ فَرَّخَانُ ، وَدَفَعَ إِلَى الصَّحِيفَةَ إِلَيْهِ فَقَالَ : اتَّبَنِي
 بِشَهْرَبَرَّازَ ، فَقَدْ مَهَّ لِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ حَتَّى أَكْتُبَ وَصِيَّتِي ،
 قَالَ : نَعَمْ ، فَبَدَأَ بِالسَّفَطِ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ ، وَقَالَ : كُلُّ هَذَا رَاجِعُ
 فِيكَ كِسْرَى ، وَأَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَقْتُلَنِي بِكِتَابٍ وَاحِدٍ فَرُدَّ الْمَلِكُ إِلَى أَخِيهِ ،
 وَكُتِبَ شَهْرَبَرَّازُ إِلَى قِيصَرِ مَلِكِ الرُّومِ : إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ لَا تَحْمِلُهَا
 الْبُرْدُ وَلَا تَبْلُغُهَا الصُّحُفُ ، فَالْقَتْنِي ، وَلَا تَلْقُنِي إِلَّا فِي خَمْسِينَ رُومِيًّا ، فَإِنِّي
 أَلْقَاكَ فِي خَمْسِينَ فَارِسِيًّا ، فَأَقْبِلْ قِيصَرَ فِي خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ رُومِيٍّ ، وَجَعَلَ
 يَضَعُ الْعِثُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الطَّرِيقِ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَكَرَ بِهِ ، حَتَّى أَتَاهُ
 عِيُونُهُ ، أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا خَمْسُونَ رَجُلًا ، ثُمَّ بَسَطَ لَهَا وَالتَّقِيَا فِي قُبَّةٍ دِيْبَاجَ
 ضَرَبَتْ لَهَا ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَكِّينَ ، فَدَعَا تَرْجَمَانًا بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ
 شَهْرَبَرَّازُ : إِنْ اللَّيْنُ خَرِبَ بَوَامِدُائِكَ أَنَا وَأَخِي بِكَيْدِنَا وَشَجَاعَتِنَا ، وَإِنْ كِسْرَى
 حَسَدُنَا فَأَرَادَ أَنْ أَقْتَلَ أَخِي ، فَأَبَيْتُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَخِي أَنْ يَقْتُلَنِي ، فَقَدْ
 خَلَعْتَنَاهُ جَمِيعًا فَتَحَنَّنْ لِقَاتِلِهِ مَعَكَ . قَالَ : قَدْ أَصْبَحْتُمَا ، ثُمَّ أَشَارَ أَحَدُهُمَا
 إِلَى صَاحِبِهِ أَنَّ السَّرَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَإِذَا جَاوَزَ اثْنَيْنِ فَشَا ، قَالَ : أَجْعَلْ ،
 فَقَتَلَا التَّرْجَمَانِ جَمِيعًا بِسِكِّينِهِمَا ؛ فَأَهْلَكَ اللَّهُ كِسْرَى ، وَجَاءَ الْخَبْرُ

١٠٠٨/١

١٠٠٩/١

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الْخُدَيْبِيَّةِ ، ففرح ومن معه ^(١) .
 وَحَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمْدٍ ، أَنَّهُ قَالَ : فِي سَنَةِ عِشْرِينَ مِنْ مُلْكِكَ
 كَيْسَرِي أَبَرْوِيزَ ، بَعَثَ اللَّهُ عَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ
 عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَاجَرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ مِنْ مُلْكِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك فارس عن أهل فارس

ووطأتها العرب بما أكرمهم به بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
من النبوة والخلافة والملك والسلطان في أيام كيسرى أبرويز .

فمن ذلك ما روى عن وهب بن منبه ، وهو ما حدثنا به ابن حميد ،
قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من حديث كيسرى
كما حدثني بعض أصحابي ، عن وهب بن منبه ، أنه كان سكر دجلة
العوراء^(١) ، وأنفق عليها من الأموال ما لا يُدرى ما هو ، وكان طاق مجلسه
قد بُنى بنياناً لم ير مثله ، وكان يعلق تاجه ، فيجلس فيه إذا جلس للناس ،
وكان عنده ستون وثلاثمائة رجل من الحرّة - والحرّة العلماء - من بين كاهن
وساحر ومنجم ، قال : وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف
اعتباف العرب فلماً يخطئ - بعث به إليه باذان من اليمن - فكان
كيسرى إذا حزبه أمر جمع كهانه وسحاره ومنجميه ، فقال : انظروا في
هذا الأمر ما هو !

فلماً أن بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أصبح كيسرى ذات
غدّة وقد انقصمت طاق ملّكه من وسطها من غير ثقل ، وانخرقت عليه
دجلة العوراء ، فلماً رأى ذلك حزنه ، وقال : انقصمت طاق ملّكي من
وسطها من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ، « شاه يشكست » :
يقول : الملك انكسر . ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه ، ودعا السائب معهم ،
فقال لهم : انقصمت طاق ملّكي من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ،
« شاه يشكست » انظروا في هذا الأمر ما هو ؟ فخرجوا من عنده فنظروا في أمره ،
فأخذ عليهم بأقطار السماء ، وأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا في علمهم ، فلا

(١) دجلة العوراء : اسم لدجلة البصرة ، ويقال : سكر النهر ، إذا سد فاه .

يمضى لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقيم لمنجم علم نجومه .
وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل
الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت
قدميه ؛ فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : لئن صدق ما أرى ، ليخرجنَّ
من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ؛ تُخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت
عن ملك^(١) كان قبله .

فلما خلتص الكهتان والمنجمون بعضهم إلى بعض ، ورأوا ما قد أصابهم ،
ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما حيل بينكم وبين
علمكم إلا الأمر^(٢) جاء من السماء ، وإنه لنبى قد بعث - أوهو مبعوث - يسلب
هذا الملك ويكرسه . ولئن نعيم لكسرى مُلكه ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم
أمرًا تقولونه له تؤخرونه عنكم إلى أمرٍ ما ساء .

فجاءوا كسرى ، فقالوا له : إننا قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسابك
الدين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرت دجلة العوراء وضعوه
على النحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ،
فزال كل ما وضع عليهما ؛ وإننا منحصب لك حساباً تضع عليه بنيانك
فلا يزول . قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبني . فعمل في دجلة
ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو ، حتى إذا فرغ [منها]^(٣)
قال لهم : اجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فأمر بالبسط والفرش والرياحين
فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة فجعلوا^(٤) له ، واجتمع إليه اللعابون ، ثم خرج حتى
جلس عليها ، فبينما هو هنالك^(٥) انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج^(٦)
إلا بأعرج رمتق .

(١) ابن الأثير ١ : ٢٨٣ : « على ملك » .

(٢) ابن الأثير : « أمر » .

(٣) تكله من ر .

(٤) ت ، ح : « فاجتمعوا » .

(٥) ل : « كذلك » ، ح : « هناك » .

(٦) ح : « يخرج » .

فلما أخرجوه ، جَمَعَ كُهَنَاهُ وَصُحَّاحَهُ وَمُنَجِّمِيهِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَةٍ ، وَقَالَ مِمَّتْكُمْ ^(١) وَأَدْنَيْتُكُمْ دُونَ النَّاسِ ، وَأَجْرِيَتْ عَلَيْكُمْ أَرْزَاقِي ، ثُمَّ تَلْعَبُونَ بِي ! فَقَالُوا ^(٢) : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَخْطَأْنَا كَمَا أَخْطَأَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَلَكِنَّا سَنَحْسِبُ لَكَ حِسَابًا فَتُبِّتَ حَتَّى تَضْمَعَ عَلَى الْوِثَاقِ مِنَ السَّعُودِ . قَالَ : انْظُرُوا مَا تَقُولُونَ ! قَالُوا : فَإِنَّا نَفْعَلُ ، قَالَ : فَاحْسِبُوا ، فَحَسِبُوا لَهُ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : ابْنَهُ ، فَبَنَى وَأَنْفَقَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يَدْرِي مَا هُوَ ، ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ مِنْ ذِي قَبِيلٍ . ثُمَّ قَالُوا : قَدْ فَرَعْنَا ، قَالَ : أَفَأُخْرِجُ فَأَقْعُدَ عَلَيْهَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَهَابَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا ، وَرَكِبَ بَرَفُونًا لَهُ ، وَخَرَجَ يَسِيرُ عَلَيْهَا ، فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فَوْقَهَا إِذْ انْتَفَسَتْ دَجَلَةٌ بِالْبَنِيَانِ ، فَلَمْ يَدْرِكْ إِلَّا بِأَخِرِ رَمَتَيْ ، فَدَعَاهُمْ فَقَالَ : وَاقِلُوا لَأَمْرِنَ عَلَى آخِرِكُمْ وَلَا تَزْعُمَنَّ أَكْتَا فِكُمْ ، وَلَا تُطْرَحُنَكُمْ تَحْتَ أَيْدِي الْفِيلَةِ أَوْ لَتَصُدُّكُنِّي مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَلْفَقُونَ عَلَى آقَالُوا : لَا نَكْذِبُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَمَرْتَنَا حِينَ انْخَرَقَتْ عَلَيْكَ دَجَلَةٌ ، وَانْقَسَمَتْ ^(٣) عَلَيْكَ طَائِقُ مَجْلِسِكَ ^(٤) مِنْ غَيْرِ ثَقُلَ أَنْ نَنْظُرَ فِي عِلْمِنَا لِمَ ذَلِكَ ! فَنَظَرْنَا ، فَأَظْلَمَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ وَأُخِذَ عَلَيْنَا بِأَقْطَارِ السَّمَاءِ ، فَزِدَّ عَلَيْنَا عِلْمُنَا فِي أَيْدِينَا ، فَلَا يَسْتَقِيمُ لِسَاحِرٍ سَحَرُهُ ، وَلَا لِكَاهِنٍ كِهَانَتُهُ ، وَلَا لِمُنَجِّمٍ عِلْمُهُ ^(٥) نَجُومُهُ ؛ وَغَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَدَّثَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَأَنَّهُ قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ مَبْعُوثٌ ، فَلِلَّهِ حَيْلٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عِلْمِنَا ، فَمَخَشَيْنَا إِنْ نَعَمْنَا لَكَ مَلِكُكَ أَنْ تَقْتُلَنَا ، وَكَرِهْنَا مِنَ الْمَوْتِ مَا يَكْرَهُ النَّاسُ ، فَعَلَلْنَاكَ عَنْ أَنْفُسِنَا بِمَا رَأَيْتَ . قَالَ : وَيَحْكُمُ ! فَهَلَّا تَكُونُونَ بَيْنَكُمْ لِي هَذَا فَأَرَى فِيهِ رَأْيِي ! قَالُوا : مَنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا تَخَوَّفْنَا مِنْكَ . فَفَرَكَهُمْ وَلَهَا عَنْ دَجَلَةٍ حِينَ غَلَبَتْهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ الْقُضَلِ ابْنِ عِيْمَى الرَّقَاشِيِّ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصَرِيِّ ، أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى كَيْسَرِي فَبِكَ ! قَالَ : بَعَثَ

(١) ت : وَأَمَّتْكُمْ ، ح : وَفَرَقَتْكُمْ ، ر : ل : « سَيِّئَكُمْ » .

(٢) كَلَّا فِي ح وَابْنُ الْأَثِيرِ ؛ يَط : « قَالُوا » .

(٣) ل : « وَانْقَسَمَ » .

(٤) ت ، ح : « نَجْم » .

(٥) ت ، ح : « مَلِكُكَ » .

إليه ملككاً فأخرج يده من سور جدار بيته الذى هو فيه يتلأأ نوراً ، فلما رآها فزع ، فقال : لَمْ تُرْعَ يا كسرى ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك ، قال : سأنظر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، عن الزهرى ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بَعَثَ الله إلى كسرى ملكاً وهو فى بيت إيوانه الذى لا يَدْخُلُ عليه فيه ، فلم يره إلا به قائماً على رأسه فى يده عصا ، بالهاجرة فى ساعته التى كان يتقيل فيها ، فقال : يا كسرى أتُسَلِّمُ أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهيل بهيل ، فأنصرف عنه ثم دعا (١) أحراسه وحجابه فتفيط عليهم ، وقال : من أدخل هذا الرجل على ؟ فقالوا : ما دخل عليك (٢) أحد ولا رأيناه ، حتى إذا كان العام القابل (٣) أتاه فى الساعة التى أتاه فيها ، فقال له كما قال له ، ثم قال له : أتُسَلِّمُ أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهيل بهيل بهيل ، ثلاثاً ، فخرج عنه ١٠١٤/١ فدعا كسرى حجابه وحراسه وبوابيه فتفيط عليهم وقال لهم كما قال أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك . حتى إذا كان فى العام الثالث أتاه فى الساعة التى جاءه فيها ، فقال له كما قال : أتُسَلِّمُ أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهيل بهيل ، قال : فكسر العصا ، ثم خرج فلم يكن إلا تهوؤ ملكه ، وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه .

قال عبد الله بن أبي بكر : فقال الزهرى : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن فقال : ذُكِرَ لى أن الملك إنما دخل عليه (٤) بقارورتين فى يديه ، ثم قال له : أسلم ، فلم يفعل ، فضرب إحداهما على الأخرى ففرضعهما ، ثم خرج فكان من [أمر] (٥) هلاكه ما كان .

(٢) ت ، ح : « علينا » .

(٤) ت ، ح : « إليه » .

(١) ت ، ح : « فدعا » .

(٣) ت ، ح : « المقبل » .

(٥) تكله من ت ، ح .

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا علي بن عاصم ، قال : أخبرنا خالد الحذاء ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي بكر ، يقول : بينما كسرى ابن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان ، لإيوان المدائن ، والأساورة محدقون بقصره ، إذ أقبل رجل يمشي معه عصا ، حتى قام^(١) على رأسه ، فقال : يا كسرى ابن هرمز ، إني رسول الله إليك أن تسلم ، قالها ثلاث مرات — وكسرى مستلق ينظر إليه لا يجيبه ، ثم انصرف عنه — قال : فأرسل كسرى إلى صاحب حرّسه ، فقال : أنت أدخلت عليّ هذا الرجل ؟ قال : لم أفعل ولم يدخل من قبلكنا أحد . قال : فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحيدق بقصرى ، ولا يدخل^(٢) عليّ أحد ، قال : ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصا ، وهو يقول له : يا كسرى بن هرمز ، إني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك — قال : وكسرى ينظر إليه لا يجيبه — فانصرف عنه ، قال : فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس : ألم أمرك ألا يدخل عليّ أحد ! قال : أيّها الملك ، إنّه والله ما دخل عليك من قبلكنا أحد ، فانظر من أين دخل عليك ؟ قال : فلما كان العام المقبل ، فكأنّه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرس والحرس : أن أحدقوا بي الليلة ، ولا تدخل^(٣) امرأة ولا رجل ، ففعلوا . فلما كان تلك الساعة ، إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول : يا كسرى بن هرمز ، إني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه . قال : يا كسرى إنك قد أبيت عليّ ، والله ليكسرنك الله كما أكرس عصا هذه ، ثم كسرها وخرج ، فأرسل كسرى إلى الحرس ، فقال : ألم أمركم ألا تدخل عليّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد ! قالوا : ما دخل عليك من قبلكنا أحد !

(١) ت ، ح : « وقف » .

(٢) ت ، ح : « لا يدخل » .

(٣) ت ، ح : « تدخل » .

قال : فلم يلبث أن وُكب عليه ابنه فقتله .

• • •

[ذكر خبر يوم ذى قار]

ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة وإلخيش الذى كان أنفله إليهم كسرى أبرويز لحربهم ، فالتقوا بلى قار .

وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة ١٠١٦/١ جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبى نصروا » . وهو يوم قراقرير ويوم الحنو حينو ذى قار ، ويوم حينو قراقرير ، ويوم الجبابات ، ويوم ذى العجرم ، ويوم الفلدان ، ويوم البطحاء ، بطنحاء ذى قار ، وكلهن حول ذى قار .

فحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنى أبو المختار فيراس بن خندق - أو خندقة - وعدة من علماء العرب قد سماهم ، أن الذى جرى يوم ذى قار ، قتل النعمان بن المنذر اللخمى عدى بن زيد العبادى ، وكان عدى من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدى بن زيد ، ما ذكر لى عن هشام ابن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الجصاص - وأخذته من كتاب حماد - وقد ذكر أبى بعضه - قال : ولد زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عصبية بن امرئ القيس بن زيد مائة بن تميم ثلاثة : عدياً الشاعر ، وكان جميلاً شاعراً خطيباً ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، وعساراً - وهو أبى - وعمرأ - وهو سمي - ولم أخ من أمهم ، يقال له عدى بن حنظلة من طيىء . وكان عسار يكون عند كسرى ، فكان أحدهما يشتهي هلاك عدى بن زيد ، وكان الآخر يتلبد في نصرانيته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لم معهم أكل^(١) وناحية^(٢) ، يقطعونهم القطائع ، [ويجزئون صلاتهم]^(٣)

(١) الأكل هنا : الرزق ، يقال : فلان ذو أكل ، إذا كان ذا رزق وحظ واسع في الدنيا

(٢) تكللة من الأمانى فيما رواه عن هشام الكلبي .

وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدى ، فهم الذين أرضعوه [وربوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له « الأسود » ، أمه مارية بنت الحارث بن جثلمهم من تيم الرباب ، فأرضعه]^(١) ، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مرينا ، ينسبون إلى لخم ، وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ، وكان يقال لولده كلهم الأشاهب^(٢) ، من جملهم ، فذلك قول الأعشى :

وَبَنُو الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبُ بِالْحُمَيْرَةِ يَمْشُونَ غَدَوَةً بِالسُّيُوفِ^(٣)

وكان النعمان أحمر أبرش^(٤) قصيراً ، وكانت أمه يقال لها سلتى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك ، وكانت أمه للحارث ابن حصن بن ضبضم بن عدى بن جنتاب من كلب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته ، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدى بن زيد وإخوته ، فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كله إلياس بن قبيصة الطائي [وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيته]^(٥) فكان عليه أشهراً^(٦) ، وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب . ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدى بن زيد ، فقال له : من بقى من بنى المنذر^(٧) ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت

(١) تكملة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

(٢) قال في القاموس : « والأشاهب بنو المنذر بلحلم » ، وقال شارحه : « سمو ملك لبياض وجوهم » . (٣) ديوانه ٢١٢ .

(٤) الأبرش : الأرقط ؟ وهو الذي يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٥) الأغاني : « فكث ملكاً عليها أشهراً » .

(٦-٦) كذا في أصول الطبري وتجارب الأمم ١ : ح ٢٣٨ ، وفي الأغاني بعده : « فلم يجد أحداً يرضاه ، ففجر ، فقال : لأبعث إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة ، ولأملكن عليهم رجلاً من الفرس ، ولأمرهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم ونسائهم ، وكان عدى بن زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه ، وقال : ويحك يا عدى ! من بقى من آل المنذر ! » .

المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعت إليهم ، فكتب فيهم فقدروا عليه ، فأزلم على عدى بن زيد . فكان عدى يفضل إخوة النعمان عليه في النزل ، وهو يريهم أنه لا يرجوه . ويدخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك : أتكفوني العرب ؟ فقولوا : نكفيكم إلا النعمان ، وقال للنعمان : ١٠١٨/١ إن سألك الملك : عن إخوانك فقل له : إن عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز . وكان من بنى مرينا رجل يقال له عدى بن أوس بن مرينا ، وكان مارداً شاعراً ، وكان يقول للأسود [بن المنذر] ^(١) : إنك قد عرفت آتى لك راج ، وأن طليقي ورغبتي إليك أن تخالف عدى بن زيد ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً . فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يخلطهم عليه ، جعل يخلطهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلمه ، فكان يرى رجلاً قلماً رأى مثلهم ، فإذا سألم : هل تكفوني ما كنتم تلون ؟ قالوا : نكفيك العرب إلا النعمان . فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً قديماً فكلمه ، وقال له : أنتطيع أن تكفي العرب ؟ قال : نعم : قال ، فكيف تصنع بإخوانك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فلكه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج - وقد ملئك - قال عدى بن أوس بن مرينا للأسود : دونك فلإنك قد خالفت الرأي .

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة ، ثم أرسل إلى ابن مرينا أن اتنى بمن ^(٢) أحببت ، فإن لى حاجة ، فأثاءه في ناس فتفتلوا في البيعة ، وشربوا ، فقال : عدى [بن زيد] ^(٣) لعدى بن مرينا : يا عدى ، إن أحق من حرف الحق ثم لم يكلم عليه ، من كان مثلك ؛ لآتى قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمنى على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تحقد على شيئاً لو قدرت

(١) نكلة من ابن الأثير ١ : ٢٨٥ ، وتجارب الأم ١ : ٢٢٨ .

(٢) ب ، ح : « فحين » .

(٣) من الأغاني وتجارب الأم .

عليه ركبته ، وأنا أحب أن تعطيتني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ، فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجو ولا يغيه غائلة أبداً ، ولا يزوي عنه خبراً أبداً . فلما فرغ عدى بن زيد قام عدى بن مرينا ، فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجو أبداً ، ويغيه الغوائل ما بقى . وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة ، فقال عدى بن مرينا لعدى بن زيد :

أَلَا أَبْلِغُ عَدِيًّا عَنْ عَدِيٍّ فَلَا تَجْزَعُ وَإِنْ رَتَتْ قَوَاكِي^(١)
هَيَّاكِلُنَا تَبْرُ لَفِيرٍ قَرَّ لَتُحَمَّدَ أَوْ يَتِمَّ بِهِ غِنَاكَ
فَإِنْ تَظْفَرُ فَلَمْ تَظْفَرْ حَبِيداً وَإِنْ تَعَطَّبَ فَلَا يَبْعُدُ مِوَاكَ
نَدِمْتَ نَدَامَةَ الْكُسَمِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنُكَ مَا صَنَعَتْ يَدَاكَ^(٢)

وقال عدى بن مرينا للأسود : [أمّا]^(٣) إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بئارك من هذا المعدى ، الذى عمل بك ما عمل^(٤) فقد كنت أخبرك أن معدداً لا ينام مكرها^(٥) . أمرتك أن تعصيه فخالفتنى . قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا يأتيتك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على . ففعل .

وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة ، فلم يك في الدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا^(٦) ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان لا يقضى في ملكه شيئاً إلا بأمر عدى بن مرينا ، وكان إذا ذكّر عدى بن زيد عنده أحسن عليه الثناء ، وذكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعدى إلا أن

(١) رئت : ضمنت .

(٢) الكسبي : نسبة إلى كسع ، حى من نيس حيلان ، وقيل : هم حى من اليمن رعاة ، والكسبي رجل يضرب به المثل في الندامة ، وهو رجل رام دى بعد ما أظلم الليل ميماً فأصابه ، وظن أنه أخطأه فكسر قوسه ، ثم قدم من الغد حين نظر إلى المير مقتولا وبسبه فيه ، فصار مثلاً لكل نادى حل فعل يقلعه . (٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « الذى فعل به ما فعل » . (٥) الأغاني « كليلها ومكرها » .

(٦) نى ط : « فلم يك في الأرض يوم » ، وفى تجارب الأمم : « فلم يمر يوم إلا يمت فيه إلى النعمان هدية » ، وفى ابن الأثير : « وكان لا يحفل النعمان يوماً من هدية » . وما أثبت به عن الأغاني .

يكون فيه مكر وخديعة. فلما رأى مَنْ يُطِيف بالنعمان منزلة ابن مَرِينَا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدى ابن زيد عند الملك بخير قولوا : إنه لكما تقول ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إنَّ الملك - يعنى النعمان - عامله ، وإنه ولاه ما ولاه ، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، وكتبوا كتاباً على لسان عدى إلى قَهْرْمَان^(١) لعدى ثم دسوا له ، حتى أدخلوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسل إلى عدى بن زيد : عزمت عليك إلا زرتنى ، فلأتى قد اشتقت إلى رؤيتك ! وهو عند كسرى^(٢) فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبس في محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدى بن زيد يقول الشعر وهو في السجن ، فكان أول ما قال في السجن من الشعر :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ الْهُمَامِ وَيَأْتِيكَ بِخَبَرِ الْأَنْبَاءِ عَفْءُ السُّؤَالِ^(٣)
فقال أشعاراً ، وكان كلما قال عدى من الشعر ، بلغ النعمان وسمعه ندم على حبسه إياه ، فجعل يرسل إليه ويوعده ويمنيه ويتفرق أن يرسله فيغيه الغوائل ، فقال عدى :

أَرِقْتُ لِمَكْفَهْرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُحُوسَ شَيْبٍ^(٤)

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ، فارسي معرب ، ويطلق في لغة الفرس على القاتم بأمر الرجل ، كالحازن والركيل .

(٢) كلما في الطبرى وتجارب الأمم ، وفي الأغاني : « وعدى يوشع عند كسرى » .

(٣) في رواية الأغاني بعد هذا البيت :

أَيْنَ عَنَّا لِإِخْطَارُنَا الْمَالِ وَالْأَمْوَالِ
وَنِضَالِ فِي جَنِّكَ النَّاسِ يَرْمُونِ وَأَرْمِي ، وَكُنَّا غَيْرُ آلِ
فَأَصِيبُ الَّذِي تَرِيدُ بِلَا غَشْيٍ وَأَرْبَى عَلَيْهِمْ وَأَوَالِي
لَيْتَ أَنِّي أَخَذْتُ حَقِّي بِكَفَى وَلَمْ أَلْقِ مِيتَةَ الْأَقْتَالِ
مَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ لَصَرَعَتْنَا الْعَامِ ، فَقَدْ أَوْقَعُوا الرِّحَا بِالْثَغَالِ

(٤) النظر بقية القصيدة في الأغاني ٢ : ١١١ ، ١١٢

وقال أيضاً :

• طَلَّ ذَا اللَّيْلِ عَلَيْنَا وَأَفْكَرَ^(١) .

وقال أيضاً :

• أَلَا طَلَّ اللَّيَالِي وَالتَّهَارُ^(٢) .

١٠٢١/١

وقال حين أعياء ما يتضرع إلى النعمان أشعاراً، يذكره فيها الموت، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

• أَرَوَّاحٌ مُوقَّعٌ أَمْ بُكُورٌ^(٣) .

وأشعاراً كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين ، فأقبل رجل من هُثَّان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . ويقال : الذي أغار على الحيرة فحرق فيها ، جفنة بن النعمان الجفني ، فقال عدى :

سَمَّا صَمْرٌ فَأَشْمَلَ جَانِبَيْهَا وَأَلْهَكَ التَّرْوَحُ وَالْعَزِيبُ^(٤)

فلما طال سجن عدى كتب إلى أخيه أبي ، وهو مع كسرى بشعر فقال :
أَبْلَغُ أَبِيًّا عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الرَّءْ مَا قَدْ عَلِمَ !
بَأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَادِ ، كُنْتَ بِهِ وَالِهَا مَا سَلِمَ^(٥)

(١) بقيقه :

• وَكَأَنِّي نَازِرُ الصُّبْحِ سَمَرٌ .

وانظر بقية القصيدة في الأغاني .

(٢) لم يذكره صاحب الأغاني .

(٣) بقيقه :

• لَكَ فَاغْمُذُ لَأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ .

وهو مطلع قصيدة في شراء النصرانية ٤٥٥ ، ولم تذكر في خبر الأغاني .

(٤) التَّرْوَح : الإبل المروسة إلى أطرافها . والعزيب : ما ترك في مراعيه . وانظر بقية الأبيات في رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : « وانقأ » .

لَدَى مَلِكٍ مُوثِقٍ بِالْحَدِيدِ لِمَا يَحَقُّ وَإِنَّمَا غُلِمٌ
فَلَا أَعْرِفُكَ كَذَّابُ الْفَلَا مَا لَمْ يَحْدِ عَارِمًا يَغْتَرِمُ^(١)
فَأَرْضُكَ أَرْضُكَ إِن تَأْتِنَا نَتَمُّ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلُمٌ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ :

إِن يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَاعَا جِزْ بَاعِرٍ وَلَا أَلْفٌ ضَمِيفٌ^(٢)
وَيَعِينِ إِلَهُهُ لَوْ أَنْ جَاوَا طَحُونًا تَضِيُّ فِيهَا الشُّيُوفُ^(٣)
ذَاتِ رِزٍّ مُجْتَابَةٍ غَمْرَةَ الْمَوْتِ تِ صَحِيحٌ سِرِّهَا مَكْنُوفٌ^(٤)
كُنْتَ فِي حَقِّهَا ، لِحَشْنِكَ أَسْمَى فَاعْلَمَنَّ لَوْ سَمِعْتَ إِذْ تَسْتَضِيفُ^(٥)
أَوْ بِمَالٍ سَلْتُ دُونَكَ لَمْ يُمْ نَعِ تِلَادَ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفُ^(٦)
أَوْ بِأَرْضٍ أَسْطِيعُ آتِيكَ فِيهَا لَمْ يَهْلِنِي بَعِيدُهَا أَوْ غَوْفُ^(٧)
فِي الْأَعَادِي وَأَنْتَ مَتَّى بَعِيدُ عَزَّ هَذَا الزَّمَانُ وَالْتَعْرِيفُ
إِنْ تَفْتَحِي وَأَقْبِلِي الْفَأُفْجُوعَا لَا يُعْقِبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ
فَلَمَعْمَرِي لَنْ جَزِغْتُ عَلَيْهِ لِعِزْوَعٍ عَلَى الصَّدِيقِ أَسُوفُ
وَلَمَعْمَرِي لَنْ مَلَكْتُ عِزَانِي لِقَلِيلٍ شَرَوَاكَ فِيهَا أَلُوفُ^(٨)

فَرَحُّوا أَنْ أَبْيَأَ مَا قَرَأَ كِتَابُ عَدِيَّ قَامَ إِلَى كَسْرِي فَكَلَّمَهُ ، فَكُتِبَ وَبِئْسَ

(١) كَذَا فِي الطَّبْرِيِّ وَالْأَغَانِي . وَفِي السَّانِ ١٥ : ٢٨٩ : « وَلَا تَلْقَيْنَ كَأَمِ الْغَلَامِ » ،
وَرَوَى مِنَ الْأَزْهَرِيِّ : « كَذَاتِ الْغَلَامِ مَا لَمْ تَجِدْ » ، وَقَالَ فِي شَرْحِهِ : « أَرَادَ بِذَلِكَ الْغَلَامِ الْأَمَّ الْمَرْصُوعَ .
(٢) الْأَلْفُ : التَّجْهِيلُ الْبَطْلُ .

(٣) الْجَاوَاءُ ، مِنْ وَصْفِ الْكُتَيْبَةِ ؛ يُقَالُ : كُتَيْبَةٌ جَاوَاءُ ، أَيْ بَيْتَةُ الْجَاهِي ، وَهِيَ الَّتِي يَمْلَأُ
لُونُهَا السَّوَادُ لِكَثْرَةِ الدَّرُوعِ .

(٤) الرِّزُّ : الصَّوْتُ يَسْمَعُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَالسَّرِبَالُ : الْقَمِيصُ . وَالْمَكْنُوفُ ، مَنْ كَفَفَتْ التَّوْبَةُ
إِذَا خَطَلَتْ حَاشِيَتَهُ .

(٥) تَسْتَضِيفُ : تَسْتَجِيرُ .

(٦) الْأَغَانِي : « سَأَلَتْ » ، بِالْبِنَاءِ الْمَعْلُومِ . (٧) الْأَغَانِي : « وَالتَّضْيِيفُ » .

(٨) شَرَوَاكَ : مَشَّكَ .

١٠٢٢/١ معمر جلا، وكتب خليفة النعمان إليه: إنه قد كتب إليك [في أمره]^(١). فأتاه أعداءه
 عدى من بني بَقِيلَة^(٢) من غَسَّان ، فقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم
 وجاء الرجل^(٣) ، وقد تقدم أخو عدى إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدى ، فدخل
 عليه وهو محبوس بالصنَّين ، فقال : ادخل عليه فانظر ما يأمر بك به ، فدخل
 الرسول على عدى ، فقال : إني قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي
 الذي تحب ، ووعده عِدَّة ، وقال : لا تخرجن من عندي ، وأعطني الكتاب
 حتى أرسل به ، فإني والله إن خرجت من عندي لأقتلن^(٤) ، فقال : لا أستطيع
 إلا أن آتي الملك بالكتاب ، فأدخله عليه ، فانطلق مخبر حتى أتى النعمان ،
 فقال : إن رسول كسرى قد دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم
 يستبق منا أحداً ، أنت ولا غيرك . فبعث إليه النعمان أعداءه فغمسوه^(٥) حتى
 مات ، ثم دفنوه .

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ! وبعث إليه
 بأربعة آلاف مثقال وجرارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل عليه ، فأخرجه
 أنت بنفسك . فلما أصبح ركب ، فدخل السجن ، فقال له الحرَّاس : إنه قد
 مات منذ أيام ، فلم نجترى على أن نخبر الملك للفرق منه ، وقد علمنا كراهته
 لموته . فرجع إلى النعمان فقال : إني قد دخلت عليه وهو حي ، [وحثت اليوم
 فسجعتني السجن وبهتني . وذكر له أنه قد مات منذ أيام]^(٥) فقال له النعمان :
 يبعثك الملك إلى فتدخل إليه قبل اكذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث .
 فتهددته ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستبقني منه ألا يخبر كسرى ؛ إلا إنه قد مات
 قبل أن يقدم عليه . ١٠٢٤/١

فرجع الرسول إلى كسرى ، فقال : إنه قد مات قبل أن أدخل عليه ،

(١) تكلية من الأخاف .

(٢) بَقِيلَة : بطن من الحيرة .

(٣) الأخاف : « الرسول » .

(٤) غمسوه : أي غطوا وجهه بشيء حتى مات .

(٥) من رواية الأخاف .

وفدّم النعمان على موت عدى، واجترأ أهداء عدى على النعمان، وهابهم النعمان هيبة شديدة، فخرج النعمان في بعض صبيته ذات يوم، فلقى أبنا عدى، يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال: من أنت؟ قال: أنا زيد بن عدى بن زيد، فكلّمه فإذا غلام ظريف، ففرح به فرحاً شديداً، وقرّبه وأعطاه، واعتار لآبيه من أمر أبيه، وجهّزه^(١)، ثم كتب إلى كسرى^(٢) إنّ عبداً كان ممّن أعين به الملك في نصحه ولبته، فأصابه ما لا بدّ منه، وانقضت مدته، وانقطع أسكله، ولم يصّب به أحد أشدّ من مصيبي، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خلفاً، لما عظم الله له من ملكه وشانه، وقد أدرك له ابن ليس دونه، وقد سرّحته إلى الملك، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه، فليفعل.

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرف همه إلى عمل آخر، فكان هو الذي يلى ما كتّبت به إلى أرض العرب، وخاصة الملك. وكانت له من العرب وظيفة موطّعة في كل سنة: مهران أشقران والكسماء الرطبة في حينها واليابسة، والأقط والأُدّم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدى بن زيد يلى ذلك، وكان هذا عمل عدى.

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع، سأله كسرى عن النعمان، فأحسن عليه الثناء، فكث سنوات بمتزلة أبيه، وأعجب به كسرى، وكان يكثر الدخول عليه، وكانت للملك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، [فإذا وجدت حملت إلى الملك]^(٣) غير^(٤) أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك، ولا يريدونه. فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة^(٥). ثم دخل على كسرى فكلّمه فيما دخل فيه،

(١) جهّزه: أهد له معدات السفر.

(٢) ح: «وانقضى»، والأخاني: «وانقضت مدته وانقضى أجله».

(٣) تكلّة من رواية الأخاني.

(٤ - ٥) رواية الأخاني: «غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم.

ثم إنه بدأ الملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواصي».

ثم قال : إلتى رأيت الملك كتب فى نسوة يُطلَبْنَ له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالمًا ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن . قال : أيتها الملك ، إن شرَّ شيء فى العرب وفى النعمان [خاصة] ^(١) أنهم يتكرمون — زعموا فى أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يغيبتهن [عمن تبعن إليه ، أو يعرض عليه غيرهن] ^(٢) ، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر أن يغيبتهن ، فابعثنى وابعث معى رجلا من حرَمك ^(٣) يفقه العربية ، [حتى أبلغ ما تحبّه] ^(٤) . فبعث معه رجلاً جليداً ^(٥) ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم ذلك الرجل ويُلطِّفه حتى بلغ الحيرة .

فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لأهله ولده ، وأراد كرامتك [بصهره] ^(٦) ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشىروان جارية ، كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغسانی بن أبى شمر ، فكتب إلى أنوشىروان يصفها ^(٧) له ، [وقال : إلتى قلوبحت إلى الملك جارية] ^(٨) معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والشعر ، بيشاء ، قمرء ، وطفاء ^(٩) ، [كحلاء] ^(١٠) دعجاء ^(١١) ، حوراء ^(١٢) ، عيناء ^(١٣) ، قنواء ^(١٤) ، شماء ^(١٥) ، زجاء ^(١٦) ، برجاء ^(١٧) ، أسيلة الخلد ^(١٨) ، شهية القلد ^(١٩) ،

(١) تكملة من رواية الأغاني . (٢) الأغاني : « من ثقاتك » .

(٣) الأغاني : « جلداهما » .

(٤) الأغاني : « بصفتها » .

(٥) الوطفاء : فزيرة الإهاب وشعر الحاجبين .

(٦) الدعجاء : شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض .

(٧) الجور : أسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون فى بنى آدم إلا على الاستمارة .

(٨) العين : سعة العين .

(٩) القنواء ، من القنأ ، وهوارتفاع فى أهل الألف واحديداب فى وسطه وسبورغ فى طرته .

(١٠) الشم فى الألف : ارتفاع القصبة وحسبها .

(١١) الزجاء : دقيقة الحاجبين فى طول .

(١٢) البرجاء : الجميلة الحسنة .

(١٣) الخلد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .

(١٤) الأغاني : « شهية القليل » .

جثالة الشعر^(١) ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عطاء^(٢) ،
 عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاشة المنكب^(٣) والعنق ،
 حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبلة البنان ، لطيفة طوى البطن^(٤) ،
 خميصية الخصر ، غرقى الوشاح^(٥) ، رداح^(٦) القبل ، رابية الكفيل ، لثماء
 الفخذين^(٧) ، ريتا الروادف ، ضخمة المأكمتين^(٨) ، عظيمة الركبة
 مفصمة الساق^(٩) ، مشبعة الخللخال^(١٠) ، لطيفة الكتف والقدم ،
 قطوف المشى^(١١) ، مكسال الضحى^(١٢) ، بضعة المتجرد^(١٣) ، سموما
 للسيد ، ليست بخنساء^(١٤) ، ولا سغفاء^(١٥) ، ذليلة الأنف^(١٦) ، عزيزة النقرة ،
 لم تغفل في بؤس ، حبيبة رزينة ، حليلة ركيعة ، كريمة الخال ، تقتصر
 بنسب أبيها دون فصيلتها ، وبفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها
 الأمور في الأدب ، فرأيا رأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ،

(١) الجثلة : كثيفة الشعر سداؤه .

(٢) العطاء : الطويلة المتق .

(٣) المشاشة : رأس العظم .

(٤) الأغاني : « ضامرة البطن » .

(٥) غرقى الوشاح : دقيقة الخصر .

(٦) الرداح : المجزاء الثقيلة الأوراك الخامة الخلق . والقبل : ما استقبلك من مشرف .

(٧) اللثماء : الضخمة الفخذين المكتنزتهما .

(٨) المأكمتان : العمتان اللتان على روعس الوركين .

(٩) مفصمة الساق : مبتلثها .

(١٠) مشبعة الخللخال : كثاية عن سمن الساقين .

(١١) القطوف : من القطاف ، وهو تقارب الخطر .

(١٢) المكسال : المرأة لا تكاد تبرح مجلسها ، وهو منح لها حنعم ، كقولهم : « نثوم

الضحي » .

(١٣) البضة : الناعمة .

(١٤) الخنساء ، من الخنس وهو تلغر الأنف إلى الرأس وإرتفاعه عن الشفة ، ليس بطويل .

ولا مشرف .

(١٥) السغفاء ، من السفع وهو السواد .

(١٦) الأغاني : « رقيقة الأنف » .

صناع الكتّيبين ، قطيعة اللسان^(١) ، وهوة الصوت^(٢) ، تزين البيت^(٣) ،
وتشيب العدو ، إن أردتها اشتبهت ، وإن تركتها انتهت ، تحمق
عينها ، وتحمر جنتها ، وتدلبلب شفتها ، وتبادرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا
بأمرك إذا جلست]^(٤) .

فقبلها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها
حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشق^(٥)
عليه ، فقال لزيد - والرسول يسمع : أما^(٦) في عين السواد وفارس ما تبلغون
حاجتكم ؟ فقال الرسول لزيد : ما العين ؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان : إنما أراد
كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به^(٧) .

١٠٢٧/١

فأنزلها يومئذ ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذي طلب الملك ليس عندي ،
وقال لزيد : اعدني عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذي جاء
معه : اصدق الملك الذي سمعت^(٨) منه ، فإني سأحدثه بحديثك ولا أخالفك
فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له
كسرى : فأين الذي كنت خبرتني [به]^(٩) ؟ قال : قد كنت أخبرتك بفنّهم
بنسائهم على غيرهم ، وأن ذلك من شقاوتهم واختيارهم الجوع والعري على الشيع
والرياش ، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم
ليستوها السجن ، فسل هذا الرسول [الذي كان]^(١٠) معي عن الذي قال ،^(١١) فإني أكرم
الملك من الذي قال ورد عليه أن أقوله^(١٢) ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال :
أيها الملك ، أما في بقر السواد [وفارس]^(١٣) ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا !

(١) قطيعة اللسان ، أي ليست سليقة .

(٢) وهوة الصوت : رقيقته سهله .

(٣) الأغاني : الأغاني : الغزل

(٤) من رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : فشقت عليه .

(٦ - ٥) رواية الأغاني : وأما في منها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجه ؟ فقال :

الرسول لزيد بالفارسية : ما لها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أي البقر ، فأمسك الرسول
وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به .

(٦) الأغاني : عاصمت .

(٧) من الأغاني

(٨ - ٨) الأغاني : فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به .

فعرِف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع ، ولكنه قد قال ^(١) : رَبِّ عَبْدٍ قَدْ أَرَادَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، فَيَصْبِرُ أَمْرُهُ إِلَى التَّيَّابِ .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان ^(٢) ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً ، وجعل النعمان يستعدّ ويتوقع ، حتى أتاه كتابه : أَنْ أَقْبِلَ فَإِنَّ لِلْمَلِكِ إِلَيْكَ حَاجَةً ، فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه ، وما قَوِيَ عليه ، ثم لحق بجبل طَبَسٍ . وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لَأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً ١٠٢٨/١ وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب ابنة أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طَبَسًا عَلَى أَنْ يُلْخَلَوْهُ [بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ] ^(٣) وَيَمْنَعُوهُ . فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَوْلَا صَهْرُكَ لَقَاتَلْنَاكَ ، فَإِنَّهُ لَحَاجَةٌ لَنَا فِي مَعَادَاةِ كَسْرَى ، [وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ] ^(٤) . فَأَقْبَلَ [يَطُوفُ عَلَى قَبَائِلِ الْغَرْبِ] ^(٥) لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْبَلُهُ ، غَيْرَ أَنَّ بَنِي رَوَاحَةَ بِنِ سَعْدٍ ^(٦) مِنْ بَنِي عَبَسٍ قَالُوا : إِنْ شِئْتَ قَاتَلْنَا مَعَكَ لِمَنْتَ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرَوَانُ الْقَرْطُ ^(٧) . فَقَالَ : لَا أَحَبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِكَسْرَى .

فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بَلْسَى قَارَ فِي بَنِي شَيْبَانَ سَرًّا ، فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَيْعَةَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا ، وَالْبَيْتُ يَوْمَئِذٍ مِنْ رَيْعَةَ فِي آلِ ذِي الْجُدَّةَيْنِ ، لَقِيسُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ بْنِ ذِي الْجُدَّةَيْنِ . وَكَانَ كَسْرَى قَدْ أَطْعَمَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودِ الْأُبُلَّةَ ، فَكَرِهَ النُّعْمَانُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ لِلْمَلِكِ ، وَعَلِمَ أَنَّ هَانِيًّا مَانِعُهُ مِمَّا يَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسَهُ .

وَتَوَجَّهَ النُّعْمَانُ إِلَى كَسْرَى ، فَلَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَدِيٍّ عَلَى قَنْطَرَةٍ سَابَاطَ ، فَقَالَ : ائْتِجْ نَعِيمٌ ، [إِنْ اسْتَطَعْتَ التَّجَاءُ] ^(٨) ، فَقَالَ : أَنْتَ يَا زَيْدُ فَعَلْتَ هَذَا ^(٩) ! أَمَا

(١) رواية الأغاني : ولكنه لم يزد على أن قال .

(٢) الأغاني : حتى بلغ النعمان . (٣) تكلية من رواية الأغاني .

(٤) الأغاني : ورواية بن طهية بن عبيس .

(٥) هو مروان بن زباج الميكي ، أصيب إلى القرق ، لأنه كان يمزو اليمن ، وبها مشبه .

(٦) رواية الأغاني : وأهلها يا زهد !

واقه لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلتُ بأبيك ! فقال له زيد : امض نُعَيْم ، فقد واقه وضعتُ لك عنده أخية^(١) لا يقطعها المهر الأرن^(٢) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيده وبعث به إلى خانيقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه ، والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموتِ ربةً بساباط حتى مات ، وهو محرزق^(٣)

١٠٢٩/١

ولما هلك بخانيقين ، وهذا قبيل الإسلام ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب وقعة ذي قار بسبب النعمان^(٤) .

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنا أبو المختار فراس بن خندق ، وعدة من علماء العرب قد سمّاهم ، أن النعمان لما قتل عدياً كاد أخو عدي وابنه النعمان عند كسرى ، وحرّفا كتاب اعتذاره إليه بشيء غصّب منه كسرى ، فأمر بقتله ، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هاني بن مسعود بن عامر الحصب بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، حلقته ونعّمه سلاحاً غير ذلك ، وذاك أن النعمان كان بنّاه ابنتين له .

— قال أبو عبيدة : وقال بعضهم : لم يدرك هاني بن مسعود هذا الأمر ، إنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود . وهو الثبّت عندي —

فلما قتل كسرى النعمان ، استعمل إلياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان . قال أبو عبيدة : كان كسرى لما هرب من بهرام مرّ بإلياس بن قبيصة فأهدى له فرساً وجزوراً ، فشكر ذلك له كسرى ،

(١) الأخية في الأصل : أن يلفظ طرفا الحبل في الأرض وفيهما عصية أو حجير ، ويظهر منه مثل حركة تشد بها النابة . (٢) الأرن : التشيط .

(٣) ديوانه ١٤٧ . وحزق الرجل ، أي حجه ، وعنه رواية الطبري والديوان ، وفي الأغاني : « محرزق » ، وما معنى . قال التوزي : قلت لأبي زيد الأنصاري : أقم تشنون قوله الأعشى : « حتى مات وهو محرزق » ، وأبو عمر الشيباني ينشد « محرزق » ، بتقديم الراء على الزاي ؟ فقال : إنها بطنية ، وأم أبي عمرو بطنية ، فهو أعلم بها منا . (٤) الخبر في الأغاني ٢ : ١٠٥ - ١٢٨

فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحترقها في بكر بن وائل ، فأمر كسرى إياساً أن يضم ما كان للنعمان ويبعث [به] ^(١) إليه ، فبعث إياس إلى هاني : أن أرسل إلى ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها - والمقلل يقول : كانت أربعمائة درع ، والمكثر يقول : كانت ثمانمائة درع - فأبى هاني أن يسلم خفاره . قال : فلما منعها هاني ، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل - وعنده يومئذ النعمان بن زُرعة التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل - فقال لكسرى : يا غير الملك ، أدلك على غيرة بكر ؟ قال نعم ، قال أمهلها حتى تنقيط ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء لم يقال له ذو قار ، تساقط القراش في النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكنيكم . فرجعوا له قوله : تساقطوا تساقط القراش في النار ، فأمرهم حتى إذا قاطوا ، جاءت بكر بن وائل فترلت الجنود ، حنوذى قار ، وهي من ذى قار [على مسيرة] ^(٢) ليلة ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زُرعة : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فترل النعمان على هاني ثم قال له : أنا رسول الملك إليكم أختيركم ثلاث خصال : إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تفرأوا الديار ، وإما أن تأذنوا بحرب .

فتأمرؤا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وكانوا يقيمون به فقال لهم : لا أرى إلا القتال ، لأنكم إن أعطيت بأيديكم قُتِلْتُمْ وسُبِيتْ ذراريكم ، وإن هربتم قتلتم العطش ، وتلقاكم نجم فتهلككم . فأذنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس وإلى الهامر زلتستري - وكان مسلحاً بالقطط طائفة - وإلى جلابزين ^(٣) - وكان مسلحاً ببارق - وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذى الجدين - وكان كسرى استعمله على طف سقوان - أن يوافوا إياساً ، فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت القرس معها الجنود والقبول عليها الأساورة ، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ورقاً أمرفارس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اليوم انتصفت العرب من العجم ،

(١) تكلة من ح .

(٢) في الثقات : « غنابزين » .

فحفظ ذلك اليوم، فإذا هو يوم الوقعة . فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم
انسَلَّ قيسُ بن مسعود ليلاً فأتى هاشماً ، فقال له : أعطَ قومك سلاح
النعمان فيقووا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أدخلت بالحزم ،
وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذوى^(١) القوى
وإبلتد من قومه . فلما دنا الجميع من بكر ، قال لم هاشم : يا معشر بكر ،
إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا الفلاة . فتسارع
الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاتنا
فلم تزد على أن ألقيتنا في الملكة ، فردّ الناس وقطع وضمن الموادج لئلا تستطيع
بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمي «مقطع الوضن» ، وهى حزم الرجال .
ويقال : مقطع البطن ، والبطن حزم الأفتاب - وضرب حنظلة على نفسه قبة
بسطحاء ذى قار ، وآلى ألا يفرّ حتى تفرّ القبة . فضى من مضى من
الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا ماء لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم
بالحنو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمهاضرهم ، فهربت إلى
الجبابات ، فنبهتهم بكر ، وعجل أوائل بكر ، فتعلمت عجل ، وأبلت
يومئذ بلاء حسناً ، واضطمت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلك
عجل ، ثم حملت بكر فوجدوا عجلًا ثابتة تقاتل ، وامرأة منهم تقول :

إِنْ يَظْفَرُوا يَمْرُزُوا فِينَا الْفَرْلُ لِيَهَا فَنَدَا لَكُمْ بَنِي عِجْلٍ
وتقول أيضاً تحفّض الناس :

إِنْ تَهَزِّمُوا نَصَائِقُ وَفَرَّشِينَ النَّمَارِقُ
أَوْ تَهَزِّبُوا فُفَارِقُ فَوَاقٍ غَيْرِ وَاقٍ

فقاتلهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم فلأوا إلى بطحاء ذى قار ،
فأرسلت إباد إلى بكر سرّاً - وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أى
الأميرين أعجب إليكم ؟ أن نطير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفرّ حين تلاقوا

القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزم بهم . قال : فصبتهم بكر بن وائل ، والظعن واقفة يلمرن الرجال على القتال . وقال يزيد بن حمار السكوني - وكان حليفاً لبني شيبان - : يا بني شيبان ، أطيعوني وأكثفوني لهم كيناً . ففعلوا ، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمثوا في مكان من ذى قار ، يسمى إلى اليوم الحب ، فاجتلدوا ، وعلى ميمنة لإياس بن قبيصة الهامري ، وعلى ميسرة الجلابزين ، وعلى ميمنة هاني بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني ، وعلى ميسرة حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ، فقال حنظلة بن ثعلبة :

١٠٣٣/١

قَدْ شَاعَ أَشْيَاكُمْ فَعِدُّوا مَا عِلَّتِي وَأَنَا مُؤَدِّ جَلْدٍ (١)
وَالْقَوْمُ فِيهَا وَتَرُّ عُرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
قَدْ جَعَلْتَ أَخْبَارَ قَوْمِي تَبْدُو إِنَّ السَّيَا لَيْسَ مِنْهَا بَدْ
هَذَا عَمِيرٌ نَحْتُهُ أَلَدُّ بِقَدُّمِهِ لَيْسَ لَهُ مَرْدُ
حَتَّى يَعُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلُّوا بَنِي شَيْبَانَ وَاسْتَبِدُّوا
نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ (٢) .

وقال حنظلة أيضاً :

يَا قَوْمَ طَيِّبُوا بِالْقِتَالِ نَفْسًا أَجْدَرُ يَوْمَ أَنْ تَقْلُوا الْقُرُسَا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِي وَجَارِي ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِي
أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِي إِنَّ الشَّرَّكَ قَدْ مِنْ أَدِيمِي (٣)
وَكُلُّهُمْ يَمْحَرُّ عَلَى قَدِيمِي مِنْ قَارِحِ الْهَجْنَةِ أَوْ صَبِيمِي

(١) الميلى : فوالأمة التامة من السلاح .

(٢) ح : وفدتكم .

(٣) الشراك : سير التمل ، وله : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ .

قال فراس : ثم صيروا الأمر بعد هاني إلى حنظلة ، قال إلى مارية ابنته - وهي أم عشرة نفر ، أحدهم جابر بن أيجر - فقطع وضيئها فوقعت إلى الأرض وقطع وُضْنُ النساء ، فوقعن إلى الأرض ، ونادت ابنة القرين الشيبانية حين وقعت النساء إلى الأرض :

وَيْهًا بَنِي شَيْبَانَ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ إِنْ تَهَزَّمُوا يُصَبِّغُوا فِينَا الْقَلْفَ
فقطع سبعائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم من قبيل مناكبههم ؛ لأنَّ
تخيفَ ألبهم بضرب السيوف ، فجالدوهم . ١٠٣٤/١

قال : ونادى الهامرز : مَرْدٌ وَمَرْدٌ ، فقال بُرْدُ بن حارثة البشكري :
ما يقول ؟ قالوا : يدعو إلى البراز رجل ورجل ، قال : وأبيكم لقد أنصف .
فبرز له فقتله برد ، فقال سويد بن أبي كاهل :

وَمِنَّا بُرَيْدٌ إِذْ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ فَلَمْ تُقَرِّبُوهُ الْمَرْزُبَانَ الْمَسُورَا
أى لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار : يا قوم لا تقفوا لم فيستغفركم
النشأ ، فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجليش ، وقد قتل
بُرد منهم رئيسهم الهامرز ، وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على
ميسرة الجليش ، وعليهم جلابزين ، وخرج الكمين من جبّ ذى قار من
ورائهم ، وعليهم يزيد بن حمار ، فشدوا على قلب الجليش ، وفيهم إياس
ابن قبيصة ، ولت إِيَادُ مُنْهَزِمَةٌ كَمَا وَعَدْتَهُمْ ، وَانْهَزَمَ الْقُرْسُ .

قال سليط : فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ ، قالوا : فلما التقى
الناس ، ولت بكر منهنزة ، فقلنا : يريدون الماء ، فلما قطعوا الوادى فصاروا
من ورائه ، وجاوزوا الماء ، قلنا : هى الهزيمة ، وذاك فى حَرِّ الظهيرة وفى يوم
قائظ ، فأقبلت كتيبة عجل كأنهم طُنَّ قَصَبٍ ، لا يفوت بعضهم بعضاً ، ١٠٣٥/١
لا يُسْمَعُونَ هَرَبًا ، ولا يخالطون القوم . ثم تلامروا فزحفوا فرموهم بجباههم ،
فلم تكن إلا إِيَاها ، فأمالوا بأيديهم ، فولتوا ، فقتلوا الفرس ومن معهم ، ما بين
بطحاء ذى قار ، حتى بلغوا الراحضة .

قال فراس : فخبرت أنه تبعه تسعون فارساً^(١) ، لم ينظروا إلى سلب ولا

(١) كذا فى التفاضل ، والمباراة فى ط مصحفة .

إلى شيء حتى تعارفوا بآدم (موضع قريب من ذى قار) ، فوجد ثلاثون فارساً
من بنى عجل ، ومن سائر بكثر ستون فارساً ، وقتلوا جلابزين ، قتله
حنظلة بن ثعلبة . وقال ميمون بن قيس بمدح بنى شيبان خاصة في قوله :

فَدَى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقِي وَرَاكِهَهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ ، وَقَلْتُ ^(١)
هُمْ ضَرَبُوا بِالْحِنَوِ ، حِنَوٍ قُرَاقِيٍّ مُقَدِّمَةِ الْهَامِرِ حَتَّى تَوَلَّتْ
وَأَفْلَتْنَا قَيْسٌ وَقَلْتُ لَعَلَّهُ هُنَالِكَ لَوْ كَانَتْ بِهِ النَّمْلُ زَلَّتْ ^(٢)

فهذا يدل على أن قيساً قد شهد ذاقار .

وقال بكير ، أصم بن الحارث بن عباد ، بمدح بنى شيبان :

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةَ الْمَدَامَةِ أَهْلَهَا فَاسْقِي عَلَى كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
وَأَبَا رَيْبَعَةَ كُحْلَهَا وَوَحْلَهَا سَبَقًا بِقَايَةِ أَنْجَدِ الْأَيَّامِ ١٠٣٦/١
ضَرَبُوا بَنِي الْأَحْرَارِ يَوْمَ لَقَوْهُمْ بِالْشَّرَفِيِّ عَلَى مَقِيلِ الْهَامِ
عَرَبًا ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَكَيْبَةَ الْفَيْنِ أُعْجِمَ مِنْ بَنِي الْقَدَامِ
شَدَّ ابْنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهَبَتْ لَهَا ذِكْرَى لَهُ فِي مُعْرِقٍ وَشَامِ
عَمَرُوا وَمَا تَعَمَّرُوا بِقَحْمٍ ذَالِهِ فِيهَا ، وَلَا غَمَرٍ وَلَا بَقْلَامٍ ^(٣)

فلما مدح الأعشى والأصم بنى شيبان خاصة غضبت الهازم ، فقال

أبو كلبة ، أحد بنى قيس يؤنبها بذلك :

جُدُّعْتُمَا شَاعِرِي قَوْمِ أُولَى حَسَبٍ حُرَّتْ أَنْوْفُهُمَا حَزًّا يَنْشَارِ
أَعْنَى الْأَصَمِّ وَأَعْشَانَا إِذَا اجْتَمَعَا فَلَا اسْتِمَانَا عَلَى سَمْعٍ يَنْصَارِ

(١) ديوانه ١٧٩ ، وفي ط : « وفلت » ، والصواب ما أثبت من الديوان .

(٢) رواية الديوان :

وَأَفْلَتْنَاهُمْ قَيْسٌ فَقَلْتُ لَعَلَّهُ يَبْلُ لَنْ كَانَتْ بِهِ النَّمْلُ زَلَّتْ

(٣) القسم في الأصل : المهزول من الإبل ، والذاله : الضعيف . وفي الناقص : « دالف » .

لَوْلَا فَوَارِسُ لَامِيلٌ وَلَا عَزْلٌ^(١) مِنْ اللَّهَازِمِ مَا قَاتَلُوا بِذِي قَارِ
تَحْنُ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِ أَشْمَلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسُ وَرَادٌ بِصُدَارٍ ؟

قال أبو عمرو بن العلاء : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبه ، قال : صدق .
وقال معتزلاً ممّا قال :

مَتَى يُفَرِّقَنَّ أَصَمُّ بِجَبَلٍ أَعَشَى يَتِيهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الْخُسَارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ مَا قَدْ بَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حِوَارِي
وقال الأعشى في ذلك اليوم :

أَتَانَا عَنْ بَنِي الْأَخْرَا رَقُولٌ لَمْ يَكُنْ أَمَّا^(٢)
أَرَادُوا نَحْتًا أُنَلَّتِنَا وَكُنَّا تَمْنَعُ الْغُطَا^(٣)
وقال أيضاً لقيس بن مسعود :

أَقْبَسَ بَنَ مَسْعُودَ بْنَ قَيْسٍ بَنَ خَالِدٍ وَأَنْتَ أَمْزُولٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
الْمَجْمَعُ فِي هَامٍ غَزَاةٍ وَرِحْلَةٍ أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَتْهُ الْقَوَائِلُ
وقال أعشى بنى ربيعة :

وَتَحْنُ غَدَاةٌ ذِي قَارِ أَقْمَنَا وَقَدْ شَهِدَ الْقَبَائِلُ مُحْلِبِنَا^(٤)
وَقَدْ جَاءُوا بِهَا جَاءُوا فَلَقَا مُلَمَمَةً كَتَابُهَا طَحُونَا
يَوْمَ كَرِيهَةٍ حَتَّى تَجَلَّتْ غِلَالُ دَجَاهُ عَنَا مُصْلِتِينَا
فَوَلَّوْنَا الدَّوَابِرَ وَاتَّقَوْنَا بَنُصْنَانَ بَنِي زُرْعَةَ أَكْتَصَيْنَا
وَذَدُّنَا حَارِضَ الْأَحْرَارِ وَرَدَا كَمَا وَرَدَ الْقَطَا الثَّمَدَ الْمَيْنَا

(١) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذى لا سيف ولا سلاح معه كالأعزل .

(٢) ديوانه ٢٠٤ .

(٣) ديوانه ١٢٨ .

(٤) ديوان الأعشى ٢٨١ .

ذكر من كان على ثغر العرب من قبيل ملوك الفرس

بالحيرة بعد عمرو بن هند

قد مضى ذكرنا مَنْ كان يلي ذلك من قبل ملوك الفرس من آل نصر ١٠٣٨/١
ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند ، وقدر مدة ولاية كل مَنْ ولى منهم
ذلك ، ونذكر الآن مَنْ ولى ذلك لم بعد عمرو بن هند ، إلى أن ولى ذلك لم
النعمان بن المنذر ، والذي ولى لم ذلك بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن
المنذر ، وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو ، فولى ذلك أربع سنين ، من ذلك
في زمن أنوشيروان ثمانية أشهر ، وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين
وأربعة أشهر .

ثم ولى بعد قابوس بن المنذر السُّهْرَب .

ثم ولى بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين .

ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك
زمن هرمز بن أنوشيروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز
ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

ثم ولى لإياس بن قبيصة الطائي ومعه النخعي جئان تسع سنين في زمن كسرى
ابن هرمز . ولسته وثمانية أشهر من ولاية لإياس بن قبيصة بَعِثَ النبي صلى الله
عليه وسلم فيما زعم هشام بن محمد .

ثم استخلف آذابه بن ماهان^(١) بن مِهْرَبَنْدَاذ الهمداني سبع عشرة سنة ،
من ذلك في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن
شبرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شبرويه سنة وسبعة
أشهر ، وفي زمن بوران دُخْتُ بنت كسرى شهراً .

ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر — وهو الذي تسميه العرب الغرور ،
الذي قتل بالبحرين يوم جُوَانِي ، إلى أن قدم خالد بن الوليد بالحيرة — ثمانية شهر .

فكان آخر متن بقي من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس .

فجميع ملوك آل نصر — فيما زعم هشام — ومن استخلف من العبياد والفرس عشرون ملكاً . قال : وعدة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر

• • •

رجع الحديث إلى ذكر المروزان وولايته اليمن ، من قبيل هرمز وابنه أبرويز ، ومن وليها بعده :

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : عزل هرمز بن كسرى وبين^(١) عن اليمن ، واستعمل مكانه المروزان ، فأقام باليمن ، حتى ولد له بها ، وبلغ ولده . ثم إن أهل جبل من جبال اليمن يقال له المصانع^(٢) خالفوه ، وامتنعوا من حمل الخراج إليه — والمصانع جبل طويل ممتنع ، إلى جانبه جبل آخر قريب منه ، بينهما فضاء ليس بالبعيد ، إلا أنه لا يرام ولا يطمع فيه — فسار المروزان إلى المصانع ، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يطمع في دخوله إلا من باب واحد ، يمتنع ذلك الباب رجل واحد ، فلما رأى أن لا سبيل له إليه ، صعد الجبل الذي يخاضى حصنهم ، فنظر إلى أضيق مكان منه وتحتته هواء ذاهب ، فلم ير شيئاً أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع ، فأمر أصحابه^(٣) أن يصطفوا له صفين ، ثم يصيحوا به صيحة واحدة ، وضرب^(٤) فرسه فاستجمع حُضراً^(٥) ، ثم رى به فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن . فلما نظرت إليه حمير وإلى صنيعه قالوا : هذا أيم — والأيم بالحميرية شيطان — فأنتهروهم وزبرهم بالفارسية ، وأمرهم أن يكتف بعضهم بعضاً ، فاستنزلهم من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسبى بعضهم^(٦) ، وكتب بالذي كان من أمره إلى كسرى

١٠٤٠/١

(١) ط : « زين » وأثبت ما في التصويبات . (٢) يقال ياقوت : حصن يقال له المصانع .

(٣) ت ، ح : « فأمر أصحابه فأمرهم » .

(٤) ط : « وضرب » ، وما أثبت من ت ، ح .

(٥) المحضر : ارتفع الفرس في علوه .

(٦) ت ، ح : « وسبى طائفة منهم » .

ابن هرمز . فتعجب من صنيعه ، وكتب إليه : أن استخلف من شئت ، وأقبل إلى .

قال : وكان للمروزان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ، ويروى الشعر ، يقال له خُرَّ خُسْرَة ، والآخر أسوار يتكلم بالفارسية ، ويتدهقن ، فاستخلف المروزان ابنه خُرَّ خُسْرَة - وكان أحبَّ ولده إليه - على اليمن ، وصار حتى إذا كان في بعض بلاد العرب هلك ، فوضع في تابوت ، وحمل حتى قدم به على كسرى ، فأمر بذلك التابوت فوضع في خزانته ، وكتب عليه في هذا التابوت : فلان الذي صنع كذا وكذا ، قصته في الجبلين . ثم بلغ كسرى تعرب خرخرسة وروايته الشعر ، وتادبه بأدب العرب ، فعزله ، وولى باذان ، وهو آخر من قدم اليمن من ولادة العجم .

١٠٤١/١ وكان كسرى قد طفى لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجواهر والأمتعة والكراع وافتتح من بلاد العدو ، وساعده من الأمور ، ورزق من مؤناته ، ويطير^(١) ، وشره شرها فاسداً ، وحسد الناس على ما في أيديهم من الأموال ، فولى جباية البقايا عِلْجاً من أهل قرية تدعى خَنْدَق من طَسُوج بَهْرَسِير ، يقال له : فَرْخَزَاد بن سُمَيّ ، فسام الناس سوء العذاب ، وظلمهم واعتدى عليهم ، وقصَّبهم أموالهم في غير حلة ، بسبب بقايا الخراج ، واستغسدهم بذلك ، وضيق عليهم المعاش ، وبَغَضَ إليهم كسرى وملكه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحد من الملوك ، وبلغت خيلُه القُسْطَنْطِينِيَّةَ وإفريقية ، وكان يشوب المداين ، ويتصيف ما بينها وبين هَمْدَان ، وكان يقال : إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا واحداً ، وخمسون ألف دابة بين فرس وبردّون وبغل ، وكان أرغب الناس في الجواهر والأواني وغير ذلك .

وأما غير هشام فإنه قال : كان [له]^(٢) في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطوحن ،

(١) ت ، ح : ويطر وأسر .

(٢) من ر ، ل .

والوف جوار اتّخذهنّ للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابة لمركبه ، وسبعمائة وستون فيلا ، واثنان عشر ألف بغل لشكّيه ، وأمر فبُنيت بيوت النيران ، وأقام فيها اثني عشر ألف هِرَبْدَ للزّمزمة . وإنه أمر أن يحصى ما اجتبى من خراج بلاده وتوابعه وسائر أبواب المال ، ستة ثمانى عشرة من ملكه ، فرُفِعَ إليه أن الذى اجتبى في تلك السنة من الخراج وسائر أبوابه من الورق أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ، يكون ذلك وزن سبعة ، ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر فحوّل إلى بيت مال بنى بمدينة طَيْسَبُون^(١) ، ومناه بهار حفرد خسرو ، وأموال له أخرى من ضرب فيروز بن يَزْدَجَرْد وقباز بن فيروز ، اثنا عشر ألف بَدْرَة ، في كلّ بَدْرَة منها من الورق أربعة آلاف مثقال ، يكون جميع ذلك ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال ، وهو وزن سبعة ، ثمانية وستون ألف ألف وخمسمائة ألف واحد وسبعون ألفاً وأربعمائة وعشرون درهماً ونصف وثلث فمّن درهم ، في أنواع لا يحصى مبلغها إلا الله ، من الجواهر والكسّى وغير ذلك .

وإن كسرى احتقر الناس ، واستخفّ بما لا يستخفّ به الملك الرشيد الحازم ، وبلغ من جتوّه وجرأته على الله^(٢) أنه أمر رجلاً كان على حرس بابهِ الخاصّ - يقال له : زاذان فروخ - أن يقتل كلّ مقيّد في سجن من سجنه ، فأحصوا ، فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً ، فلم يقدم زاذان فروخ على قتلهم ، وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم ، لعل أعدّها له ، فكسب كسرى عداوة أهل مملكته من غير وجه ، أحد ذلك احتقاره إياهم ، وتصغيره عظماءهم . والثاني تسليطُ العِلاجِ فرّخان زاد بن سمى عليهم ، والثالث أمره بقتل من كان في السجن ، والرابع إجماعه على قتل الفلّ الذين انصرفوا إليه من قبل هِرَقتل والروم ، ففضى ناس من العظماء إلى عَقَرِ بابل ، وفيه شيرى بن أبرويز مع إخوته بها ، قد وكلّ بهم مؤذّبون يؤدّبونهم ، وأساوره يحولون

(١) ل ، ح : طيسون ، ر : طيسور .

(٢) ت ، ح : «حو على الله عز وجل وجرأته عليه» .

بينهم وبين براح ذلك الموضع ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بَهْرَسِير ليلا ،
فخلّى عمن كان في سجونها ، وخرج مَنْ كان فيها ، واجتمع إليه القتل اللذين
كان كسرى أجمع على قتلهم ، فنادوا قباذ شاهنشاه ، وصاروا حين أصبحوا
إلى رجة كسرى ، فهرب مَنْ كان في قصره من حرسه ، وانحاز كسرى بنفسه
إلى باغ له قريب من قصره ، ويدعى باغ الهيندوان فاراً مرحوباً ، وطلب
فأخذ ماه آخر وروز آخر^(١) ، وجلس في حار المملكة ، ودخل شيرويه دار
الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فلكوه وأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلد لكسرى أبرويز ثمانية عشر
ولداً ذكراً ، أكبرهم شَهْرِيَار ، وكانت شيرين تبنته ، فقال المنجمون
لكسرى : إنّه سيولد لبعض ولدك غلام ، ويكون خراب هذا المجلس وذهاب
هذا الملك على يديه ، وعلامته نقص في بعض بدنه ، فحُصِر ولده للملك عن
النساء ، فمكثوا حينئذ لا يصلون إلى امرأة ، حتى شكوا ذلك شَهْرِيَار إلى شيرين ،
وبعث إليها يشكو الشُبْح ، ويسألها أن تُدْخِل عليه امرأة ولا تقتل نفسه ،
فأرسلت إليه : إئتني لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلا أن تكون
امرأة لا يؤبه لها ، ولا يحسّل بك أن تمسّها ، فقال لها : لست^(٢) أبالي
ما كانت ، بعد أن تكون امرأة . فأرسلت إليه بجارية كانت تحجمها ، وكانت
— فيما يزعمون — من بنات أشرافهم ، إلا أن شيرين كانت غضبت عليها
في بعض الأمور ، فأسلمتها في الحجّامين ، فلما أدخلتها على شَهْرِيَار وثب
عليها ، فحملت بيزْدَجِيرْد ، فأمرت بها شيرين فقُصِرَتْ^(٣) حتى ولدت ، وكتمت
أمر الولد خمس سنين . ثم إنّه رأت من كسرى رِقّة للصبيان حين كبر ،
فقالت له : هل يسرك أبنا الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان في
ذلك من المكروه ؟ فقال : لا أبالي . فأمرت بيزْدَجِيرْد فطُيَّبَ وحُلّي ،
وأدخلته عليه ، وقالت : هذا بيزْدَجِيرْد بن شَهْرِيَار ، فدعا به فأجلسه في

(١) الذي لما يظهر أنه أخذ في شهر الربيع وديم الربيع .

(٢) ت ، ح ، و : إن لست . (٣) قصرت : حبس .

١٠٤٥/١ حَجْرُهُ ، وَقَبَلَهُ وَعَظَفَ عَلَيْهِ ، وَأَحْبَبَهُ ^(١) حَبًّا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ بَيْتَهُ مَعَهُ ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَلْعَبُ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ إِذْ ذَكَرَ مَا قِيلَ [فِيهِ] ^(٢) ، فَعُدَا بِهِ فَعَرَاهُ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَدْبَرَهُ ، فَاسْتَبَانَ النِّقَصَ فِي أَحَدٍ وَرَكِيئَهُ ، فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا وَأُسْفًا ، وَاحْتَمَلَهُ ^(٣) لِيَجْلِدَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شِيرِينَ ، وَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ أَلَّا يَقْتُلَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ إِنْ يَكُنْ أَمْرٌ قَدْ حَضَرَ فِي هَذَا الْمَلِكِ فَلَيْسَ لَهُ مَرَدٌ . قَالَ : إِنْ هَذَا الْمَشْغُومُ ، الَّذِي ^(٤) أَخْبِرْتُ عَنْهُ ، فَأَخْرِجْهُ فَلَا أَنْظُرَ إِلَيْهِ . فَأَمَرَتْ بِهِ فَحُمِلَ إِلَى سِجِيسْتَانَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ بِالسَّوَادِ عِنْدَ ظُلُورِهِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا خُصْمَانِيَّةَ . وَوُثِّتَ فَارِسٌ عَلَى كِسْرَى فَتَقَاتَلَا ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ شِيْرُوِيَهْ بْنُ مَرْيَمَ الرُّومِيَّةَ .

وَكَانَ مَلِكُهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَلَمَضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مَلِكِهِ هَاجِرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

• • •

[ذَكَرَ مَلِكَ شِيْرُوِيَهْ بْنِ أُبْرُوِيَزَ]

ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ شِيْرُوِيَهْ ، وَاسْمُهُ قَبَاذُ بْنُ أُبْرُوِيَزَ بْنِ هُرْمَزَ بْنِ كِسْرَى أَنْوَشِيْرَوَانَ . فَلَمَّا كَرَأَنَّ شِيْرُوِيَهْ لَمَّا مَلَكَ دَخَلَ عِظَمَاءُ الْفَرَسِ عَلَيْهِ بَعْدَ حَبْسِهِ ^(٥) أَبَاهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَلِكًا الْإِنْسَانُ ، فَلَمَّا أَنْ تَقَاتَلَ كِسْرَى وَنَحْنُ خَوَلَاؤُكَ الْبَاخِعُونَ لَكَ بِالطَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا أَنْ نَخْلَعَكَ وَنُعْطِيَهُ الطَّاعَةَ عَلَى مَا لَمْ نَزَلْ نَعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَ . فَهَدَّتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ شِيْرُوِيَهْ وَكِسْرَتَهُ ، وَأَمْرًا بِتَحْوِيلِ كِسْرَى مِنْ دَارِ الْمَمْلَكَةِ إِلَى دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مَارَسْفَنْدُ . فَحُمِلَ كِسْرَى عَلَى

(٢) تَكَلَّمَ مِنْ ر ، وَفِي ت ، ح : « لَه » .

(٤) ت ، ح : « وَهُوَ الَّذِي أَخْبِرْتُ عَنْهُ » .

(١) ت ، ح : « وَأَحْبَبَهُ » .

(٣) ت ، ح : « فَاحْتَمَلَهُ » .

(٥) ت ، ح : « غَلَمَهُ » .

برذون ، وقُتِعَ رأسه ، وصير به إلى تلك الدار ، ومعه ناس من الجند ، فرؤا به في مسيرهم ^(١) على إسكاف جالس في حانوت شارع على الطريق ، فلما بصُر بفرسان من الجند معهم فارس مقنع ، غرَف أن المقنع كسرى ، فحذَّقه بقالبيد ، فعطف إليه ^(٢) رجلٌ ممن كان مع كسرى من الجند ، فاخترط سيفه فضرب عتق الإسكاف ، ثم لحق بأصحابه .

فلما صار كسرى في دار مَارَسَفَنَد جمع شيوخه من كان بالبَاب من العظماء وأهل البيوتات ، فقال : إنا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته في تدييره ونوقفه على أشياء منها ، ثم دعا برجل من أهل أردشير خُزَّة يقال له أسفاذ جُشَنَس ، ولزبته رئيس الكتبية ، كان إلى تديير المملكة ، فقال له : انطلق إلى الملك أبينا ، قُلْ له عن رسالتنا : إنا لم نكن للبلية التي أصبحت فيها ولا أحدٌ من رعيّتنا سبباً ، ولكن الله قضاهَا عليك جزاء منه لك بسبب أعمالك ، منها اجترامك إلى هرمز أبيلك وقتلِكَ به ، وإزالتك الملك عنه ، ومهلك عينيه ، وقتلِكَ إياه شرّ قِتلة ، وما قارفت في أمره من الإثم العظيم . ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبناك في حطرك علينا مئائتة ^(٣) الأختيار ومجاستهم ، وكلّ أمر يكون لنا فيه دعة وسرور وبغطة .

ومنها إساءتك كانت بمن خلدت السجون منذ دهر ، حتى شقوا بشدة ^(٤) ١٠٤٧/١ الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم . ومنها سوء نظرك في استخلاصك كان لنفسك من النساء وتركك العطف عليهن بمودة منك والصرف لمن إلى معاشرته من كُنْ يُرزقن منه الولد والنسْل ، وجسك لياهن قبلك مكرهات . ومنها ما أتيت إلى رعيّتك عامة في اجتبايك لإيأم الخراج ، وما انتهكت منهم في غلظتك ولفظاظتك عليهم . ومنها جمعك الأموال التي اجتبيتها من الناس في عسف شديد ، واستغساد منك لإيأم ، وإدخالك البلاد والمضار عليهم فيه . ومنها تجميرك من جَمَرَت ^(٥) في ثغور الروم وغيرهم

(١) ل : « في مسيره » .

(٢) ت ، ح : « عليه » .

(٣) قال في اللسان : « ثافتت الرجل مئائتة » أي صلبته لا يخفى على شيء من أمره .

(٤) . التجمير : حبس الأمير جنوده في أرض العدو ؛ ولا يأذن لهم في العودة والقتل .

من الجنود ، وتفريقك بينهم وبين أهاليهم . ومنها غلرك بموريق ، ملك الروم ، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إيوائه إياك ، وحسن بلائه عنك ، ودفعه عنك شر عدوك ، وتنويهه باسمك في تزويجه إيتاك أكرم النساء من بناته عليه ، وآثرهن^(١) عنده ، واستخفافك بحقه ، وتركك إطلابه^(٢) ما طلب إليك من رد^(٣) خشبة الصليب ، التي لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، علمته^(٤) . فإن كانت لك حجاج تبتلى بها عندنا وعند الرعية فأدل بها ، وإن لم تكن لك حجة ، فتب إلى الله من قريب ، وأنب إليه حتى نأمر فيك بأمرنا .

فوقى أسفاذ جشنس رسالة كسرى شيرويه هذه ، وتوجه من عنده إلى كسرى ليبلغه إياها ، فلما توجه إلى الموضع الذي كان حبس فيه كسرى ألغى رجلاً يقال له جلينوس كان قائد الجند قد وكل بحراسة كسرى جالساً ، فتعاورا ساعة ، ثم سأل أسفاذ جشنس جلينوس أن يستأذن له على كسرى ليلقاه ١٠٤٨/١ برسالة من شيرويه ، فرجع جلينوس فرجع السر الذي كان دون كسرى ، فدخل عليه ، وقال له : عمرك الله ! إن أسفاذ جشنس بالباب ، وذكر أن الملك شيرويه أرسله إليك في رسالة^(١) ، وهو يستأذن عليك ، فرأيت في الأمر فيه برأيتك ! فتبسم كسرى وقال مازحاً : يا جلينوس أسفاذان ، كلامك مخالف كلام أهل العقل ، وذلك أنه إن كانت الرسالة التي ذكرت من شيرويه الملك ، فليس لنا مع ملكه إذن ، وإن كان لنا إذن وحجيب فليس شيرويه بملك ؛ ولكن المشكل في ذلك كما قيل : يشاء الله الشيء فيكون ، ويأمر الملك بأمر فينفذ . فتأذن^(٢) لأسفاذ جشنس يبلغ الرسالة التي حملها . فلما سمع جلينوس هذه المقالة خرج من عند كسرى ، وأخذ بيد أسفاذ جشنس ، وقال له : قم فادخل إلى كسرى راشداً .

فنهض أسفاذ جشنس ، ودعا بعض من كان معه من خدمه ، ودفع إليه

(١) يقال : أطلبه ؛ إذا أعطاه ما طلب .

(٢) علمته ، أي علمت ذلك الأمر من طلب رد خشبة الصليب .

(٣) ت ، ح : « برسالة » .

كساء كان لابسه ، وأخرج من كفه ششفة بيضاء نقيّة ، فمسح بها وجهه ،
ثم دخل على كسرى ، فلما عاين كسرى ، خرّ له ساجداً ، فأمره كسرى
بالانبعاث ، فانبعث وكفّر بين يديه - وكان كسرى جالساً على ثلاثة أنماط
[من] ^(١) ديباج خُسْرَوَانِي منسوج بلذهب ، قد فرشت على بساط من إبريسم ،
متكئاً على ثلاث وسائد منسوجة بلذهب ، وكان بيده سَفَرَجَلَة صفراء شديدة
الاستدارة . فلما عاين أسفاذ جشنس ، تربّع جالساً ووضع السَفَرَجَلَة التي كانت
بيده على ثُكَّائِهِ ، فتخرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدة استدارتها وامتناس
الوسادة التي كانت عليها ، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأنماط الثلاثة ،
ومن النمط إلى البساط ، ولم تلبث على البساط أن تلحرجت إلى الأرض ،
ووقعت بعيداً متلطفخة بتراب ، فتناولها أسفاذ جشنس فمسحها بكمه ، وذهب
ليضعها بين يدي كسرى ، فأشار إليه أن ينحنيها عنه ، وقال له : أعزبها عني ،
فوضعها أسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض ، ثم عاد فقام مقامه ،
وكفّر بيده ، فنكس كسرى ، ثم قال متمثلاً : الأمر إذا أدبر فانت الحيلة
في الإقبال به ، وإذا أقبل أعيت الحيلة في الإدبار به ، وهذان الأمران متداولان
على ذهاب الحيل فيهما ، ثم قال لأسفاذ جشنس : إنّه قد كان من تلحرج
هذه السفرجلة وسقوطها حيث سقطت ، وتلطّخها بالتراب وهو عندنا كالإخبار
لنا بما حملت من الرسالة ، وما أنتم عاملون به وهابته ، فإن السفرجلة التي
تأويلها الخير ، سقطت من علّو إلى سفلى ، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت
إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطفخة بتراب ، وذلك منها دليل في حال الطيرة :
أنّ مجد الملوك قد صار عند السُّوق ^(٢) ، وأنا قد سلبنا الملك ، وأنّه لا يلبث
في أيدي عقبنّا أن يضير إلى من ليس من أهل المملكة ، فدونك فتكلّم بما
حملت من رسالة ، وُزِّدَتْ من الكلام .

فاندفع أسفاذ جشنس في تبليغ الرسالة التي حملته إياها شيرويه ، ولم يغادر ١٠٥٠/١
منها كلمة ، ولم يزلها عن نَسَقِهَا . فقال كسرى في مرجوع تلك الرسالة : بلغ

(١) من ت ح . (٢) السوق : جمع السوق ، وهي من التمس من لم يكن ذا سلطان ،
الذكر والأش في ذلك سواء .

حتى شيرويه القصير العمر ، أنه لا ينبغي للذي عقل أن يثبت من أحد الصغير من الذنب ، ولا يسير من السيئة إلا بعد تحقق ذلك عنده ، وتيقنه إياه منه ، فضلا عن عظيم ما بثت ونشرت ^(١) وادّعت منا ، ونسبتنا إليه من الذنوب والجرائم ، مع أن أولى الناس بالرد عن ذنب ، وتوبيخ ذى جرمة ^(٢) ، من قد ضبط نفسه عن الذنوب والجرائم ، ولو كتبنا على ما أضفتنا إليه لم يكن ينبغي أن ننشر وتثبتنا [به] ^(٣) أيها القصير العمر القليل العلم ، فإن كنت جاهلا بما يلزمك من العيوب ببيتك منا ما بثت ، ونسبتك إيانا إلى ما نسبت ، فاستثبت عيوبك واقتصر في الزري علينا ، والعيب لنا على ما لا يزيدك بسوء مقاتلك فيه إلا اشتهارا بالجهل ، ونقص الرأي . أيها العايب العقل ، العديم العلم ، فإنه إن كان لإجهادك نفسك في شهرك إيانا من الذنوب بما يوجب علينا القتل حقيقة ، وكان لك على ذلك برهان ، ففضاة أهل ملتك ينقون ولد المستوجب للقتل من أبيه ، وينحونه عن مضامة الأخيار ومحاسنهم ، ويحاطتهم إلا في أقلّ المواطن فضلا عن أن يملك ، مع أنه قد بلغ بحمد الله ونعمته من إصلاحنا أنفسنا ونبتنا فيما بيننا وبين الله وبيننا وبين أهل ملتنا وديننا ، وبيننا وبينك وبين معشر أبنائنا ما ليس لنا في شيء من ذلك تقصير ، ولا علينا فيه من أحد حجة ولا توبيخ ، ونحن نشرح الحال فيما ألزمتنا من الذنوب ، وألحقت بنا من الجرائم ، عن غير التماس منا لذلك نقصا فيما أدلينا به من حجة ، أو أتينا عليه من برهان ، لترداد علما بجهالتك وهزوب عقلك ، وسوء صنيعك . أمّا ما ذكرت من أمر أبينا هرمز ، فن جوابنا فيه أن الأشرار والبغاة كانوا أغروا هرمزينا حتى اتهمنا واحتمل غمرا ^(٤) وأغروا رأينا من ازوراره عنا ، وسوء رأيه فينا ، ما تخوفنا ناحيته ، فاعتزلنا بابا لإشفاقنا منه ، ولحقنا بأذربيجان ، وقد استفاض ، فانتهمك من الملك ما انتهمك . فلما انتهى إلينا خبر ما بلغ منه شخصتنا من أذربيجان إلى بابا ، فهجم علينا المنافق بهرام في جنود عظيمة من العصاة

(١) ت ، ر : نشرت .

(٢) ت ، ح : جرمية .

(٣) من ت ، ح .

(٤) الغمر : بالكسر : الغل والحقد .

المستوحبة القتل ، مارقاً من الطاعة ، فأجلانا عن موضع المملكة فلهحقنا ببلاد الروم ، فأقبلنا منها بالجنود والمعدة ، وحاربناه فهرب منا ، وصار من أمره في بلاد الترك من الهلكة والوبار إلى ما قد اشتهر في الناس ، حتى إذا صفنا لنا الملك ، واستحكم لنا أمره ، ودفعنا بعون الله عن رعبتنا البلاء والآفات التي كانوا أشفوا عليها ، قلنا : إن من خير ما نحن بادرين به في سياستنا ، ومفتتحون به مملكتنا الانتقام لأبينا ، والثأر به والقتل لكل من شرك في دمه ، فإذا أحكمنا ما نؤينا من ذلك ، وبلغنا منه ما نريد تفرغنا لغيره من تدبير الملك ، فقتلنا كل من شرك في دمه ، وسعى فيه وما لا عليه .

وأما ما ذكرت من أمر أبنائنا ، فمن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه — ما خلا من استأثر الله به منهم — إلا صحيحة أعضاء جسده ، غير أننا وكلنا بالحراسة لكم ، وكفكم عن الانتشار فيما لا يعينكم إرادة كف ما تتخوف من ضرركم على البلاد والريعية . ثم كنا أقمنا من التفقات الواسعة في كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت ، وأما أنت خاصة ، فمن قصبتك أن المنجمين كانوا قضوا في كتاب مولدك أنك مثرّب علينا ، أو يكون ذلك بسبيك ، فلم نأمر بقتلك ، ولكن ختمنا على كتاب قضيت مولدك ، ودفعناه إلى شيرين صاحبتنا . ومع ثقتنا بتلك القضية وجدنا فرميشاملك الهند كتب إلينا في سنة ست وثلاثين من مملكتنا ، وقد أولد لهم إلينا ، فكتب في أمور شتى ، وأهدى لنا ولكم — معشر^(١) أبنائنا — هدايا ، وكتب إلى كل واحد منكم كتاباً ، وكانت هديته لك — فاذكرها — فيلا ، وسيفاً ، وبازياً أبيض ، وديباجة منسوجة بذهب ، فلما نظرنا فيما أهدى لكم ، وكتب إليكم وجدته قد وقع على كتابه إليك بالهندية : اكتم ما فيه ، فأمرنا أن يصرف إلى كل واحد منكم ما بعث إليه من هدية أو كتاب ، واحتبسنا كتابه^(٢) إليك لحال التوقيع الذي ١٠٥٣/١ كان عليه ، ودعونا بكتاب هندي ، وأمرنا بغض خاتم الكتاب وقراءته ، فكان فيه : أبشر وقرّ عينا ، وانعم بالآ ، فإنك متوجّ ماه آخرورز ديبا فرسته

ثمان وثلاثين^(١) من مُلك كسرى، ومَلَكَ على ملكه وبلاده، فوَقَعْنَا أَنْكَ لَمْ تَكُنْ لِمَلِكِ إِلَّا بِهَلَكُنَا وَبَوَارِنَا، فَلَمْ نَسْتَقْصِلْ — بِمَا اسْتَقَرَّ حُدُودُنَا مِنْ ذَلِكَ بِمَا كُنَّا أَمْرُنَا بِإِجْرَائِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْمَعَاوِنِ وَالصَّلَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ — شَيْئًا، فَفَضَّلْنَا أَمْرُنَا بِقَتْلِكَ.

وَأَمَّا كِتَابُ فَرْمِيشَا فَقَدْ خَتَمْنَا عَلَيْهِ بِخَاتَمِنَا، وَاسْتَوْدَعْنَاهُ شِيرِينَ صَاحِبَتِنَا، وَهِيَ فِي الْأَحْيَاءِ صَحِيحَةُ الْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهَا قَضِيَّةً مِنْ مَوْلَانِكَ، وَكِتَابُ فَرْمِيشَا لِيَلَيْكَ وَتَقْرَأَهَا لِتُكْسِبَكَ قِرَاءَتُكَ لِإِيَّاهَا نَدَامَةً وَثُبُورًا فَافْعَلْ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ حَالِ مَنْ عُلِّدَ السَّجْنَ فَمِنْ جَوَابِنَا فِيهِ أَنَّ الْمُلُوكَ الْمَاضِينَ مِنْ لَدُنْ جَبُومَرْتٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِشْتَا سَبْ، كَانُوا يَدْبُرُونَ مَلِكُهُمْ بِالْمَعْدَلَةِ، وَلَمْ يَزَلُوا مِنْ لَدُنْ بِشْتَا سَبْ إِلَى أَنْ مَلَكَنا يَدْبُرُونَهُ بِمَعْدَلَةٍ، مَعَهَا وَرِعَ الدِّينِ، فَسَلَّ إِنْ كُنْتَ عَدِيمَ عَقْلٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ حَمَلَةَ الدِّينِ — وَهُمْ^(٢) أَوْتَادُ هَذِهِ الْمَلَّةِ — عَنْ حَالِ مَنْ عَصَى الْمُلُوكَ وَخَالَفَهُمْ، وَنَكَثَتْ هِدْيَهُمْ، وَالْمُسْتَوْجِبِينَ بِذُنُوبِهِمُ الْقَتْلَ فَيُخْبِرُوكَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُرَحِّمُوا وَيَعْفَى عَنْهُمْ. وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّا لَمْ نَأْمُرْ بِالْحَبْسِ فِي سِجُونِنَا، وَلَا مَنْ قَدْ وَجِبَ عَلَيْهِ فِي الْقَضَاءِ الْعَدْلُ أَنْ يَقْتَلَ أَوْ تُسْمَلَ^(٣)

عَيْنُهُ، وَتَقَطَّعَ يَدُهُ وَرِجْلُهُ وَسَائِرُ أَعْضَائِهِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْمَوْكَلُونَ بِهِمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ وَزَرَائِنَا يَذْكُرُونَ اسْتِجَابَ مَنْ اسْتَوْجِبَ مِنْهُمْ الْقَتْلَ، وَيَقُولُونَ: حَاجَلُهُمْ بِالْقَتْلِ قَبْلَ أَنْ يَحْتَالُوا لِأَنْفُسِهِمْ حَيْثَلًا يَقْتُلُونَكُ بِهَا، فَكُنَّا لِحُبِّنَا اسْتِيقَاءَ النُّفُوسِ وَكَرَاهَتِنَا سَفْكَ الدِّمَاءِ نَأْتِي بِهِمْ، وَنُكَلِّهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَلَا نَقْدِمُ عَلَى عَقُوبَتِهِمْ بَعْدَ الْحَبْسِ الَّذِي اقْتَصَرْنَا عَلَيْهِ، إِلَّا عَلَى مَنْعِهِمْ أَكْلَ اللَّحْمِ وَشَرْبَ الشَّرَابِ، وَشَمَّ الرِّيحِ، وَلَمْ نَعُدْ فِي ذَلِكَ مَا فِي سِنِّ الْمَلَّةِ مِنَ الْحَوْلِ بَيْنَ الْمُسْتَوْجِبِينَ لِلْقَتْلِ، وَبَيْنَ التَّلَاقِ وَالتَّنَحُّمِ بِشَيْءٍ مِمَّا مَنَعْنَاهُمْ إِيَّاهُ، وَكُنَّا أَمْرُنَا لَهُمْ مِنَ الْمُطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَسَائِرِ مَا يَقِيمُهُمْ بِالَّذِي يُصْلِحُهُمْ فِي الْقِتَادِ، وَلَمْ نَأْمُرْ بِالْحَوْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَسَائِهِمُ وَالتَّوَالِدِ وَالتَّنَاسُلِ فِي حَالِ حَبْسِهِمْ. وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ أَجْمَعْتَ عَلَى التَّخْلِيَةِ

(١) نَصُّ فَارِسِي، وَمَعْنَاهُ أَنَّكَ مَتَوَجَّعٌ فِي شَهْرِ آفَرْدَ، فِي يَوْمِ سَمِيدَ، فِي سِتَّةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ

ح : « وَتُسْمَلُ » .

(٢) ر : « هُمْ » .

مِنْ مَلِكِ كَسْرَى .

عن أولئك الدّعار المنافيين المستوجبين للقتل^(١) ، والأمر بهلم محبسهم ، ومضى
تُحْطِلُ عنهم تأثم بالله ربك ، وتسىء إلى نفسك ، وتُحِيلُ بدينك وما فيه من
الوصايا والسّنن التي فيها صرف الرحمة والغفر عن المستوجبين للقتل ، مع أن
أعداء الملوك لا يحبّون الملك أبداً ، والعاصين لهم لا يمنحونهم الطاعة . وقد وعظ
الحكماء وقالوا : لا تؤخّرَنَ معاقبةَ المستوجبي العقوبة ، فإنّ في تأخيرها مدفعة
للعذل ، ومضرة على المملكة في حال التدبير ؛ ولئن نالك بعضُ السرور إن
أنت خلّيت عن أولئك الدّعار المنافيين العصاة المستوجبين^(٢) للقتل لتجلدن
غيبَ ذلك في تدبيرك ، ودخول أعظم المضرة والبليّة على أهل الملة .

١٠٥٥/١

وأما قولك : إنّما كسبنا وجمعنا وادّخرنا الأموال والأمتعة واليزور^(٣) وغيرها
من بلاد مملكتنا بأعنف اجتناء ، وأشدّ إلحاح على رعيّتنا ، وأشدّ ظلم ، لامن بلاد
العدوّ بالجهادة لم والقهر ، عن غلبة منّا إياهم على ما في أيديهم ، فن جوابنا فيه
أنّ من إصابته الجواب في كلّ كلام يُتكلّم بهل وعنجمة ترك الجواب فيه ،
ولكن لم ندع - إذ صار ترك الجواب كالإقرار ، وكانت حبّتنا فيما غشينا
أن نحتج به ، قويّة ، وعلّنا واضحا - شرح ما سألتنا عنه من ذلك .

اعلم أيّها الجاهل ؛ أنه إنّما يقيم مُلْكُ الملوك بعد الله الأموال والجنود
وبخاصّة ملك فارس ، الذي قد اكتنفت بلاده أعداء فاغرة أفواههم لانتقام
ما في يديه ، وليس يُقدّرُ على كفتهم عنها ، وردعهم^(٣) عما يريدون من اختلاس
ما يرومون اختلاسه منه ؛ إلا بالجنود الكثيفة ، والأسلحة والعدد الكثيرة ؛ ولا
سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير ممّا يحتاج إليه إلا بكثرة الأموال وفورها ،
ولا يستكثر من الأموال ولا يقدر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلا
بالجد والتشمير في اجتناء هذا الخراج . وما نحن ابتدعنا جمع الأموال ؛ بل
اقتدينا في ذلك بأبائنا والمأصين من أسلافنا ؛ فإنهم جمعوها كجمعنا إياها ،

(١) ر : « المستوجبي للقتل » . ل : « المستوجبين للقتل » .

(٢) اليزور : الجيوب الصغار ، أو البقول .

(٣) ح : « وقنعهم » .

وكتبوها وقرروها لتكون ظهراً لم على تقوية جنودهم وإقامة أمورهم ، وغير ذلك مما لم يستغنوا عن جمعها له . فأغار على تلك الأموال وعلى جوهر كان في خزانتنا ، المتأفق بهرام في عصابة مثله وقتلنا مستوجبين للقتل ، فشدبوها وبلدروها وذهبوا بما ذهبوا به منها ، ولم يتركوا في بيوت أموالنا وخزانتنا إلا أسلحة من أسلحتنا لم يقدروا على تشذيبها والذهاب بها ، ولم يرغبوا فيها . فلما ارتجعنا بحمد الله ملكتنا ، واستحكمت أمورنا وأذعن لنا الرعية بالطاعة ، ودفعنا عنهم البوائق التي كانت حلت بهم ، ووجهنا إلى نواحي بلادنا أصبهبيلين ، ولتينا دونهم على تلك النواحي فاذوسباين^(١) ، واستعملنا على ثغورنا مرزابة وولاية قوى صرامة ومضاء وجلد ، وقوتنا من^(٢) ولتينا من هؤلاء بالكثيف من الجنود ، أخذنا هؤلاء الولاية من^(٣) كان يلزائهم من الملوك الخالفين لنا والعدو . وبلغ من غاراتهم عليهم ، وقتلهم من^(٤) قتلوا ، وأسروهم من^(٥) أسروا منهم ، من سنة ثلاث عشرة من ملكتنا ، ما لم يقدّر الرجل من أولئك على إطلاع رأسه في حرم بلاده إلا بخفي ، أو خائفاً ، أو بأمان ميتاً ، فضلاً عن الإغارة على شيء من بلادنا ، والتعاطى^(٦) لشيء مما كرهنا ، ووصل في مدة هذه السنين إلى بيوت أموالنا وخزانتنا ميتاً غنياً من بلاد العلو من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ، ومن النحاس والفرند والحديد والإستبرق والديباج والكراع والأسلحة والسبى والأمراء ما لم يتخف عظم خطر ذلك وقدره على العامة ، فلما أمرنا في آخر سنة ثلاث عشرة من ملكتنا بنقش سكك حديثة ، لنامر فيستأنف ضرب الورق بها ، وجُد في بيوت أموالنا — على ما رفع إلينا المحصون لما كان فيها من الورق سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا من الورق — ماثا ألف بدرة ، فيها ثمانمائة ألف ألف مثقال . فلما رأينا أننا قلصنا ثغورنا ، وردعنا العلو عنها وعن رعيّتنا ، [وجمعنا مشقت أمرنا]^(٧) ، وكعّمتنا أفواههم الفاغرة كانت للانتقام ما في أيديهم ، وبسطنا فيهم الأمن ، وأمنّا على نواحي

(١) ح : « قاورسايين » ، ر : « فاروسايين » ، ل : « قاورسايين » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « ما » .

(٣) ل : « أو الصاعى » .

(٤) تكللة من ح .

بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البوائق والمغاز ، أمرنا باجتناب بقايا السنين ، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضة ، ومن خزائنا من جوهر أو نحاس ، ورد ذلك كله إلى موضعه ، حتى إذا كان في آخر سنة ثلاثين من ملكتنا أمرنا بنقش سكك حديثة ، يضرب عليها الوريق ، فوجد في بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا ، والأموال التي أحصيت لنا قبل ذلك من الوريق أربعمائة ألف بَدْرَة ، يكون ما فيها ألف ألف ألف مثقال وسبائة ألف ألف مثقال ، وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال ، مما آفاه الله بمنه وطوله علينا من أموال ملوك الروم ، في سفن أقبلت بها إلينا الريح ، فسميناها قىء الرياح ، ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكتنا إلى سنة ثمان وثلاثين من ملكتنا ، التي هي هذه السنة تزداد كثرة ووفورا ، وبلادنا عمارة ، ورضيتنا أمنا وطمأنينة ، ووفورنا وأطرافنا مناعة وحصانة ، وقد بلغنا أنك هممت - لرذولة^(١) مروءتك - أن تبدّر هذه الأموال وتشتريها^(٢) ، عن رأى الأشرار العتاة المستوججين للقتل . ونحن نعلمك أن هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلا بعد المخاطرة بالنفوس ، وبعد كد وعناء شديد ، لنُدفع بها العدو المكتنفين لبلاد هذه المملكة ، ١٠٥٨/١ المتغلبين إلى غلبتهم على ما في أيديهم . وإنما يُقدّر على كف أولئك العدو في الأزمان والدهور كلها ، بعد عون الله بالأموال والجنود ، ولن تقوى الجنود إلا بالأموال ، ولا يُستفزع بالأموال إلا على كثرتها ووفورها ، فلانهمس بتفرقة هذه الأموال ، ولا تجسرّن عليها ، فإنها كهف للملك وبلادك ، وقوة لك على عداوك .

ثم انصرف إسفاذ جيشنس إلى شيرويه فقص عليه ما قال له كسرى ، ولم يسقط منه حرفاً ، وإن عظماء القصر عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا مَلِكُكَان ، فلما أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن خَوَلُوكَ ، المانحوك الطاعة ، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة . فهذت شيرويه هذه المقالة وكسرتة ، وأمر بقتل كسرى ، فانتدب لقتله رجال كان وتهم كسرى ، فكلما أتاه

(١) الرذلة : البون في المنظر والحال ، ويقال : رذلة فلان وذلة وذفولة .

(٢) تشتريها : تلعبها .

الرجل منهم شتمه كسرى وزبّره . فلم يُقدِّم على قتله أحد ، حتى أتاه شابٌ يقال له مِهْرَهْرْمُز بن مَرْدَانِشَاه لِيَقْتله ، وكان مردان شاه فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيمروز ، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له ، وإن كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من سنتين منجميه وصافته عن عاقبة أمره ، وأخبروه أن منيته آتية^(١) من قبيل نيمروز . فأتهم مردان شاه ، وتخوف ناحيته لعظم قدره ، وأنه لم يكن في تلك الناحية من يعد له في القوة والقدرة .

١٠٠٩/١

فكتب إليه أن يعجل القدوم عليه ؛ حتى إذا قدم عليه أجال الرأي في طلب عيلة يقتله بها ، فلم يجد عليه عثرة ، وتذتم من قتله لما علم من طاعته لإياه ، ونصيحته له ، وتحرّيه مرضاته . فرأى أن يستبقيه ، ويأمر بقطع يمينه ، ويعوّضه منها أموالاً عظيمة يجود له بها ، فبقي عليه من العلل ما قطع يمينه ؛ وإنما كانت تقطع الأيدي والأرجل وتقطع الأعناق في رغبة الملك .

وإن كسرى أرسل يوم أمر بقطع يده عيناً ليأتيه بخبر ما يسمع من مردان شاه ومن بحضرته^(٢) من النظارة ، وإن مردان شاه لما قطعت يمينه قبض عليها بشماله ، فقبّلها ووضعها في حجره ، وجعل ينلجها بدمع له دار ويقول : واسمحتاه ! وإراميتاه ! وإكاتبته ! وإضاربته ! والاعتباه ! وإكريمته ! فأنصرف إلى كسرى الرجل الذي كان وجهه عيناً عليه ، فأخبره بما رأى وسمع منه ، فرق له كسرى ؛ وندم على إتيانه في أمره ما أتى ، فأرسل إليه مع رجل من العظماء يُعَلِّمه ندامته على ما كان منه ؛ وأنه لن يسأله شيئاً يجد السبيل إلى بذله له إلا أجابه إليه ، وأسعفه به .

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له ، ويقول : إني لم أزل أعرف تفضلك على أيها الملك ، وأشكره لك ، وقد تيقنت أن الذي أتيت إلى مع كراهتك لإياه ؛ إنما كان سببه القضاء ؛ ولكني سألك أمراً فأعطني من الإيمان على إسعافك لإيائي به ما أطمئن إليه ، وليأتيني بيقين حليفك على ذلك رجل من النساك ، فأفرشك لإياه وأبته لك .

(١) ح ، ل : « تأتية » .

(٢) ل : « يحضره » .

فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة ، فسارع إلى ما سأله مردانشاه ، وحلف بالأيمان المغلظة ليحبيته إلى ما هو سائله ؛ ما لم تكن مسأله أمراً يؤمن ملكه . وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس المزمزمين ؛ فأرسل إليه مردانشاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليتمحي بذلك العار الذى لزمه ، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للحش ، زعم .

وإن كسرى سأل ميهـر هرمز بن مردانشاه ، حين دخل عليه عن اسمه ، وعن اسم أبيه ومربته . فأخبره أنه ميهـر هرمز بن مردانشاه ؛ فافوسيان نيمروز ، فقال كسرى : أنت ابن رجل شريف كثير الغناء ؛ قد كافأناه على طاعته إيتانا ، ونصيحته لنا ، وغنائه عنا بغير ما كان يستحقه ، فشأنك وما أمرت به . فضرب مهر هرمز على حبـل عاتقه بطبرزين كان بيده ضربات فلم يُحك فيه ، ففتش كسرى فوجد قد شـدق عضده خرزة لا يُحك السيف فى كل من تعلقها . فترعت من عضده ، ثم ضربه بعد ذلك مهر هرمز ضربة فهلك منها . وبلغ شيرويه فخرق جيبه وبكى منتحباً ، وأمر بحمل جثته إلى الناوروس فحملت ، وشيعها العظماء وأفتاء الناس .

وأمر فقتل قاتل كسرى ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ؛ وكان قتله ما آذروزماء . وقتل شيرويه سبعة عشر أخاً له ذوى أدب وشجاعة ومروءة ، بمشورة وزيره فيروز ، وتحريض ابن ليزدين - والى عشور الآفاق كان لكسرى ، يقال له شمطا - إياه على قتلهم ، فابتلى بالأسقام ولم يلتذ بشيء من لذات الدنيا ، وكان هلاكه بدسكرة الملك ، وكان مشتوماً على آل ساسان ؛ فلما قتل إخوته جزع جزعاً شديداً . ويقال : إنه لما كان اليوم الثانى من اليوم الذى قتلهم فيه ، دخلت عليه بوران وأزرميدخت أختاه فأسمعته وأغلظتا له ، وقالتا : حمـلك الحـرص على ملـك لايم ، على قتل أبـيك وجميع إـخوتك ، وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديداً ، ورى بالتأج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلها مهوماً مدنفاً . ويقال : إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته ، وإن الطاعون فشا فى أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلا منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر .

[ذكر ملك أردشير بن شيرويه]

ثم ملك أردشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان طفلاً صغيراً قيل: لأنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن في أهل بيت المملكة محتلياً. فلما عظماء فارس، وحضنه رجل يقال له مهتا ذرجشنس، وكانت مربته رياسة أصحاب المائدة، فأحسن سيااسة الملوك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحسن معه بخدانة سن أردشير. وكان شهر براز بثر الروم في جند ضمتهم إليه كسرى، ومقام السعداء، وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه في الأمر بينهما، فيستشيرانه فيه؛ فلما لم يشاوره عظماء فارس في تملك أردشير، اتخذ ذلك ذريعة إلى التعتب والتبغى عليهم، وبسط يده في القتل، وجعله سبباً للطمع في الملك، والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبودية^(١) إلى رفعة الملك، واحتقر أردشير لخدانة سنه واستطال عليهم، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور في الملك. ثم أقبل بجنده وقد عمد مهاذرجشنس؛ فحصر سور مدينة طيسون وأبوها، وحول أردشير، ومن بقي من نسل الملك ونسائهم، وما كان في بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكراعه إلى مدينة طيسون. وكان الذين أقبل فيهم من الجند شهر براز ستة آلاف رجل من جند فارس بثر الروم، فأناخ إلى جانب مدينة طيسون، وحاصر من فيها وقتلهم عنها، ونصب الحانيق عليها فلم يصل إليها. فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له نيو خسروا، وكان رئيس حرس أردشير وقامدار جشنس بن آفرجشنس؛ أصهبه نيزود؛ حتى فتح له باب المدينة فدخلها، فأخذ جماعة من الرؤساء فقتلهم، واستصنى أموالهم، وفضح نساءهم. وقتل ناس بأمر شهر براز أردشير بن شيرويه؛ سنة اثنين مائه بهمن، ليلة روزآبان في إيوان خسرو شاه قباد. وكان ملكه سنة وستة أشهر.

* * *

[ذكر مُلك شهر براز]

ثم ملك شَهْرَ بَرَاز ، وهو فَرَّخَان ماه إسفنديار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ودعا نفسه مَلِكًا . وإنه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه أنه لم يقدر على إتيان الخلاء ، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير ففترز فيه . وإن رجلا من أهل إصطخر ، يقال له فسفروخ بن ماخرشيدان وآخرين له ، امتنعوا من قتل شهر براز أردشير . وعلقت على الملك ، وأنفوا من ذلك ، وتحالفوا وتعاضدوا على قتله ، وكانوا جميعاً في حرس الملوك ، وكان من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سباطين ، عليهم الدروع والبيض والثرمة والسيوف ، وبأيلهم الرماح ، فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل منهم نرسه على قربوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود . وإن شهر براز ركب بعد أن ملك بأيام فوقف فسفروخ وأخوه ، قريباً بعضهم من بعض ، فلما حاذى بهم شهر براز طعنه فسفروخ ، ثم طعنه أخوه ، وكان ذلك إسفندارمذماه ، وزوزدي بدین^(١) ، فسقط عن دابته ميتاً ، فشدوا في رجله حبلاً وجروه إقبالا وإدباراً ، وساعداه على قتله رجل من العظماء يقال له زاذان فروخ بن شهر داران ، ورجل يقال له ماهباي ، كان مؤدب الأساورة ، وكثير من العظماء وأهل البيوتات ، وعاونوهم على قتل رجال فتكوا بأردشير بن شيرويه ، وقتلوا رجالاً من العظماء . وإنهم ملكوا بوران بنت كسرى . وكان جميع ما ملك شهر براز أربعين يوماً .

. . .

[ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، فذكر أنها ١٠٦٤/١ قالت يوم ملكت : البر أنوي وبالعدل أمر ، وصيرت مرتبة شهر براز فسفروخ ، وقلدته وزارتها ، وأحسن السيرة في رعيتهما ، وبسطت العدل فيهم ، وأمرت بضرب الوريق ورم القناطر والجسور ، ووضعت بقايا بقیة من الخراج على الناس عنهم ، وكتبت إلى الناس عامة كتاباً أعلمتهم ما هي عليه من الإحسان

(١) نص فارسي قديم ، ومعناه أن ذلك كان في شهر إسفندارمذماه ، وكان في يوم شفاء .

إليهم ، وذكرت حَالَمَنَ هلك من أهل بيت المملكة ؛ وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس يبطش الرجال تَدَوُّخَ البلاد ، ولا ببأسهم تستباح العساكر ، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النواثر ، ولكن كل ذلك يكون بالله عز وجل ، وأمرتهم بالطاعة وحضتهم على المناصحة ، وكانت كتبها جماعة لكل ما يحتاج إليه ؛ ولأنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهَب .

وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

• • •

[ذكر ملك جشندسه]

ثم ملك بعدها رجل يقال له : جُشْنَسْنَدَه ، من بني عم أبرويز الأبهدين .

وكان ملكه أقل من شهر .

• • •

[ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت آرميدخت بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، ويقال إنها كانت من أجمل نسائهم ؛ ولأنها قالت حين ملكت : ١٠٦٥/١

منهاجنا مناج أبينا كسرى المنصور ، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه . ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرخهرمز أصهب خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها ، فأرسلت إليه : إن التزويج للملكة غير جائز ، وقد علمت أن دهرك فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهونك مني ، فصر إلى ليلة كذا وكذا . ففعل فرخهرمز وركب إليها في تلك الليلة ، وتقدمت آرميدخت إلى صاحب حرسها أن يترصده في الليلة التي تواعدة الالتقاء فيها حتى يقتله . فنفذ صاحب حرسها لأمرها ، وأمرت به فجر برجله ، وطرح في رجة دار المملكة ، فلما أصبحوا وجدوا فرخهرمز قتيلاً ، فأمرت بجثته فغيبت ، وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة . وكان رستم بن فرخهرمز صاحب يزدجرد الذي وجهه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن ، وسمل

عيني آزر ميديخت ، وقتلها . وقال بعضهم : بل سُميت .
وكان ملكها ستة أشهر .

• • •

[كسرى بن مهراجشنس]

ثم أتى برجل من عقِب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له :
كسرى بن مِهْرَجُشْنَس ، فلكه العظماء ، ولبس التاج ، وجلس على سرير
الملك ، وقتل بعد أن ملك بأيام .

• • •

[ذكر ملك خرزا خسروا]

وقيل إن الذي ملك بعد آزر ميديخت خُرْزَاذْخُسْرُو من ولد أبرويز .
وقيل : إنه وُجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نصيبين ، فلما صار إلى ١٠٦٦/١
المدائن مكث أياماً يسيرة ، ثم استعصوا عليه وخالفوه .

• • •

[ذكر ملك فيروز بن مهراجشنس]

وقال الذين قالوا : ملك بعد آزر ميديخت كسرى بن مهراجشنس : لما قُتل
كسرى بن مهراجشنس ، طلب عظماء فارس من يملكونه من أهل بيت المملكة ،
فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبل النساء ، فأتوا برجل كان
يسكن ميسان ، يقال له فيروز بن مِهْرَأَنْجُشْنَس ، ويسمى أيضاً جُشْنَسْده
قد ولدته صهاربُخت بنت يزدا نندار بن كسرى أنوشروان ، فلكوه كرهماً .
وكان رجلاً ضخم الرأس ، فلما توج قال : ما أضيق هذا التاج !
فتطير العظماء من افتتاحه كلامه بالضيق ، وقتلوه بعد أن ملك أياماً .
ومن الناس من يقول : قتل ساعة تكلم بما تكلم به .

• • •

[ذكر ملك فرخزاذ خسروا]

وقال قائل هذا القول : ثم شخص رجل من العظماء يقال له زاذى ولمرتبة رئيس الخوكر إلى موضع في ناحية المغرب قريب من نصيبين ، يقال له : حصن الحجارة ، فأقبل بابن لكسرى كان نجاً إلى ذلك القصر حين قتل شبرويه بنى كسرى يقال له : فرخزاذ خسروا إلى مدينة طيسبون ، فاققاد له الناس زمناً يسيراً ، ثم استعصوا عليه وخالفوه ، فقال بعضهم : قتلوه . وكان ملكه ستة أشهر .

* * *

[ذكر ملك يزديجرد بن شهريار]

وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا بيزديجرد بن شهريار بن كسرى بإصطخر ، قد هرب به إليها حيث قتل شبرويه إخوته ، فلما بلغ عظماء أهل إصطخر أن من بالمداين خالفوا فرخزاذ خسروا ، أنوا بيزديجرد بيت نار يدعى بيت نار أردشير ، فتوجه هنالك ، وملكوه — وكان حدثاً — ثم أقبلوا به إلى المداين ، وقتلوا فرخزاذ خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك سنة .

وساغ الملك ليزديجرد ، غير أن ملكه كان عند ملك آبائه كالحلياء والحليم ، وكانت العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحداثة سنه ، وكان أشد لهم نباهاً في وزرائه وأذكاهم رئيس الخوكر . وضعف أمر مملكة فارس ، واجترأ عليه أعداؤه من كل وجه ، وتطرقوا ببلاده وأخربوا منها ، وغزت العرب ببلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه ، وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه . وكان عمره كله إلى أن قتل ثمانياً وعشرين سنة .

* * *

وقد بقي من أخبار يزديجرد هذا وولده أخبار ساذكرها إن شاء الله بعد في مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم ، وما آل إليه أمره وأمر ولده . فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض ، إلى وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود ، وتزعم أنه في التوراة الصورة (١) مثبت من أعمار الأنبياء والملوك أربعة آلاف سنة وسبائة

١/١٠٨٦

سنة واثنان وأربعون سنة وأشهر . وأما على ما تقوله النصارى مما تزعم أنه في ترواة اليونانية ، فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وأما جميع ذلك على قول المجهوس من الفرس ، فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً ، على أنه داخل في ذلك مدة ما بين وقت الهجرة ومقتل يَزْدَجِرْد ، وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يوماً ، وعلى أن حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جِيُومِرْت ، وجِيُومِرْت هو آدم أبو البشر الذي إليه نسبة كل متسبب من الإنس ، على ما قد بينت في كتابي هذا .

• • •

وأما علماء الإسلام فقد ذكرت قبل ما قال فيه بعضهم ، وأذكر بعض من لم يعض ذكره منهم الآن ، فلأنهم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ، والقرن مائة سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة ١٠٩٩/١ قرون ، كلهم على شريعة من الحق .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ، والقرن مائة سنة . وروى عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : الفترة بين محمد وعيسى عليهما السلام ستماية سنة .

وروى عن فضيل بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن سليمان ، عن عرف ،

قال : كان بين عيسى وموسى سبائة سنة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن كعباً قال : إن قوله : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾^(١) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أمّ المؤمنين ؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو أعلم وأخبر^(٢) ، وإلا فإني أجد بينهما سبائة سنة . قال : فسكتت^(٣) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى^(٤) بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وإنه أرسل بينهما ألف نبي من بنى إسرائيل ، سوى مَنْ أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبي خمسمائة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾^(٥) ، والذي عزَّز به شعون ، وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة وأربعاً وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين^(٦) رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حيٌّ الآن .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وسبائة سنة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، عن الحسن بن أيوب الحضرمي ، قال : حدثنا عبد الله بن بُسر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتدركن قرناً » ، فعاش مائة سنة .

• • •

(١) سورة مريم ٢٨ . (٢) ط : « خير » ، وما ألقته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (هولاء) . (٤) ح : « وبين عيسى » .

(٥) سورة يس ١٤ . (٦) ح : « حيث » .

فهذا ما روى عن علماء الإسلام في ذلك، وفي ذلك من قولهم تفاوت شديد ،
وذلك أن الواقدي ، حكى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت
عنه أنه رواه عنهم . وعلى ذلك من قوله ، ينبغي أن يكون جميع سني الدنيا إلى
مولد نبينا صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة وستة مائة سنة ، وعلى قول ابن
عباس الذي رواه هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عنه ؛ ينبغي أن يكون
١٠٧١/١ إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة .

وأما وهب بن منبه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأن ذلك
إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستة مائة سنة ، وجميع مدة الدنيا عند وهب ستة
آلاف سنة ، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة
 وستة مائة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة ،
فكان الباقي من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه ، مائتا سنة وخمس
عشرة سنة .

وهذا القول الذي قاله وهب بن منبه موافق لما رواه أبو صالح ، عن ابن
عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا
صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة ؛ وذلك أن
عنده من مهبط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ، أثنى سنة ومائتي سنة وستاً
 وخمسين سنة ، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعاً
 وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى بنى إسرائيل من مصر
 خمسمائة سنة وخمساً وستين سنة ، ومن خروج موسى بنى إسرائيل من مصر
 إلى بناء بيت المقدس - وذلك لأربع سنين من ملك سليمان بن داود - ست مائة سنة
 وستاً وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبع مائة سنة
 وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام
 ، ثلث مائة سنة وتسعاً وستين سنة ، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه
 ١٠٧٢/١ وسلم خمسمائة سنة وإحدى وخمسين سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة

إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى إلى داود مائة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستّمائة سنة .

وحدث الهيثم بن عدي عن بعض أهل الكتب أنه قال : من آدم إلى الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة ، ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بني إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمائة سنة وخمسون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصر وخراب بيت المقدس أربعمائة سنة وست وأربعون سنة ، ومن ملك بختنصر إلى ملك الإسكندر أربعمائة سنة وست وثلاثون سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى سنة ست ومائتين من الهجرة ألف سنة ومائتان وخمس وأربعون سنة .

ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد، وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغر ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف — وهو أبو طالب — بنو عبد المطلب لأم واحدة، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله، وأبو طالب — واسمه عبد مناف — والزبير، وعبد الكعبة، وهاتكة، وبرة، وأميمة، ولد عبد المطلب لإخوة أم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يقظة.

وكان عبد المطلب — فيما حدثني يونس بن عبد الأعلى — قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة تكذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقلعت المدينة لتستقي عن نذرهما، فجاءت عبد الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمر في النحر إلا الوفاء به، فقالت المرأة: أفأنحرتُ ابني؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم، فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النحر [والنردين] ^(١)، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم — وقد كان عبد المطلب بن هاشم تكذّر إن توافى له عشرة رهط، أن ينحّر أحدهم، فلما توافى له عشرة، أقرع بينهم. أيهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

الْقُرْعَةُ عَلَى الْمَائَةِ مِنَ الْإِبِلِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِلْمَرْأَةِ: فَأَرَى أَنْ تَنْحَرِي مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ مَكَانَ ابْنِكَ. فَبَلَغَ الْحَدِيثَ مَرْوَانَ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: مَا أَرَى ابْنَ عَمْرٍو لَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَصَابَا الْفُتْيَا، إِنَّهُ لَا نَلْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، اسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْنِي إِلَى اللَّهِ، وَتَصَدَّقِي وَاعْمَلِي مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَيْرِ، فَأَمَّا أَنْ تَنْحَرِي ابْنَكَ فَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. فَسَرَّ النَّاسَ بِذَلِكَ، وَأَعْجَبَهُمْ قَوْلُ مَرْوَانَ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ الْفُتْيَا، فَلَمْ^(١) يَزَالُوا يَفْتَنُونَ بِالْأَلَةِ نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

• • •

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ، فَلَمَّا هُوَ قَصَصَ مِنْ أَمْرِ نَلْرِ عَبْدَ الْمَطْلَبِ هَذَا قِصَّةً، هِيَ أَشْيَعُ^(٢) مِمَّا فِي هَذَا الْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ قَبِيصَةَ بِنْتِ ذَوْبٍ، وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُسَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ - فِيمَا يَذْكُرُونَ^(٣) - وَاقِعَهُ أَحْلَمٌ - قَدْ نَذَرَ حِينَ لَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي حَفَرٍ زَمْزَمَ مَا لَقِيَ: لَثْنٌ وَلُدٌّ لَهُ عَشْرَةُ نَفَرٍ ثُمَّ بَلَغُوا مَعَهُ حَتَّى يَمْنَعُوهُ، لِيَنْحَرُونَ أَحَدَهُمْ اللَّهُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا تَوَافَى لَهُ^(٤) بَنُوهُ عَشْرَةٌ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَيَمْنَعُونَهُ، جَمَعَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَلَرَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِذَلِكَ، فَأَطَاعُوهُ، وَقَالُوا: كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: يَأْخُذُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قِدْحًا، ثُمَّ لِيَكْتُبَ فِيهِ اسْمُهُ، ثُمَّ اتَّوْنِي بِهِ. فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَتَوْهُ، فَدَخَلَ عَلَى هُبَلٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ هُبَلٌ أَعْظَمُ أَصْنَامِ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَكَانَتْ عَلَى بَثْرِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْبُثْرُ هِيَ الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا مَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ، وَكَانَ عِنْدَ هُبَلٍ سَبْعَةُ أَقْدِحِ^(٥)، كُلُّ قِدْحٍ مِنْهَا فِيهِ كِتَابٌ: قِدْحٌ فِيهِ الْعَقْلُ^(٦)، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْعَقْلِ مَنْ يَحْمِلُهُ مِنْهُمْ ضَرَبُوا بِالْقِدْحِ السَّبْعَةَ، [فَإِنْ خَرَجَ الْعَقْلُ فَعَلِيَ مِنْ خُرْجِ حِمْلِهِ]^(٧)، وَقِدْحٌ فِيهِ: «وَنَعَمْ» لِلْأَمْرِ إِذَا أَرَادُوهُ

(١) م: «فَالْأَلَةُ». (٢) كَلَامٌ فِيهِ، وَفِي ح: «أَبْلَغ».

(٣) ابْنُ هَاشِمٍ: «يُزَمُّونَ». (٤) سَائِلَةٌ مِنْ ابْنِ هَاشِمٍ.

(٥) ابْنُ هَاشِمٍ: «قِدْحٌ سَبْعَةٌ»، وَالْقِدْحُ: بِالْكَسْرِ: السَّجْمُ قَبْلَ أَنْ يَرِشَ وَيَنْصَلَّ، وَجَمْعُهُ قِدْحٌ وَأَقْدِحٌ.

(٦) الْعَقْلُ هُنَا: الْدِيَّةُ.

(٧) تَكْمِلَةُ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ هَاشِمٍ.

يضرب به ، فإن خرج قِدْح : « نعم » عملوا به ، وقدح فيه لا ، فإذا أرادوا أمرا ضربوا به في القِداح ، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه « منكم » ، وقدح فيه « ملصق » ، وقدح فيه « من غيركم » ، وقدح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يخنثوا غلاماً ، أو يُسكحوا مُسْكِحاً ، أو يدفنوا ميتاً ، أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجرور ، فأعطوها صاحب القِداح الذي يضربها^(١) ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ، ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ، فيضرب فإن خرج عليه « منكم » كان وسيطاً^(٢) وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً ، وإن خرج عليه « ملصق » كان على منزله منهم ، لا نسب له ولا حليف ، وإن خرج في شيء سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن ١٠٧٦/١ خرج « لا » أخرجه عامتهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح - فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنِي هَؤُلاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنظره الذي تَنَدَّر ، فأعطى كل رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اسمه - وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه ، وكان فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى^(٣) ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما أخذ صاحب القِداح القِداح ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل في جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القِداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ^(٤) عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل إلى إيساف ونائلة - وهما وتنا قريش اللذان تنحرا عندهما ذبايحها - ليلبجعه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه

(١) سيرة ابن هشام : « يضرب بها » .

(٢) الوسيط : خالص النصب .

(٣) يُقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .

(٤) سيرة ابن هشام : « فأخذه » .

فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ لَا تَلْبِجُهُ أَبَدًا حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ، لَنْ فَعَلْتَ
هَذَا ، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ ^(١) يَأْتِي بِابْنِهِ حَتَّى يَلْبِجَهُ ، فَمَا بَقَاءُ النَّاسِ عَلَى هَذَا إِفْقَالٍ
لَهُ الْمَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرُومٍ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ - :
وَاللَّهِ لَا تَلْبِجُهُ أَبَدًا حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ فِدَاؤُهُ بِأَمْوَالِنَا فِدَيْنَاهُ . وَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ
وَبَنُوهُ : لَا تَفْعَلْ وَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحِجَازِ ، فَإِنْ بِهِ عَرَّاقَةٌ لَهَا تَابِعْ ، فَسَلِّهَا ،
ثُمَّ أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ ، إِنْ أَمَرْتَكُ أَنْ تَلْبِجَهُ ذَبَحْتَهُ ، وَإِنْ أَمَرْتَكُ بِأَمْرِ
لَكَ وَلَهُ فِيهِ فَرَجٌ قَبْلَهُ . ١٠٧٧/١

فَانْطَلَقُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدُوهَا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - بِخَيْرٍ ، فَرَكَبُوا إِلَيْهَا
حَتَّى جَاءُوهَا ، فَسَأَلُوهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ خَبْرَهُ وَخَبَرَ ابْنِهِ ، وَمَا أَرَادَ
بِهِ ، وَنَلَّرَهُ فِيهِ . فَقَالَتْ لَهُمْ : ارْجِعُوا عَنِّي الْيَوْمَ حَتَّى يَأْتِيَنِي تَابِعِي فَسَأَلَهُ .
فَرَجِعُوا عَنْهَا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَدْعُو اللَّهَ . ثُمَّ غَدَوْا
عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، قَدْ جَاءَنِي الْخَبَرُ ، كَمْ الدِّينَةُ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرٌ مِنَ
الْإِبِلِ - وَكَانَتْ كَذَلِكَ - قَالَتْ : فَارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ،
وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى
صَاحِبِكُمْ فَرِيدُوا فِي الْإِبِلِ ^(٢) حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ
فَانْحَرُوهَا ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنَجَا صَاحِبُكُمْ .

فَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا لِلذَّكَاءِ مِنَ الْأَمْرِ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ
يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ قَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ - وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ
عِنْدَ هُبُلٍ يَدْعُو اللَّهَ - فَخَرَجَ الْقِدْحُ ^(٣) عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا ، فَكَانَتْ
الْإِبِلُ عَشْرِينَ ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ
النَّسْهَمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَكَانَتْ ثَلَاثِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا
يَضْرِبُونَ بِالْقِدَاحِ وَيَخْرُجُ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَلَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ زَادُوا مِنَ
الْإِبِلِ عَشْرًا ، حَتَّى ضَرَبُوا عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَبَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةً ، وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ

(١) ح : « لَا يَزَالُ رَجُلٌ مَنَّا » .

(٢) ر ، وصيغة ابن هشام : « مِنَ الْإِبِلِ » .

(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فَخَرَجَتْ الْقِدَاحُ » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القيدُح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر :
قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا واهه حتى
أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله . وقام عبد المطلب
يدعو فخرج القيدُح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو ، ثم ١٠٧٨/١
عادوا الثالثة فضربوا^(١) ، فخرج القيدُح على الإبل فنحيرت ، ثم نركت
لا يُصد عنها إنسان ولا سبيح^(٢) .

ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فر - فيما يزعمون - على
امرأة من بني أسد [بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
بن لؤي بن غالب بن فهر]^(٣) ، يقال لها : أم قتال^(٤) بنت نوفل بن أسد بن
عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهي عند الكعبة ، فقالت
له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي ، قالت :
لك عندي مثل الإبل التي نحيرت عنك ، وقع على الآن ، قال : إن معي أبي
ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن
عبد مناف بن زهرة - وهب يومئذ سيّد بني زهرة سنّاً وشرفاً - فزوجه آمنة
بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، وهي لبرة
بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وبيرة لأم حبيب بنت أسد
ابن عبد العزى بن قصي ، وأم حبيب بنت أسد لبيرة بنت عوف بن عبيد بن
عويج بن حنظلة بن كعب بن لؤي . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه
فوقع عليها ، فحملت بمحمّد صلى الله عليه وسلم . ثم خرج من عندها ، حتى
أتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ
اليوم ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذي كان
معلك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة

١٠٧٩/١

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمنح » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتبع الكتب ، حتى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبي من بني إسماعيل ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ، أنه حدث أن عبد الله لما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها ^(٢) ، فتوضأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مرّ بامرأته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررت ببني وبين حبيك غيرة ، فدعوتني فأبيت ، ودخلت على آمنة فذهبت بها . فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مرّ بها وبين حبيبه مثل غيرة القرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بي ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

حدثني علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا محمد بن عمار القرشي ، قال : حدثنا الزنجي بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه ، مرّ به على كاهنة من خثعم ، يقال لها فاطمة بنت مرّ ، متهودة ^(٤) ، من أهل تبالة ، قد قرأت الكتب ، فرأت في وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

أما الحرامُ فاللمات دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تبينه ^(٥) .

١٠٨٠/١

(١) انظر في سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣-١٠٥ .

(٢) كلما في ح وسيرة ابن هشام ، وفي ط : « عنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ .

(٤) م : « متهودة » . . .

(٥) الأرجز في السهيل ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :

• يَحْيَى الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ •

ثم قال : أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه ، ففضى به ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرف . فربما بالشمعية فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت أردت ؟ فقالت : يا فتى ، إني والله ما أنا بصاحبة ربية ، ولكنني رأيتُ في وجهك نوراً فأردتُ أن يكون في ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوجني أبي آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثاً ، فأنشأت فاطمة بنت مِرّ تقول ^(١) :

إني رأيتُ مخيلةً لَمَتَتْ فتَلَّأَتْ بِمَنَامِ الْقَطْرِ ^(٢)
فلَمَّأَتْهَا نوراً يُضِيءُ لَهُ ما حَوَّلَهُ كِبَاشَةٌ الْبَدْرِ ^(٣)
فَرَجَوْتُهَا فَخَرَّ أَبُوهُ بِهِ ما كُلُّ قَادِحٍ زَنَدِهِ يُورِي ^(٤)
لِلَّهِ مَا زَهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبْتَ وَمَا تَذْرِي ^(٥)

وقالت أيضاً :

بني هاشمٍ قد غَادَرَتْ مِنْ أَخِيكُمْ أَمِينَةٌ إِذْ لِلْبَاءِ تَعَرَّكَانِ ١٠٨١/١
كَمَا غَادَرَ الْمِصْبَاحُ عِنْدَ خُودِهِ ^(٦) فَتَقَاتِلَ قَدْ مِثْتُ لَهُ يِدَهُانِ ^(٧)
وَمَا كُلُّ مَا يَحْمَوِي الْقَتَى مِنْ تِلَادِهِ لِعَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِسَوَانِ
فَأَجِيلٌ إِذَا طَالَبْتَ أُنْزَأَ فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَ جَدَانِ يَمْتَلِجَانِ

(١) الروض الألف : ١ : ١٠٥ .

(٢) الخناتم : جمع حتم ، وهو السحاب .

(٣) لمَّأَتْهَا : أهدرتها ، والبيت في السان أيضاً ١ : ١٤٩ ، وفي السهيل : « يضيء به » .

(٤) السهيل :

• ورأيتُهُ شرفاً أبوه به •

(٥) رواية السهيل :

لله ما زهرية سَلَبْتَ منك الذي استَلَبْتَ وما تَذْرِي

(٦) أنساب الأشراف : « بعد خبره » .

(٧) كلما في أنساب الأشراف ، وفي ط : « مبيت » .

سَيَكْفِيكَهٗ إِنَّمَا يَدُ الْمُقْتَلَةِ وَإِنَّمَا يَدُ مَبْسُوطَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا حَوَتْ حَوَتْ مِنْهُ فَخَرًّا مَا لِذَلِكَ ثَانٌ (١)

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا
محمد بن عمر قال : حدثنا معمر وغيره ، عن الزهري ، أن عبد الله بن عبد المطلب
كان أجمل رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالته وهيئته ، وقيل لها :
هل لك أن تزوجيه ! فترجسته آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلقت برسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة في ميرة يحمل لم تمرأ ، فأت
بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنه الحارث في طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات .

قال الواقدي : هذا غلط ، والمجتمع عليه عندنا في نكاح عبد الله بن عبد المطلب
ما حدثنا به عبد الله بن جعفر الزهري ، عن أم بكر بنت المسور ، أن عبد المطلب
جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فترججا في مجلس واحد ،
فترج عبد المطلب هالة بنت أمييب بن عبد مناف بن زهرة ، وترج عبد الله
ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدي : والتبست عندنا ، ليس بين
أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في حير
لقريش ، فترك بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى توفى ، ودفن في دار
النابعة - وقيل التابعة - في الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسارك ،
ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف .

ابن عبد المطلب

وعبد المطلب اسمه شيبه ، سُمي بذلك ، لأنه فيما حدثت عن هشام بن
محمد ، عن أبيه : كان في رأسه شيبه .

وقيل له عبد المطلب ، وذلك أن أباه هاشماً كان شخَص في تجارة له

إلى الشام ، فسلكت طريق المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل - فيما حدثنا
 ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وفيما حدثت عن هشام
 ابن محمد عن أبيه . وفيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن محمد بن
 عمر ، ودخل حديث بعضهم في بعض ، وبعضهم يزيد على بعض - على
 عمرو بن زيد بن ليبيد الخزرجي ، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو - وأمّا ابن
 حميد فقال في حديثه عن سلمة ، عن ابن إسحاق : سلمى بنت زيد بن عمرو -
 ابن ليبيد بن حرام بن خدّاش بن جندب بن عدّى بن النجار فأعجبه ،
 فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأنكحه إياها ، وشرط عليه ألا تلد ولداً إلا
 في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يبنى بها ، ثم انصرف راجعاً
 من الشام ، فبنى بها في أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكة
 وحملها معه ، فلما أثقلت ردها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فات بها
 بغزة ، فولدت له سلمى عبد المطلب ، فكث بيثرب سبع سنين أو ثمانى
 سنين . ثم إن رجلاً من بنى الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان
 يتنصلون ، فجعل شيبة إذا خست^(١) قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد
 البطحاء ، فقال له الحارثي : من أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن
 عبد مناف . فلما أتى الحارثي مكة ، قال للمطلب وهو جالس في الحجر :
 يا أبا الحارث ، تعلم أنى وجدت غلماناً يتنصلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خست
 قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال المطلب : والله لا أرجع
 إلى أهلى حتى آتى به ، فقال له الحارثي : هذه ناقى بالفيناء فاركيها ، فجلس
 المطلب عليها ، فورد يثرب عشاء ، حتى أتى بنى عدّى بن النجار ، فإذا
 غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس ، فعرف ابن أخيه فقال للقوم : أهذا
 ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنت تريد أخذه فالساعة
 قبل أن تعلم به أمّه ، فإنها إن علمت لم تدعه ، وعلنا بينك وبينه . فدعاه ،
 فقال : يا بن أخى ، أنا عمك ، وقد أردت الذهاب بك إلى قومك - وأناخ

راحلته - فا كذّب أن جلس على عَجَز الناقة، فانطلق به ، ولم تعلم به أمّه حتى كان الليل، فقامت تدعو بحميرها على ابنها ، فأخبرت أن عمّه ذهب به، وقدّم به المطلب ضحوة، والناس في مجالسهم، فجعلوا يقولون: من هذا وراعه؟ ١٠٨٤/١
 فيقول: عبد لي، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم، فقالت: مَنْ هذا؟ قال: عبد لي، ثم خرج المطلب حتى أتى الحزورة، فاشتري حلة فلبسها شيبة، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف، فجعل بعد ذلك يطوف في مكّك مكّة في تلك الخلّة، فيقال: هذا عبد المطلب، لقوله: « هذا عبدى » حين سأله قومه، فقال المطلب: عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالنَّجَّارُ قَدْ جَمَلَتْ أَبْنَاؤُهَا حَوَالَهُ بِالنَّهْلِ تَنْتَضِلُ

وقد حدثني هذا الحديث عليّ بن حرب الموصلي، قال: حدثني أبو معن عيسى - من ولد كعب بن مالك - عن محمد بن أبي بكر الأنصاري، عن مشايخ الأنصار، قالوا: تزوّج هاشم بن عبد مناف امرأة من بني عدى بن النجّار، ذات شرف، تشرط على من خطبها المقام بدار قومها، فتزوّجت بهاشم، فولدت له شيبَةَ الحمد، فرُبِّيَ في أخواله مكرماً، فبينا هويئناضل فتیان الأنصار إذ أصاب خَصَلُهُ (١)، فقال: أنا ابن هاشم. ومعه رجل مجتاز، فلما قدم مكّة، قال لعمّه المطلب بن عبد مناف: قد مررت بدار بني قيسلة، فرأيت فتى من صفته ومن صفته . . . يناضل فتیانهم، فاعتزى إلى أخيك، وما ينبغي ترك مثله في الغربة. فرحل المطلب حتى ورد المدينة، فأزاده على الرحلة، فقال: ذاك إلى والدة، فلم يزل بها حتى أذنت له، وأقبل به قد أرذفه، فإذا لَقِيَهُ اللاقي وقال: مَنْ هذا يا مَظْلِب؟ قال: عبد لي، فسمى عبد المطلب. فلما قدم مكّة وقَفَهُ على ملك أبيه، وسلّمه إليه، فعرض له نوفل بن عبد مناف في رُكُوح (٢) له، فاغتصبه إياه، ففشي عبد المطلب إلى رجالات قومه، فسألم النصرة على عمّه، فقالوا: لسنا بداخلين بينك وبين عمك، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل، وكتب في كتابه: أبلغ بني النجّار إن جِئْتَهُمْ أُنِّي مِنْهُمْ وَأُبْنُهُمُ وَالْحَيَسُ

(١) أصاب خصله، أي غلب، من قولهم: أحرز خصله وأصاب خصله؟ إذا غلب.

(٢) الركح: قاحية البيت.

رَأَيْتُهُمْ قَوْمًا إِذَا جِثُّهُمْ هَوُّوا لِقَائِي وَأَحْبُوا حَبِيسَ
فُلَانٍ عَمِي نَوْفَلًا قَدْ آتَى إِلَّا أَلَيْ يَفِضِي عَلَيْهَا الْحَبِيسُ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس^(١) النجاري في ثمانين راكباً ، حتى
أتى الأبطح ، وبلغ عبد المطلب ، فخرج يلقاه ، فقال : المتزل يا خال !
فقال : أما حتى أتي نوفلاً فلا . قال : تركته جالساً في الحجر في مشايخ
قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم اسفل سيفه ، ثم قال : ورب هذه
البنية ؛ لتردن على ابن أختنا ركمه أو لأملأن منك السيف ، قال : فلأتى
ورب هذه البنية أرد ركمه . فأشهد عليه من حضر ، ثم قال : المنزل يابن
أخني ، فأقام عنده ثلاثاً واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول :

تَأْتِي مَازِنٌ وَبَنُو عَاصِيٍّ وَدِينَارُ بْنُ تَيْمِ اللَّاتِ ضَيْبِي
وَسَادَةُ مَالِكٍ حَتَّى تَنَاهَى وَنَكَبَ بَعْدُ نَوْفَلٌ عَنْ حَرَبِي
يَهُومَ رَدِّ إِلَهِ عَلَى رُكْحِي وَكَانُوا فِي التَّسْبِ دُونَ قَوْمِي^(٢)

وقال في ذلك سُمرة بن عُمر ، أبو عمرو الكناني^(٣) :

لَعَمْرِي لِأَخْوَالِ لَيْشِيَّةٍ قَصْرَةٌ مِنْ أَعْمَامِهِ دِينِيَا أَبْرُ وَأَوْصَلُ
أَجَابُوا عَلَى بُعْدِ دُعَاءِ ابْنِ أُخْتِهِمْ وَلَمْ يَنْتَهِمْ إِذْ جَاوَزَ الْحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَصْبَةَ خَزْرَجِيَّةٍ تَوَاصَوْا عَلَى بَيْرٍ ، وَذُو الْبَيْرِ أَفْضَلُ

١٠٨٦/١

قال : فلمّا رأى ذلك نوفل ، حالف بني عبد شمس كلها على بني هاشم .
قال محمد بن أبي بكر : فحدثت بهذا الحديث موسى بن عيسى ، فقال :
يابن أبي بكر ، هذا شيء ترويه الأنصار تقريباً إلينا ، إذ صير الله الدولة
فينا . عبد المطلب كان أعز في قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النجار من

(١) م : « على » . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : « كانوا في التناصر » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الزاني ، مع اختلاف في الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطلب . قال : وكان متكئاً فجلس مغضباً ، وقال : مَنْ خير من عبد المطلب ! قلت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبيته : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر .

وقد حدثت هذا الحديث في أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حدثنا زياد بن حِلَاقَةَ التغلبيّ - وكان قد أدرك الجاهليّة - قال : كان سبب بدم الحلف الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكة ، وقال : لتنصب^(١) هذه السحابة بنصر بني كعب ؛ أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقي من بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له - وهي الساحات - وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فتصوّف عبد المطلب عمه ، فلم ينصفه ، فكتب إلى أخواله :

١٠٨٧/١ يا طولَ ليلي لأحراني وأشغالي
يُبنى عدياً وديناراً ومازنها
قد كنتُ فيكم ولا أخشى ظُلامة ذي
حتى ارتحلتُ إلى قومي وأزجعتني
وكنْتُ ما كان حياً فاصماً جذلاً
فسابَ مُطَلِّبٌ في قعرٍ مُظلمةٍ
أأن رأى رجلاً غابتْ صومتهُ
أنحى عليه ولم يحفظ له رجماً
فاستنفروا وامنموا ضمير ابنِ اختكم
ما مثلكم في بني قحطان قاطبةً

هل من رسولٍ إلى التجارِ أخو إلى
ومالكاً عِصمةَ الجيرانِ عن حالي
ظلمهم عزيزاً متيناً ناعماً البالي
عن ذاك مُطَلِّبٌ عني بترحالٍ
أمنى العِرضنةَ سحابةً لأذبالٍ
وقام نوفلُ كي يعدو على مالي
وعابَ أخواله عنه بلا والٍ
ما امنع المرء بينَ الممِّ والخال^(٢) !
لا تمخلوه وما أتم بمخلالٍ
حتى يجاري وأنعام وإفضالٍ

(١) ح : « لقد تنصبت » .

(٢) ح : « ما المم » .

أَنْتُمْ لِيَانٌ لِمَنْ لَأَنْتَ عَرِيكَتُهُ سَلِّمْ لَكُمْ وَسِمَامُ الْأَبْلَغِ الْغَالِي^(١)

قال : فقدم عليه منهم ثمانون راكبًا ، فأناخوا بيفناء الكعبة ، فلما رأهم ١٠٨٨/١
نوفل بن عبد مناف ، قال لهم : أنعموا صباحًا ! فقالوا له : لا نعيم صباحك
أيها الرجل ! أنيصف ابن أختينا من ظلماته . قال : أفعل بأحب لكم والكرامة ،
فردت عليه الأركاح وأنصفه .

قال : فانصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطلب إلى
الحلف ، فدعا عبد المطلب بشر^(٢) بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالاً من
رجالات خزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتاباً .

وكان إلى عبد المطلب بعد مهلك عمه المطلب بن عبد مناف ما كان إلى
من قبله من بني عبدمناف من أمر السقاية والرفاة ، وشرف في قومه ، وعظم
فيهم خطره ، فلم يكن يعدل به منهم أحد ، وهو الذي كشف عن زمزم ،
بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفوناً ، وذلك غزالان
من ذهب ، كانت جرهم دفنتهما - فيما ذكر - حين أخرجت من مكة ،
وأسياف قلنجة ، وأحراج ، فجعل الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب
الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حلتيه - فيما قيل - الكعبة .
وكانت كسنية عبد المطلب أبا الحارث ، كسنى بملك لأن الأكبر من ولده
الذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبه .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ، وإنما قيل له هاشم ، لأنه أول من هشم الثريد لقومه
بمكة وأطعمه ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعي - وقال ابن الكلبي : إنما
قاله ابن الزبعرى^(٣) :

(١) الأبلغ : المتكبر .

(٢) ح : « بشر » .

(٣) أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر بهه :

وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رِحْلَ الشَّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الْقَرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتِنُونَ عِجَافٌ^(١)

ذِكْرُ أَنْ قَوْمَهُ مِنْ قَرِيشٍ ، كَانَتْ أَصَابَتُهُمْ لَزْبَةٌ وَقَحْطٌ ، فَرَجُلٌ إِلَى
فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكة ، فأمر به فخبز له ونحر جزؤراً ،
ثم اتخذ لقومه مرققة ثريد بذلك الخبز .

وَذِكْرُ أَنْ هَاشِمًا هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرَّحْلَيْنِ لِقَرِيشٍ : رحلة الشتاء
والصيف .

وَحَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ هَاشِمٌ ، وَعَبْدُ شَمْسٍ
— وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ عَبْدِ مَنْفٍ ، وَالْمَطْلَبُ — وَكَانَ أَصْغَرُهُمْ — أُمَّهُمْ عَاتِكَةُ
بنت مرة السَّلمِيَّةِ ، وَنُوفَلٌ — وَأُمُّهُ وَاقِدَةُ — بَنَى عَبْدُ مَنْفٍ ، فَسَادُوا بَعْدَ أَبْنِهِمْ
جَمِيعًا ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْهَجِيرُونَ ، قَالَ : وَلَمْ يُقَالِ :

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ إِلَّا نَزَلَتْ بِآلِ عَبْدِ مَنْفٍ^(٢)

فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لِقَرِيشٍ الْعِصَمَ^(٣) ، فَانْتَشَرُوا مِنَ الْحَرَمِ ، أَخَذَ لَهُمُ
هَاشِمٌ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ الرُّومِ وَضَّانَ ، وَأَخَذَ لَهُمُ عَبْدُ شَمْسٍ حَبْلًا مِنْ
النَّجَاشِيِّ الْأَكْبَرِ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ ، وَأَخَذَ لَهُمُ نُوفَلٌ
حَبْلًا مِنَ الْأَكَاسِرَةِ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَرْضِ فَارَسَ ، وَأَخَذَ
لَهُمُ الْمُطْلَبُ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ حَمِيرَ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْيَمَنِ ، فَجَبَّرَ اللَّهُ
بِهِمْ قَرِيشًا ، فَسَمُّوا الْهَجِيرِينَ .

وَقِيلَ : إِنَّ عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِمًا تَوَامَانِ ، وَإِنْ أَحَدُهُمَا وَلَدَ قَبْلَ صَاحِبِهِ ،
وَلِاصْبَحَ لَهُ مَلْتَصِقَةٌ بِجَبْهَةِ صَاحِبِهِ ، فَنَحِيتُ عَنْهَا فَسَالَ مِنْ ذَلِكَ دَمٌ ، فَتَطْيِيرٌ
مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ : تَكُونُ بَيْنَهُمَا دِمَاءٌ . وَوَلَّى هَاشِمٌ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدُ مَنْفٍ السَّقَايَةَ
وَالرَّفَادَةَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ

١٠٩٠/١

(١) المستن : الذين أصابتهم السنة الجهدية الشديدة .

(٢) من أبيات في أمالي المرتضى ٢ : ٢٩٨ .

(٣) السهم (بكسر الفتح) . الخبال ، ويراد بها اليهود .

عُمد، قال : حدثني معروف بن الحَرْبُوذِ المَكِّي ، قال : حدثني رجل من آل عدي بن الحِيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، قال : وقال وهب بن عبد قُصَيٍّ في ذلك - يعني في إطعام هاشم قومه التَّريد :

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ وَأَحْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ يَافِضٍ
أَتَاهُمُ بِالْفَرَائِرِ مُتَأَقَاتٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّفِيسِ
فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَاشِمٍ وَشَابَ الْغُبَرَ بِاللَّحْمِ الْفَرِيفِ
فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتٍ مِنَ الشَّيْزَى وَحَاتِرْهَا يَفِيفُ

قال : فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان ذا مال - فتكلف أن يصنع صنيعَ هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ، ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لِسَنِّه وقتله ، ولم تدع عنه قريش وأحفظوه ، قال : فلما أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق ، تنحروها بطن مكة ، واجلها عن مكة عشر منين . فرضى بذلك أمية ، وجعل بينهما الكاهن الحِزْزاعِي ، فنقَرَ هاشمًا عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحروها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية إلى الشام ، فأقام بها عشر منين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

حدثني الحارث قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ١٠٩١/١ ابن محمد ، قال : أخبرني رجل من بني كنانة ، يقال له ابن أبي صالح ، ورجل من أهل الرقة مولى لبني أسد ، وكان عالمًا ، قال : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي الحبشي ، فأبى أن ينفر^(١) بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدي ابن كعب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو ، أتنافر رجلًا هو أطول منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وصامة ، وأقل منك لامة ، وأكثر منك ولدًا ، وأجزل منك صفدًا ، وأطول منك ملودًا^(٢) . فنقَرَ عليه . فقال حرب : إن

(١) ينفر بينهما ، أي أبى أن يفضل أحدهما على الآخر .

(٢) ر : « ملوداً » .

من انتكاث الزمان أن جعلناك حكماً ! فكان أول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزة من أرض الشام ، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأبياد ، ثم مات نوفل بسكنان من طريق العراق ، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن ، وكانت الرقادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكان قصي يقول — فيما زعموا — : ولد لي أربعة ، فسميت اثنين بصنمي ، وواحد بداري ، وواحد بنفسي ؛ وهم عبد مناف وعبد العزى ابنا قصي — وعبد العزى والد أسد — وعبد اللار بن قصي ، وعبد قصي بن قصي — درج ولده — وبرة بنت قصي ؛ أمهم جميعاً حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة .
وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف القمر ، واسمه المغيرة ، وكانت أمه حبى دفعته إلى مناف — وكان أعظم أصنام مكة — تدبناً بذلك ، فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

كَانَتْ قُرَيْشٌ يَفْضُوْنَ فَتَغَلَّقَتْ فَالْمَحُ خَالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنْفٍ (١)

ابن قصي

وقصّي اسمه زيد ، وإنما قيل له قصي ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أم قصي فاطمة بنت سعد بن سيل — واسم سيل خير — بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر ، بن عمرو بن جشممة بن يشكر ، من أزد شنومة حلفاء في بني الدليل ، فولدت لكلاب زهرة وزيدا ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شب زهرة وكبر ، فقدم ببيعة بن حرام بن ضينة بن عبد بن كبير ابن عذرة بن سعد بن زيد ، أحد قضاعة ، فتزوج — فيما حدثنا ابن حميد ،

(١) من أبيات مطرود بن كعب الخزاعي ، أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو في اللسان (مع)

والسهمي ١ : ٩٤ ، وابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والعمري ٤ : ١٤٠ ؛ منسوب إلى ابن الزبيري .

والمح : سفرة البهيس .

قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . حدثت عن هشام بن محمد عن أبيه - فاطمة أم زهرة وقصى - وزهرة رجل قد بلغ ، وقصى فطيم أو قريب من ذلك - فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذرة ، من أشراف الشام ، فاحتملت معها قصياً لصغره ، وتخلّف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سبيل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة ، فكان أخاه لأمه ، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى ، وهم حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وحلّهم بن ربيعة . وشبّ زيد بن حنّ بن ربيعة ، فسمي زيد قصياً لبعده داره عن دار قومه ، ولم يبرح زهرة مكة ، فبينما قصى بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمى - فيما يزعمون - إلا إلى ربيعة بن حرام ، إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء - وقد بلغ قصى ، وكان رجلاً شاباً - فأنبه القضاعي بالغربة وقال له : ألا تلتحق بقومك ونسبك فإنك لست منا ؟ فرجع قصى إلى أمه ، وقد وجد في نفسه مما قال له القضاعي ، فسألها عما قال له ذلك الرجل ، فقالت له : أنت والله يا بني أكرم منه نفساً وولداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصى الخروج إلى قومه والحق بهم ، وكره الغربة بأرض قضاعة ، فقالت له أمه : يا بني لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فلا تخشى عليك أن يصيبك بعض البأس ، فأقام قصى حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاج قضاعة ، فخرج فيهم حتى قدم مكة ، فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان رجلاً جليداً نسبياً ، فخطب إلى حلّيل بن حبشية الخزاعي ابنته حبشى بنت حلّيل ، فعرف حلّيل النسب ورغب فيه ، فزوجه - وحلّيل يومئذ فيما يزعمون - بلي الكعبة وأمر مكة .

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال في خبره : فأقام قصى معه - يعني مع حلّيل - وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد بنى قصى . فلما انتشر ولده ، وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حلّيل بن حبشية ، فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشاً

قرعة^(١) إسماعيل بن إبراهيم ، وصريح ولده ، فكلّم رجالاً من قريش وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبأيعوه عليه ، كتب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام - وهو ببلاد قومه - يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فقام رزاح بن ربيعة في قضاة ، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه ، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك^(٢).

وقال هشام في خبره : قدّم قصي على أخيه زهرة وقومه ، فلم يلبث أن ساد ، وكانت خزاعة بمكة أكثر من بني النضر ، فاستنجد قصي أخاه رزاحاً ، وله ثلاثة إخوة من أبيه ، من امرأة أخرى ، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قضاة ، ومع قصي قومه بنو النضر ، فنفوا خزاعة ، فترج قصي حبشي بنت حليل بن حبشة من خزاعة ، فولدت له أولاده الأربعة ، وكان حليل آخر من ولي البيت ، فلما ثقل جعل ولاية البيت إلى ابنته حبشي ، فقالت : قد علمت أنني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه ، قال : فإنني أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به ، فجعله إلى أبي غبشان - وهو سليم بن عمرو بن بوي بن ملكان بن أفضى - فاشتري قصي ولاية البيت منه بزيّ خمر وبعود^(٣). فلما رأت ذلك خزاعة كسروا على قصي ، فاستنصر أخاه ، فقاتل خزاعة ، فبلغنا - والله أعلم - أن خزاعة أخلتها العدسة ، حتى كادت تفتنيهم ، فلما رأت ذلك جلت عن مكة ، فنههم من وهب مسكنه ، ومنهم من باع ، ومنهم من أسكن ، فولّى قصي البيت وأمر مكة والحكم بها ، وجمع قبائل قريش ، فألزهم أبطلح مكة . وكان بعضهم في الشعاب ورءوس جبال مكة ، فقسّم منازلهم بينهم ، فسمى مجتمعا ، وله يقول مطرود - وقيل : إنّ قائله حذافة ابن هانم :

أَبُوكُمْ قُصِيَّ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

(١) فرعة الجبل : أعلاه ، يريد أن قريشاً في الدرّة من ولد إسماعيل ، وفي ابن هشام : « قرعة » ، والقرعة : فحبة الشيء وخياره . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ ، مع اختلاف في الرواية . (٣) المود : المسن من الإبل ، وفي اليعقوبي : « وبعود » .

وملكه قومه عليهم .

وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحاً أجاب قصياً إلى ما دعاه إليه من نصرته، وخرج إلى مكة مع إخوته الثلاثة، ومن تبعه لملك من قضاة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصر قصي، والقيام معه، قال: وخزاعة تزعم أن حنظل بن حبيب شية أوصى بذلك قصبياً، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر، وقال: أنت أولي بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قصي ما طلب^(١).

فلما اجتمع الناس بمكة وخرجوا إلى الموقف، وفرغوا من الحج ونزلوا منى، وقصى مجتمع لما أجمع له، ومن تبعه من قومه من قريش وبني كنانة ومن قضاة، ولم يبق إلا أن ينفروا للصدر، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجزئهم إذا نفروا من منى، إذا كان يوم النفر أتوا لرى الجمار - ورجل من صوفة يرى للناس، لا يرمون حتى يرى فكان ذوو الحاجات المستعجلون يأتونه، فيقولون له: قم فارم حتى نرى مملك، فيقول: لا والله حتى تسمي الشمس، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التمجيل، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بملك، ويقولون: ويلك قم فارم! فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورعى الناس معه. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد^(٢).

فلذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا النفر من منى، أخذت صوفة بناحية العقبة، فحبسوا الناس، وقالوا: أجزى صوفة، فلم يُجز أحد من الناس حتى ينفذوا، فإذا نفرت صوفة ومضت خلفي سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فلما كان ذلك العام، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة ولايتهم، أتاها قصي بن

(١) الخبر لك هنا في سيرة ابن هشام ١: ٨٤.

(٢) الخبر لك هنا في سيرة ابن هشام ١: ٨٥ مع اختلاف في الرواية.

كلاب بن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة ، فقالوا : نحن أولى بهذا منكم ، فناكروه فناكروهم ، فقاتلوه فاقتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك ، وحال بينهم وبينه . قال : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة ، فلما انحازوا عنه باداهم ^(١) وأجمع لحريهم ، وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاعة ، وخرجت لم خزاعة وبنو بكر وتبشروا لحريهم ، والتفوا فاقتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتل من الفريقين جميعاً ، وفشت فيهم الجراحة . ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، إلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه ، ليقضي بينهم ، فحكموا يعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مائة بن كنانة ، ففرض بينهم بأن قصي أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنو بكر موضوع يشدحه ^(٢) تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنو كنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة ، وأن يخلت بين قصي ابن كلاب وبين الكعبة ومكة ، فسمى يعمر بن عوف يومئذ الشداخ ، لما شداخ من الدماء ووضع منها . فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازل إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فلكوه ، فكان قصي أول ولد كعب ابن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والتدوية والولاء ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة أرباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ويزعم الناس أن قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم ، فقطعها قصي بيده ، وأعانوه ، فسمته العرب مجسماً لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره ، فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب ، وما يتشاورون

(٢) يريد أنه أبطل تلك النساء .

(١) ر : ناداهم .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٨٧ .

في أمر ينزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقدها لهم بعض ولده، وما تدّرع^(١) جارية إذا بلغت أن تدّرع من قريش إلا في داره؛ يشقّ عليها فيها درعها ثم تدّرعها، ثم ينطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع، لا يعمل بغيره تيمناً بأمره ومعرفة بفضلته وشرفه، واتخذ قصي لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب - وهو خليفة - حديث قصي بن كلاب هذا وما جمّع من أمر قومه، وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، ولوائنه البيت وأمر مكة؛ فلم يردّ ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصي بمكة على شرفه ومثله في قومه لا ينازع في شيء من أمر مكة؛ إلا أنه قد أقرّ للعرب في شأن حجّتهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه ديباً في نفسه، لا ينبغي له تغييره، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شيبنة ورائة، وكانت عدوان على ما كانت عليه، وكانت النساء من بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدّم الله به ذلك كلّهُ. وابتنى قصي داراً بمكة، وهي دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورها، فلما كتب قصي ورق [عظمه]^(٣) - وكان عبد الدار يكرهه، وكان أكبر ولده، وكان - فيما يزعمون - ضعيفاً، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب كلّ مذهب وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي، فقال قصي لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لأحلفنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء الحربهم إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من

(١) أدبرت الجارية: لبست اللوح، ودرع المرأة: قميصها.

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٧ ، ٨٨ . (٣) من سيرة ابن هشام .

أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمورهما إلا في دارك . فأعطاه داره ، دار التدو التي لا تقضى قريش أمراً إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والتدوية والسقاية والرئاسة — وكانت الرئاسة خيراً مما تخبره قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم ، وذلك أن قصياً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شرباً وطعاماً أيام هذا الحج ، حتى يصعدوا عنكم . ففعلوا فكانوا بخير جون للكل كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية ، حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى حتى ينقضى الحج^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني من أمر قصي ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له نُبَيْه بن وهب بن عامر بن حكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصي ما كان بيده من أمر قومه كله ، وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه . ١١٠٠/١
ثم إن قصياً هلك ، فأقام أمره في قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأم كلاب — فيما ذكر — هند بنت سريبر بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وله أخوان من أبيه من غير أمه ، وهما تميم وبقظة ، أمهما — فيما قال هشام بن الكلبي — أسماء بنت عدي بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمهما هند بنت حارثة البارقية . قال ويقال : بل يقظة هند بنت سريبر ، أم كلاب .

ابن مرة

وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وأخواه لأبيه وأمه عدى وهميمس . وقيل إن أم هؤلاء الثلاثة غشية . وقيل : إن أم مرة وهميمس غشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وأم عدى رقاش بنت ربيعة بنت فائلة بن كعب بن حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان .

ابن كعب

وأم كعب ماوية — فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبي — وماوية بنت كعب ابن القيس بن جسر بن شمع . الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمه : أحدهما يقال له ١١٠١/١ عامر ، والآخر سامة ، وهم بنو ناجية ، ولم من أبيهم أخ قد اتى ولده إلى غطفان ولحقوا بهم ، كان يقال له : خوف ، أمه الباردة بنت خوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان .

ذكر أن الباردة لما مات لؤي بن غالب خرجت بابنها خوف إلى قومها ، فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض ، فتبنت خوفًا ، وفيه يقول — فيما ذكر — فزاره بن ذبيان :

عَرَجَ عَلَى ابْنِ لُؤْيٍ جَمَلُكَ يَبْرُكُكَ الْقَوْمُ وَلَا مَنَزِلَ لَكَ

ولكعب أخوان آخران أيضًا من أبيه من غير أمه ، أحدهما خزيمه ، وهو عائلة قريش ، وعائلة أمه ، وهي عائلة بنت الحيمس بن قحافة ، من خثعم ، والآخر بعد . ويقال لهم بنانة ، وبنانة أمهم ، فأهل البادية منهم اليوم — فيما ذكر — في بني أسعد^(١) بن همام ، في بني شيبان بن ثعلبة ، وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

ابن لؤي

وأم لؤي - فيما قال هشام - عاتكة بنت يَحْثُود بن النضر بن كنانة ، وهي أولى^(١) العواتك اللائي ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وله أخوان من أبيه وأمه ، يقال لأحدهما : تيسم ، وهو الذي كان يقال له تيسم الأدرم - والد رَم نَقصان في الذَّقْن ، قيل إنه كان ناقص اللحي - وقيس ، قيل : لم يبق من قيس أخى لؤي أحد ، وإن آخر مَنْ كان بقي منهم رجل هلك في زمان خالد بن عبد الله القسري ، فبقى ميراثه ، لا يدرى مَنْ يستحقه .
 ١١٠٢/١ وقد قيل : إن أم لؤي وإخوته سلمى بنت عمرو بن ربيعة ، وهو لُحَي بن حارثة ابن عمرو مُزَيْقِيلَة بن عامر ماله السماء ، من خِزَاعَة .

ابن غالب

وأم غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وإخوته من أبيه وأمه : الحارث ، ومُحَارِب ، وأسد ، وعوف ، وجَوْثَن ، وذئب ، وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر ، فدخلت الحارث الأبطح .

ابن فهر

وفهر - فيما حدثت عن هشام بن محمد أنه قال : هو جماع قريش ، قال : وأمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجُرهمي .

وقال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أمه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجُرهمي .

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول - فيما ذكر عنه - أمه سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وقيل : إن أمه جميلة بنت عدوان من بارق ، من الأزد .

وكان فيهر في زمانه رئيس الناس بمكة - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : .
 حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - في حريم حسبان بن عبد كلال بن مثوب

ذِي حَرْثِ الْحَمِيرَى . وَكَانَ حَسَّانُ - فِيمَا قِيلَ - أَقْبَلَ مِنَ الْيَمَنِ مَعَ حِمَيْرٍ
وَقِبَالٍ مِنَ الْيَمَنِ عَظِيمَةٍ ، يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ أَحْجَارَ الْكَعْبَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْيَمَنِ ،
لِيَجْعَلَ حَجَّ النَّاسِ عِنْدَهُ بَبْلَادِهِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بَنَخْلَةَ ، فَأَغَارَ عَلَى سَرَحِ
النَّاسِ ، وَمَنْعَ الطَّرِيقِ ، وَهَابَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ قَرِيشٌ وَقِبَالٌ
كُنَانَةً وَخَزِيمَةً وَأَسَدَ وَجُدَامَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَفْنَاءِ مُضَرَ ، خَرَجُوا إِلَيْهِ ،
وَرِئِيسُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ فَهْرُ بْنُ مَالِكٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزِمَتْ حَمِيرٌ ،
وَأَسِيرَ حَسَّانُ بْنُ عَبْدِ كَلَالٍ مَلِكُ حِمَيْرٍ ، أَسْرَهُ الْحَارِثُ بْنُ فِيهْرٍ ، وَقُتِلَ
فِي الْمَعْرَكَةِ - فِيمَنْ قُتِلَ مِنَ النَّاسِ - ابْنُ ابْنَةِ قَيْسِ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرٍ ، وَكَانَ
حَسَّانُ عِنْدَهُمْ بِمَكَّةَ أَسِيرًا ثَلَاثَ سِنِينَ ، حَتَّى اخْتَدَى مِنْهُمْ نَفْسَهُ ، فَخُرِجَ
بِهِ ، فَاتَّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ .

ابن مالك

وَأُمُّهُ عَيْكِرِشَةُ بِنْتُ عَدَّوَانَ ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ ،
فِي قَوْلِ هِشَامٍ .

وَأُمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ : أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَدَّوَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ
ابْنِ عَيْلَانَ .

وَقِيلَ : إِنَّ عَيْكِرِشَةَ لَقَبُ عَاتِكَةَ بِنْتُ عَدَّوَانَ ، وَاسْمُهَا عَاتِكَةُ .

وَقِيلَ إِنَّ أُمَّهُ هِنْدُ بِنْتُ فَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ . وَكَانَ لِمَالِكٍ
أَخَوَانُ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : يَخْلُدُ ، فَدَخَلَتْ يَخْلُدُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ مَالِكِ بْنِ كُنَانَةَ ، فَخَرَجُوا مِنْ جَمَاعِ قَرِيشٍ . وَالْآخَرُ مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ :
الصَّلْتُ ، لَمْ يَبْقَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَحَدٌ .

وَقِيلَ : سُمِّيَتْ قَرِيشٌ قَرِيشًا بِقَرِيشِ بْنِ بَلَدٍ بْنِ يَخْلُدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
يَخْلُدِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كُنَانَةَ ، وَبِهِ سُمِّيَتْ قَرِيشٌ قَرِيشًا ، لِأَنَّ عَيْرَ بْنَ النَّضْرِ
كَانَتْ إِذَا قَدِمَتْ قَالَتْ الْعَرَبُ : قَدْ جَاءَتْ عَيْرُ قَرِيشٍ ، قَالُوا : وَكَانَ قَرِيشٌ

هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم ، وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدرأ ،
احضر بدرأ ، قالوا : فيه سميت البئر التى تدعى بدرأ ، بدرأ .

وقال ابن الكلبي : لأنما قريش جماع نسب ، ليس بأب ولا أم ولا حاضن
ولا حاضنة .

وقال آخرون : إنما سمى بنو النضر بن كنانة قريشاً ، لأن النضر بن
كنانة خرج يوماً على نادية قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النضر ،
كانه جمل قريش^(١) .

وقيل : لأنما سميت قريش قريشاً بدابة تكون فى البحر تأكل حواب البحر ،
تدعى القيرش ، فشبه بنو النضر بن كنانة بها ، لأنها أعظم حواب
البحر قوة .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله ،
والتقرش - فيما زعموا - التفتيش . وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة
فيسدونها بما يبلغهم - واستشهدوا لقولهم : إن التقرش هو التفتيش ، بقول
الشاعر^(٢) :

أَيُّهَا الْبَاطِقُ الْقُرْشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لَهْنَ أَنْتِهَلَا

وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً . وقيل : بل لم تزل بنو النضر
ابن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب ، فقليل لهم : قريش ،
من أجل أن التجمع هو التقرش ، فقالت العرب : تقرش بنو النضر ، أى
قد تجمعوا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرشت عن الغارات .
حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن
عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن سعيد بن محمد
ابن جبير بن مطعم ، أن عبد الملك بن مروان مأل محمد بن جبير : متى

(١) الجمل قريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حنظلة ، المعلقة ٢٦٤ - يشرح التبريزي ، وروايته :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُبْلَغُ عَنَّا .

سميت قريش قريشاً ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرم من نفرتها ، فلهذا التجمع القريش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قضيماً كان يقال له القريش ، ولم تسم قريش قبله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن ١١٠٥/١ عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما نزل قصي الحرم وغلب عليه ، فعل أفعالا جميلة^(١) ، فقبل له : القريش ، فهو أول من سمي به .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جهضم ، قال : النضر بن كنانة كان يسمى القريش .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصّي أحدث وقود النار بالمزدلفة ، حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفة ، فلم تزل توقد تلك النار تلك الليلة في الجاهلية .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرني كثير بن عبد الله المزني ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصحبان . قال : محمد بن عمر : وهي توقد إلى اليوم .

ابن النضر

واسم النضر قيس ، وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة . وإخوته لأبيه وأمه نضير ومالك وميلكان وعامر والحارث وعمر وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجروك وغزوان وحُدّال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمه فكيهة - وقيل ١١٠٦/١

فَكَهَفَ وَهِيَ الذَّفْرَاءُ بِنْتُ هَنْيَ بْنِ بَلَيْسٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .
وَأَخُو عَبْدِ مَنَاةَ لَأُمِّهِ عَلَى بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنَ بْنِ ذُثَبِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ
مَازِنِ الْغَسَّاقِيِّ ، وَكَانَ عَبْدُ مَنَاةَ بْنِ كَثَّانَةَ تَزَوَّجَ هِنْدًا بِنْتَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ،
فَوُلِدَتْ لَهُ وَلَدُهُ ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا أَخُوهُ لَأُمِّهِ عَلَى بْنُ مَسْعُودٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ ،
فَحَضَنَ عَلَى بْنُ أَبِي أَخِيهِ ، فَتَنَسَّبُوا إِلَيْهِ ، فَقِيلَ لِبْنِي عَبْدِ مَنَاةَ : بَنُو عَلَى ، وَلِإِبَاهِمِ
عَنَى الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ :

لِلَّهِ دَرُّ بْنُ عِلٍّ عِائِمٌ مِنْهُمْ وَنَاكِحٌ

وَكَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ بِقَوْلِهِ :

صَدَمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَذْرِ صَدَمَةٍ دَانَتْ عَلَىٰ بَعْدَهَا لِنَزَارٍ^(١)

ثُمَّ وَثَبَ مَالِكُ بْنُ كَثَّانَةَ عَلَى عَلَى بْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَتَلَهُ ، فَوَدَّاهُ أَسَدُ بْنُ خُرَيْمَةَ .

ابن كَثَّانَةَ

وَأُمُّ كَثَّانَةَ حَوَّانَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أُمَّهُ هِنْدُ
بِنْتُ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ، وَإِخْوَتُهُ مِنْ أَبِيهِ أَسَدٌ وَأَسَدَةُ ، يُقَالُ إِنَّهُ أَبُو جَدَامٍ
وَالْحُونِ ، وَأُمُّهُمْ بَرَّةُ بِنْتُ مَرْبِ بْنِ أَدَّ بْنِ طَابِخَةَ ، وَهِيَ أُمُّ النَّضْرِ بْنِ كَثَّانَةَ ،
خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَبِيهِ .

ابن خُرَيْمَةَ

وَأُمُّهُ سَلْمَى بِنْتُ سَلِيمِ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَأَخُوهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ هُدَيْلٌ ،
وَأُخْرَاهُمَا لِأُمِّهِمَا تَغْلِبُ بْنُ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أُمَّ خُرَيْمَةَ وَهْدَيْلٍ سَلْمَى بِنْتُ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ .

ابن مدرَكَةَ

وَأَسَمُهُ عَمْرُو ، وَأُمُّهُ خَنْدُوفٌ ، وَهِيَ لَيْلَى بِنْتُ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ
ابْنِ قُضَاعَةَ ، وَأُمُّهَا ضَرِيَّةُ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ . قِيلَ : بِهَا مَتَى حِمَى ضَرِيَّةُ ،

ولإخوة مدركة لأبيه وأمه عامر - وهو طابخة - وعمير - وهو قمعة - ويقال : إنه أبو خزاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق أنه قال : أم بني إلياس خندف ، وهي امرأة من أهل اليمن ، فغلبت على نسب بنيتها ، فقبل : بنو خندف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً . قال : وزعموا أنهما كانا في إبل لما يترعياها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

حدثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس في نجعة له ^(١) ، فنفرت إبله من أرب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمى مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمى طابخة ، وانقع عمير في الحياء فلم يخرج فسمى قمعة ، وخرجت أمهم تمشى فقال لها : إلياس أين . تخندفين ؟ فسميت خندف - والخندفة ضرب من المشى - قال : وقال قصي بن كلاب :

• أمهتي خندف وإلياس أبي •

١١٠٨/١

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه :

• إنك قد أدركت ما طلبت •

ولعامر :

• وأنت قد أنضجت ما طبخت •

ولعمير :

• وأنت قد أسأت وأقممت •

ابن إلياس

وأُمّه الرّباب بنت حنّدة بن معدّ، وأخوه لأبيه وأُمّه النّاس^(١)، وهو عيّلان، وممّي عيّلان - فيما ذكر - لأنّه كان يعاتب على جوده، فيقال له: لتغلبن عليك النّعيّلة يا عيّلان، فلزمه هذا الاسم.
وقيل: بل سمّي عيّلان بفُرس كانت له تدعى عيّلان.
وقيل: ممّي بذلك، لأنّه ولد في جبل يسمى عيّلان.
وقيل: ممّي بذلك لأنّه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عيّلان.

ابن مضر

وأُمّه سودة بنت عكّ، وأخوه لأبيه وأُمّه إِيَاد، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمّتهما، وهما ربيعة وأنمار، أمّهما جدالة بنت وهّلان بن جوشم ابن جُلهمّة بن عمرو، من جرّهم.

وذكر بعضهم أن نزار بن معدّ لما حضرته الوفاة أوصى بنيه، وقسم ماله بينهم، فقال: يا بنيّ، هذه القبّة - وهي قبّة من أدّم حمراء - وما أشبهها من مالى لمضر، فسمّي مضر الحمراء. وهذا الحياء الأسود وما أشبهه من مالى لربيعة، فخلّف خيلادُهما، فسمّي الفُرس. وهذه الخادم وما أشبهها من مالى لإِيَاد - وكانت شملة - فأخذ البلق والنّقد من غنمه. وهذه البصرة والمجلس لأنمار يجلس فيه^(٢)، فأخذ أنمار ما أصابه. فإن أشكل عليكم في ذلك شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفغى الجرّهمي. فاختلفوا في القسمة، فوجهوا إلى الأفغى، فبينما هم يسرون في مسيرهم إذ رأى مُضَرّ كلاً قد رعى، فقال: إنّ البعير الذي رعى هذا الكلاً لأعور، وقال ربيعة: هو أزور، قال إِيَاد: هو أوتر، وقال أنمار: هو شرود، فلم يسروا إلّا قليلاً حتّى لقيتهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مُضَرّ: هو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم، قال إِيَاد: هو أوتر؟ قال: نعم، قال أنمار: هو شرود؟ قال: نعم، قال: هذه صفة بعيّري،

دَلَّوْنِي عَلَيْهِ ، فَحَلَفُوا لَهُ : مَا رَأَوْهُ ، فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَّقَكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ
بِعِيرِي بِصَفْتِهِ ! فَسَارُوا جَمِيعًا حَتَّى قَدِمُوا نَجْرَانَ ، فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجَرْمِيَّةِ ،
فَنَادَى صَاحِبُ الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ بَعِيرِي ، وَصَفُّوا لِي صَفْتَهُ ثُمَّ قَالُوا :
لَمْ نَرَهُ . فَقَالَ الْجَرْمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ ؟ فَقَالَ مُفَسِّرٌ : رَأَيْتَهُ يَتَرَعَّى
جَانِبًا وَيَتَدَعَّ جَانِبًا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رُبَيْعَةُ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْأَثَرِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ وَطْئِهِ لِأَزْوَارِهِ .
وَقَالَ إِيَادٌ : عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبْرَبُاجَتِجَاعَ بَعْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ ذِيَالًا لَمَصَعَ ^(١) بِهِ . وَقَالَ :

أَنَّمَارُ : عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرِيدٌ ، لِأَنَّهُ يَرعى الْمَكَانَ الْمَلْتَفَّ نَبْتِهِ ، ثُمَّ يَحُوزُهُ إِلَى مَكَانٍ ^(١١٠/١)
آخَرَ أَرْقَى مِنْهُ نَبْتًا وَأَخْبَثَ ^(٢) . فَقَالَ الْجَرْمِيُّ : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ
فَاطْلُبْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ : مَنْ هُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ فَقَالَ : أُنْتَحَاجُونَ إِلَيَّ
وَأَنْتُمْ كَمَا أَرَى ! فَدَعَا لَهُمْ بِطَعَامٍ فَأَكَلُوا وَأَكَل ، وَشَرَبُوا وَشَرَب ، فَقَالَ مُفَسِّرٌ :
لَمْ أَرْ كَالْيَوْمَ خَمْرًا أَجُودَ ، لَوْلَا أَنَّهُ نَبَتَ عَلَى قَبْرِ ، وَقَالَ رُبَيْعَةُ : لَمْ أَرْ
كَالْيَوْمَ لَحْمًا أَطْيَبَ لَوْلَا أَنَّهُ رُبِّي بِلَبْنِ كَلْبٍ ، وَقَالَ إِيَادُ : لَمْ أَرْ كَالْيَوْمَ رَجُلًا
أَسْرَى لَوْلَا أَنَّهُ لَغِيرَ أَبِيهِ الَّذِي يَدْعَى لَهُ . وَقَالَ أَنَّمَارُ : لَمْ أَرْ كَالْيَوْمَ قَطًّا
كَلَامًا أَنْفَعُ فِي حَاجَتِنَا ^(٣) [مِنْ كَلَامِنَا] .

وَسَمِعَ الْجَرْمِيُّ الْكَلَامَ فَتَعَجَّبَ لِقَوْلِهِمْ ، وَأَتَى أُمَّتَهُ فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ
تَحْتَ مَلِكٍ لَا يُولَدُ لَهُ ، فَكَرِهَتْ أَنْ يَلْهَبَ الْمَلِكُ فَأَمَكَنْتُ رَجُلًا مِنْ نَفْسِهَا
كَانَ نَزَلَ بِهَا ، فَوَطَّئَهَا فَحَمَلَتْ بِهِ ، وَسَأَلَ الْقَهْرْمَانُ عَنْ الْحَمْرِ ، فَقَالَ : مِنْ
حَبَلَةٍ ^(٤) غَرَسْتُهَا عَلَى قَبْرِ أَبِيكَ ، وَسَأَلَ الرَّاعِيَّ عَنْ اللَّحْمِ ، فَقَالَ : شَاةُ
أَرْضِئْتُهَا لَبْنِ كَابِيَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ وَلَدَتْ فِي الْغَنَمِ شَاةً غَيْرَهَا . فَقِيلَ لِمُفَسِّرٍ : مَنْ أَبْنِ
عَرَفْتَ الْحَمْرَ وَنَبَاتَهَا عَلَى قَبْرِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ أَصَابَنِي عَلَيْهَا عَطَشٌ شَدِيدٌ . وَقِيلَ
لِرُبَيْعَةِ : بِمِ عَرَفْتَ ؟ فَلَذَكَرَ كَلَامًا .

فَأَتَاهُمُ الْجَرْمِيُّ ، فَقَالَ : صَفُّوا لِي صَفْتَكُمْ ^(٥) ، فَقَصَّوْا عَلَيْهِ مَا أَوْضَاهُمْ

(١) يُقَالُ : مَصَعْتُ لِنَاثَةً يَلْبِغُهَا ، أَيْ حَوَكْتُ وَضَرَبْتُ بِهِ .

(٢) م : « وَأَخْبَثَ » . (٣) تَكْمَلَةُ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْثَالِ ١ : ١٦ .

(٤) الْحَبَلَةُ : شَجَرَةُ الْكَرْمِ .

(٥) ر : « وَصَفْتُمْ » .

به أبوهم ، فقصى بالقبة الحمراء والدنانير والإبل - وهي حُمُر - الفِصْر ، وقصى بالخبياء الأسود وبالحليل الدُّم لريبة ، وقصى بالخدام - وكانت شملة - وبالحليل البَلَن (١) لإياد ، وقصى بالأرض والدرهم لأعمار .

ابن نزار

١١١١/١ وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنى أبا ربيعة ، أمه مُعَاذَةُ بنت جَوْشَم بن جُلْهُمَة بن عمرو ، وإخوته لأبيه وأمه . قنص ، وقناصة ، وسنام (٢) ، وحيدان ، وحيدة ، وحيدة (٣) ، وجنيد ، وجنادة ، والقهم ، وعبيد الرِّمَاح ، والعُرف ، وعوف ، وشك ، وقضاة ، وبه كان معدّ يكنى ، وعدة درجوا (٤) .

ابن معدّ

وأم معدّ - فيما زعم هشام - مَهْدَد بنت اللّهم - ويقال : اللّهم - ابن جُلْهُم بن جدیس . وقيل : ابن طَسَم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد يقشان (٥) بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن المعجلاني : وإخوته من أبيه وأمه الدِّيث - وقيل : إن الدِّيث هو عك . وقيل : إن عكا هو ابن الدِّيث ابن عدنان - وعَدَن بن عدنان ، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عدن ، وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا . وأبيّن - وزعم بعضهم أنه صاحب أبيّين وأنها إليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا - وأدّ بن عدنان درج ، والضحاك ، والعي ، وأمّ جميعهم أم معدّ .

(١) ح : ر : « والماشية البلق » ، م : « والحليل البلق » .

(٢) ر : « سام » .

(٣) ح : « حيدة » .

(٤) درجوا : انقرضوا .

(٥) ح : « يقشان » .

وقال بعض النسابة : كان عكّ انطلق إلى سمران من أرض اليمن ، وترك أخاه معداً ، وذلك أن أهل حضور لما قتلوا شعيب بن ذى مهندم الحضورى ، بعث الله عليهم بختنصر عذاباً ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحجلا معداً ، فلما سكنت الحرب رداه إلى مكة ، فوجد معداً لإخوته وعمومته من بنى عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوجوا فيهم ، وتعطفت عليهم اليمن بولادة جرهم إياهم ، واستشهدوا في ذلك قول الشاعر :

تَرَ كُنَا أَلَدَيْتَ إِخْوَتَنَا وَعَكَّا إِلَى سَمْرَانَ فَانْطَلَقُوا سِرَاعاً
وَكَانُوا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ حَقَّ أَصَاعُوا الْأَمَرَ يَبْتَهِمُ ، فُضَاعاً

ابن عدنان

ولعدنان أخوان لأبيه ، يدعى أحدهما نَبِيئًا والآخر منهما عَمْرًا ، فنسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلف النسابون فيه إلى معد بن عدنان ، وأنه على ما بينت من نسبه .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن طهية عن أبي الأسود وغيره ، عن نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد^(١) . ١١١٣/١ ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكتار : حدثني يحيى بن المقداد الزمعي ، عن عمه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمة ، عن عمته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ومعد ابن عدنان بن أدد بن زئد بن يري بن أعراق الثرى . ، قالت أم سلمة : فزئد هو الحميسع ، ويري وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلاني ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن عمته ، عن جدتها ابنة المقداد بن الأسود البهراني ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معد بن عدنان بن أدد بن يري بن أعرابي .

وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان — فيما يزعم بعض النسابة — بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح^(١) ابن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٤/١

وبعض يقول : بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قيلر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد ائتمى قصي بن كلاب إلى قيلر في شعر .

قال : ويقول بعض النسابة : بل عدنان بن مبدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميم بن قيلر بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : وذلك أنه علم قديم أخذ من أهل الكتاب الأول .

وأما الكلبي محمد بن السائب فإنه — فيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن هشام — قال : أخبرني مخبر عن أبي ولم أجمعه منه ، أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الهميم بن سلامان بن حوص بن بوز بن قموال ابن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بكنداس بن يدلاف بن طايخ بن جاحم ابن تاحش بن ماضي بن عبي بن عبق بن عبيد بن الدهان بن حمدان بن منبر ١١١٥/١ ابن يثرب بن يثرب بن يلحن بن أرصوى بن صني بن ديشان بن عيص بن أقتاد ابن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمي بن مزري بن عوص بن عرام ابن قيلر بن إسماعيل بن إبراهيم ، صلوات الله عليهما .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن

عُمر ، قال : وكان رجل من أهل تدمر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة بن إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علماً ، فذكر أن يروخ بن ناريّا كاتب أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب ، مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشأني هشام ، عن أبيه شعرة قصى :
 فلست لحاضن إن لم تأت^(١) بها أولاد . قيدّر والتبّيت^٢
 قال : أراد ثبت بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكتار : حدثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ ، عن زكرياء ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهيمسح بن أسحب^(٣) بن نبت بن قيلدار بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدّ بن أمين بن شاجب^(٤) بن ثعلبة بن عتر^(٥) بن تريح بن عظم^(٦) بن العوام بن المحتمل^(٧) بن رائمة^(٨) بن العيقان بن حلة^(٩) بن الشحود^(١٠) بن الظريب^(١١) بن عبقّر بن إبراهيم بن إسماعيل^(١٢) ابن يزن بن أحوج بن المطعم بن الطمّح بن القسور بن عتود^(١٣) بن دعدح بن محمود بن الزائد بن نسلوان بن أئامة^(١٤) بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجشّر بن معلم بن صيفي بن نبت بن قيلدار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

(١) ح ، د : الحاضر ، م : لحاضن .

(٢) ح ، م : وشاجب .

(٣) ح : عير ، د : عير .

(٤) م : عظم .

(٥) ح : الجبل ، م : المحتمل .

(٦) ح : زائدة ، م : رائمة .

(٧) م : حكة .

(٨) ح : الشحود .

(٩) ح : الظريب ، د : القريب .

(١٠) كلما في د ، وفي ح : عبور ، وفي م : عبور .

(١١) كلما في م .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن
هميسع بن نبت بن قيلد بن لإسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن هميسع بن نبت بن
سلمان - وهو سلمان - ابن حمل بن نبت بن قيلد بن لإسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن مِشراح
ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيت بن قيلد بن لإسماعيل بن إبراهيم . ١١١٨/١

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أدد بن هميسع بن أسحب^(١)
ابن سعد بن بريح بن نصير بن حميل بن منح بن لافث بن الصابوح بن كنانة
ابن العوام بن نبت^(٢) بن قيلد بن لإسماعيل .

وأخبرني بعض النسّاب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعدّ
أربعين أبا بالعربية إلى لإسماعيل ، واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه
قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهل الكتاب ، فوجد العدد متفقاً ، واللفظ
مختلفاً ، وأمل ذلك على فكتبته عنه ، فقال : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن
ميسع - وهميسع هو سلمان وهو أمين - ابن هميتع - وهو هميدع وهو الشاجب
ابن سلمان - وهو منجر ، وهو نبيت ، سمى بذلك - فيما زعم - لأنه كان منجير
العرب ، لأن الناس عاشوا في زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قعنب بن عتاب
الرياحي :

تُنَادِيُنِي طَىٌّ وَطَىٌّ بِبَيْدَةٍ وَتُذَكِّرُنِي بِالْوَدِّ أَرْمَانَ نَبْتٍ ١١١٩/١

قال: نبيت بن عوص - وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبية - ابن
بور - وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأول من سنّ العتيرة للعرب - ابن شوحا
وهو سعد رجب ، وهو أول من سنّ الرجبية للعرب - ابن يعمانا - وهو قموال ،
وهو بريح الناصب ، وكان في عصر سليمان بن داود النبي صلى الله عليه
وسلم - ابن كسدانا - وهو محمّد ذو العين - ابن حرانا - وهو العوام - ابن

(١) ر : « أشحب » . (٢) ح : « نبيت » .

(٣) كلما في ر ، وفي ط : « بالودّ أرمّان نبت » .

بلداسا - وهو: شمل - ابن بدلاتا - وهو بدلاف، وهو راتمة - ابن طهبا - وهو طالب، وهو شقان - ابن جهمي - وهو جاحم، وهو علة - ابن محشي - وهو تاحش، وهو الشعلود - ابن معجالي - وهو ماضي، وهو القريب خاتم النار - ١١٢٠/١
 ابن عقارا - وهو عاقى، وهو عقر أبو الجن، قال: ولإيه تنسب جنة عقر - ابن عاقارى - وهو عاقر، وهو إبراهيم جامع الشمل. قال: ولإنا سمى جامع الشمل لأنه آمن في ملكه كل خائف، ورد كل طريد، واستصلح الناس - ابن سداعى - وهو الدعا، وهو إسماعيل ذو المطايخ، متى بذلك لأنه حين ملك أقام بكل بلدة من بلدان العرب دار ضيافة - ابن ادناعى - وهو عبيد وهو يزن الطعان، وهو أول من قاتل بالرمح، فنسبت إليه - ابن همدى وهو حمدان، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان قرساً له، وإليه تنسب الأعرجية من الخليل - ابن بشامى - وهو بشين وهو المطعم في الخليل - ابن بثرانى - وهو بثرم، وهو الطمح - ابن بحراني^(١) - وهو يحزن، وهو القصور - ابن بلحاني، وهو يلحى، وهو العنود^(٢) - ابن رعوانى - وهو رصى، وهو الدعدع - ابن ١١٢١/١
 عاقارى - وهو عاقر - ابن داسان، وهو الزائد - ابن عاصار - وهو عاصر، وهو النيدوان ذو الأندية، وفي ملكه تفرق بنو القادور وهو القادور. وخرج الملك من ولد التبيت بن القادور إلى بنى جاون - ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية - ابن قنادى - وهو قنار، وهو إسماعيل^(٣) بن ثمار، وهو بهامى، وهو دوس المتقى، وهو دوس أجمل الخلق، زعم في زمانه، فلذلك تقول العرب: أحتق من دوس لأمرين: أما أحدهما فلحسنه وعفته، والآخر لقدمه، وفي ملكه أهليكت جرهم بن فالج وقطورا، وذلك أنهم بغوا في الحرم، فقتلهم دوس، وأتبع اللر آثار من بنى منهم، فولج في أسماهم فألقاهم - ابن مقصر - وهو مقاصرى، وهو حصن، ويقال له: ناحث، وهو التزال بن زارح، وهو قمبر - ابن سمى - وهو سما، وهو الجشر، وكان - فيما زعم - أعدل ملك على وأحسنه سياسة، وفيه يقول أمية بن أبى الصلت لهرقل ملك الروم:

(٢) كلا في ح.

(١) كلا في ح.

(٣) كلا في ح.

١١٢٢/١ كُنْ كَالْبَجْشِرِ إِذْ قَالَتْ رَعِيَّتُهُ كَانِ الْمَجْشَرُ أَوْفَانًا بِمَا حَمَلَا

ابن مزرا - ويقال مرهر - ابن صفنا^(١) ، وهو السمر ، وهو الصني ،
هو أجود ملك رعى على وجه الأرض ، وله يقول أمية بن أبي الصلت :
إِنَّ الصَّنِيَّ بْنَ النَّبِيِّ مُمْلِكًا أَعْلَى وَأَجُودٌ مِنْ هِرَقْلَ وَقَيْصَرَ

ابن جعتم - وهو عرام ، وهو التبت ، وهو قيلر ، قال : وتأويل « قيلر »
صاحب ملك ، كان أول من ملك من ولد إسماعيل - ابن إسماعيل صادق الوعد ،
ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح - وهو آزر - ابن ناحور بن ساروع بن أرفوا
ابن بالغ - وتفسيره بالغ ، القاسم بالسريانية ، لأنه الذي قسم الأرض بين ولد
آدم ، وبالف ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح
ابن ملك بن مشوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم - ابن
يرد - وهو يارد الذي عملت الأصنام في زمانه - ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش
ابن شيث - وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصي أبيه بعد مقتله
هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتق اسمه من اسمه . ١١٢٣/١

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمهاته فيما
بينه وبين آدم ، وما^(٢) كان من الأخبار والأحداث في كل زمان من ذلك بعض
ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختصر ، في كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحدثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : إنما خلش
الخلدوش منذ ولد أبونا أنوش ، وإنما حرم الخث ، منذ ولد أبونا شث ،
وهو بالسريانية « شيث » .

• • •

ونعود الآن إلى :

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه

فتوفى عبد المطلب بعد الفيل بثماني سنين ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر : وكان عبد المطلب يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمُّه أبا طالب ، وذلك أن أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا لأم ، فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج في ركب من قريش إلى الشام تاجراً ، فلما نهباً للرحيل وأجمع السير ضرب^(١) به رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فرق له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجنَّ به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه ١١٢٤/١ أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحِيرَى في صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة مذَّ قطعاً راهب^(٢) ، إليه يصير علمهم عن كتاب - فيما يزعمون - يتوارثونه كابر أعن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته ، عليه غمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتبهرت^(٣) ، أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يحدُّها عنده من صفته . فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء في حاله ، في يقظته وفي نومه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبره فيجدُّها ببَحِيرَى موافقة لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال ببَحِيرَى لعمري أبا طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، فقال له ببَحِيرَى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام

(١) كذا في ح ، وصب به : تعلق ، وفي ط والسيرة : صب به ، أي مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى النحر ، وبه ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن المعاني في مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا في السيرة ، وتبهرت : مالت وتدلّت . وفي ط : وبهرت .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبلى به ، قال : صدقت ، ارجع به إلى بلدك ، واحذرْ عليه يَهُودٌ ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ، ليبغضنه شرًّا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عنه سريعًا حتى أقدمه مكة^(١) . ١١٢٥/١

وقال هشام بن محمد : خرج أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بَصْرَى من أرضِ الشام ، وهو ابنُ تسع سنين .

حدثني العباس بن محمد ، قال : حدثنا أبو نوح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قُرَيْش ، فلما أشرَفُوا على الرَّاهِبِ هَبَطُوا فحلُّوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب - وكانوا قبل ذلك يَمُرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ، فجعل^(٢) يتخلَّلُهُمْ حتى جاء فأخذَ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا سيِّدُ العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُرَيْش : ما علمك^(٣) ؟ قال : إنكم حين أشرَفتم من العِصْبَةِ لم تبق شجرة ولا حَجَرٌ إلا خَرَّ ساجدًا ، ولا يسجدون إلا لنبيٍّ ، وإلى أعرفه بخاتم^(٤) النبوة ، أسفلَ من غُضُرُوفِ كِتَفِهِ مثل التفاحة .

ثم رجع فصنَّع لهم طعامًا ، فلما أتاهاهم به كان هو في رِعيَةِ الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غَمَامَةٌ ، فقال : انظروا إليه ، عليه غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فِئَةِ الشجرة ، فلما جلس مالَ فِئَةِ الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فِئَةِ الشجرة مال^(٥) عليه ، قال : فيينا هو قائم عليهم ، وهو يتأشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصِّفَةِ فقتلوه ، فالتفت فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الروم ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ . (٢) ح : « وهو » .

(٣) ط : « ما علمك ؟ » . (٤) ح : « خاتم النبوة » .

(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبقَ طريق إلا بعثَ إليها ناس ، وإنا اخترنا خيرةً ، بعثنا إلى طريقك هذا ، قال لهم : هل خلتكم خلتكم أحدًا هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : لا ، إنما اخترنا خيرةً لطريقك هذا ، قال : أفرأيتُم أمرًا أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رَدَّه ؟ قالوا : لا ، فتابوه وأقاموا معه ، قال : فأتاهم ، فقال : أنشدكم الله ، أيتكم ولية ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رَدَّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه محمد بن علي ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما هممتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يعملون به غيرَ مرتين ، كلُّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممتُ بسوءٍ حتى أكرمني الله عزَّ وجلَّ برسالته ، فلأني قد قلت ليلةً لِعَلامٍ من قريش كان يرعى ماعى بأعلى مكة : لو أبصرتَ لي غنمى حتى أدخلَ مكة ، فأمرَ بها كما يسمُرُ الشباب ! فقال : أفعل ، فخرجتُ أريد ذلك ، حتى إذا جئتُ أولَ دارٍ من دُور مكة ، سمعتُ عزفًا بالدُفوف والزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوجَ بفُلانة بنت فلان . ١١٢٧/١ . فجلستُ أنظرَ إليهم ، فضرب الله على أذنى فَنَمْتُ فما أيقظنى إلاَّ مَسُّ الشمس ، قال : فجئتُ صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلتُ : ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرته الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئتُ مكة مثلَ ما سمعت حين دخلتُ مكة تلك الليلة ، فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلاَّ مَسُّ الشمس ^(١) ، فرجعتُ إلى صاحبي فأخبرته الخبر . ثم ما هممتُ بعدها بسوءٍ حتى أكرمنى الله عزَّ وجلَّ برسالته .

ذكر تزويج النبي

صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

قال هشام بن محمد: نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستجير^(١) الرجال في مالها ، وتضاربهم لرباه بشيء تجعله لم منه ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بكتفها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغت من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة . فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدما الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان^(٢) ، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسرة : هذا رجل من قريش ، من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(٣) ، ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه ميسرة . فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلّان به من الشمس ، وهو يسير على بعيره . فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باهت ماجاء به فأضعفت ، أو قريباً من ذلك . وحدثها ميسرة عن

(١) ر : ابن هشام : « تستاجر » .

(٢) هو نسطورا ، راهب هو يجرى المتقدم ذكره ، كما قاله السبيل .

(٣) قال السبيل : « يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي » لهد العهد بالأنبياء

قول الرّاهب ، وعمّا كان يَرَى من إظلال الملكيّين إرّاه - وكانت خديجة امرأةً حازمةً لبيبة شريفة ، مع ما أَرَاد الله بها من كرامته - فلما أَخْبَرها ميسرة بما أَخْبَرها ، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقالت له - فيها يزعمون - : يا ابن عمّ ، إتنى قد رَغِبْتُ فِيك لقرابتك وسيطتك ^(١) في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . ثم عَرَضَتْ عليه نفسَهَا ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن ^(٢) شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، كلُّ قوميها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدّر عليها ^(٣) .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ذَكَرَ ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عمّه ، حتى دخل على خويلد بن أسد ^(٤) ، فخطبها إليه فتزوجها ، فولدت له ولده كلثوم إلا إبراهيم : زينب ، ورقية ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم - وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلّم - والظاهر والطيب . فأما القاسم والظاهر والطيب ، فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلّهن أدركن الإسلام فأسلمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلّم ^(٥) .

١١٢٩/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا معمر وغيره ، عن ابن شهاب الزهري - وقد قال ذلك غيره من أهل البلد : إن خديجة إنما كانت استأجرت رسول الله صلى الله عليه وسلّم

(١) المسقة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف اللبح والتفضيل .

(٢) في الأصول : « وأعظمهم » ؛ وما أتته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « لو يقدّر عليه » ؛ وهذا هناك : « وهي خديجة بنت خويلد بن أسد

ابن عبد المطلب بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وأما فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن سحر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مخزوم بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب ابن فهر . وأم هالة فاطمة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

(٤) قال السهيلي : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن أبا بكر الخديجة رضي الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ؛ قاله اللبدي وطائفة معه . وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذي نفّس مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ وهو الذي غطى غطفه التكاثر » .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ - ١٢٣ .

عليه وسلم ورجلاً آخر من قُريش إلى سوق حَبَاشَةَ بَنِي هَامَةَ ، وكان الذي زَوَّجَهَا لِأَبَاهَا خُوَيْلِدٌ ، وَكَانَ النَّبِيُّ مُشْتَرَاً^(١) فِي ذَلِكَ مَوْلَاً مَوْلِدَةً مِنْ مَوْلِدَاتِ مَكَّةَ .
 قَالَ الْحَارِثُ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : قَالَ الْوَاقِدِيُّ : فَكُلُّ هَذَا غُلَطٌ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَيَقُولُونَ أَيْضًا إِنَّ خَدِيجَةَ أُرْسِلَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْبِرُهُ إِلَى نَفْسِهَا - تَحْتَى التَّزْوِيجَ - وَكَانَتْ امْرَأَةً ذَاتَ شَرَفٍ ، وَكَانَ كُلُّ قُرَيْشٍ حَرِيصًا عَلَى نِكَاحِهَا - قَدْ بَدَلُوا الْأَمْوَالَ^(٢) لَوْ طَمَعُوا بِبَلَدِكَ ، فَدَعَتْ أَبَاهَا فَسَقَتْهُ خَيْرًا حَتَّى تَمِيلَ ، وَنَحَرَتْ بَقَرَةً وَخَلَقَتْهُ بِخَلْقٍ ، وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً حَبِيرَةً ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمْرِيَّتِهِ ، فَلَخَعُوا عَلَيْهِ ، فَزَوَّجَهُ^(٣) ، فَلَمَّا صَبَحَا قَالَ : مَا هَذَا الْعَكِيرُ ؟ وَمَا هَذَا الْعَبِيرُ ؟ وَمَا هَذَا الْخَبِيرُ ؟ قَالَتْ : زَوْجَتِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : مَا فَعَلْتُ أَنْتَى أَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ خَطَبْتُ أَكْبَابُ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ أَفْعَلْ !

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَهَذَا غُلَطٌ ، وَالتَّبَيُّتُ عِنْدُنَا الْمَحْفُوظُ^(٤) مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ . وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ . وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي حَبِيبَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصَنِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ نَحْتَهَا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ زَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ أَبَاهَا مَاتَ قَبْلَ الْفِجَارِ^(٥) .

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَكَانَ مِثْلُ خَدِيجَةَ يَوْمَئِذٍ الْمِثْلُ الَّذِي يَعْرِفُ بِهَا الْيَوْمَ ، فَيُقَالُ : مِثْلُ خَدِيجَةَ ، فَاشْتَرَاهُ مَعَاوِيَةُ - فِيمَا ذَكَرَ - فَجَعَلَهُ مَسْجِدًا يُصَلِّي فِيهِ النَّاسُ ، وَيُنَاهِ عَلَى الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لَمْ يَغْيَرْ . وَأَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي عَلَى بَابِ الْبَيْتِ عَنْ بَسَارٍ مِنْ يَدْخُلُ الْبَيْتَ فَلِإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْلِسُ تَحْتَهُ يَسْتَقِرُّ بِهِ مِنَ الرَّمْيِ إِذَا جَاءَهُ مِنْ دَارِ أَبِي لَهَبٍ ، وَدَارِ عَدِيٍّ ابْنِ حَمْرَاءَ الثَّقَفِيِّ خَلَفَ دَارَ ابْنِ عَلْقَمَةَ ، وَالْحَجَرُ فَرَاغٌ وَشِبْرٌ فِي فَرَاغٍ .

(٢) ح : وَلَهَا الْمَالُ .

(١) م : وَالَّذِي شَرَى .

(٤) ابْنُ سَعْدٍ : وَالْمَحْفُوظُ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

(٣) ر : فَزَوَّجَهَا .

(٥) الْخَبِيرُ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ : ١ : ١٢٢ ، ١٣٣ .

ذكر باقي الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينبأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث في بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل سبب ترويح النبي صلى الله عليه وسلم خديجة واختلاف المختلفين في ذلك ، وقت نكاحه صلى الله عليه وسلم إياها . وبعد السنة التي نكحها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم هدت قريش الكعبة بمشر سنين ثم بنتها - وذلك في قول ابن إسحاق - في سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان سبب هدمهم إياها فيما حدثتنا ابن حميد ، قال : حدثتنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن الكعبة كانت رضة^(١) فوق القامة ، فأرادوا رتمها وتسقيفها ؛ وذلك أن نفراً من قريش وغيرهم سرقوا كثر الكعبة ؛ وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة .

• • •

وكان أمر هزال الكعبة - فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه أن الكعبة كانت رفعت حين هرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليله عليه السلام وابنه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسسها الأول ، فأعادا بناءها ، كما أنزل في القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) ، فلم يكن له ولادة منذ زمن نوح عليه السلام ، وهو مرفوع . ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن يتزل ابنه إسماعيل البيت ، لما أراد الله من كرامة من أكرم به بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل يليان البيت بعد عهد نوح ، ومكة يومئذ بلاعب ؛ ومن حول مكة يومئذ جرهم والعماليق . فتكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

(١) في ابن هشام : رضة ؛ والمراد : أن تغشى الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهُم ، فقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مُضاض :
وصاهرنا من أكرم الناسي والدّا فابناؤهُ مِنّا ونَحْنُ الأصاهر

فولي البيت بعد إبراهيم لإسماعيل ، وبعد إسماعيل نَبَت ، وأمه الجرهمية ،
ثم مات نَبَت ، ولم يكن ولد لإسماعيل ، فغلبت جُرْهُم على ولاية البيت ،
فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وَكُنّا وَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَأَعْلِيْرُ ظَاهِرُ

فكان أول مَنْ وَلى من جُرْهُم البيت مُضاض ، ثم وليته بعده بنوه
كأبرأ بعد كابر^(١) ، حتى بغت جُرْهُم بمكة ، واستحلوا حرمتها ، وأكلوا مال
الكعبة الذي يَهْدَى لها ، وظلموا مَنْ دخل مكة ، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل
الرجُلُ منهم إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى . فرعوا أن
أسافا بَغَى بنتاثة في جَوْفِ الكعبة ، فُسِّخا حَجَرَيْنِ ، وكانت مكة
في الجاهلية لا ظلم ولا بَغَى فيها ، ولا يستحل حرمتها مَلِكٌ إلا هلك مكانه
فكانت تسمى النامسة ، وتُسمى بمكة ، تَبَكَّ أحناف البغايا إذا بَغَوْا فيها ،
والبخابرة .

١١٢٢/١

قال : ولما لم تنه جُرْهُم عن بَغْيِها ، وتفرق أولاد عمرو بن عامر من
اليمن ، فأنزع^(٢) بنو حارثة بن عمرو ، فأوطنوا^(٣) تهامة — فسميت^(٤) اخزاعة ،
وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة — وأسلم ومالك وملكان بنو أقصى بن حارثة ،
فبعث الله على جُرْهُم الرعاف والنحل ، فأفناهم . فاجتمعت خزاعة ليجلّوا مَنْ
بَغَى ، ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث
ابن مُضاض ، فاقتلوا . فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالي
الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

(١) ر : « ومن كابر » .

(٢) انزعوا ، أي تغلبوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سميت » .

لَا هُمْ إِنْ جُرُّهُمْ عِبَادُكَ النَّاسُ طَرَفٌ وَهُمْ بِلَادُكَ
 بِهِمْ قَدِيمًا عَمِرتُ بِلَادُكَ .

فلم تُقبَلْ توبته ، فألقى غزالي الكعبة وحجر الزَّكْنِ في زمزم ، ثم دفنها
 وخرج مَنْ بَقِيَ مِنْ جُرِّهِمْ إِلَى أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ جَهينة ، فجاءهم سَيْلٌ أَيْ فُلْدَهَبٌ
 بِهِمْ ، فَلَمَّا قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

وَجُرُّهُمْ دَمَتُوا سِهَامَةً فِي السَّذْهِرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ لِمَضْمُومٍ^(١)

وَوَلَّى الْبَيْتَ عَمْرُو بْنُ رَيْمَةَ . وَقَالَ بَنُو قُصَيٍّ : بَلْ وَكَيْتَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ١١٣٣/١
 الْغُبَشَانِي^(٢) ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَنَحْنُ وَلَيْلَا الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ جُرِّهِمْ لِنَصْرَةٍ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَمُطْلِحِدٍ
 وَقَالَ :

وَإِذَا حَرَامٌ طَبَرُهُ وَوَحْشُهُ نَحْنُ وَلَاتُهُ فَلَا نَقْشُهُ

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الْحَارِثِ :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَنْتَظِرُونَ إِلَى الصَّفَا أَيْسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
 يَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وَقَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ أَنْ تُصِيبُوا ذَاتَ بَوْمٍ لَا تُسِيرُونَ^(٣)
 كُنَّا أَنَا كَمَا كُنْتُمْ . فَفَيِّرْنَا دَهْرٌ ، فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَ
 حُثُوا الْبَيْعَى وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمِيهَا قَبْلَ أَلْمَاتٍ وَقَضُوا مَا تُقَضُّونَا

يَقُولُ : اْعْمَلُوا لِأَخْرَجِكُمْ ، وَافْرُغُوا مِنْ حَوَائِجِكُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَوَلَّيْتُ خُرَاعَةَ
 الْبَيْتِ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي قِبَالِ مُضَرٍّ ثَلَاثَ خِيَالٍ : الْإِجَازَةُ بِالْحَجِّ لِلنَّاسِ مِنْ

(١) مضموم ما استعجم ١٦٦ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « النَّسَائِي » وَالنَّظَرُ كِتَابُ الْأَشْطَقِ ٧٩ .

(٣) قَصَرَ كُمْ : نَهَيْتُمْ وَمَنْعْتُمْ .

عرفة ، وكان ذلك إلى الغوث بن مُرّ - وهو صوفة - فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجزى صوفة . والثانية الإفاضة من جمع غداة النحر إلى منى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عدوان ، فكان آخر من ولى ذلك منهم أبو سيارَة حميلة بن الأزحل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وائش^(١) ابن زيد ، والثالثة النسيء للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القكس ، وهو حذيفة بن قيسم بن عدي من بنى مالك بن كنانة ، ثم بنوه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبي ثمامة ، وهو جنادة بن حوف بن أمية بن قكع بن حذيفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسيء ، فلما كثرت معدّة تفرقت ، فللك قول مهمل :

غَنَيْتُ دَارُنَا يَهَامَةً فِي الدَّهْرِ وَفِيهَا بَنُو مَعَدٍّ حُلُولًا .

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكة ، فلما حفر عبد المطلب زمزم ، وجد الفَرَائِصَ ، غَزَا لَيْلَى الكعبة اللذين كانت جرهم دفنتهما فيه ، فاستخرجهما ، وكان من أمره وأمرها ما قد ذكرت في موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذي وجد عنده الكثر دُؤَيْبُكَا مولى لبنى مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يده من بينهم ، وكان من اتهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب^(٢) ابن عزيير بن قيس بن سُوَيْد التميمي - وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه - وأبو لهب بن عبد المطلب ، وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كثر الكعبة حين أدخلوه عند دُؤَيْبِكَ مولى بنى مُلَيْح ، فلما اتهمتهم قريش ، دلّوا على دُؤَيْبِكَ ، فقطّعت ، ويقال : هم وضعوه عنده .

(١) ح : د وائر ، ر : د وائر ، والمثبت يوافق ما في الاشتقاق ٢٦٨

(٢) كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أن قريشاً حين استيقنوا بأن ذلك كان عند احداث بن هاشم
ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كهات العرب، فسجعت
عليه من كهانتها بالآلة يدخل مكة عشر سنين، بما استحل من حرمة الكعبة،
فزعوا عنهم أخرجه من مكة، فكان فيها حوثلتها عشر سنين؛ وكان البحر قد
رمى بسفينته إلى جذوة لرجل من تجار الروم، فطحلت، فأخذوا خشبها
فأعدوه لستفها، وكان بمكة رجل قبلي نجار، فتهيت لهم في أنفسهم
بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بر الكعبة التي يطرح فيها
ما يهدى لها كل يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك
أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزأته وكشت^(١)، وفتحها فاهاً، فبينا هي
يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً،
فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لرجو أن يكون الله عز وجل قد
رَضِيَ ما أردنا. عندنا عامل رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله [أمر]^(٢)
الحية. وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم حاملاً ابن خمس وثلاثين سنة.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائل
ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده؛ حتى
رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تُدخلوا في بنيانها من كسبكم
إلا طيباً، ولا تُدخلوا فيها مهتر بغي، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحد
من الناس.

قال: والناس يتحكون هذا الكلام الوليد بن المغيرة^(٣)؛ حدثنا ابن
حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله
ابن أبي نجيح المكي، أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن

(١) احزأت: انقسمت غوطاً، وكشت: صوتت لاحكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) لكلة من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف^(١) ، أنه رأى ابنًا لجمعة بن هُبَيْرَة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنُ لجمعة ابن هُبَيْرَة ، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جدّ هذا - يعني أبا وهب الذي أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لملئها ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش ، لا تُدْخِلُوا في بنيانها من كَسَبَكُمْ إِلَّا طَيْبًا ، لا تُدْخِلُوا فيها مَهْرُ بَغْيٍ ، ولا يبيع ربًا ولا مظلمة أحدٍ .

وأبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفًا^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن قُرَيْشًا تجزأت الكعبة ، فكان شقُّ الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيسم وقبائل من قريش ، ضُمتوا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وبني سَهْم^(٣) ، وكان شقُّ الحجر - وهو الحطيم - لبني عبد الدار بن قصي ولبنى أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبني عدي بن كعب .

ثم إن الناس هابوا هَدْمَهَا وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

(١) بعده في ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هيصم بن كعب بن لُحَي » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها : وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَنْخَضْتُ مِطْلِقِي حَدَّثَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلَهَا غَيْرَ خَائِبِ
بَأْبَيْصَ مِنْ فَرْقَى لُؤَيٍّ بِنِ غَالِبِ إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فِي الذَّوَائِبِ
أَنْيُّ لَأَخْذِ الضَّمِّ يَرْتَاحُ لِلنَّدَى تَوَسَّطَ جَدَاهُ فَرْوِعُ الْأَطَائِبِ
عَظِيمُ رَمَادِ الْقِدْرِ يَمَلَأُ جَفَانَهُ مِنْ الْخُبْرِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ

(٣) في ابن هشام : « لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هيصم بن كعب بن لُحَي » .

أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعزول ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ (١) ،
 اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هَدَمَ من ناحية الركنين ، فتربص الناس به
 تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ، ورددناها كما
 كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا هدمنا (٢) .

فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم والناس معه ، حتى انتهى
 الهدم إلى الأساس ، فأفضوا إلى حجارة خضِرَ كأنها أسِنَّة (٣) أخذ
 بعضها ببعض (٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن ١١٣٨/١
 إسحاق ، عن بعض من يروى الحديث ، أن رجلاً من قريش ممن كان
 يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ، ليقلع بها أحدها ، فلما تحرك
 الحجر انتفضت (٥) مكة بأسرها ، فانتهوا عند ذلك إلى الأساس (٦) .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، جعلت كل قبيلة تجمع
 على حدة ، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه ،
 كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا (٦) وتحالفوا
 وتواعدوا للقتال ، فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، ثم تعافوا هم

(١) قال السهيلي : « قولهم : اللهم لم تُرْعَ ، هي كلمة يقال عند تسكين الروح والماتيس
 وإظهار العين والبر في القول ، ولا روح في هذا الموضع لبنين ، ولكن الكلمة تقضى لإظهار قصد البر ،
 فلذلك تكلموا بها ، وهل هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الروح الذي هو
 محال في حق الباري تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويرى أيضاً : اللهم
 لم نرْعَ ، وهو جمل لا يشكك » .

(٢) في ابن هشام : « فقد رضي الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : « وأسِنَّة » . قال السهيلي : « وتشيعها بالأسنة لا تشبه بها إلا في الزقعة ، وتشيعها
 بأسنة الإبل أولى لفظها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ .

(٥) في ابن هشام : « انتفضت » ، أي اهتزت .

(٦) تحاوزوا ، أي انهازت كل قبيلة إلى جهة ، وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوزوا » ،

أي تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدى بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في الجفنة ؛ فسُموا لعمقة الدم بذلك ؛ فكثرت قريش أربع ليالٍ - أو خمس ليالٍ - على ذلك . ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعضُ الرواة أن أبا أمية ابن المغيرة كان عاملاً أسن^(١) قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ مَنْ يَدْخُلُ من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه ؛ فكان أولَ مَنْ دَخَلَ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضِينَا به ؛ هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هَلُمُّوا لِي ثوباً^(٢) ، فَأَتَى به . فَأَخَذَ الرِّكْنَ ، فَوَضَعَهُ فِيهِ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : لِنَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ ؛ وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَسْمِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ الْأَمِينُ^(٣) .

١١٢٩/١

قال أبو جعفر : وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَارِ بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَارِ عشرون سنة .

* * *

واختلف السلف في سنِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نُبِّيَ كَمْ كانت ؟ فقال بعضهم : نُبِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بنت قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تَمَّتْ له من مولده أربعون سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن خلف السقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضَّبْعِيُّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة .

(١) د : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا إلي ثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ ، ١٢٢

حدثنا عمرو بن علي وابن المنثي ، قالا : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس قال : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن الأوزاعي ، قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثني ١١٤٠/١ أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدثني أبو شريحيل الحمصي ، قال : حدثني أبو اليان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حماد ، قال : حدثنا حمرو بن دينار ، عن عروة بن الزبير ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا الحجاج ، عن حماد ، قال : أخبرنا عمرو ، عن يحيى بن جعدة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : إنه كان يُعرض على القرآن كل عام مرة ، وإنه قد عُرض على العام مرتين ، وإنه قد خُيِّلَ لي أن أجلي قد حضر ، وأن أولَ أهل لحاقاً^(١) بي أنت ، وإنه لم يُبعث نبي إلا بُعث الذي بعده بنصف من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعث لعشرين^(٢) .

(١) ح : « ولحقا » .
(٢) في ط ، وفي المقاصد الحسنة ٣٦٢ : « وما بعث الله نبياً إلا حاش نصف ما عاش النبي قبله » ، ونقله برواية أخرى في ص ٣٧٢ ، وقال : إله موضوع .

حدثني عبيد بن محمد الوراق ، قال : حدثنا روح بن عباد ، قال :
حدثنا هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكثرت بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ومحمد بن ميمون الزعفراني ،
عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فكثرت بمكة ثلاث
عشرة سنة . ١١٤١/١

• • •

وقال آخرون : بل نُبِئَ حين نُبِئَ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا
يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن
سعيد بن المسيب ، قال : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وهو
ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى
ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً — يعني ابن المسيب — يقول : أنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذى نُبِئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الشهر الذى نُبِئ فيه وما جاء فى ذلك .

قال أبو جعفر : صحَّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدَّثنا به ابن المثنى ، قال : حدَّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدَّثنا شعبة ، عن غَيْلَان بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزَّمَانِيَّ ، عن أبي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين ، فقال : ذلك يوم وُلِدْتُ فيه ، ويوم بعثتُ - أو أنزل على فيه .

حدَّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدَّثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدَّثنا أبو هلال ، قال : حدَّثنا غَيْلَان بن جرير المَعُولِيُّ قال : حدَّثنا عبد الله بن معبد الزَّمَانِيَّ ، عن أبي قَتَادَةَ ، عن عمر رحمه الله أنه قال ١١٤٢/١ للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، ويوم أنزلت على فيه النبوة .

حدَّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدَّثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنْشِ الصَّنَعَانِيَّ ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبي يوم الاثنين^(١) .
قال أبو جعفر : وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

• • •

واختلفوا فى أىِّ الاثنين كان ذلك ؟ فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانى عشرة خَلَّتْ من رمضان .
ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن أيوب ، عن أبي قُلَابَةَ عبد الله بن زيد

البحرئى ، أنه كان يقول - فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزل الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان .

• • •

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا مسكمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني من لا يثبتهم ^(١) ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ابن دعامه السدوسي ، عن أبي الجلود ، قال : نزل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان .

• • •

وقال آخرون : بل نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، واستشهدوا ^(٢) لتحقيق ذلك بقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ ^(٣) ، وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين بيدراً ، وأن التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين بيدراً كان صبيحة سبع عشرة من رمضان .

• • •

قال أبو جعفر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن يظهر له ^(٤) جبريل عليه السلام برسالة الله عز وجل إليه - فيما ذكر عنه - يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله لإكرامه واختصاصه بفضله ، فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكيتين اللدنيين أتياه فشققا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغيل والدنس ، وهو عند أمته من

(١) ح : في أنهم .

(٢) ر : م : واستشهد لتحقيق قوله .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) م : عليه .

الرضا حكيمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرّ في طريق لا يمرّ - فيها ذكر - عنه بشجرٍ ولا حتجرٍ فيه إلّا سلّم عليه .

حدّثني الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا عليّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن برّة بنت أبي نجرّة ، قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كرامته وابتدأه^(١) بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى لا يرى بيتاً ، ويفضي إلى الشّعّاب ويطون الأودية ، فلا يمرّ بشجرٍ ولا شجرةٍ إلّا قالت : السّلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتصّيتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً^(٢) .

قال أبو جعفر : وكانت الأمّ تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قوماً بذلك ، وقد حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثني عليّ بن عيسى الحكمي ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنظر نبياً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ولا أراي أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدّقه ، وأشهد أنه نبيّ ، فإن طال بك مدّة فرأيت ، فأقرته منّي السّلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ حتى لا يخفى عليك ! قلت : هلّم ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولدُهُ ومبعثه ، ثم يخرجهُ قومه منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمرُهُ ، فلربّك أن تُخدعَ عنه ، فإنّي طُفّت البلادَ كلّها أطلب^(٣) دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراكل ، وينعتونه مثل ما نعتُهُ لك ، ويقولون : لم يبق نبيّ غيرُهُ^(٤) .

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا في ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفي ط : « أطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ ، ١٦٢ .

قال عامر : فلما أسلمتُ أخبرْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السلام ، فردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وترحمَ^(١) عليه ، وقال : قد رأيته في الجنة يسحبُ ذيولاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عن ابن إسحاق عَمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُم ، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عمر بن الخطاب يينا هو جالسٌ في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ دَاخِلٌ^(٢) الْمَسْجِدَ ، يريد عمر - يعني ابن الخطاب - فلما نظر إليه عمر قال : إِنَّ الرَّجُلَ لَعَلَى شِرْكِهِ بَعْدَ ، ما فارقته - أو لقد كان كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فلسم عليه الرجل ، ثم جلس فقال له عمر : هل أسلمت ؟ فقال : نعم ، فقال : هل كُنتَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ فقال الرجلُ^(٣) : سبحان الله ! لقد استقبلتني^(٤) بأمر ما أراك قلت لأحد من رعيّتك منذ ولّيت ! فقال عمر : اللهم ضَعُفًا ، قد كنّا في الجاهلية على شرٍّ من ذلك ، نعبُدُ الأصنام ، ونعتقُ الأوثان حتى أكرمنا الله بالإسلام . فقال : نعم والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنت كاهنًا في الجاهلية . قال : فأخبرنا ما أعجب ما جاءك به صاحبك . قال : جاعني قبل الإسلام بشهر - أو سنة - فقال لي : و ألم تر إلى الجنِّ وإِبِلَاسِها ، وإِبِلَاسِها من دينها ، ولحقها بالقِلاص وأحلاسها^(٥) . قال : فقال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله إني لعبدٌ وثني من أوثان الجاهلية في نفرٍ من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلًا فنحن نَنْتَظِرُ قَسَمَهُ لِيَقْسِمَ لَنَا مِنْهُ ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعَجَلِ صَوْتًا مَا سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَنْفَلَدَ مِنْهُ ، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شِبعه^(٦) ، يقول : يا آل ذريح ،

(١) كذا في ر ، م ، و ، ي ، و رسم عليه . (٢) ابن هشام : و داخلا .

(٣-٢) ابن هشام : و سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد غلت في ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلت لأحد .

(٤) قال ابن هشام : هذا الكلام سجع وليس بشعر . والإِبِلَاس : الدلة . والإِبِلَاس : اليأس . والقِلاص من الإِبِل : الفئحة . والأحلاس : جمع حلس ، وهو الكساء يوضع على ظهر البعير .

(٥) كذا في ابن هشام ، قال السهيلي : و أو شبعه ، أي ذكاه بقليل ، وشبع كل شيء ما هو تبع له . و ي : و أو سنة ، والأجد ما أتبعه من ابن هشام .

أمرٌ نَجِيعٌ ، وَرَجُلٌ يَصِيحُ ؛ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(١) .

حدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ ، مَوْلَى عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، مِثْلَهُ .

حدَّثَنَا الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو
قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ،
عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَتَمِ بَيَّوَانَةَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١١٤٦/١
بِشَهْرٍ ، نَحْرُنَا جَزُورًا ، فَلَمَّا صَالَحَ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِ وَاحِدَةٍ :
اسْمَعُوا إِلَى الْعَجَبِ ! ذَهَبَ اسْتِرَاقُ الرُّوحِ ، وَزَيَّ بِالشَّهْبِ لَنَبِيٍّ بِمَكَّةَ اسْمُهُ أَحْمَدُ ،
مُهَاجِرُهُ إِلَى يَثْرِبَ . قَالَ : فَأَمْسَكْنَا ، وَصَجَبْنَا ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) .

حدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ الْقَطَّانُ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ :
حدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي ظَلْيَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ
أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفِكَ ، فَإِنْ يَكُ
بِكَ ^(٣) طِيبٌ دَاوَيْتُكَ ، فَإِنِّي أَطِبُّ الْعَرَبَ ، قَالَ : أَتَحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةَ ؟
قَالَ : نَعَمْ ؛ ادْعُ ذَاكَ الْعِذْقَ ، قَالَ : فَنَظَرَ إِلَى عِذْقٍ فِي نَخْلَةٍ ، فَلَدَعَاهُ
فَعَجَلَ يَنْقُزُ ^(٤) ، حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : قُلْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ ، فَرَجَعَ ،
فَقَالَ الْعَامِرِيُّ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أُسْحِرَ !

• • •

قال أبو جعفر : والأخبار عن الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم أكثر
من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .
وفرَّجَ الْآنَ إِلَى :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .

(٣) الطَّبَّ مَا هُنَا : السَّحَرُ .

(٤) النَّقْزُ : الْوُثْبُ .

ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم
عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بلكرامه بمرسال

جبريل عليه السلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت
جاء جبريل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي من الله ، وكم كان من
النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ، ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير ١١٤٧/١
إليه ، وظهوره له بتزليل ربه .

فحدثني أحمد بن عثمان المعروف بابي الجوزاء ، قال : حدثنا وهب
ابن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت النعمان بن راشد ، يحدث عن
الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : كان أول ما ابتدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثل فلتق
الصبح ، ثم حُببَ إليه الخلاء ، فكان يغار بجرء يتحنث فيه الليالي ذوات
العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله ، فيتزود لمثلها ، حتى فجأه
الحق ، فأتاه ، فقال : يا محمد ، أنت رسول الله ! قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : فجنوت لركبتي وأنا قائم ، ثم زحفت^(١) ترجف بوادي^(٢) ، ثم
دخلت على خديجة ، فقلت : زملوني ، زملوني ! حتى ذهب عني الروع ،
ثم أتاني فقال : يا محمد ، أنت رسول الله . قال : فلقد هممت أن أطرح
نفسى من حالي من جبل ، فتبدى لي نحين هممت بذلك ، فقال : يا محمد ،
أنا جبريل ، وأنت رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فأخلفني
ففتنى ثلاث مرات ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك
الذى خلق ﴾^(٣) ، فقرأت ، فأتيت خديجة ، فقلت : لقد أشفقت على نفسى ، فأخبرتني
خبري ، فقالت : أبشیر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، ووالله إنك لتصل

(١) د والتفسير : رجعت .

(٢) د والتفسير : غزوى .

(٣) سورة الفلق ١ .

الرَّحِيم ، وَتَصَدَّقُ الْحَدِيثَ ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِي إِلَى وَرَقَةٍ بَنِ نُوفَلِ بْنِ أَسَدٍ ، قَالَتْ : اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي ، فَقَالَ : هَذَا النَّامُوسُ ١١٤٨/١ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، لِيَتَنَّى فِيهَا جَدَّعٌ ! لِيَتَنَّى أَكُونَ حَيًّا حِينَ يَخْرُجُكَ قَوْمُكَ ! قُلْتُ : أَمْخَرَجَنِي هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُدِي ، وَلَنْ أُدْرِكَنِي يَوْمَكَ أَنْصَرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ^(١) .

ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَى مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ أَقْرَأَ : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ . فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ، وَ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ وَ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُرْوَةُ ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ : « ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَى مِنَ الْقُرْآنِ » ، إِلَى آخِرِهِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّازِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَأَ ؟ فَقَالَ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَضَمْتَهُ ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَأَ ، قَالَ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَضَمْتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَأَ ، قَالَ : وَمَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قَالَ : فَجَاءَ إِلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : يَا خَدِيجَةُ ، مَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ عُرِضَ ^(٣) لِي ، قَالَتْ : كَتَلًا ، وَاللَّهِ مَا كَانَ رَبُّكَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ ، مَا أَتَيْتَ فَاحِشَةً قَطُّ . قَالَ : فَأَتَتْ

(١) الخبير في التفسير ٣٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ط : « فَمَدَّ » ، وَمَا أَتَيْتَ مِنَ التَّصْيِيرِ .

(٣) عُرِضَ لِي ، أَيْ أَصَابَنِي مِنْ الْجُنِّ . وَانْظُرِ الْهَاتِمَةَ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٣ : ٨٣ .

خديجة^١ ورقة بن نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صادقة ، إن زوجتك لنبي^٢ ، وليلقين من أمته شدة ، ولئن أدركته لأومئني به .

قال : ثم أبطل عليه جبريل ، فقالت له خديجة : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالصُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير ، قال : سمعت عبد الله بن الزبير ، وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي^٣ : حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاء جبريل عليه السلام ؟ فقال عبيد — وأنا حاضر يحدث عبدالله بن الزبير ومن عنده من الناس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحدثت^(٢) به قريش في الجاهلية — والتحدث : التبرر — وقال أبو طالب :

• وَرَأَيْتُ لَيْلِي فِي حِرَاءِ وَنَازِلِ^(٣) .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جماعه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه فيها ، وذلك في شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء — كما كان يخرج لجواره — معه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالاته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(١) الخبر في التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بلاق) . (٢) ح : • • • • •

(٣) صدره في ابن هشام :

• وَتَوَرَّيْ وَتَمْنُ أَرْضِي ثَبِيرًا مَكَانَهُ •

عليه وسلم ، فجاءني وأنا نائم بمسطح من ديباج ، فيه كتاب ، فقال :
 اقرأ ، فقلت : بما أقرأ ؟ فغشي^(١) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال :
 اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا اختلاءً منه أن يعود إلي بمثل
 ما صنع بي . قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ
 الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته ، قال : ثم انتهى ، ثم انصرف عني
 وهبئت من نومي ، وكأنما كتب في قلبي كتاباً .

قال : ولم يكن من خلق الله أحدٌ أبغضَ إليّ من شاعر أو مجنون ،
 كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إن الأبعدَ - يعني نفسه -
 لشاعر أو مجنون ، لا تحدث بها عني قريش أبداً ! لأعبدن إلى حاليق من
 الجبل فلا طرحن نفسي منه فلا تقتلنها فلا سترين .

قال : فخرجت أريد ذلك ، حتى إذا كنت في وسط من الجبل ، سمعت
 صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال :
 فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا جبرئيل في صورة رجل صاف قلمي في أفق
 السماء ، يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوَقَّفتُ أنظرُ
 إليه ، وشغلني ذلك عما أردت ، فما أتقدم وما أتأخر ، وحملت أصرف وجهي
 عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفاً
 ما أتقدم أمامي ، ولا أرجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، حتى
 بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني . ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً
 إلى أهل ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضطجاً^(٢) فقالت :
 يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك ، حتى بلغوا
 مكة ورجعوا إلي . قال : قلت لها : إن الأبعدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت :

(١) قال ابن الأثير : « الفت والفت سواه » كأنه أراد : صرني صرعاً شديداً حتى رجعت

منه المصقة ، كما يجد من يغمس في الماء قهراً .

(٢) مضطجاً ، أي ملصقاً بها ملائلاً إليها ، أضفت إلى الرجل ، إذا ملت نحوه واصلت به .

أعينك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صلق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عم ! لعلك رأيت شيئاً ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا بن عم وأبنت ، فوالذي نفس خديجة بيده إلى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قد رؤس ، قد رؤس ! والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر - يعنى بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى - وإنه لنبي هذه الأمة ، فقول له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ، وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالبيت ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ، ولتكذبتنه وتؤذيتنه ، وكشخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمه . ثم أخذ رأسه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى منزله^(١) .

١١٥٢/١

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدث عن

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل في غيره وشره ؛ فمهر من الملك الذي جاء بالرسى

بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٣ - ١٥٦ .

خديجة أنها قالت: لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يثبتته فيما أكرمه الله به من نبوته: يا بن عم، أستطيع أن نخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جارك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جارك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة: يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني، فقالت: نعم، فقم يا بن عم، فاجلس على فخذي اليسرى، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى، فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجرى، فتحول فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسرت، فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، فقالت: يا بن عم، أثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وما هو بشيطان^(١).

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: وجدت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن، فقال: قد سمعت أُمّ فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنني قد سمعتها تقول: أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين زوجها، فلهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا لملك، وما هو بشيطان^(١).

حدثنا ابن المنني، قال: حدثنا عثمان بن عمر بن فارس، قال: حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى - يعني ابن أبي كثير - قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت: يقولون: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾! فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فقال: لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم، قال: جاورت في حراء، فلما قضيت جوارى، هبطت فاستبطنت الوادي،

فَنُودِيْتُ ، فَنَظَرْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ عَنِ شِمَالِي ، وَخَلَقْتُ وَقَدْ آمَى ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ،
فَنَظَرْتُ فَوْقَ رَأْسِي . فَلِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
لَخَشِيبَتُ مِنْهُ قَالَ ابْنُ الْمُنْتَنِي : هَكَذَا قَالَ عُمَانُ بْنُ عَمْرِو ، وَإِنَّمَا هُوَ « فَجُثَّتْ مِنْهُ » (١)
— فَلَقِيتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، وَصَبُّوا عَلَى مَاءً ، وَأَنْزَلَ عَلَى :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ ، عَنْ
يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ،
قَالَ : نَزَلَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أَوَّلُ ، قَالَ : قُلْتُ : إِنْتَهُمْ يَقُولُونَ : ﴿ أَقْرَأْ بِأَنْسَمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فَقَالَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا أَحَدٌ تِلْكَ
إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ ،
فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي ، هَبَطْتُ فَسَمِعْتُ صَوْتًا ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ١١٥٤/١
وَعَنِ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ
شَيْئًا ، فَفَرَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ،
وَصَبُّوا عَلَى مَاءً ، قَالَ : فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَى مَاءٍ بَارِدًا ، فَتَزَلْتُ :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (٢) .

وَحَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا أَتَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ ، وَعَلَّمَهُ الصَّلَاةَ ، وَعَلَّمَهُ : ﴿ أَقْرَأْ بِأَنْسَمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، يَوْمَ
أَوْحَى إِلَيْهِ ، أَرْبَعُونَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبِيبٍ الطُّوسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُ بْنُ

(١) جُثَّتْ مِنْهُ ، أَيُ خَفَّتْ وَلَفِزَتْ ، وَانْظُرِ السَّانَ .

(٢) أَخْبَرَ فِي التَّصْغِيرِ ٢٩ : ٩٠ (يُولَانِ) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، كيف علمتُ أنك نبيٌّ أوَّل ما علمت ، حتى علمت ذلك واستيقنت ؟ قال : يا أبا ذر ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنه برجل ، فوزنت برجل فرجحته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوزنت بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنت بمائة فرجحتهم ^(١) ، ثم قال : زنه بألف ، فوزنت بألف فرجحتهم ، فجعلوا يثثرون ^(٢) عليَّ من كفة الميزان ، قال : فقال أحدهما للآخر : لو زنته بأمتة رجحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شقَّ بطنه ، فشق بطني ، ثم قال أحدهما : أخرج قلبه — أو قال : شقَّ قلبه — فشقَّ قلبي ، فأخرج منه مغسَّر الشيطان وعلقَ الدَّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه غسل الإناء — أو اغسل قلبه غسل الملاءة — ثم دعا بالسكينة ، كأنها وجه هيرة بيضاء فأدخلت قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خيط بطنه ، فخاطا بطني ، وجعلا الخاتم بين كتفي ، فما هو إلا أن ولّيا حتى فكأنتما أحايين الأمر معاينة .

حدثنا محمد بن عبد الأهل ، قال : حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، فحزن حزناً شديداً ، جعل يغلو إلى رموس شواطئ الجبال ليردّي منها ، فكلما أوقى بلدوة جبّلت يدي له جبّلت ، فيقول : إنك نبيٌّ الله ، فيسكن لملك جأشه ، وترجع إليه نفسه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك ، قال : فيينا أنا أمشي يوماً ، إذ رأيتُ الملك الذي كان يأتيني بحراء ، على كرسي بين السماء والأرض ، فجئشتُ منه رعباً ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زملوني ، فزملناه — أي دثرناه — فأنزل الله عز وجل :

(١) ر ، م : فوزنتهم .

(٢) ح ، ر : يثثرون .

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَتَبَاكَ فَطَهِّرْ﴾ ، قال الزهري : فكان أول شيء أنزل عليه : ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي : بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجئت منه فرقاً ، وحيث فقلت : زملوني ، زملوني ! فدثرني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَلْزِمْ فَاهُجْرُ﴾ ، قال : ثم تابع الوحي^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإلذار قومه عقاب الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذي خلقهم ورزقهم ، وأن يحدث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، وذلك - فيا زعم ابن إسحاق - النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، أي ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، اذكرها وادع إليها . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من

أهله ؛ فكان أول مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلق الله - فيما ذكر - زوجته خديجة رحمها الله ^(١) .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال الواقديّ : أصحابنا مجمعون على أنّ أولَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد رحمها الله .

• • •

قال أبو جعفر : ثم كان أولُ شيءٍ فرضَ الله عزّ وجلّ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلق الأنداد الصلاة - فيما ذكر .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني بعضُ أهل العلم أنّ الصلاة حين افتُرِضَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أمّاه جبرئيل وهو بأعلى ^(٢) مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الرادى ، فانفجرت منه عين ، فتوضّأ جبرئيل عليه السلام ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ينظر إليه ليَرِيه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضّأ ، ثم قام جبرئيل عليه السلام ، فصلى به وصلى النبي صلى الله عليه وسلّم بصلاته . ثم انصرف جبرئيل عليه السلام ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة ، فتوضّأ لها يُمِرُّها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبرئيل عليه السلام ، فتوضّأت كما توضّأ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم كما صلى به جبرئيل عليه السلام ، فصلّت بصلاته .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة وحكّام بن سكّم ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : مكة .

عن حنيفة. ، عن أبي هاشم الواسطي ، عن ميمون بن سياه ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان حينُ نبِيِّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ينام حول الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأناه ملكان : جبرئيل وميكائيل ، فقالا : بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أميرنا سيدهم ، ثم ذهبَا ثم جاءَا من القبيلة ، - وهم ثلاثة ، فألقوه وهو نائم ، فقلّبوه لظهره ، وشقّوا بطنه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان في بطنه من شكّ أو شرك أو جاهلية أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، ملى إيمانًا وحكمة ، فلما دخل بطنه وجوفه إيمانًا وحكمة ، ثم خرج به إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : مَنْ ؟ هذا ؟ فقال : جبرئيل ، فقالوا : مَنْ ؟ فقال : محمد ، قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مبرجًا ، فدعوا له في دعائهم ، فلما دخل ، فإذا هو برجل جسيم وسيم ، فقال : مَنْ ؟ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوا به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقبل له مثل ذلك ، وقالوا في السموات كلّها كما قال وقيل له في السماء الدنيا ، فلما دخل ، إذا برجلين ، فقال : مَنْ ؟ هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : يحيى وعيسى ابنا الخالة ، ثم أتى به السماء الثالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فقبل بالحسن على الناس ، كما فُضِّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتى به السماء الرابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ^(١) ، ثم أتى به السماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتى به السماء السادسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السماء السابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ ؟ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنة ، فإذا هو بنهر أشدّ بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، يجنبته قباب الدرّ ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا الكوثر الذي

أعطاك ربك، وهذه مسأكتك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفر ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وهي سدرة تَبَقُّ أعظمها أمثال الجوار ، وأصفرها أمثال البَيْض ، فدكاً ربك عز وجل : ﴿ فَكَانَ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(١) ، فجعل يفتش السدرة من دُونِ ^(٢) ربه تبارك ١١٥٩/١

وتعالى ، أمثال الدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده ، وفهمه وعلمه وفرض عليه خمسين صلاة ، فمر على موسى ، فقال : ما فَرَضَ على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك أضعف الأمم قوة ، وأقلها عمراً ، وذكر ما لى من بنى إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشر ، ثم مر على موسى ، فقال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ، كذلك حتى جعلها خمساً ، قال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ، فقال : لست أبراجع ، غير عاصيك ، وقد ف في قلبه ألا يرجع ، فقال الله عز وجل : ﴿ لَا يَدْرِي كَلَامِي ، وَلَا يَرَى قَضَائِي وَفُرْصِي ، وَخُفِّي عَنْ أُمِّي الصَّلَاةَ لِعَشْر . قال أنس : وما وجدت ربحاً قط ولا ربح عَرَبِيَّ قط ، أطيب ربحاً من جِلْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ألزقت جلدي بجلده وشيمته .

• • •

قال أبو جعفر : ثم اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدقته على ما جاء به ^(٣) من عند الله من الحق بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلى معه .

فقال بعضهم : كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدقته بما جاءه من عند الله على بن أبي طالب عليه السلام .

(١) سورة النجم ٩ .

(٢) ح : « نور » .

(٣) ح : « جاء » .

• ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة^(١) ، عن أبي بليج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أول من صلى على .

١١٦٠/١

حدثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بحر ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن حنبل ، عن جابر ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب . قال : فذكرته للنخعي ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أول من أسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت زيد بن أرقم ، يقول : أول رجل صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عليه السلام .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا العلاء^(٢) ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ، قال : سمعت عليا يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقوفا بعدى إلا كاذب^(٣) . صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين .

(٢) هو العلاء بن صالح التيمي (الميزان) .

(١) ر : « سعيد » .

(٣) ر : « كذاب » .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي^(١) ، قال : حدثنا سعيد بن خثيم ، عن أسد بن عبد الله البجلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جثت في الجاهلية إلى مكة ، فترلت على العباس بن عبد المطلب . قال : فلما طلعت الشمس وحسنت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب ، فرى يبصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبث حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما ، فركع الشاب ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه ، فقلت : يا عباس ، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدري من هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري من هذا معه ؟ قلت : لا ، قال : هذا علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت : لا ، قال : هذه خديجة بنت خويلد ، زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني أن ربك رب السماء ، أمرهم بهذا الذي تراهم عليه ، وإسم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي ، من أهل الكوفة ، قال : حدثني إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنت امرأ تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأثمت العباس ، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل يصلّي ، فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلّي ، ١١٦٢/١ وخرج غلام فقام يصلّي معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما أدرى ما هو ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله به ، وأن كنوز كسرى وقصر ستمتج عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتني كنت آمنْتُ يومئذ فكنتُ أمكون رابعاً !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد ، قال سلمة : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبي الأشعث - قال أبو جعفر : وهو في موضع آخر من كتابي عن يحيى بن الأشعث - عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندي لأُمّه ، وكان ابن عمه - عن أبيه عن جده عفيف ، قال : كان العباس ابن عبد المطلب لي صديقاً ، وكان يختلفُ إلى اليمن ، يشتري العطرَ فيبيعه أيام الموسم ، فيينا أنا عند العباس بن عبد المطلب بمضى ، فأثابه رجل مجتمع ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلي ، فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلي ثم خرج غلام قد واهق ، فتوضأ ، ثم قام إلى جنبه يصلي ، فقلت : ويحك يا عباس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابنُ أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أن الله بعثه رسولا ، وهذا ابنُ أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعت على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ١١٦٢/١ ورسخ الإسلام في قلبه : يا ليتني كنتُ رابعاً !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا عيسى بن مسودة بن الجعد ، قال : حدثنا محمد بن المنكدر ^(١) وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وأبو حازم المدني ^(٢) ، والكلبي ، قالوا : علي أول من أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه وصدقته بما جاءه من عند الله ، علي بن أبي طالب ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب عليه السلام ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

(١) روين الأثير : المنذر .

(٢) ر : المزي .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، وما صنع الله له وأراد به من الخير ، أن قریشاً أصابتهُم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بني رجلا ، وآخذ من بني رجلا ، فنكفهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه ، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه على قآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شباب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلبان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلبان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين آيينا إبراهيم - أو كما قال - بعثني الله به رسلاً إلى العباد ، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه ، وأعانني عليه - أو كما قال . فقال أبو طالب : يا بن أخي ، إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آباءي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك ^(٢) بشيء تكرهه ما حييت ^(٣) .

(١) ر : ولا يخلص إليك فيه .

(٢) سيرة ابن هشام : ١ : ١٦٣ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعلي بن أبي طالب : أي بُني ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : يا أباي ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به ، وصليت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنَّه لا يدعوك^(١) إلا إلى خير ، فالزمه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن فافع ، عن ابن أبي نَجِيج ، عن مجاهد ، قال : أسلم علي وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدي : واجتمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، فأقام بمكة اثني عشرة سنة .

• • •

وقال آخرون : أولُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه .

• ذكر من قال ذلك :

• حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن مجاليد ، عن الشعبي ، قال : قلت لابن عباس : مَنْ أول الناس إسلاماً ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوْنَا مِنْ أَخِي نِقَةٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا قَعَلَا^(١)
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعَدَّلَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
الثَّانِي . الثَّانِي الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

(١) ح ، د : « يدعوك » . (٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية .

وحدثني سعيد بن عنبسة الرازي ، قال : حدثنا الهيثم بن حدي ، عن
 مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه ^(١) .

١١٦٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الهيثم
 ابن حدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا بحر ^(٢) بن نصر الخولاني ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ،
 قال : أخبرني معاوية بن صالح ، قال : حدثني أبو يحيى وضمرة بن حبيب
 وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : حدثني عمرو بن عبسة ^(٣) قال :
 أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ ، قلت : يا رسول الله ،
 من تبعك على هذا الأمر ؟ قال : اتبعني عليه رجلا ، حر وعبد :
 أبو بكر وبلال ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتني إذ ذاك
 ربيع الإسلام .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي مسكة ،
 قال : حدثنا صدقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائد ، عن
 جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذر وابن عبسة كلاهما يقول : لقد رأيتني
 ربيع الإسلام ، ولم يسلم قبلي ^(٤) إلا النبي وأبو بكر وبلال ، كلاهما
 لا يدرى ^(٥) متى أسلم الآخر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ،
 قال : أول من أسلم أبو بكر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا شعبة ، عن
 عمرو بن مرة ، قال : قال إبراهيم النخعي : أبو بكر أول من أسلم .

• • •

(١) ح : بنحوه .

(٢) م : يحيى .

(٣) في الأصل : عنبسة .

(٤) م : قبل .

(٥) م : لا يدرى .

وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة .

• ذكر من قال ذلك :

١١٦٧/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا كنانة بن جُبَكة ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن الحجاج بن الحجاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلامًا .

• • •

وقال آخرون : كان أولُ مَنْ آمَنَ واتبَعَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من الرجال زيد بن حارثة مولاة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدي : حدثني ابن أبي ذئب ، قال : سألت الزُّهري : مَنْ أولُ مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد — يعني ابن عمر — قال : حدثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبي أنس مثله .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا عبد الملك ابن مسلمة ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فكان

أَوَّلَ ذِكْرٍ^(١) أسلم، وصلى بعد علي بن أبي طالب، ثم أسلم أبو بكر بن
 ١١٦٨/١ أبي سحابة الصديقي، فلما أسلم أظهر إسلامه^(٢)، ودعا إلى الله عز وجل
 وإلى رسوله. قال: وكان أبو بكر رجلاً مألُفًا لقومه، محبوباً سهلاً، وكان
 أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير أو شر،
 وكان رجلاً تاجراً ذا خلقٍ ومعروفٍ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير
 واحد من الأمر، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام
 من وثق به من قومه ممن يشاء ويجلس إليه، فأسلم على يديه - فيما بلغني -
 عثمان بن عفان، ولزير بن العوام، وعبد الرحمن بن صوف، وسعد بن
 أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 استجابوا له، فأسلموا وصلُّوا، فكان هؤلاء الثمانية^(٣) الذين سبقوا إلى
 الإسلام، فصلُّوا وصعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء به من
 عند الله، ثم تتابع الناس في الدخول في الإسلام، الرجال منهم والنساء،
 حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس^(٤).

وقال الواقدي في ذلك ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد،
 عنه: اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم خديجة بنت خويلد، ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر: في أبي بكر
 وعلي، وزيد بن حارثة، أيهم أسلم أول.

قال: وقال الواقدي: أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامساً،
 وأسلم أبو ذر، قالوا: رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن حنبله السلمي،
 فيقال: رابعاً أو خامساً. قال: فلما اختلف عندنا في هؤلاء الثماني^(٥) أسلم
 ١١٦٩/١ أول، وفي ذلك روايات كثيرة. قال: فيُختلف في الثلاثة المتقدمين، وفي
 هؤلاء الذين كتبنا بعدهم.

(١) ر : من

(٢) ح : م : الإسلام .

(٣) كذلك في ح وفي ط : «نفر» ، وفي ابن هشام : «النفر الثمانية» .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام : ١ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني مُصعب بن ثابت ، قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل ، قال : كان لإسلام الزبير بعد أبي بكر ، كان رابعاً أو خامساً .

وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن خالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن يياضة ، من خزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتهم بأسمائهم ، أنهم كانوا من السابقين إلى الإسلام^(١) .

• • •

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يادي الناس بأمره ، ويدعو إليه ، فقال له : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) ، وكان قبل ذلك - في البتين الثلاث من مبعثه ، إلى أن أمر بإظهار الدعاء إلى الله - مستسراً مخفياً أمره صلى الله عليه وسلم ، وأزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . وأخفص جناحك لمن أتبعك من المؤمنين . فإن عصوك قل إني بريء مما تَمْلُونَ^(٣) ، قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب ، فاستخفوا من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في شِعْب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم ، فاقتلوا ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحى جمل فشجّه ، فكان أول دم أهريق^(٤) في الإسلام^(٥) .

فحدثنا أبو كُرَيْب وأبو السائب ، قالا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٦ .

(٤) ح : هريق .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا ، فقال : يا صباحاه !
 فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرايت إن أخبرتكم أن
 العدو^(١) مصبتكم أو ممسيكم ، أما كنتم تصدقوني ! قالوا : بلى ، قال :
 فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! لهذا
 دعوتنا - أو جمعتنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢)
 إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن
 عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه
 الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟
 قالوا : محمد ، فقال : يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ،
 يا بني عبد مناف ! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً
 تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقاً ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ،
 قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك !
 ما جمعتنا إلا لهذا ! ثم قام ، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾
 إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله
 ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ،
 عن علي بن أبي طالب ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه
 عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعاني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال لي : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذير عشيرتي الأقربين ،

(١) ح : و العذاب .

(٢) سورة المد (٣) سورة الشعراء ٢١٤

فَضَعْتُ بِلَيْكِ ذَرْعًا ، وَصَرَفْتُ أَنْتَى مَنَى أَبَائِهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ ، فَصَمْتُ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَنِي جَبْرِئِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ إِلَّا تَقْنَعَلْ مَا تَوَمَّرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ ، فَاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِ رَحْلًا شَاةً ، وَامْلَأْ لَنَا حُسًّا مِنْ لَبَنٍ ، ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ حَتَّى أَكَلْتَهُمْ ^(١) ، وَأَبْلَغَهُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ . ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَهُ ، فِيهِمْ أَعْمَامُهُ : أَبُو طَالِبٌ وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو هُبَيْرٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ دَعَانِي بِالطَّعَامِ الَّذِي صَنَعْتُ لَهُمْ ، فَجِئْتُ بِهِ ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ تَنَاوَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِدِيَّةً ^(٢) مِّنَ اللَّحْمِ ، فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ ، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّحْفَةِ . ثُمَّ قَالَ : خُذُوا بِسْمِ اللَّهِ ، فَأَكَلُ الْقَوْمُ حَتَّى مَا لَهُمْ بَشْيٌ حَاجَةٌ وَمَا أَرَى إِلَّا مَوْضِعَ ^(٣) أَبْيَاسِهِمْ ، وَإِمْ اللَّهُ الَّذِي نَقَسْتُ عَلَى يَدِهِ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَأْكُلُ مَا قَدِمْتُ بِهِ لِحَمِيمِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : اسْبِقِ الْقَوْمَ ، فَجِئْتُهُمْ بِبِلَيْكِ الْعُسِّ ، فَشَرَبُوا مِنْهُ حَتَّى زَوُّوا مِنْهُ جَمِيعًا ، وَإِمْ اللَّهُ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِيَشْرِبَ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْتُمَهُمْ بِذَرْعِهِ أَبُو هُبَيْرٍ إِلَى الْكَلَامِ ، فَقَالَ : لَتَهْدِمًا ^(٤) سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ ! فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَكْتُمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : الْغَدِ يَا عَلِيٌّ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَبَقَنِي إِلَى مَا قَدْ صَمِعْتَ مِنَ الْقَوْلِ ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ قَبْلَ أَنْ أَكَلْتَهُمْ ، فَعُدُّ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ بِمِثْلِ مَا صَنَعْتُ ، ثُمَّ اجْمَعْهُمْ إِلَيَّ .

١١٧٢/١

قَالَ : فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ ثُمَّ دَعَانِي بِالطَّعَامِ فَقَرَّبْتُهُ لَهُمْ ، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ ، فَأَكَلُوا حَتَّى مَا لَهُمْ بَشْيٌ حَاجَةٌ . ثُمَّ قَالَ : اسْقِهِمْ ، فَجِئْتُهُمْ بِبِلَيْكِ الْعُسِّ ، فَشَرَبُوا حَتَّى زَوُّوا مِنْهُ جَمِيعًا ، ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابِيًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمُهُ

(١) م : « أَطْعَمَهُمْ » .

(٢) الْحِدِيَّةُ مِنَ اللَّحْمِ : مَا قُطِعَ مِنْهُ طَوِيلًا .

(٣) آيِنُ الْأَثِيرِ : « مَوْضِعٌ » .

(٤) لَهْدٌ : كَلِمَةٌ يَتَجَبَّبُ بِهَا ، فِي ط : « لَقَدْ مَا » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الظُّمِيرِ وَالنِّهَايَةِ

بأفضل مما قد جشتم به ؛ إني قد جشتم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وإني لأحدثهم سنناً ، وأرمصهم ^(١) عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحشمهم ساقاً ^(٢) ؛ أنا يا نبي الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخى ووصي وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ^(٣) .

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا أبو حنيفة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أن رجلاً قال لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بم ورثت ابن عمك دون نفسك ؟ فقال علي : هاؤم ثلاث مرات ، حتى اشرب الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو دعا رسول الله — بنى عبد المطلب منهم رطله ، كلهم يأكل البلدة ويشرّب الفرق ^(٤) ، قال : فصنع لهم مدّاً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو ، كأنه لم يمس . قال : ثم دعا بغنم ^(٥) فشرّبوا حتى رَوُوا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشرّبوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إني بُعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأياكم يبايعني على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى ؟ فلم يقم إليه أحد ، فقامت إليه — وكنت أصغّر القوم — قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس ، حتى كان

(١) الرمص فى العين كالغمص ، وهو لئى تلفظ به ، وهو كناية عن صر سته .

(٢) حمى الساقين : دقيقتها .

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (برلاق)

(٤) الفرق ، بكسر الفاء ، وبضمهم يقول بالفتح : مكياك كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغنم : القمح الصغير ، وفى ر : ديس .

في الثالثة، فضرب بيده على يدي، قال : فبذلك ورثتُ ابنَ عمّي دون عمّي .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، . حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية ١١٧٤/١ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف، يا بني قصي— قال : ثم فخذ^(١) قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مر^(٢) على آخرهم — إني أدعوكم إلى الله وأنلركم عدايه^(٣) .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا جارية بن أبي عمران ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه من عند الله ، وأن يبادي الناس بأمره ، وأن يدعوهم إلى^(٤) الله ، فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين ، مستخفياً ، إلى أن أمر بالظهور للدعاء^(٥) .

قال ابن إسحاق— فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبأدبى قومه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه بعض الرد— فيما بلغنى — حتى^(٦) ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك ناكروا وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم^(٧) بالإسلام ، وهم قليل مستخفون، وحديث عليه أبو طالب نعمه ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فتعلم : دعاهم فعلا فعلا ، وألفظ أقل من البطن ، وأولما : الشب ثم القبيلة ، ثم القبيلة ، ثم المارة ، ثم البطن . وألفظ اللسان . وفي ر : « عد » .

(٢) ح : « أتى » .

(٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٧٥ (هرواق) .

(٤) م : « فأمره أن يدعوهم » .

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ وهناك : « إلى أن أمر بظهور الدعاء » .

(٦) م : « عن » .

(٧) زاد في ح : « عن ذلك » .

على أمير الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثعنهم ^(١) من شيء [يكرهونه مما] ^(٢) أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حذب عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب : حُتْبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الهختر بن هشام ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، وفيه ومنه ابنا الحجاج - أو من مشى إليه منهم - فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أعلامنا ، وضلل آباءنا ، فلما أن تكفّه عنا ، وإما أن نخلك بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيك . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شرى ^(٣) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكراً رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، وتذامروا فيه ، وحضّ بعضهم بعضاً عليه . ثم إنهم مشّوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومزلة فينا ، وإننا قد استهينك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلنا حتى تكفّه عنا أو تنازله وإنّا في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعدواهم له ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ولا خذلاً له ^(٤) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : أن فامساً من قريش اجتمعوا ^(٥) ، فيهم أبو جهل ١١٧٦/١

(١) م : « يثعنهم » ، ولا يثعنهم ، أي لا يرفضهم .

(٢) من ح .

(٣) شرى الأمر : اشتد واستطار . (٤) هيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام ، والعاصر بن وائل ، والأسود بن المطَّلَب ، والأسود بن عبد يغوث ،
في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى
أبي طالب فنكلمه ^(١) فيه ؛ فليُصِفنا منه ، فيأمره فليُكف عن شتم آلهتنا ،
وندعه وإلهه الذي يعبد ؛ فلما نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء
فتعيرنا العرب ؛ يقولون : تركوه ؛ حتى إذا مات عمه تناولوه .

قال : فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المطَّلَب ، فاستأذن لهم على أبي طالب ،
فقال : هؤلاء مشيخة قومك ^(٢) وسرواتهم ، يستأذنون عليك ، قال : أدخلهم ؛
فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من
ابن أخيك ، قره فليُكف عن شتم آلهتنا ، وندعه وإلهه .

قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : يا ابن أخي ؛ هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم ، وقد سألك ^(٣)
النصف ، أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك . قال : أي عم ،
أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلام تدعوهم ؟ قال : أدعوهم
إلى أن يتكلموا بكلمة تدِين لهم بها العرب ، وعليكون بها العجم . قال : فقال
أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها ^(٤) وعشرًا ^(٥)
أمثالها . قال : تقول : لا إله إلا الله ، قال : فنتقروا [وتفترقوا] ^(٦) وقالوا : سلنا
غير هذه ، فقال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم
غيرها ؛ قال : فغضبوا وقاموا من عنده غضابى ، وقالوا : والله لنشتمنك وإلهك
الذي يأمرك بهذا ، ﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ
هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِلَّا اخْتَلَقُ ﴾ ^(٧) .

(١) ر والتضير : « فنكلمه » .

(٢) ر : « قريش » ، وسروات القوم : ساداتهم .

(٣) م : « سألو » .

(٤) ر : « لنعطيكها » ، م : « لنعطيكها » .

(٥) ح : « وعشرًا معها » .

(٦) من ح وابن الأثير .

(٧) سورة ص : ٦ ، ٧ .

وأقبل على عمه فقال له عمه : يابن أخى ، ما شططت عليهم ، فأقبل على عمه فدعاه ، فقال : قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تميكنم بها العرب ، يقولون^(١) : جِزَع من الموت لأعطينكها ، ولكن على ملّة الأشياخ ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ ﴾^(٢).

حدثنا أبو كُرَيْب وابن وكيع ، قالا : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثنا الأعمش ، قال : حدثنا عباد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما مَرَضَ أبو طالب ، دخل عليه رَهْطٌ من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إنَّ ابنَ أخيك يشتيم آلَنا ، ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيته ! فبعث إليه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قَدَرٌ مجلس رجل ، قال : فخشى أبو جهل إنَّ جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق^(٣) له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قُرْبَ عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابن أخى ! ما بال قومك يشكُونك ، يزعمون أنك تشتم آلَهم ويقولون ويقول ! قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عم ، إنى أريدكم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدى إليهم بها العجم الجزية . ففزعوا لكلمته وقلوبه ، فقال القوم كلمة واحدة : نعم وأبيك عشراً . فما هى ؟ فقال أبو طالب : وأى كلمة هى يابن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فرعين بنفصون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجْمَلُ الْإِلَهِةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ حَبَابٌ ۖ ﴾ . قال : ونزلت من هذا الموضع

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « ويقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر في الضمير ٢٣ : ٨١ (بولاق) .

(٣) ح : « أراف » .

إلى قوله : ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ﴾ ^(١) . لفظ الحديث لأبي كريب ^(٢) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبقر على وعلى نفسك ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق ! فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدأ لعمه فيه بدءاً ^(٣) ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمه ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ^(٤) . ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا ابن أخي ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

١١٧٩/١

قال : ثم إن قريشاً لما عرفت أن أبا طالب أبا خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لغراقهم في ذلك ، وعداوتهم ، مشوا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغني : يا أبا طالب ، هذا حُمارة

(١) سورة ص ٥ - ٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٧٩ (بولاقي) .

(٣) البدء : الاسم من « بدأ » يريد : ظهر له رأى ، سعى الرأى بداء لأنه في « يبدو بعد ما يخفى » .

(٤) قال السبيل : وعص الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وعص القمر بالشمال لأنها الآية المسحورة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ؛ ومع كل واحد منهما نجم ؛ فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية المسحورة ؛ اذهب فلا تعمل لي عملاً . وكان عاملاً له فضله ؛ فقتل الرجل في صفين مع معاوية .

ابن الوليد أنهد^(١) فتي في قريش وأشعره وأجمله ، فخذته فلك عقله ونصبرته ، واتخذته ولداً ، فهو لك ، وأسلم لنا ابن أخيك - هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وصفه أحلامهم - فنقلته ، فلما رَجُلٌ كرجل ، فقال : والله لبش ما تسوموني ! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكُم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً^(٢) . فقال المطعيم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص^(٣) مما تكرهه ، لما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمطعيم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خيلا في ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحطب^(٤) الأمر عند ذلك ، وحَمِيَت الحرب ، وتنازعت القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .

قال : ثم إن قريشاً تذاَمروا على مَنْ في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه . فوثبت كل قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين بعد بوئهم ويفتخونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله^(٥) منهم بعمته أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام بدونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا^(٦) معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدَفْع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان من

(١) أنهد ، أى أقوى وأجمله ؛ ويقال : فرس نهْد ؛ الذى يتقدم الخيل . قال السهيل : « ومارة بن الوليد هذا هو الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة » .

(٢) وفي رواية أخرى عن السهيل أن أبا طالب قال لم حين سأله أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « رأيتُم ناقة تحن إلى غيرة فصلها وترآه ! لا أسليكم أبني تقتلونه أبداً وأخذ ابنكم أكفله وأغله ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحطب الأمر عند ذلك ، قال السهيل : « يريد اشتد ، وهو من فوك ؛ حطب البعير ؛ إذا راغ عنه الحطب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل في الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أَبَى لَهَبٌ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُوطَالِبٌ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرَّهُ مِنْ جِدِّهِمْ مَعَهُ ، وَحَدَّثَهُمْ عَلَيْهِ ، جَعَلَ يَمْلِحُهُمْ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْسَهُمْ ^(١) .

• • •

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ابْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ - قَالَ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ : حَدَّثَنِي أَبِي - قَالَ : حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ لَمَّا بَعَثَهُ ^(٢) اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَبْعُدُوا مِنْهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ ، وَكَادُوا يَسْمَعُونَ لَهُ ، حَتَّى ذَكَرَ طَوَاعِيَتَهُمْ . وَقَدِمَ نَاسٌ مِنَ الطَّائِفِ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَمْوَالٌ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَدُّوا عَلَيْهِ ، وَكَرَهُوا مَا قَالَ [لَهُمْ] ^(٣) ، وَأَغْرَوْا بِهِ مَنْ أَطَاعَهُمْ ، فَانْصَفَقَ ^(٤) عَنْهُ عَامَّةُ النَّاسِ ، فَتَرَكُوهُ إِلَّا مِنْ حَفَظَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَهَمَّ قَلِيلٌ ، فَكُتِبَ بِذَلِكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُتِبَ . ثُمَّ انْتَحَرَتْ رِعَاسُهُمْ بِأَنْ يَفْتِنُوا مَنْ تَبِعَهُ مِنْ دِينِ اللَّهِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ ، فَكَانَتْ فِتْنَةٌ شَدِيدَةٌ الزَّلْزَالِ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَافْتَنَ مَنْ افْتَنَ ، وَعَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ - وَكَانَ بِالْحَبَشَةِ مَلِكٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ النَّجَاشِيُّ ، لَا يُظَلِّمُ أَحَدًا بِأَرْضِهِ ، وَكَانَ يَنْبِيُّ ^(٥) عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ صِلَاحٌ ، وَكَانَتْ أَرْضُ الْحَبَشَةِ مَتَجَرًّا لِقُرَيْشٍ يَتَجَرَّونَ فِيهَا ، يَجْلِدُونَ فِيهَا رَفَاعًا ^(٦) مِنَ الرِّزْقِ ، وَأَمْنًا وَمَتَجَرًّا حَسَنًا -

١١٨١/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) م : « بما بعث الله » .

(٣) من ح .

(٤) انصفقوا عنه : التصرفوا .

(٥) ينبي عليه ، أى يشرح عنه .

(٦) كذا في الطبري ، وفي اللسان : « ترفع الرجل : توسع ، وإنه لى رفاعة ورفاغية من

فأمرهم بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يترح ، فكث بذلك سنوات ، يشتدون على مَنْ أسلم منهم .

ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم .

• • •

قال أبو جعفر : فاختلف في عدد مَنْ خَرَجَ إلى أرض الحبشة ، وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهي الهجرة الأولى .

فقال بعضهم : كانوا أحدَ عشر رجلاً وأربعَ نسوة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا يونس بن محمد الظفري ، عن أبيه ، عن رجل من قومه . قال : وأخبرنا عبيد الله بن العباس الملقب ، عن الحارث بن الفضيل ، قالوا : خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سرّاً ، وكانوا أحدَ عشر رجلاً وأربعَ نسوة ، حتى انتهوا إلى الشعبة ، منهم الراكب والماشي ، ووفق الله ١١٨٢/١ للمسلمين ساعة جاعوا سفيتين للتجار حملهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مَخْرَجُهُمْ في رجب^(١) في السنة الخامسة ، من حين نبئ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاعوا البحر ، حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً .

قالوا : وقلعنا أرضَ الحبشة ، فجاورنا بها خير جاري ، أمينا على ديننا ، وعبداً لله ، لا نُؤذِي ولا نسمعُ شيئاً نكرهه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني يونس بن محمد ، عن أبيه . قال : وحدثني

(١) ابن سعد : « من رجب » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

عبد الحميد^(١) ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ؛ قالاً : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيْبَةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عَتْبَةَ بن ربيعة معه امرأته سَهْلَةُ بنت سُهَيْل ابن عمرو ، والزَّيَّير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أسد ، ومُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار ، وعبد الرَّحْمَن بن عَوْف بن عبد عَوْف ابن الحارث بن زُهْرَة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المُخَيَّرَة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظعون الجُمَحِيُّ ، وعامر بن ربيعة العَنْزِيُّ ؛ من عَنَز بن وائل - ليس من عَنَزَة - حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته لَيْلَى بنت أبي حَثْمَة ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَّى العامري ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بيضاء ، من بني الحارث بن فهر ، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة^(٢) .

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين - سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - اثنين وثمانين رجلاً ؛ إن كان عمار بن ياسر فيهم ؛ وهويشك فيه !

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو^(٣) فيه من العافية بمكانه من الله وعمه^(٤) أبي طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعهُم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ! فإن بها ملكاً

(١) ابن سعد : عبد الحميد بن جعفر .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

(٣) م : وما هم .

(٤) ابن هشام : عن عمه .

لا يظلم أحدٌ عنده ، وهى أرضٌ صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله عز وجل بدینهم ، فكان أول هجرة كانت فى الإسلام ، فكان أول من خرج من المسلمين من ١١٨٤/١ بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عتبان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ، ومعه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بنى عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام .

فعدّ النفر الذين ذكرهم الواقدي ، غير أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن هذيل بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى . قال : ويقال : هو أول من قدمها ، فجعلهم ابن إسحاق عشرة ، وقال : كان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة — فما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكافوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه ، ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلاً ، بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ، ومن كان منهم معه أهله وولده ، ومن ولد له بأرض الحبشة ، ومن كان منهم لا أهل معه (١) .

• • •

قال أبو جعفر : ولما خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم إلى أرض الحبشة مهاجراً إليها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

مقيم بمكة ، يدعُو إلى الله سرّاً وجهراً ، قد منّعه الله بعمته أبي طالب وبمن
استجاب لنصرتِه من عشيرته ، ورأت قريش أنهم لا سبيلَ لهم إليه ، رموه
بالسحر والكهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا
منه أن يسمع قوله فيتَّبِعَه ؛ فكان أشدّ ما بلغوا منه حيثُ شدّ — فيها ذكر — ما
حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ،
عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة ، عن عبد الله بن عمرو بن
العاصر ، قال : قلتُ له : ما أكثَرُ ^(١) ما رأيتَ قريشاً أصابت من رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم فيها كانت تُظهِر من عداوته ! قال : قد حضرتُهم وقد
اجتمع أشرافُهم يوماً في الحَجْر ، فذكروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم
فقالوا : ما رأينا مثلاً ما صبرنا عليه من هذا الرجل قطّ ! سنّته أحلامنا ،
وشتم آباءنا ، وهاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ! لقد صبرنا منه
على أمر عظيم — أو كما قالوا .

فبينما هم كذلك إذ طلّع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى
استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه ^(٢) ببعض القول .
قال : فعرفتُ ذلك في وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما
مرّ بهم الثانية غمزوه مثلها ، فعرفتُ ذلك في وجهه ، ثم مضى ، ثم مرّ بهم
الثالثة ، فغمزوه مثلها ، فوقف فقال : أسمعون يا معشرَ قريش ! أما والذي
نفسُ محمدٍ بيده ، لقد جئتكم بالذّبح ^(٣) ! قال : فأخذت القومَ كلمته ،
حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، وحتى إن أشدّهم فيه
وصاة ^(٤) قبل ذلك ليرفوه ^(٥) بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول :
انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً ^(٦) !

١١٨٦/١

(١) م : « ما أكبر » .

(٢) غمزوه : طعنوا فيه .

(٣) بالذّبح ، أراد تهديدهم بالمهلك .

(٤) الوصاة : الوصية .

(٥) يرفوه : يهدونه ويرفقون به ، وف : « ليلقاه » .

(٦) ر : « ما كنت جهولاً قط » .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما يبلغ منكم ، وما بلغكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فيبناهم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذاً بمُسمع رداءه . قال : وقام أبو بكر الصديق دونه . يقول وهو يبكي : ويلكم ! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك أشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط^(١) .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا بشر بن بكر ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو : حدثني بأشد شيء رأيت المشركين صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عتبة بن أبي مُعَيْط ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنقه ، وخنقه خنقاً شديداً ، فقام أبو بكر من خلفه ، فوضع يده على منكبيه ، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(٢)

١١٨٧/١

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم كان واعية ، أن أبا جهل ابن هشام مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصفا ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكتأبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبد الله بن جُدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادى^(٣)

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) ابن هشام : ذلك ناد من قريش ، والنادى : مجلس القوم .

قُرَيْشٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ فَلَمْ يَلْبَثْ حِمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْ أَقْبَلَ
مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، رَاجِعًا مِنْ قَنْصَرٍ ^(١) لَهُ - وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصَرٍ يَوْمِيهِ
وَيُخْرِجُ لَهُ ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصَرِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ،
وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ،
وَكَانَ أَعَزَّ قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهَا شَكِيمَةً - فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، قَالَتْ : يَا أَبَا عُمَارَةَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ
عُمَدٌ آتَفًا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا
فَسَبَّهُ وَآذَاهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ .

قَالَ : فَاحْتَمَلَ حِمَزَةُ الْغَضَبُ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فَعُذِرَ سَرِيعًا -
لَا يَقِفُ عَلَى أَحَدٍ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ - يَرِيدُ الطَّوْفَ بِالْكَعْبَةِ ، مُعِيدًا الْأَبَى جَهْلَ
إِذَا لَقِيَهِ أَنْ يَقَعَ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ ، فَأَقْبَلَ
نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ ، رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا ضَرْبَةً فَشَجَّتْ بِهَا شَجَّةً
مَنْكَرَةً ، وَقَالَ : أَتَشْتَمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ أَوْ فَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ
اسْتَطَعْتَ ! وَقَامَتِ رِجَالُ بَنِي عَزْزِمْ إِلَى حِمَزَةٍ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلَ مِنْهُ ، فَقَالَ
أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ ، فَلَنِي وَاللَّهِ لَقَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا . وَتَمَّ
حِمَزَةُ عَلَى إِسْلَامِهِ . فَلَمَّا أَسْلَمَ حِمَزَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَزَرَ ، وَأَنَّ حِمَزَةَ سَيَمْنَعُهُ ، فَكَفَرُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْضُ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ ^(٢) .

١١٨٨/١

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَهَرَ
بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ
قُرَيْشًا بِهَذَا الْقُرْآنِ يَجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ ، فَنَزَلَ رَجُلٌ يُسَمُّعُهُمْ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ

(١) الْقَنْصَرُ : الْمَيْدُ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٨٥

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعوني ، فإن الله سيمنعني ، قال : ففعل ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ — رافعاً بها صوته — ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، قال : ثم استقبلها يقرأ فيها ، قال : وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبد ! ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خشيتنا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن^(١) !

لئن شتم لأغاديتهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ، حسبك ، فقد أسمعتهم ما يكرهون^(٢) .

١١٨٩/١

. . .

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالدين هاجروا إلى أرض الحبشة القرار بأرض النجاشي وأطمأنّوا ، فأمرت قريش فبا بينها في الكئيد بمن ضوّى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي ، مع هدايا كثيرة أهلوها إليه وإلى بطارقتة ، وأمرهما أن يسألا النجاشي تسليم من قبلكه وبأرضه من المسلمين إليهم . فشخص عمرو وعبد الله إليه في ذلك ، فنظرا لما أرسلهما إليه قومهما ، فلم يصلأ إلى ما أمل قومهما من النجاشي ، فرجعا مقبوحين ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلما أسلم — وكان رجلاً جليداً متيناً ، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة ابن عبد المطلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم قوة ، وجعل الإسلام يفشو^(٣) في القبائل ، وحمى النجاشي من ضوّى^(٤) إلى بلده منهم — اجتمعت قريش ، فاثمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتاباً

(١) ح : « اليوم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١

(٣) ح : « يقوى ويفشو » .

(٤) ضوّى إلى بلده : بلغ إليه .

يتعاقدون فيه ، على أن لا ينكحوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، ولا ينكحهم ولا يبيعهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتوثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم ، فلما فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شيعته^(١) ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهرهم عليه^(٢) ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا ألا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سراً ، مستخفياً به من^(٣) أراد صلته من قريش . وذكر أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به نعمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعه في الشعب ، فتعلقت به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك^(٤) بمكة ! فجاء أبو البختري بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال له أبو البختري : طعام لعنته عنده بعثت إليه فيه ، أقتنعه أن يأتيها بطعامها ! خل سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختري حتى بعير^(٥) ، ففصره فشجته ، ووطئه وطقاً شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فبشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ذلك ، يدعو قومه سراً وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ، والوحي عليه من الله متابع بأمره ونبيه ، ووعيد^(٦) من ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله صلى الله عليه وسلم على من خالفه^(٧) .

١١٩١/١

(١) الشعب : الطريق في الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « ومن » ، وما أتته من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « نفضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البختري إلى حمي جبل » .

(٦) ح : « ووعيد » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أن أشباه قومه اجتمعوا له يوماً - فيما حدثني محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا أبو خثيف عبد الله بن عيسى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن قريشاً وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عقبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد ، وكف عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك حصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ، اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظر ما يأتي من عند ربى ! فجاء الوحى من اللوح المحفوظ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١).

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علبية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني سعيد بن ميناء ، مولى أبي البخري ، قال : لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خثيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك في أمرنا كله ؛ فإن كان الذى جئت به خيراً مما فى أيدينا ، كنّا قد شركناك فيه ، وأخلصنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك ، كنت قد شركتنا فى أمرنا ، وأخذت بحظك منه . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، حتى انقضت السورة (٢) .

١١٩٢/١

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله حريصاً على صلاح قومه ، محباً مقاربتهم بما وجد إليه السبيل ، قد ذكر أنه تمنى السبيل إلى مقاربتهم ، فكان من أمره فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :

(١) سورة الزمر ٦٤ - ٦٦ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٢١٤ (بولاى) .

(٢) الخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاى) .

حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني^(١) ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوَلَّى قَوْمَهُ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَرَى مِنْ مِبَاعِلَتِهِمْ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللَّهِ ، تَمَنَّى فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ اللَّهِ مَا يَقَارِبُ^(٢) بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ يَسْرُهُ مَعَ حَبَّةِ قَوْمِهِ ، وَحَرَصِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلِينَ لَهُ بَعْضُ مَا قَدْ غَلِظَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ ، حَتَّى حَدَّثَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ ، وَتَمَنَّاهُ وَأَحْبَبَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ فَمَا أَنْتَ إِلَّا قَوْلُهُ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ ﴾^(٣) ، أَلَيْسَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ ، لِمَا كَانَ يَحْدُثُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَأْتِيَ بِهِ قَوْمُهُ : « تِلْكَ الْغَرَائِيقُ الْعُلَا ، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتُرْجَى ۚ » ، فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَرِيشُ فَرِحُوا ، وَسَرَّهْمُ وَأَعْجَبَهُمْ مَا ذَكَرَ بِهِ آلَهُتُهُمْ ، فَأَصَاخُوا لَهُ - وَالْمُؤْمِنُونَ مَصْدَقُونَ نَبِيِّهِمْ لَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ ، وَلَا يَتَّبِعُونَهُ عَلَى خَطْلٍ وَلَا وَهْمٍ وَلَا زَلٍّ - فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا بِخَتَمِ السُّورَةِ سَجَدَ فِيهَا ، فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِ نَبِيِّهِمْ ، تَصَدِيقًا لِمَا جَاءَ بِهِ ، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِهِ ، وَسَجَدَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ ، لَمَّا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهِتِهِمْ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ ، إِلَّا الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ السَّجْدَةَ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَقَنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَسَجَدَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَخَرَجَتْ قَرِيشُ ، وَقَدْ سَرَّهْمُ مَا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهِتِهِمْ ، يَقُولُونَ : قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ آلَهُتَنَا بِأَحْسَنِ^(٤) الذِّكْرِ ، قَدْ زَعَمَ فَيَأْتِلُوْا : وَأَنَّهَا الْغَرَائِيقُ الْعُلَا ، وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تَرْتَفَعُ ، وَيَلْتَفِتُ السَّجْدَةُ مَنْ يَأْرِضُ الْحَبْشَةَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِيلَ : أَسْلَمَتْ قَرِيشُ ، فَهَضَمَ مِنْهُمْ رِجَالٌ ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ ، وَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَاذَا

(١) ر : « الرى » .

(٢) ر : « يقرب » .

(٣) سورة النجم ١ - ٢٠ .

(٤) ر : « فأحسن » .

صنعت ! لقد تلوّت على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عزّ وجلّ ، وقلت ما لم يقل لك ! فعزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حزناً شديداً ، وخاف من الله خوفاً كثيراً^(١) ، فأُنزل الله عزّ وجلّ - وكان به رحيماً - يعزّيه ويخفّف عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبيّ ولا رسول تمنّى كما تمنّى ، ولا أحبّ كما أحبّ إلاّ - والشيطان قد ألّى في أمّنيته ، كما ألّى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ^(٢) الله ما ألّى الشيطان وأحكم آياته ، أى فلما أنت كععض الأنبياء والرسل ، فأُنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣) ، فأذهب الله عزّ وجلّ عن نية الحزن ، وآمنه من الذي كان يحاف ، ونسخ ما ألّى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم : « أنها الغرائقُ العلاءُ وأنّ شفاعتِهن ترتضى » ، يقول الله عزّ وجلّ حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى : ﴿الَكُمْ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْتَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أى عوجاء ، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْ بِهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٤) ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده !

فلما جاء من الله ما نسخ^(٥) ما كان الشيطان ألّى على لسان نبيه^(٦) ، قالت قريش : نديم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله ، فغير ذلك وجاء بغيره ، وكان ذاك الحرفان اللذان ألّى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك ، فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه^(٧) ، وشدة على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

(١) ح والتفسير : كثيراً .

(٢) م : « فينسخ » .

(٣) سورة الحج ٥٢ .

(٤) سورة النجم ٢١ - ٢٦ .

(٥ - ٥) ح : « ما كان الشيطان ألّى على نبيه » .

(٦) الخبر إلى هنا في التفسير ١٧ : ١٣١ ، ١٣٢ (بولاق) .

وأقبل أولئك النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا^(١) من أرض الحبشة ليمّا بلغهم من إسلام أهل مكة حين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيا ، فكان ممن قدم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بلرا من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة أخرج معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا . ١١٩٥/١

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ، قالوا : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش ، كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فيغيره ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ التي الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرائق^(٢) العلاء وإن شفاعتهن لترجي^(٣) » ، فتكلم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم معه جميعا ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته ، فسجد عليه - وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود - فرضوا بما تكلم به ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ، وهو الذي يخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فإذا جعلت لها نصيبا فنحن معك . قالوا : فلما أمسى

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرائقة » .

(٣) ر : « ترتضى » .

أنا جبرئيل عليه السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى
 الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 افتريتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا
 لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله :
 ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾^(١) ، فما زال مغموماً مهموماً ، حتى
 نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ - إلى قوله : ١١٩٦/١
 ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

قال : فسمع من كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة قد
 أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائهم ، وقالوا : هم أحب إلينا ، فوجدوا القوم
 قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان ، ثم قام - فيما حدثنا ابن حُميد ،
 قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في نقض الصحيفة التي كانت
 قريش كتبت بينها على بنى هاشم وبنى المطلب - فقرأ من قريش . وكان
 أحسنهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، من عامر بن لؤي -
 وكان ابن أخى فضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه - وإنه مشى إلى زهير
 ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت
 عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ،
 وتكبح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعدون ولا يبتاع منهم ،
 ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ! أما إننى أحلف بالله لو كانوا أحوال أبي الحكم
 ابن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال :
 ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل
 آخر لقمتم في نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : من
 هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابشيتاً ثالثاً ، فذهب إلى المطعم بن عدي
 ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم ، أقدمت أن يهلك بطنانان

(١) سورة الإسراء ٧٣ - ٧٥ .

(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر في التفسير ١٧ : ١٣١ (هولاء) .

من بني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا^(١) . قال : ويحك ! فماذا أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : ابني ثالثاً^(٢) ، قال : قد فعلت ، قال من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال : ابني رابعاً ، فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى وأنا معك . قال : ابني خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم . فاتعدوا له خطم الجبون الذي^(٣) بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أولكم يتكلم ، فلما أصبحوا غلوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية ، عليه حلة له ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنا كل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم همكئ لا يبايعون ولا يتناح منهم ! والله لأقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، ١١٩٨/١ قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبت ، والله لا تشق أقال زمعة ابن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ، قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرُّ به ! قال المطعم بن عدى : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، وما كُتِب فيها ، وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمر قضي بليلى ، وتُشور فيه بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس في ناحية المسجد - وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها ،

(١) ط : « سريعاً » ، وما أثبت من ابن هشام .

(٢) قال في اللسان : « ابني كذا » ، همزة الوصل ، أي اطلب لي ، وأبني همزة القطع ، أي أخى على الطلب .

(٣) كذا في ح وابن الأثير ، وفي ط : « التي » .

إلا ما كان من «باسمك اللهم» ، وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش ، فتفتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش - فيما بلغني - التي كتبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بني هاشم وبني المطلب ، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، فشكت يده (١) .

وأقام بقيتهم بأرض الحبشة ، حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بخير بعد الحديبية . وكان جميع من قدم في السفينتين ستة عشر رجلاً .

• • •

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قريش بمكة يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ، حتى إن كان بعضهم - فيما ذكر - يطرح عليه رجم الشاة وهو يصلي ، ١١٩٩/١

ويطرحها في برمته إذا نُصبت له (٢) ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم - فيما بلغني - حجراً يستتر به منهم إذا صلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمي به في داره على العود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ! ثم يلقيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخليجة هلكا في عام واحد - وذلك فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ، وذلك أن قريشاً

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) ر : ٤٤٥ .

وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه ،
حتى نثر بعضهم على رأسه التراب^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السفيه التراب على
رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته
والتراب على رأسه ، فقامت^(٢) إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب ، وهي تبكي ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بُنَيَّةُ لا تبكي ، فإن الله مانع
أباك ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالت مني قریش
شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٣)

• • •

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف
يلتمس من ثقيف النصر والمنعة^(٤) له من قومه ، وذمير أنه خرج إليهم
وحده ، فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ١٢٠٠/١
قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف - هم يومئذ
سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عير ، وسعود
ابن عمرو بن عير ، وحبيب بن عمرو بن عير ، وعندهم امرأة من قریش
من بني جُمَح ، فجلس إليهم - فدعاهم إلى الله وكلهم بما جاء لهم^(٥)
من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم :
هو يمرط^(٦) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : ما وجد الله

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) في الأصول : وقامت ، وما أثبت من ابن هشام .

(٣) ر : والفصل والمعينة .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يمرطها : أي يمزجها ويرمي بها .

أحدًا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمة أبدًا ؛ لئن كنت رسولًا من الله كما تقول ؛ لأنّ أعظمُ خطرًا من أن أردّ عليك الكلام ؛ ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يش من خيرٍ ثقيب ؛ وقد قال لهم فيها ذكر لي - : إذ فعلتم ما فعلتم فاكموا عليّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذرهم ^(١) ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط ^(٢) لعنبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظيل حبل ^(٣) من عنب ، فجلس فيه ، وأبنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف . وقد لقي ١٢٠١/١ رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - تلك المرأة من بني جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا ^(٤) من أحمايك ! فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال - فيما ذكر لي : اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهّتي ، أو إلى علوّ ملكته أمري ؛ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ! ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى ^(٥) حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رأى ابنا ربيعة : عتبة وشيبة ما لقي ، تحرّكت له رجليهما ،

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذرهم » ؛ يعني يحرم بينهم ، قال صيد : وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتِي عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبل : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العتبى : الرضا .

فدَعَوْا له غلامًا لهما نصرانيًّا ؛ يقال له عدَّاس ، فقالا له : خذ قِطْفًا^(١) من هذا العنب وضعه في ذلك الطَبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرَّجُل ، فقل له يأكل منه ؛ ففعل عدَّاس ، ثم أقبل به حتَّى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، قال : « بسم الله » ، ثم أكل ، فنظَرَ عدَّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أَى البلاد أنت يا عدَّاس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصراني ، وأنا رجلٌ من أهل نيسوى^(٢) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمينُ قرية الرَّجُل الصَّالح يونس بن متى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخِي ، كان نبيًّا وأنا نبيٌّ ، فأكَبَّ^(٣) عدَّاس على^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّل رأسه ويديه ورجليه ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه^(٥) : أَمَا غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عدَّاس قالَا له : ويلك يا عدَّاس ! مالك تقبِّل رأسَ هذا الرَّجُل ويديه وقدميه ! قال : ياسيتدي ما في [هذه]^(٦) الأرض خيرٌ من هذا الرَّجُل ! لقد خبَرَنِي بأمر لا يعلمه^(٧) إلَّا نبيٌّ ، فقالَا : ويحك يا عدَّاس ! لا يصرفنك عن دينك ، فإنَّ دينك خيرٌ من دينه .

ثم إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطَّائِف راجعًا إلى مكَّة حين يس من خيرٍ ثَقِيف ، حتَّى إذا كان بنخلة ، قام من جَوْف اللَّيْلِ يصلي ، ففرَّ به نفرٌ من البُحَنِّ الذين ذَكَرَ الله عزَّ وجلَّ .

قال محمد بن إسحاق : وهم — فيما ذكر لي — سبعة نفر من جنِّ أهل

(١) القِطْف : اسم للمتَّوَدِّع ، وأصله اسم لكل ما يقطف .

(٢) نيسوى : قال أبو ذر الغفَّري : « ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحها » .

(٣) د : « فأكَبَّ » .

(٤) م : « على رأس » .

(٥) ح : « للآخر » .

(٦) من م .

(٧) م : « بما لا يعلمه » .

نَحْيِيْبِيْنَ الْيَمِيْنِ ، فَاسْتَمَعُوْا لَهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَوْاْ اِلَى قَوْمِهِمْ مُّسْتَلْزِمِيْنَ ،
 قَدْ اٰمَنُوْا وَاٰجَبُوْا اِلَى مَا سَمِعُوْا ، فَقَصَّ اَللّٰهُ حَزَّ وَجَلَّ خَبْرَهُمْ عَلَيْهِ :
 ﴿ وَاِذْ صَرَفْنَا اِلَيْكَ فَرَّاهِمَ مِنَ الْجِيْنِ يَسْتَمِعُوْنَ الْقُرْآنَ ﴾ - اِلَى قَوْلِهِ :
 ﴿ وَيُحِيْرُكُمْ مِنْ هٰذَا بَآئِرٍ اٰلِيْمٍ ﴾ ^(١) . وَقَالَ : ﴿ قُلْ اُوْحِيَ اِلَيَّ اَنْهُ
 اسْتَمَعَ تَقْرِءُ مِنَ الْجِيْنِ . . . ﴾ اِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبْرِهِمْ فِيْ هَذِهِ السُّورَةِ ^(٢) .

قَالَ مُحَمَّدٌ : وَتَسْمِيَةُ التَّقْرِءِ مِنَ الْجِيْنِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا ^(٣) الْوَحْيَ - فَمَا بَلَغَنِيْ -

حَسَبًا ، وَسَيًّا ، وَشَاصِرًا ، وَنَاصِرًا ، وَابْنًا الْاَرْدَ ، وَابْنِيْنَ ، وَالْاَحْقَمَ .

• • •

قَالَ : ثُمَّ قَدِمَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، وَقَوْمُهُ اَشَدُّ مَا كَانُوْا
 عَلَيْهِ مِنْ خِيْلَافِهِ وَفِرَاقِ دِيْنِهِ ، اِلَّا قَلِيْلًا مُّسْتَغْفِرِيْنَ بِمَنْ اٰمَنَ بِهِ .
 وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ اَنْ رَّسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اَنْصَرَفَ مِنَ الطَّلَافِ
 مَرِيْدًا مَكَّةَ مَرَّ بِهِ بَعْضُ اَهْلِ مَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 هَلْ اَنْتَ مُبَلِّغٌ حَتَّى رِسَالَةِ اَرْسَلِكَ بِهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : اَنْتَ الْاَخْنَسُ
 ابْنُ شَرِيْقٍ ، فَقُلْ لَهُ : يَقُوْلُ لَكَ مُحَمَّدٌ : هَلْ اَنْتَ مُجِيْرِيْ حَتَّى اَبْلُغَ رِسَالَةَ
 رَبِّيْ ؟ قَالَ : فَاَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ الْاَخْنَسُ : اِنْ الْحَلِيْفَ لَا يُجِيْرُ
 عَلَى الصَّرِيْحِ . قَالَ : فَاَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاَخْبَرَهُ ، قَالَ : تَعُوْذُ ؟ قَالَ :
 نَعَمْ ، قَالَ : اَنْتَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، فَقُلْ لَهُ : اِنْ مُحَمَّدًا يَقُوْلُ لَكَ : هَلْ
 اَنْتَ مُجِيْرِيْ حَتَّى اَبْلُغَ رِسَالَاتِ رَبِّيْ ؟ . فَاَتَاهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ ، قَالَ : فَقَالَ :
 اِنْ بَنِيْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ لَا تُجِيْرُ عَلَى بَنِيْ كَعْبٍ . قَالَ : فَرَجَعَ اِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاَخْبَرَهُ ، قَالَ : تَعُوْذُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : اَنْتَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ ،
 فَقُلْ لَهُ : اِنْ مُحَمَّدًا يَقُوْلُ لَكَ : هَلْ اَنْتَ مُجِيْرِيْ حَتَّى اَبْلُغَ رِسَالَاتِ رَبِّيْ ^(٤) ؟
 قَالَ : نَعَمْ ، فَلْيَدْخُلْ ، قَالَ : فَرَجَعَ الرَّجُلُ اِلَيْهِ ، فَاَخْبَرَهُ ، وَاَصْبَحَ الْمُطْعِمُ

(١) سُورَةُ الْاَحْقَافِ ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سُورَةُ الْجِيْنِ ، وَالْخَبْرُ فِي ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٣) م : « سَمِعُوْا » .

(٤) ح : « عَلِ اَنْ اَبْلُغَ » .

ابن عدى قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل ، قال : أمٌجيرٌ أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجرنا من أجرت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وأقام بها ، فدخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا نبيكم يا بني عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة : وما تنكيرُ أن يكونَ منا نبيٌ أو ملك ! فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم — أو سمعه — فأتاهم ، فقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة فواقه ما حميتَ الله ولا لرسوله ، ولكن حميتَ لأنفك ، وأما أنت يا أبا جهل بن هشام ، فواقه لا يأتي عليك غير كبير ^(١) من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً . وأما أنتم يا معشر الملا من قريش ، فواقه لا يأتي عليكم غير كبير ^(٢) من الدهر حتى تدخلوا فيها تنكرون ، وأنتم كارهون .

• • •

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضُ نفسه في المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته] ^(٣) ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد يُحدثُ أبي ، قال : إني لتُغلامٌ شابٌ مع أبي بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسولُ الله إليكم ، يأمرُكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون ^(٤) من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي

(١) د : كبير .

(٢) ح : كبير .

(٣) من د .

(٤) م : ما يعبد .

وَقَصِدَ قَوْلِي وَتَمْنَعُونِي ، حَتَّى أَيْبِنَ عَنْ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ .

قال : وَخَلَعَهُ رَجُلٌ أَحْوَكَ وَضَىءٌ ، لَهُ غَدِيرَتَانِ^(١) ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ عَدْنِيَّةٌ ،
فَإِذَا فَرَّخَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَمَا دَعَا إِلَيْهِ ، قَالَ الرَّجُلُ :
يَا بَنِي فَلَانٍ ، إِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَسْلُخُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى مِنْ أَهْنَائِكُمْ ،
وَحُلَفَاءِكُمْ مِنَ الْجَنِّ مَنْ بَنَى مَالِكُ بْنُ أَقْيَشٍ ، إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ
وَالضَّلَالَةِ ، فَلَا تَطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا لَهُ .

قال : فَقُلْتُ لِأَبْنِي : يَا أَبَتِ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّبِعُهُ ، يَرُدُّ عَلَيْهِ
مَا يَقُولُ ؟ قال : هَذَا عَمَةُ عَبْدِ الْعُزَّى أَبُو لُبَّ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَطَهُمَ سَيْدَهُمْ ، يُقَالُ لَهُ مُلْتَجٍ ،
فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُصَيْنٍ ،
أَنَّهُ أَتَى كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ إِلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمُ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُمُ : يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ ، إِنْ
اللَّهُ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ . فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَّضَ عَلَيْهِمْ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ :
حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بَنِي حَتَّيْفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَعَرَّضَ

(١) الغديرة : اللطافة من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم^(١)

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فقدمهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْتَحَرَّةَ بن فراس^(٢) : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب . ثم قال له : أرايت إن نحن تابعتك^(٣) على أمرك^(٤) ، ثم أظهرك الله على مَنْ خالفك ، أيبكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أفتهدف^(٥) نحورنا للعرب دونك ، فإذا ظهرت كان الأمرُ لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه ، فلما صدّر الناس ، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركته السن ؛ حتى لا يقدر على أن يوافقَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدثوه^(٦) بما يكون في ذلك الموسم ؛ فلما قدّموا عليه ذلك العام ، سألمَ عما كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطلب ؛ يزعم أنه نبي ، يريدعو^(٧) إلى أن نمنعه^(٨) ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل للذئابها^(٩) من مطلب ! والذي نفسُ فلان بيده ما تقولها إسماعيل^(١٠) قط ! وإنها لحقّ ، فأين كان رأيكم عنه !

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) في ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « تابعتك على أمرك » .

(٤) ح : « قابتك وأتانا بك » .

(٥) كلما في ابن هشام ؛ أى تصير هدفاً يرمى ، وفى ج : « أهدف » .

(٦) ح : « يحدثوه » .

(٧) ر ، وابن هشام : « يدعونا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذئاب الطائر ؛ إذ أفلت من الحباله .

(١٠) أى ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعوا القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، لا يسمع بقادم يقدم من العرب ؛ ١٢٠٧/١ له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الظفري ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سويد بن صامت - أخو^(٢) بني عمرو بن عوف - مكة حاجاً أو معتمراً ، قال : وكان سويد إنما يسميه قومه لبهم الكامل ، بلجده وشعره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذي يقول :

الْأَرْبُ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرَى^(٣)
مَقَالَتَهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالنَّيْبِ مَا ثَوَّرَ عَلَى ثَفْرَةِ النَّعْرِ^(٤)
يَسْرُكُ بِأَدْيِهِ وَتَحْتَ أُدْيِهِ نَيْمَةُ غَيْشٍ تَبْرِي عَقَبَ الظَّهِرِ^(٥)
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَأَيْمٌ وَلَا جِنَّ بِالْبُفْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِ
فَرَشَنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي^(٦) ١٢٠٨/١
مع أشعار له كثيرة بقولها^(٧) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : واحد .

(٣) يفري : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف المشوي .

(٥) تبري : تقطع ، وعقب الظهر : حبه .

(٦) راسه : قواه ، وبراه : أضفاه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لَا تَحْصِنُنِي يَابْنَ زُعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَمَنْ كُنْتُ تُرْدِي بِالْعُيُوبِ وَتَحْتَلُّ
نَحَوْتُ قَرْنًا إِذْ صُرِفَتْ بِعَزَمٍ كَذَلِكَ إِنْ الْحَازِمُ الْمُحْصُولُ

قال : فتصدّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعلّ الذي معك مثلُ الذي معي ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال : مجلّة (١) لقمان - يعنى حكمة لقمان - فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها عليّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنّ هذا لكلام (٢) حسنٌ ، معي أفضلُ من هذا ؛ قرآنُ أنزله الله عليّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إنّ هذا لقولٌ حسنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان قومه ليقولون : قد قتل وهو مُسلمٌ ، وكان قتله قبل بُعث (٣) .

• • •

حدثنا ابنُ حمّيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الثخين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، أخو بني عبد الأشهل ، عن عمود بن تبيد ، أخى بني الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسولُ الله ، بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب . ثم ذكر لهم (٤) الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعاذ - وكان ١٢٠٩/١

(١) المجلة : الصحيفة ؛ قال السبيل : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عتاف بن سرور - فيما ذكروا - وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاربان - فيما ذكر الزجاج وغيره . وقيل في اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميري . »

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم » .

غلاماً حديثاً : أى قوم ، هذا والله خير مما جئتم^(١) له . قال : فيأخذ أبو الحيمر أنس بن رافع حنفة من البطحاء ، فضرب بها وجه إياس ابن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة . فكانت وقعة بعثت بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأعبرني من حضره من قوى عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون بهل الله ويكبره ، ويحمده ويستحبه ، حتى مات ، لما كانوا يشكون أن قدمات مسلماً ، لقد كان استنصر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع^(٢) .

• • •

قال : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذى لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فيينا هو عند العقبة إذ لى رهطاً من الخرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن حُمَيد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق : فحدثني حاصم ابن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخرج ، قال : أمين مولى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وثلا عليهم القرآن .

قال : وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم ١٢١٠/١

(١) ح : « جئنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

ببلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلْمٍ ، وكانوا أهلَ شركٍ ، أصحابُ أوْثانٍ ،
 وكانوا قد عزَّوهم ببلادهم^(١) ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا لهم : إن نبيًّا
 الآن مبعوثٌ قد أظَلَّ زمانه ، نَتَّبِعْهُ وَنَقْتُلْكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عادٍ ولَأمٍ . فلما كلَّم
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النِّفَرُ ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم
 لبعض : تَعَلَّمُنْ وَاللهُ إِنَّهُ للنَّبِيُّ الَّذِي تُوْعِدُكُمْ^(٢) به يهود ، فَلَا يَسْبُقُكُمْ^(٣) إِلَيْهِ .
 فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، بِأَن صَدَّقُوهُ ، وقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ
 الْإِسْلَامِ ، وقالوا له : إنا قد تَرَكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمَ يَنْتَهَمُ مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالشَّرِّ
 مَا بَيْنَهُمْ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ بِكَ ، وَنَقْدَمَ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ ،
 وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجْبَنَّاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ،
 فَلَا رَجُلَ أَهْزَأَ مِنْكَ . ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعِينَ إِلَى
 بِلَادِهِمْ ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا .

وهم - فيما ذُكِرَ لِي - سِتَّةُ نَفَرٍ مِنَ الْخَزَرَجِ : مِنْهُمْ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ
 - وَهُمْ تِسْعَةُ آلَةٍ - ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَزَرَجِ
 ابْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَامِرٍ ، أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عُدَّاسَ بْنِ حُبَيْدٍ
 ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَثَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ
 ابْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادَ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَثَمَ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ^(٤)
 وَمِنْ بَنِي زُرَّيْقَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ هَنْتَضَبَ بْنِ جُشَمَ
 ابْنِ الْخَزَرَجِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَامِرٍ ، رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ
 ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَّيْقَ^(٥) .

١٢١١/١

وَمِنْ بَنِي سَلَمَةَ بْنِ سَعْدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَسَدَ بْنِ سَارِدَةَ بْنِ تَرِيدَ بْنِ
 جُشَمَ بْنِ الْخَزَرَجِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَامِرٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَوَادَ ،

(١) عزَّوهم : غلبهم ، وفِ ابْنِ هِشَامٍ : « غزَّوهم » .

(٢) ابْنِ هِشَامٍ : « تَوَعَّدَكُمْ » .

(٣) ابْنِ هِشَامٍ : « تَسْبِقُكُمْ » .

(٤) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « وَهُوَ عَفْرَاءُ بِنْتُ عَمِيدَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ » .

(٥) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « يُقَالُ : عَامِرٌ مِنَ الْأَزْرَقِ » .

قُتَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَدِيدَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَوَادٍ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِيمَةَ .
وَبَنُو بَنِي حَرَامٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِيمَةَ ، عَقْبَةُ
ابْنِ عَامِرٍ بْنِ نَابِي بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَرَامٍ .

وَمِنْ بَنِي حُبَيْدٍ بْنِ خَدِيجٍ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلِيمَةَ ، جَابِرُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِقَابٍ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَتَانَ بْنِ حُبَيْدٍ^(١) .

• • •

قال : فلما قَدِمُوا المدينة على قومهم ، ذكروا لم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعَوْهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ
الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حتى إذا كَانَ
الْعَامُ الْمُقْبِلُ ، وَافِيَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَقَوْهُ بِالْعَقْبَةِ ،
وَهِيَ الْعَقْبَةُ الْأُولَى ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَيْعَةِ النَّسَاءِ ؛
وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ ؛ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي النَّجَارِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ١٢١٢/١
ابْنُ عُدَّاسٍ بْنُ حُبَيْدٍ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَارِ ؛ وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ ؛
وَعَوْفٌ وَمُعَاذُ ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ النَّجَارِ ؛ وَهُمَا ابْنَا عَقْرَاءَ .

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ بْنِ عَامِرٍ ، رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَسْجَلَانِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ
ابْنِ زُرَيْقٍ ، وَذِكْوَانُ^(٢) ابْنُ عَبْدِ قَيْسٍ بْنِ خُلْدَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ زُرَيْقٍ .

وَمِنْ بَنِي عَوْفٍ ابْنِ الْخَزْرَجِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غَنْثَمٍ بْنِ عَوْفٍ - وَهُمْ الْقَوَائِلُ -^(٣)
عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ أَصْرَمَ بْنِ فَيْهَرٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنْثَمٍ بْنِ عَوْفٍ
ابْنِ الْخَزْرَجِ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ خَزْمَةَ بْنِ أَصْرَمَ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ تَمَارَةَ ، مِنْ بَنِي غُضَيْيَةَ^(٤) مِنْ بَكِيٍّ ، حَلِيفٌ لَهُمْ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجر أنصاري » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القوائِلُ ؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له

مهاجراً ، وقالوا له : قُوتِلْ يَثْرِبَ حَيْثُ شِئْتَ » .

(٤) في ابن هشام : « غُضَيَّة » .

ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عَبَّاس بن عَبَّادَة
ابن نَضْلَة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنَم بن سالم بن عَوْف .
ومن بنى سَلِمة ، ثم مِين بنى حَرَام ، عَقْبَة بن عامر بن نَابِي بن
زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنَم بن كَعْب بن سَلِمة .
ومن بنى سَوَاد ، قُطَيْبَة بن عامر بن حديدَة بن عمرو بن سواد بن غَنَم بن
كعب بن سَلِمة .

وشهد بها من الأَوْس بنُ حَارِثَة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى
الأَشْهَل : أَبُو الهَيْثَم بن التَّيْهَان^(١) ؛ اسمه مالك ، حليف لهم .
ومن بنى عمرو بن عوف ، عَوْتَم بن ساعدة بن صَلْعَجَة^(٢) ، حليف لهم^(٣)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنِي ،
عن أبي عبد الرحمن بن عُسَيْلَة الصَّنَابْجِي ، عن عَبَّادَة بن الصَّامِت ، قال :
كنت فيمَنْ حَضَرَ الْعَقْبَة الْأَوَّلَى ؛ وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، فبَايَعْنَا رَسُولَ
الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعَةِ النِّسَاء ؛ وذلك قبل أن تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ ؛
على الْإِنْفَاقِ ، لا نَسْرِقُ ولا نَزْنِي ، ولا نَقْتُلُ أَوْلَادَنَا ، ولا نَأْتِي بِبَهْتَانٍ
نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، ولا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ ؛ فَإِنْ وَقَعْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ،
وإنْ خَشِيتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأَخَذْتُمْ بِحُدُودِهِ فِي الدُّنْيَا ؛ فَهُوَ كَفَّارَةٌ^(٤) لَهُ ، وَإِنْ
سَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللهِ ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ ، وَإِنْ شَاءَ
غَفَرَ لَكُمْ^(٥) .

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ أَنَّ ابْنَ
شِهَابٍ ذَكَرَ عَنْ عَائِلَةَ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِي ، عَنْ عَبَّادَة بْنِ

(١) قال ابن هشام : « التَّيْهَانُ يَخْفَفُ وَيَقْتَلُ » .

(٢) ح : « صُلْجَة » .

(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧

(٤) م : « الْكَفَّارَةُ » .

(٥) ح : « عَفَا عَنْكُمْ » . والخبر في ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سَكَمَة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فلَمَّا انصرف عنه القومُ بعث معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُصْعَب بن
عَمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار بن قُصَيٍّ ، وأمره أن يقرئهم القرآن ،
ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى مُصْعَب بالمدينة المقرئ ،
وكان مَنزكُهُ ^(١) على أسعد بن زُرارة بن عُلُس أبي أَمَامَة ^(٢) .

• • •

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ، أنَّ أسعدَ بن زُرارة خرج بِمُصْعَب بن عَمير ، يريد
به دارَ بني عبد الأشهل ، ودار بني ظَنَر ، وكان سعد بن مُعَاذ بن النعمان
ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخل به حائطًا من حوائط
بني ظَنَر ^(٣) ، على بئر يقال لها بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما
رجالٌ ممن أسلم ، وسعد بن مُعَاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر يومئذ سيدا قومهما من
بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشرك على دين قومه ، فلَمَّا سمعا به ، قال سعد
ابن مُعَاذ لأُسَيْد بن حُضَيْر : لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين
قد أتيا دارنا ^(٤) ، ليسفها ضغفانا ، فازجرهما وأنهما أن يأتيا دارنا ^(٥) ، فإنه
لولا أنَّ أسعد بن زُرارة مَنى حيث قد علمت ، كَفَيْتُكَ ذلك ؛ هو ابن خالتي ،
ولا أجِد عليه مقدما . فأخذ أُسَيْد بن حُضَيْر حَرَبَتَهُ . ثم أقبل إليهما ؛

(١) قال السهيلي : « منزل ، بفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب ، من منزل فلان
على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو جبر ، بفتح
الزاي » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : « واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس »

(٤) ابن هشام : « دارنا » .

فلما رآه أسعد بن زُرارة قال مُصْعَبُ : هذا سيّد قومه قلدجاءك ، فاصدق الله فيه . قال مُصْعَبُ : إن يجلس أكلّمه ، قال : فوقف عليهما متشتمًا ، فقال : ما جاء بكما إلينا ، تسفّهان ضعفاءنا ! اعتزلانا^(١) إن كانت لكما في أنفسكما حاجة . فقال له مُصْعَبُ : أو تجلسُ فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ، ثم ركر حربته ، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصْعَبُ بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يلزم عنهما : والله لنعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، في إشرافه وتسفّله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدّين ؟ قالوا له : تغتسل ، فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل ، وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلًا ، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ، وبأسرله إليكما الآن ، سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته ، وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلّوس في ناديه ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسيدٌ بن حُضَيْرٍ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النّادي ، قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدّثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخَفِّروك^(٢) ، قال : فقام سعد مُغضبًا مبادرًا تخوفًا للذي ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئًا ، ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتمًا ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رميت هذا

١٢١٥/١

١٢١٦/١

(١) ح : « اعتزلا » .

(٢) الإخفار : نقص العهد .

مِنِّي . تفشاناً^(١) في دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمصعب : أَيْ مُصْعَب !
جامعك والله سيّد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ،
فقال له مصعب : أَوْ تَقْعَد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورفضتَ فيه قبيلته ،
وإن كرهته عزلنا عنك ما نكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم رَكَر الحربة ،
فجلس فعرّض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالوا : فعرّضنا والله في وجهه
الإسلام قبل أن يتكلّم به ، في إشرافه وتسهّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟
قالا : نغتسل فطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّي ركعتين .
قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، وركع ركعتين ،
ثم أخذ حريته فأقبل حامداً إلى نادى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ؛ فلما
رآه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب
به من عندكم ، فلما وقف عليهم ، قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون
أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيّة ، قال : فإن كلام
رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أسمى
في دار عبدي الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو الناس
إلى الإسلام حتى لم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١
إلا ما كان من دار بني أميّة بن زيد وخطمة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس
الله ؛ وهم من أوس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ؛
وهو صيّق ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم
عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك^(٢) حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة ؛ ومضى بدّرواً وحّدوا الخندق .

(١) ح : تفشان .

(٢) ح : كذلك .

قال : ثم إنَّ مُصعب بن مُخمير ، رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى المؤمنين مع حُجَّاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ؛ فواعظوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله^(١) ، وإذلال الشرك وأهله^(٢) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني معتب بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين ، أخو بني سلمة ، أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدثه أن أباه كعب ابن مالك حدثه - وكان كعب ممن شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا ، وقد صلبنا وفقهنا ، ومعنا البراء ابن معرور ، سيدنا وكبيرنا . فلما وُجِّهنا^(٣) لسفرا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : والله يا هؤلاء ، إني قد رأيتُ رأياً ، والله ما أرى أنوافقوني عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ ألا أدعَ هذه البنية متى يظهر - يعنى الكعبة - وأن أصلي^(٤) إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبيتنا أنه يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إني لمُصلٍ إليها ، قال : فقلنا له : لكننا لا نفعل ، قال : فكننا إذا حضرت الصلاة صلبنا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

١٢١٨/١

قال : وقد عينا عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك ؛ فلما قد منّا مكة قال لي : يا بن أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عما صنعتُ في سفرى هذا ، فإني والله لقد وقع في نفسى منه شيء ؛ لما رأيت من خلافكم لربائى فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنا لانعرفه ،

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ - ٢٧٣

(٣) وجَّهنا : توجهنا .

(٤) ر : « فصل » .

ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ قلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العباس ابن عبد المطلب عمه ؟ قلنا : نعم - قال : وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً - قال : فإذا دخلنا المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب ، قال : فدخلنا المسجد ، فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العباس ، فسلمنا ، ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك - قال : فواقه ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم - قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني يظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فإذا ترى ١٢١٩/١ يا رسول الله ؟ قال : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها ! فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهل يرمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم . قال : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق .

قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر ، أخبرناه ^(١) ، وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمركا ، فكلّمناه ، وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من سادتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا لنا غدا . ثم دعوتناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لربانا العقبة .

قال : فأسلم ، وشهد معنا العقبة - وكان قريبا - فبنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، نسلل مستخفين تسلل القطا ؛ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم ^(١) امرأتان من نساءهم : نسيبة بنت كعب أم ثُمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسما بنت عمرو بن عدى ، إحدى نساء بني سكمة ؛ وهى أم منيع ؛ فاجتمعنا بالشعب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له ؛ فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار : الخزرج ؛ خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ؛ وهو في عز من قومه ومنعة في بلده ؛ وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم والحق بكم ؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ؛ ويأمنوه ممن خالفه ؛ فأنتم وما تحمّلتم ^(٢) من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فمن الآن فدعوه ؛ فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلم يا رسول الله ؛ ونخذ لنفسك وربك ما أحببت .

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البراء بن معمر بيده ، ثم قال : والذي بعثك بالحق ، لنمنعنك مما تمنع منه أزرتنا ^(٣) ، فبايعنا يا رسول الله ؛ فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ^(٤) ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

(١) ابن هشام : « ومنا امرأتان من نساينا » .

(٢) ج : « حملتم » .

(٣) أزرتنا : أى نساينا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٤) الحلقة ، أى السلاح .

قال : فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم -
أبو الهيثم بن التبتان ، حليف بنى عبد الأشهل ، فقال : يا رسول الله ،
إن بيننا وبين الناس حيالاً وإننا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت
إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك ، وقد عنا !
قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدّم الدّم ، الهدم الهدم ١٢٢١/١
الهدم^(١) أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم النسي عشر نقيماً ،
يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا اثني عشر نقيماً ، تسعة من الخزرج وثلاثة
من الأوس^(٢) .

حدثنا ابن جُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :
فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال للنباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة
الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا : نعم .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن
إسحاق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن القوم لما اجتمعوا
ليعمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ،
ثم أخو بنى سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تباعون
هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود
من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلوا
أسلمتموه ، فمن الآن فهو والله خزي^(٣) الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

(١) قال ابن قتيبة : « كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دى دك ، وهدم ،
دمك ، أى ما هدمت من السماء هدمته أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٣) ر : « خزي في الدنيا » .

تروث أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ، على نهكة^(١) الأموال ، وقتل الأشراف فخلوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذ على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : أبسط يدك ، فبسط يده فبايعوه . ١٢٢٢/١

وأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليشد العتد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . وأما عبد الله بن أبي بكر ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سكول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله أعلم أي ذلك كان ؛ فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يديه^(٢) ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم ابن التيهان^(٣) .

قال ابن حميد ، قال : سلمة ، قال محمد : وأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني — قال أبو جعفر : وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد — قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال : فحدثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ؛ ثم تتابع القوم ؛ فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفل صوت سمعته قط : يا أهل الجباب^(٤) هل لكم في ملتم والصبا^(٥) معه ، ٢٢٣/١ . قد اجتمعوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول علو الله ؟ هذا أرب العقبة ، هذا ابن أرب^(٦) ؛ اسمع علو الله ؛ أما والله لأفرعن

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفي م : « تهلكة الأموال » .

(٢) ح : « يده » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ .

(٤) قال ابن هشام : « الجباب : المنازل » .

(٥) الملام : المسموع غاية اللم . والصبا : جمع صاب ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذا أسلم زين النبي عليه السلام : « صاب » .

(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أرب » ، وأرب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا^(١) إلى رجالكم. فقال له العباس ابن عباد بن فضالة: والذي بعثك بالحق لن شئت لنعميل غدا على أهل مِثِّي بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمَر بذلك ؛ ولكن ارجعوا إلى رجالكم ، قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فمِئنا عليها ؛ حتى أصبحنا ؛ فلما أصبحنا غدَّت علينا جِلَّةٌ قريش حتى جاعونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ؛ إنا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ؛ وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا أن تتشَبَّ الحرب بيننا وبينهم منكم ؛ قال : فانبعث من هناك من مشركي قومتنا يحملون لهم بالله : ما كان من هذا شيء وما علمناه .

قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض ؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزرجي ، وعليه نعلان جديدان^(٢) .

قال : فقلت كلمة كأتى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ؛ أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلٍ هذا الفتي من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجله ؛ ثم رى بهما إلى ، وقال : والله لتتعلنئهما . قال : يقول أبو جابر : مَهْ أَحفظت^(٣) والله الفتي ! فاردُّ^(٤) ١ / ١٢٢٤ عليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردُّهما ؛ قال والله صالح ؛ والله لن صدق الفأل لأسلبته .

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبه وما حضر منها^(٥) .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غير ابن إسحاق : كان مقدّم من قدم على النبي صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار في ذى الحجة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكة بقية ذى الحجة من تلك السنة ، والمحرم

(١) ارفضوا : تفرقوا .

(٢) قال السهيل : « النعل مؤنث ؛ ولكن لا يقال : . جديدة في الفصح من الكلام ؛ وإنما

يقال : ملحة جديد ؛ لأنها في معنى جديدة ، أي مقطوعة » .

(٣) أسفظت : أغضبت .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨

وصفر ، وخرج مهاجراً إلى المدينة في شهر ربيع الأول ، وقدِمَ بها يوم الاثنين
لاثنى عشرة ليلة خلت منه .

وحدثني عليّ بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبد الوارث -
قال عليّ بن نصر : حدثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث :
حدثني أبي - قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ،
عن عروة ، أنه قال : لما رجع من أرض الحبشة من رجع منها ممن كان هاجراً^(١)
إليها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، جعل أهل الإسلام
يزدادون ويكثرّون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناسٌ كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ،
فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلمّا رأته ذلك
قريش تلامت على أن يفتنهم ، ويشدّوا عليهم^(٢) ، فأخلدوهم وحرصوا
على أن يفتنهم ، فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت
فتنة : ففتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم بها ، وأذن
لهم في الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة .

ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نقيياً ، رموس
الذين أسلموا ، فوافوهُ بالحجّ فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهدهم^(٣) ، على
أنّا منك وأنت منا ، وعلى أنه من جاء من أصحابك أوجتأ^(٤) ، فإنّا نمنعك مما نمنع
منه أنفسنا . فاشتدّت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة ، وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج ، وهى التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها :
﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ ﴾^(٥) .

(١) م : مهاجراً .

(٢) م : وعليه .

(٣) م : وعهدهم .

(٤) م : ويشتدوا .

(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سؤل - يعني قريشاً - فقالوا مثل ما ذكر كعب بن مالك من القول لم ، فقال لم : إن هذا لأمرٌ جسيم ، ما كان قوي ليتوثقوا ^(١) على بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرق الناس من منى ، فتنطس ^(٢) القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادَةَ بالحاجر ^(٣) ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ابن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقييًّا ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخلوه ، وربطوا يديه إلى عنقه ينسج ^(٤) رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة ، يضربونه ويجهلون به يجمته ^(٥) - وكان ذا شعر كثير - فقال سعد : ١٢٢٦/١

فوالله إني لفي أيديهم ، إذ طلع عكبي نفر من قريش ، فيهم رجلٌ أبيض وصبيٌّ شعثاع ^(٦) حلوم الرجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا ، فلما دنا مني رفع يديه فلطمني ^(٧) لكمةً شديدة . قال : قلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا ^(٨) خير . قال : فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني ، إذ أرى ^(٩) إلى رجلٍ منهم ممن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ^(١٠) ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أجير ^(١١) لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارته ،

-
- (١) يقال : توثق عليه بكذا ، أي فاته به .
 (٢) كذا في ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أي أكثروا ألبحث عنه ، وفي ط : « تبطن » .
 (٣) ابن هشام : « بأذاخر » .
 (٤) النسج : الشراك الذي يشد به الرجل .
 (٥) في ابن هشام : « يجهلون به » . وأبجفة : جميع الشعر .
 (٦) قال ابن هشام : « الشعثاع : الطويل الحسن » .
 (٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكني لكمة » .
 (٨) ح : « يهتأ » .
 (٩) ر : « أي إلى » .
 (١٠) م : « عهد » .
 (١١) م : « أجيز » .
 (١٢) التجار : جمع تاجر .

وأمنعهم ممن أراد ظلمهم بيلادى ؛ وللعارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك ! فاهتِف باسم الرجلين ، وأذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ؛ وإنه ليهتِف بكما ، ويدكُر أن بينه وبينكما جواراً ، قالوا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالوا : صدقَ - والله إن كان ليُجبر تجارنا^(١) ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . ١٢٢٧/١ قال : فجاء فخلصا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لكم سعداً سهيل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى^(٢) .

• • •

قال أبو جعفر : فلما قدموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشرك ؛ منهم عمرو بن الجحوم ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سليمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو قد شهد العقبة ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتيان منهم ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج فى العقبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عز وجل فى القتال بشروط غير الشروط فى العقبة الأولى ، وأما الأولى فلأنما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الأحمر والأسود على ما قد ذكرت قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدثنا ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادة بن الصامت - وكان أحد النقباء قال : بايعتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة الحرب ؛ وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا فى العقبة الأولى .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى

(١) كلما فى ابن هشام وط ؛ وفى الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ ﴾ (١) ، وبإبائه الأنصار على ما وصفت من بيعتهم ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، واللتحقوا بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ** قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون فيها فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٢٨/١ عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، ثم من بني مخزوم ، أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل ببيعة أصحاب العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، وكان قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أرض الحبشة ، فلما آذنه قريش ، وبلغه إسلام مَنْ أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

ثم كان أول مَنْ قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة ، عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدى بن كعب ، معه امرأته ليل بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن حنيد بن عويج بن عدى بن كعب . ثم عبد الله ابن جحش بن ريثاب ، وأبو أحمد بن جحش - وكان رجلاً ضريب البصر ، وكان يطوف مكة أعلامها وأسفلها بغير قالد - ثم تابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أرسالاً .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يؤذن له في الهجرة . ولم يتخلف معه بمكة أحد المهاجرين إلا أُخِذ فحبس أو فتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قُحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، فطمع أبو بكر أن يكونه (٢) ، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٢٩/١

(١) سورة الأنفال ٣٩ . .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير^(١) بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منسعة ، فحلبوا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحق بهم لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهي دار قصي بن كلاب ، التي كانت قريش لا تقضي أمراً^(٢) إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه^(٣) !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني عمه بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، عن ابن عباس ، قال : حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميسم ، عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى الزحمة ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بت^(٤) له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، مع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى ألا يعيدكم منه رأى ونصح ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش كلهم ، من كل قبيلة ، من بني عبد شمس شيبه وعتبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بني نوفل ابن عبد مناف طعيمة بن عدى وجبر بن مطعم والحارث بن عامر بن نوفل . ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحارث بن كندة . ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام . ومن بني غزوم أبو جهل بن هشام ، ومن بني سهم نبيه

(١) م : من غير بلدهم .

(٢) م : الأمر .

(٣) م : خافوا .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

وَسُئِلَ ابْنُ الْحَجَّاجِ . وَمِنْ بَنِي جُمَحَ أَمِيَّةُ بْنُ خُطَفٍ ؛ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ ^(١) وَغَيْرُهُمْ مَنْ لَا يُعَدُّ مِنْ قُرَيْشٍ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ أَمْرُهُ مَا قَدْ كَانَ وَمَا قَدْ رَأَيْتُمْ ؛ وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا بِمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ، فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا ؛ قَالَ : فَتَشَارَوْا . ثُمَّ قَالَ قَاتِلُ مُنْهَمٍ : احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ ، وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ قَبْلَهُ : زُهَيْرًا ، وَالنَّابِغَةَ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ ؛ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ حَتَّى يَصِيبَهُ مِنْهُ مَا أَصَابَهُمْ .

قَالَ : فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاقَهُ ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ؛ وَاقَهُ لَوْ حَبَسْتُمُوهُ — كَمَا تَقُولُونَ — نَخْرُجُ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمُوهُ دُونَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ ؛ فَلَا وَشَكُوا أَنْ يَثْبُتُوا عَلَيْكُمْ فَيَسْتَرْعَوْهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ يَكَاثِرُوكُمْ حَتَّى يَغْلِبِيَكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ هَذَا ؛ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانظُرُوا فِي غَيْرِهِ .

ثُمَّ تَشَاوَرُوا ، فَقَالَ قَاتِلُ مِنْهُمْ : نَخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا فَتَنْظِيَهُ مِنْ بَلَدِنَا ؛ ^(٢) إِذَا خَرَجَ هُنَا فَوَاللَّهِ مَا نَبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ ، وَلَا حَيْثُ وَقَعَ ، إِذَا ^(٣) غَابَ هُنَا وَفَرَّغْنَا مِنْهُ . فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا ، وَأَلْفَقْنَا كَمَا كَانَتْ .

قَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ؛ أَلَمْ تَرَوْا حَسَنَ حَدِيثِهِ ، وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ ، وَغَلَبَتِهِ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ ؛ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمَنْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ ^(٤) بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحْدِيته حَتَّى يَتَابَعُوهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطَّاعِمَ بِهِمْ ، فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يَفْعَلْ بِكُمْ مَا أَرَادَ . أَدِيرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا !

قَالَ : فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ : وَاقَهُ إِنَّ لِي فِيهِ لِرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ ؛ قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ تَأْخُلُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ

(١) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ ، وَفِي ط : « مِنْهُمْ »

(٢) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ ، وَفِي ط : « غَابَ هُنَا إِذَا » .

(٣) ح : « عَلَى تَلْوِينِهِ » .

فَتَى شَابًا جَلَدًا ، نَسِيًّا وَسِيعًا فِينَا ، ثُمَّ نَعْطِي كُلَّ فِتْنَى مِنْهُمْ سِيفًا صَارِمًا
ثُمَّ يَمِيدُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ فَيَقْتُلُونَهُ فَنَسْتَرِيحُ ، فَلَمَّا نَزَلْنَا
إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ عَلَى حَرْبِ
قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، وَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُمْ .

قال : فقال ^(١) الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا رأي
لكم غيره .

فَفَرَّقَ الْقَوْمَ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مَجْمِعُونَ لَهُ ، فَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْتَ عَلَيْهِ !

قال : فَلَمَّا كَانَ الْعَتَمَةُ مِنَ اللَّيْلِ ، اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ فَرَضَدُوهُ مَتَى
يَنَامُ ، فَيُثْبِنُونَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُمْ ، قَالَ لَعْلَى بْنُ
أَبِي طَالِبٍ : نِمْ عَلَى فِرَاشِي ، وَاتَّشَحَّ ^(٢) بِرِدَى الْخَضِرَى الْأَخْضَرِ ، فَنِمْ فَإِنَّهُ
لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ
فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ ^(٣) .

١٢٣٢/١

قال أبو جعفر : زَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : وَقَالَ لَهُ :
إِنْ أَتَاكَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّكَ تَوَجَّهْتَ إِلَى ثَوْرٍ ، فَمَرَّهُ فَلْيَلْحَقْ
بِي ، وَأَرْسِلْ إِلَيَّ بِطَعَامٍ ، وَاسْتَأْجِرْ لِي دَلِيلًا يَدُلَّنِي عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، وَاشْتَرِ
لِي رَاحِلَةً . ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَ الَّذِينَ
كَانُوا يَرْضُدُونَهُ ^(٤) عَنْهُ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ ، قَالَ :
اجْتَمَعُوا لَهُ . وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، فَقَالَ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ : إِنْ مُحَمَّدًا

(١) ط : « يقول » ، وما أثبت من ابن هشام .

(٢) ابن هشام « واتشح » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٤) ح : « يَرْضُدُونَهُ » .

يَزْعُمُ أَنتُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ فَجَعَلْتُ لَكُمْ جَنَّاتٍ كَجَنَّاتِ الْأُرْدَنِ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَكُمْ مِنْهُ ذَبْحٌ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ ؛ فَجَعَلْتُ لَكُمْ نَارَ تَحْرَقُونَ فِيهَا .

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ . وَأَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ ^(١) ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التَّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ ١٢٣٣/١
يَس : ﴿ يَس . وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ . إِنَّكَ لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، حَتَّى فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ .

فَأَتَاهُمْ أَنَّهُ مَيِّتٌ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ هَا هُنَا ؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا ، قَالَ : خَيَّبَكُمْ اللَّهُ ! قَدْ وَافَّقَ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ مَا تَرَكُ ^(٢) مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ؛ أَلَمَّْا تَرَوْنَ مَا بَكُمْ ؟ قَالَ : فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا عَلَيْهِ تَرَابٌ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَطْلَعُونَ ^(٣) ، فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفَرَّاشِ ^(٤) مُتَشَجِّيًا ^(٥) ، يَبْرُدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ : وَافَّقَ إِنَّ هَذَا لِمُحَمَّدٍ نَائِمٌ ، عَلَيْهِ بُرْدُهُ ؛ فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَقَامَ عَلَى ^(٦) الْفَرَّاشِ ، فَقَالُوا : وَافَّقَ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا ، فَكَانَ مِمَّا نَزَلَ ^(٧) مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا كَانُوا أَجْمَعُوا ^(٨) لَهُ :

(١) ح : « يَرُونَ لَهُ أَثَرًا » .

(٢) ح : « لَمْ يَتْرَكْ » .

(٣) ر : « يَطْلَعُونَ » .

(٤) ح : « فِي الْفَرَّاشِ » .

(٥) ر : « مُتَشَجِّيًا » .

(٦) ر : « مِنَ الْفَرَّاشِ » .

(٧) ح : « أَنْزَلَ اللَّهُ » .

(٨) ح : « أَجْمَعُوا » .

﴿ وَإِذْ يَنْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَنْكُرُونَ وَيَنْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾^(١) وقول الله عز وجل :
﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّبِعُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ
مِنَ الْمَتَرَبِّعِينَ ﴾^(٢)

وقد زعم بعضهم أن أبا بكر أتى علياً فساله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه يلحق بالغار من ثور ، وقال : إن كان لك فيه حاجة فالحقه ،
فخرج أبو بكر مسرعاً^(٣) ، فلحق نبي الله صلى الله عليه وسلم في الطريق ،
فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جرس أبي بكر في ظلمة الليل ،
فحسبه من المشركين ، فأصرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشي ، فانقطع
قبال نعله فلقى إبهامه حجرة فكثر دمها ، وأسرع السعي ، فخاف
أبو بكر أن يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع صوته ، وتكلم ، فعرفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه ، فانطلقا ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله عليه وسلم تستن دماً ، حتى انتهى إلى الغار مع الصبح ، فدخلوا ، وأصبح
الرهط الذين كانوا يرصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا الدار ،
وقام على عليه السلام من فراشه ، فلما دنوا منه عرفوه ، فقالوا له : أين
صاحبك ؟ قال : لا أدري ، أو رقيباً كنت عليه ! أمرتموه بالخروج فخرج ،
فانتهره وضربوه وأخرجوه إلى المسجد ، فحبسوه ساعة ثم تركوه ، ونجى الله
رسوله من مكبرهم وأنزل عليه في ذلك : ﴿ وَإِذْ يَنْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ
أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَنْكُرُونَ وَيَنْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ ﴾ .

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

(٢) سورة الطور ٣٠ ، ٣١ . قال ابن هشام المتن : الموت . وريب المتن : ما يريب

ويعرض منها ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ يَمْزَعُ

والخبر : في ابن هشام ١ : ٢٩٢

(٣) ح : « يمشى مسرعاً » .

قال أبو جعفر : وأَذِنَ الله عزَّ وجلَّ لرسوله صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة ، فحدثنا علي بن نصر الجهمي ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : لَمَّا خرج أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبل (١) ١٢٣٥ / ١ أن يخرج - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقبل أن تنزل هذه الآية التي أمرُوا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ، ولم يكن أمره بالخروج مع مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظرتي ، فلأنى لا أخرى ؟ لعلنى يؤذن لى بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . فلَمَّا استنظره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذى يرجو من ربه أن يأذن له بالخروج ، حبسهما وعكفهما ، انتظارا صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أَمِنَهما ، فلما حبس عليه خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أنطلع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ، فانظره فكنت بذلك (٢) .

فأخبرتني عائشة ، أنهم بينا هم ظُهْرًا فى بيتهم ، وليس عند أبى بكر إلا ابتاء : عائشة وأسماء ، إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظهيرة - وكان لا يخطئه يومًا أن يأتى بيت أبى بكر أوّل النهار وآخره - فلما رأى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم جاء ظُهْرًا ، قال له : ما جاء بك يا نبي الله إلا أمرٌ حدث ؟ فلَمَّا دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبى بكر : أخرج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عَيْنٌ ، إنما هما ابتائى ، قال : إن الله قد أذن لى بالخروج إلى المدينة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، الصحابة ، الصحابة ! قال : الصحابة . قال أبو بكر : خذ إحدى الراحتين - وهما الراحتان اللتان كان يُعليهما أبو بكر ، يُعدّهما للخروج ، إذا ١٢٣٦ / ١

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فكنتا كذلك » .

أَذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعْطَاهُ إِحْدَى الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَقَالَ :
 خُذْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١) ، فَارْتَحِلْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَدْ أَخَذْتُهَا
 بِالثَمَنِ ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مُوَلَّدًا ^(٢) مِنْ مُوَلَّدِي الْأَزْدِ ، كَانَ لِلطُّفَيْلِ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ ^(٣) ، وَهُوَ أَبُو الْحَارِثِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، وَكَانَ أَخَا
 عَائِشَةَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لِأُمَّتِهِمَا ، فَأَسْلَمَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،
 وَهُوَ مَمْلُوكٌ لَهُمْ ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْتَقَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا خَرَجَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ ، كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَتَبِيعَةٌ ^(٤) مِنْ غَنَمٍ
 تَرُوحُ عَلَى أَهْلِهِ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرًا فِي الْغَنَمِ إِلَى ثَوْرٍ ، فَكَانَ عَامِرُ بْنُ
 فُهَيْرَةَ يَرُوحُ بِتِلْكَ الْغَنَمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَارِ فِي ثَوْرٍ ،
 وَهُوَ الْغَارُ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ بَظَهْرَهُمَا رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ
 عَدَى ، حَلِيفًا لِقَرِيشٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، ثُمَّ آلُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ؛ وَذَلِكَ
 الْعَدَوِيُّ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ، وَلَكِنَّهُمَا اسْتَأْجَرَاهُ ، وَهُوَ هَادٍ بِالطَّرِيقِ . وَفِي اللَّيَالِي ^(٥)
 الَّتِي مَكَثَا ^(٦) بِالْغَارِ كَانَ ^(٧) يَأْتِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ يُمَسِّي بِكُلِّ
 خَبَرٍ ^(٨) بِمَكَّةَ ، ثُمَّ يَصْبِحُ بِمَكَّةَ وَيَرْيَحُ عَامِرُ الْغَنَمِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَيَحْلُبَانِ ،
 ثُمَّ يَسْرَحُ بِكُرَّةٍ ^(٩) فَيَصْبِحُ ^(١٠) فِي رُعْيَانِ النَّاسِ ، وَلَا يُقْطَنُ لَهُ ؛ حَتَّى إِذَا
 هَدَأَتْ عَنْهُمَا الْأَصْوَاتُ ، وَأَتَاهُمَا أَنْ قَدْ سَكَبَتْ عَنْهُمَا ، جَاءَهُمَا صَاحِبُهُمَا
 بِعَيْرَيْهِمَا ^(١١) ، فَانْطَلَقَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا بِعَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ يَخْدُمُهُمَا وَيَعِينُهُمَا ،
 يُرْدِفُهُ أَبُو بَكْرٍ وَيُعْقِبُهُ عَلِيُّ رَحْلُهُ ، لَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ إِلَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،

(١) ح : يَا أَيُّ أَفْتِ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(٢) ح : « مَوْلِدًا » .

(٣) ضبطه صاحب التقریب بفتح فسكون .

(٤) المنية : ذَاتُ الْبَيْنِ . وَفِي الْفَائِقِ : « مَتَبِيعَةٌ » .

(٥) ح : « فِي اللَّيَالِ » .

(٦) ح : « مَكَثَا » .

(٧) م : « وَكَانَ » .

(٨) ح : ر : « خَبَرٍ » .

(٩) ح : « فَأَصْبَحَ » .

(١٠) ج : « بِعَيْرَيْهِمَا » .

وأخو بني عدى يهديهما الطريق ، فأجاز بهما في أسفل مكة ^(١) ، ثم مضى ١٢٣٧/١
 بهما حتى حاذى بهما الساحل ، أسفل من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى
 عارض الطريق بعد ما جاوز قُدَيْدًا ، ثم سلك الحرَّارَ ^(٢) ، ثم أجاز على
 ثنية المرأة ^(٣) ، ثم أخذ على طريق يقال لها ^(٤) المدبجة بين طريق تخمق
 وطريق الروحاء ، حتى توافوا ^(٥) طريق العرج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن
 يمين ركوبة ، حتى يطلع على بطن ريم ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بني
 عمرو بن حوف قبل القائلة . فحدث أنه لم يبقَ فيهم إلا يومين - وتزعم
 بنو عمرو بن حوف أن قد أقام فيهم أفضل من ذلك - فاقتراد راحلته
 فاتبعت حتى دخل في دُور بني النجار ، فأراهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 مريدًا كان بين ظهري دورهم .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ،
 قال : حدثني عمرو بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
 قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحدٌ طرفتي النهار
 أن يأتي بيت أبي بكر إما بكرة ، وإما شية ، حتى إذا كان اليوم
 الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالخروج من مكة من بين ظهرائي
 قومه ، أنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها .
 قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ١٢٣٨/١
 هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث . قالت : فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره
 فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي .

(١) م : إلى أسفل مكة .

(٢) م : والحرار .

(٣) ثنية المرأة ، موضع ذكره ياقوت . وفي ح : والمرأة .

(٤) ر : له . والطريق تذكر ويكتف .

(٥) ط : ثم يوافق ، وما أتتبه من ح .

أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ^(١) ، قال : يا نبي الله ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ ، وما ذاك فذاك أبي وأُمِّي ! قال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ لِي بِالْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ ، فقال أبو بكر : الصُّبْحَةُ يا رسول الله ، قال : الصُّبْحَةُ .

قالت : فوالله ما شعرتُ قَطْعَ قَبْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَيْكِي مِنَ الْفَرَحِ ، حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ يَيْكِي مِنَ الْفَرَحِ . ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَيْنِ^(٢) ، كُنْتُ أَحَدُتُهُمَا لَهَذَا . فَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَرْقَمَ - رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَهْمٍ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ مُشْرِكًا - يَبْلُغُهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، وَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا ، فَكَانَتَا^(٣) عِنْدَهُ يَرَاغُمَا^(٤) لِمَعَادِهِمَا ، وَلَمْ يَعْلَمْ - فَبِمَا بَلَغْنِي - يَخْرُوجُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ حِينَ خَرَجَ إِلَّا عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَآلِ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَمَّا عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبِمَا بَلَغْنِي - أَخْبَرَهُ بِخُرُوجِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُوَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَدَاعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَخْشَى عَلَيْهِ إِلَّا وَضَعَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِمَا يَعْرِفُ مِنْ صَدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ . فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخُرُوجِ أَتَى أَبَا بَكْرَ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، فَخَرَجَا مِنْ خَوْضَةِ لَأْبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ تَحَمَّداً إِلَى غَارِ يَثُورَ جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ، فَدَخَلَاهُ ، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عِيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَسْمَعَ لهما مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ ، ثُمَّ يَأْتِيَهُمَا إِذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْخَبَرِ ، وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ نُفَيْرَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرِصَ غَنَمَهُ نَهَارَهُ ، ثُمَّ يُرِيعُهَا عَلَيْهِمَا إِذَا أَمْسَى بِالْغَارِ . وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ^(٥) ، إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يَصِلُحُهُمَا ، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ

١٢٣٩/١

(١) ح : « عَنِّي » .

(٢) ح : « رَاحِلَتَانِ » .

(٣) ح ، م : « فَكَانَتَا » .

(٤) م : « يَرَاغُمَا » .

(٥) ر : « بِالطَّعَامِ » .

صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قریش حين
 قدوة مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قریش
 ومعهم ، ويستمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة
 مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غم
 أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة
 اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم ، حتى ينفى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ،
 وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا بيعيريهما ، وأتتهما ١٢٤٠/١
 أسماء بنت أبي بكر بسفرتيهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما^(١) . فلما ارتحلا
 ذهبت لتعلق السفرة^(٢) ، فإذا ليس فيها عصام فحلت نطاقها^(٣) ، فجعلته
 لها عصاما ، ثم حكفتها به - فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاقين ،
 لذلك - فلما قرب أبو بكر الراحتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرب
 له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فذاك أبى وأمى ! فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : إني لا أركب بعيراً ليس لى ، قال : فهو لك يا رسول الله بأبى
 أنت وأمى ! قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال :
 قد أخذتها بذلك ، قال : هي لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر
 عامر بن فهيرة موله خكفته يخدمهما بالطريق^(٤)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، قال : وجدت عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قریش ، فيهم أبو جهل بن
 هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة
 أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبى ! قالت : فرجع أبو جهل يده -

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها . (٢) السفرة : طعام المسافرين .

(٣) قال ابن هشام : وصمت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ، وتسميه أنها
 لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها اثنين ، فطقت السفرة يوحده ، وانطقت بالآخر . .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ - ٤

وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطبي . قالت : ثم انصرفوا
ومكثنا ثلاث ليال ، لاندري أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
أقبل رجل من الحين ، من أسفل مكة يغني بأبيات من الشعر غناء العرب
والناس يتبعونه ؛ يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو
يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلَا خِيَمَتِي أُمُّ مَعْبَدٍ (١)
هَما نَزَلَاها بِالْهُدَى وَأَعْتَدُوا بِهِ فَأُلْحَقَ مِنْ أَمْسَى رَفِيقِي مُحَمَّدٌ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَبْكَانُ قَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بَرَصَدٍ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وغبد الله بن أرقد دليلهما (٢) .

قال أبو جعفر : حدثني أحمد بن المقلد العجلي ، قال : حدثنا هشام
ابن محمد بن السائب الكلبي ، قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عبس بن
محمد بن أبي عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعت قريش قائلين يقول في
الليل على أبي قُبَيْس :

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَغْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَنِ السَّعْدَانِ ؟ سَعْدُ بَكْر ، سَعْدُ
تَمِيم ، سعد هُدَيْم ! فلما كان في الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

يَا سَعْدُ سَعْدُ الْغَزَرَجِينَ الْفَطَارِفِ
أَجِيبَا إِلَى دَايِ الْهُدَى وَتَمَنِّيَا
عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
فَإِنْ ثَوَّابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى
جَنَّانٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتَ رَقَارِفِ

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من خزاعة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٤٤٤ .

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

• • •

قال أبو جعفر : وقديم دليلهما بهما قباء ، على بني عمرو بن عوف ، لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وتوكلنا قلوبنا ^(١) ، كنّا نخرج إذا صليتنا الصبح إلى ظاهير حررتنا ، ننتظر ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما تبرّح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ^(٣) ؛ فإذا لم نجد ظيلاً دخلنا بيوتنا ، وذلك ١٢٤٣/١ في أيام حارة ؛ حتى إذا كان في اليوم الذي قدّم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظيل دخلنا بيوتنا . وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا ^(٤) كنّا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قبيلة ^(٥) . هذا جندكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر في مثل سينه وأكثرتنا من لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس ^(٦) ، وما نعرفه من أبي بكر ؛ حتى زال

(١) توكلنا قلوبنا : انتظرناه .

(٢) ر : « فننتظر » .

(٣) ح : « للظلال » .

(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنا » .

(٥) بنو قبيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقبيلة : اسم جدة كانت لم .

(٦) ركبته الناس ، أي ازدهسوا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظلمت برداته ، فعرفناه عند ذلك ، فترّل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرّون - على كُثُوم بن هِذَم ، أخى بنى عمرو بن عَوْف ، ثمّ أحد بنى عُبَيْد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمَة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُثُوم بن هِذَم : إنّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كُثُوم بن هِذَم ، جلس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَة ؛ وذلك أنه كان عَرَبًا لا أَهْلَ له ، وكان منازلُ العَرَب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين عنده ؛ فنحنالك يقال : نزل على سعد بن خَيْثَمَة ، وكان يقال لبِيت سعد بن خَيْثَمَة : بيت العَرَب ، فافقه أعلَم أى ذلك كان ، كلاً قد سمعنا .

١٢٤٤/١ ونزل أبو بكر بن أبى قُحافة على خُبَيْب بن أَسَاف ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج بالسُّنَح ، ويقول قائل : كان منزله على خارِجَة بن زيد بن أبى زُهَيْر ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها ؛ حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده إلى الناس ؛ حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترّل معه على كُثُوم ابن هِذَم ، فكان على يقول : وإنّما كانت إقامته بِمَقْبَاء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، ليلة أو ليلتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بِمَقْبَاء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيتُ إنسانًا يأتيها في جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئًا معه ، قال : فاستربتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمّة الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئًا ، ما أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سَهْل بن حَنْظَل بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحد لي ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسّرها ، ثمّ ^(١) جاعني بها ، وقال : احطبي بهذا . فكان على بن

أبي طالب يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني هذا الحديث علي بن هند بن سعد بن سهل بن حنيف ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم ١٢٤٥/١ الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ، وأسس مسجدهم ؛ ثم أخرجهم الله عز وجل من بين أظهرهم يوم الجمعة ؛ وبني عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . والله أعلم .
ويقول بعضهم : إن مقامه بقباء كان بضعة عشر يوماً .

• • •

قال أبو جعفر : واختلف السلف من أهل العلم في مدة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد^(٢) ما استبقي ، فقال بعضهم : كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس الملقب — يقال له أبو زكثير — قال : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني الحسين بن نصر الأملی ، قال : حدثنا عبيد^(٣) الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ؛ قال : أخبرني عائشة وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : • • •

(٣) ر : • • •

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل^(١) عليه القرآن .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فبث بمكة عشرًا .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين من محرمه .

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استتبى بمكة ثلاث عشرة سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - ، عن أبي جهمرة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة ، قال : حدثنا أبو جهمرة الضبيعي ، عن ابن عباس ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة^(٢) ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

(١) د : « ينزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدثني محمد بن معمر ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا زكرياء ابن إسحاق ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثني عبيد^(١) بن محمد الوراق ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعث النبي صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر^(٢) بالهجرة .

• • •

قال أبو جعفر : وقد وافق قول مَنْ قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صيرمة بن أبي أنس ، أخى بنى حدى بن النجار ، فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف كرامة الله إياهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبي الله صلى الله عليه وسلم ، عليهم :

ثَوًى فِى قُرَيْشٍ بَضَعَ عَشْرَةَ حِجَّةً	يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيًا ^(٣)
وَيَعْرِضُ فِى أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ	فَلَمْ يَرَ مِنْ يُؤْوِى ، وَلَمْ يَرَ دَاهِيَا
فَلَا أَنَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ	فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بَطِينَةً رَاضِيَا
وَأَلْقَى صَدِيقًا وَأَطْمَأْنَنْتُ بِهِ النَّوْى	وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنْ اللَّهِ بَادِيَا
يَقْصُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ	وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَا	قَرِيبًا ، وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا ^(٤)
بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ مَالَنَا	وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوُغَى وَالنَّاسِيَا ^(٥)

(١) ر : وعبيد الله .

(٢) ح ، م : وأمر .

(٣) الأبيات فى الاستيعاب ٣٢٢ .

(٤) بعبه فى الاستيعاب :

نُعَادِي الَّذِى عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمَوَاتِيَا
(٢٥)

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
فَأَخْبَرَ أَبُو الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ أَنَّ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي قَوْمِهِ قَرِيشٍ كَانَ بَعْدَ مَا اسْتَنْبَى وَصَدَعَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ بِضْعَ عَشْرَةَ
حِجَّةً .

• • •

وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة :
• ذكر من قال ذلك :

حدثني بذلك الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن إبراهيم بن
إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، واستشهد
بهذا البيت من قول أبي قيس صيرمة بن أبي أنس ، غير أنه أنشد ذلك :
ثَوَى فِي قَرِيشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيًا^(١) !

• • •

قال أبو جعفر : وقد روى عن الشعبي أن إسماعيل قرن برسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه ثلاث سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر
الواقدي ، قال : حدثنا الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي —
قال : وحدثنا إمامنا من لفظه منصور عن الأشعث ، عن الشعبي — قال :
قرن إسماعيل بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، يسمع حسه ،
ولا يرى شخصه . ثم كان بعد ذلك جبريل عليه السلام . قال الواقدي :
لذكرت ذلك لمحمد بن صالح بن دينار ، فقال : والله يابن أخى لقد سمعت
عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة يحدثان^(٢) في

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يصنفان » .

المسجد ورجل عراقى يقول لهما هذا ، فأفكراه جميعاً وقالوا : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذى قُرن به ، وكان يأتيه بالوحى من يوم نُبئى إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابنُ أبي عديّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسماعيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشىء ، ولم يتزل القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فتزل القرآن على لسانه عشرين بمكة وعشرين سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فلعنّ الدين قالوا : كان مقامه بمكة بعد الوحى عشرًا . حدثنا مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحى من الله عز وجل ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الدين قالوا : كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذى استنبأ فيه ، وكان إسماعيل المقرون به وهى السنون الثلاث ٢٥٠/١ التى لم يكن أميرَ فيها بإظهار الدعوة .

وقد روى عن قتادة غيرُ القولين اللذين ذكرت ، وذلك ما حدثت عن رّوح بن حباد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين بمكة وعشرًا بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة .

ذكر الوقت الذي عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدثني زكرياء بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : حدثنا أبو حاصم ، عن ابن جريج ، عن أبي سلمة ، عن ابن شهاب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة - وقد مها في شهر ربيع الأول - أمر بالتأريخ .

• • •

قال أبو جعفر : فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمته إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إن أول من أمر بالتأريخ في الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

• ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا حبان ابن علي العنزي ، عن جبالد ، عن الشعبي ، قال : كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر : إنه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مهاجرة فرق بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد الخزاز ، عن فرات بن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، قال : رفع إلى عمر صك تحمله في شعبان ، فقال عمر : أي شعبان؟ الذي هو آت ، أو الذي نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ضموا للناس شيئاً يعرفونه ، فقال : بعضهم : اكتبوا على تأريخ الروم ، فقيل : لأنهم يكتبون من عهد ذى القرنين ، فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرس ، فقيل : إن الفرس كلنا قام ملك طرح من كان قبله ، فاجتمع^(١) رأيتهم على أن ينظروا : كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ، فكتب التأريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن أمية بن خالد وأبي داود الطيالسي ، عن قرّة بن خالد السلولي ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : أرتخوا ، فقال عمر : ما «أرتخوا» ؟ قال : شئ تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حسن ، فأرتخوا . فقالوا : من أي السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا^(٢) على الهجرة . ثم قالوا : فأى الشهور نبدأ ؟ فقالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، ١٢٥٢/١ فهو منصرف الناس من حجّتهم ، وهو شهر حرام ، فأجمعوا^(٣) على المحرم .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني سعيد بن أبي مریم . وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعاً : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدد ، ما عدوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدوا إلا من مقدّمه المدينة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها ولد عبد الله بن الزبير .

(١) م : « فاجمع » .

(٢) م : « اجتمعوا » .

(٣) م : « فاجمعوا » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا يعقوب
ابن إسحاق بن أبي عماد ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائي ، عن عمرو
ابن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا
نوح بن قيس الطاحي ، عن عثمان بن محضن ، أن ابن عباس كان يقول
في : (والفجر وكيال عشر) ، قال : الفجر هو المحرم ، ف فجر السنة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ،
قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ،
عن عبيد بن عمير ، قال : إن المحرم شهر الله عز وجل ، وهو رأس السنة ،
فيه يكسى البيت ، ويؤرخ^(١) التأريخ ، ويضرب فيه الوريق ، وفيه يوم كان
تاب فيه قوم ، فتاب الله عز وجل عليهم . ١٢٥٣/١

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد^(٢) ، قال : حدثنا
روح بن عباد ، قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ،
أن أول من أرتخ الكتُب يعلى بن أمية ، وهو باليمن ، وأن النبي صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأن الناس أرتخوا لأول السنة ،
ولما أرتخ الناس لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد
ابن صالح ، عن الشعبي ، قال^(٣) : أرتخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه
السلام إلى بنيان البيت ، حين بناء إبراهيم وإسماعيل ، ثم أرتخ بنو إسماعيل
من بنيان البيت ، حتى^(٤) تفرقت ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرتخوا

(٢) هو أحمد بن حنبل .

(١) ح : « يؤرخ التأريخ » .

(٢) ح : « قال » .

(٣) ر : « حين » .

بمخرجهم^(١) ، وَمَنْ بَقِيَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ يُؤَرِّخُونَ مِنْ خُرُوجِ
سَعْدٍ وَتَهْنُدٍ وَجُهَيْنَةَ ، بَنِي زَيْدٍ ، مِنْ تِهَامَةَ ؛ حَتَّى مَاتَ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ ، فَأَرَّخُوا
مِنْ مَوْتِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى الْفِيلِ ؛ فَكَانَ التَّأْرِيخُ مِنَ الْفِيلِ ، حَتَّى أَرَّخَ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ مِنَ الْهِجْرَةِ ؛ وَذَلِكَ سَنَةٌ سَبْعُ عَشْرَةٍ أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ
حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الدَّرَاوَرْدِيُّ ، عَنْ عُمَانَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ ، قَالَ :
سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، يَقُولُ : جَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ ، فَسَأَلَهُمْ ،
فَقَالَ : مَنْ أَيُّ يَوْمٍ نَكْتُبُ ؟ فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مِنْ يَوْمِ هَاجَرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَكَ أَرْضَ^(٢) الشُّرْكِ ، فَفَعَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال أبو جعفر : وهذا الذي رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ مَجَاهِدٍ ، عَمَّنْ رَوَاهُ عَنْهُ فِي تَأْرِيخِ
بَنِي إِسْمَاعِيلَ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُؤَرِّخُونَ عَلَى أَمْرِ مَعْرُوفٍ .
يَعْمَلُ بِهِ عَامَتُهُمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمُؤَرِّخُ مِنْهُمْ يُؤَرِّخُ بِزَمَانِ قُحْمَةَ^(٣) كَانَتْ فِي
نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي بِلَادِهِمْ ، وَلِزَيَّةَ أَصَابَتُهُمْ ؛ أَوْ بِالْعَامِلِ كَانِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ ،
أَوْ الْأَمْرُ الْحَادِثُ فِيهِمْ يَتَشَرَّخِبُهُ عَنْدهُمْ ؛ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلَافُ شِعْرَانِهِمْ
فِي تَأْرِيخَاتِهِمْ ؛ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ تَأْرِيخٌ عَلَى أَمْرِ مَعْرُوفٍ ، وَأَصْلُهُ مَعْمُولٌ عَلَيْهِ ،
لَمْ يَخْتَلَفْ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّبِيعِ بْنِ ضُبَيْعٍ الْفَزَارِيِّ :

هَآنَذَا أَمْلُ الْخُلُودِ وَقَدْ أَذْرَكَ حَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا
أَبَا امْرِئٍ الْقَيْسِ . هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا
فَأَرَّخَ عُمْرَهُ بِحُجْرٍ بَيْنَ عَمْرٍو أَبِي امْرِئٍ الْقَيْسِ .
وَقَالَ نَابِغَةُ بَنِي جَعْفَرَةَ :

(١) د م : « مخرجهم » .

(٢) د : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك الزيبة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأَنِّي مِنَ الشُّبَّانِ أَرْمَانَ الْخُنَّانِ^(١)

فجعل النابتة تأريخه ما أرتخ بزمان علته كانت فيهم عامة .

وقال آخر :

وَمَا مَيَّ إِلَّا فِي إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مَفَارِ ابْنِ هَمَامٍ عَلَى حَيِّ خَنْمَمٍ^(٢)

١٢٥٥/١ فكل واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم في هذه الأبيات ، أرتخ على قرب زمان بعضهم من بعض ، وقرب وقت ما أرتخ به من وقت الآخر ؛ بغير المعنى الذى أرتخ به الآخر ؛ ولو كان لم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدونه ؛ ولكن الأمر فى ذلك كان عندهم إن شاء الله على ما ذكرت ؛ فأما قريش من بين العرب ؛ فإن آخر ما حصلت من تأريخها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل ؛ وذلك عام ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفجار عشرين سنة ، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنين .

• • •

قال أبو جعفر : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقرن بنبوته - كما قال الشعبي^١ - ثلاث سنين : لإسرائيل ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدّمنا الرواية والإخبار به ، ثم قرن بنبوته جبريل عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمره بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرها ، ودعا إلى الله مقيماً بمكة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة فى شهر ربيع الأول من سنة أربع عشرة من حين استنبأ^٢ ، وكان خروجه من مكة إليها يوم الاثنين ، وقلومه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

(١) فى اللسان : « وزن الخنّان وزن ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت فى اللسان (علق) من غير نسبة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولِدَ النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستُنْبِئَ يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، ١٢٠٦/١ وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ، لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

• • •

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمر في تأريخ المسلمين كالذي وصفت ، فإنه وإن كان من الهجرة ، فإن ابتداءهم إياه قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهرين وأيام ، هي اثنا عشر ، وذلك أن أول السنة المحرم ، وكان قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، بعد مضي ما ذكرت من السنة ، ولم يؤرخ التأريخ من وقت قدومه ، بل من أول تلك السنة .

ذكر ما كان

من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا وقت مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها ، وعلى من كان نزوله ، وقدّر مكثه في الموضع الذي نزل^(١) ، وخبر ارتحاله عنه . ونذكر الآن ما لم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدومه ، وهي السنة الأولى من الهجرة . فمن ذلك تجميعه صلى الله عليه وسلم بأصحابه الجمعة ، في اليوم الذي ارتحل فيه من قُبَاء ، وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة حامداً^(٢) المدينة ، فأدركته الصلاة ، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ، ببطن واد لهم — قد اتخذ^(٣) اليوم في ذلك الموضع مسجداً — فيما بلغني — وكانت هذه الجمعة ، أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، فخطب في هذه الجمعة ، وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل .

١٢٥٧/١

• • •

خطبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في أول جمعة جمعها بالمدينة

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي ، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف : الحمد لله ، أحسنه وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة ، على فطرة من الرسل ، وقلته من

(١) ر : « نزل » . (٢) ح : « حامداً إلى المدينة » .

(٣) ح : « اتخذوا » .

العلم، وضلالة من الناس، واقطاع من الزمان، ودفن من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفترط، وفصل ضلالاً بعيداً. وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم، أن يحفظه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل^(١) وخافة من ربه، حوث صدق على ما تبشرون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً^(٢) في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتر المرء إلى ما قدم، وما كان من سيوى ذلك يودّ لو أن ينها بينه وأمدأ بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله روف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز^(٣) وعده، لا خلف للـك، فإنه يقول عز وجل: ١٢٥٨/١ ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْمُبِينِ﴾^(٤). فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإن تقوى الله يوقى مقته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة.

خلوا بظلمكم؛ ولا تفرطوا في جنب الله؛ قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صلحوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أهلأه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجباكم ومقاتم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حى بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون^(٥).

(١) ح : «رجاء» . (٢) ح : «ذكراً وذكرًا» .

(٣) ح : «م» ، «ماجز» . (٤) سورة ق ٢٩ .

(٥) ر : «ما يملكون» .

منه ؛ الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله العظيم ا ا

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب ناقته ، وأرغى لها الزمام ، فجعلت لا تمر بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى التزول عندهم ، وقالوا له : هلم يا رسول الله إلى العدة والعدة والمنعة ، فيقول لهم صلى الله عليه وسلم : خلكوا زمامها فإنها مأمورة ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده ^(١) ، وهو يومئذ ميربذ ^(٢) لفلامين يمين من بني النجار في حجر معاذ بن عقرء ، يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . فلما بركت لم يزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وثبتت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يشتئها به ، ثم التفت خلفها ، ثم رجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ووضعت جيرانها ، ونزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعته الأنصار إلى التزول عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع رحله . فترل على أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب ، في بني غنم بن النجار ^(٣) .

١٢٥٩/١

قال أبو جعفر : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الميربذ لمن هو ؟ فأخبره معاذ بن عقرء ، وقال : هو ليمينى لى ، سأرضيهما . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجداً ، ونزل على أبي أيوب ، حتى بنى مسجده ومساكنه . وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتري موضع مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا في ذلك ، ما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا

(١) و : « المسجد » .

(٢) المراد : الموضع الذى يجفف فيه التمر .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢ .

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن أبي الثَّيَّاح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لبنى النجار ، وكان فيه نخل وحِثْرٌ وقبورٌ من قبور الجاهلية ، فقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثامنوني^(١) به ، فقالوا : لا نبتغي^(٢) به ثمناً إلا ما عند الله . فأمر ١٣٦٠/١ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع ، وبالحِثْرَ فأفسد ، وبالقبور فنبتت ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يصلي في مرابض الغم ، وحيث أدركته الصلاة .

قال أبو جعفر : وتولى بناء مسجده صلى الله عليه وسلم هو بنفسه وأصحابه^(٣) من المهاجرين والأنصار .
وفي هذه السنة بُني مسجد قُباء .

• • •

وكان أول من توفى بعد مقدمه المدينة من المسلمين — فيما ذكر — صاحب منزله كلثوم بن الهيثم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات .

ثم توفى بعده أسعد بن زُرارة في سنة مقدمه ، أبو أمانة . وكانت وفاته قبل أن يتفرَّخ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناء مسجده ، بالذَّبْحَةِ^(٤) والشَّهْقَةِ^(٥) . فحدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد ابن إسحاق . حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بش^(٦) الميت أبو أمانة ليهود ومناقب العرب يقولون : لو كان محمد نبياً لم يمت صاحبُه ؛ ولا أمليكَ لنفسى ولا لصاحبي من الله شيئاً^(٧) .

(١) ثامنوني به ؛ أى اجعلوا لها ثمناً .

(٢) و : « لا نبتغي » .

(٣-٢) و : « وأصحابه المهاجرون » .

(٤) الذبحة : وسم في الحلق يفتح فيقتل .

(٥) الشهقة : الصيحة .

(٦) و : « ليس » .

(٧) سيرة ابن هشام ١٩: ٢

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن
محمّد ، عن الزهري ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كنّى أسعد
ابن زُرارة من الشوكة^(١).

قال ابن حُميد ، قال سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم
ابن عمر بن قتادة الأنصاري أنه لما مات^(٢) أبو أمّامة أسعد بن زُرارة ، اجتمعت
بنو النّجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو أمّامة نقييهم - فقالوا :
يا رسول الله ، إن هذا الرجل قد كان منّا حيث قد علمت ، فاجعل منّا
رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أنتم أنعالي وأنا منكم ، وأنا نقييكم .

قال : وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخصّ بها بعضهم دون
بعض ، فكان من فضل^(٣) بني النّجار الذي تعدّ^(٤) على قومهم ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان نقييهم^(٥).

وفي هذه السنة مات أبو أحنيحة بماله بالطائف . ومات الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل السهّمي فيها بمكة .

• • •

وطيها بتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائشة بعد مقدّمه المدينة بمائشة
أشهر ، في ذي القعدة في قول بعضهم ، وفي قول بعض : بعد مقدّمه المدينة بسبعة
أشهر ، في شوال ، وكان تزوّجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة
وهي ابنة ستّ سنين ، وقد قيل : تزوّجها وهي ابنة سبع .

(١) الشوكة : حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد . واخبر في نهاية ابن الأثير : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بني النّجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يملؤه » . ر : « يد » ، سيرة ابن هشام : « الذي يملون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩ .

حدثنا عبد الحميد بن بيسان السكري ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الصمحاء ، عن رجل من قریش ، عن عبد الرحمن بن محمد ، أن عبد الله بن صفوان وآخر ١٢٦٢/١ معه أتيا عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ، أسمعت حديث حفصة ؟ قال لها : نعم يا أم المؤمنين ، قال لها عبد الله بن صفوان : وما ذلك ؟ قالت : خيلاً في تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما أتى الله مريم بنت عمران ، والله ما أقول هذا فخرأ على أحد من صواحي ، قال لها : وما هن ؟ قالت : نزل الملك بصورتي ، وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهديت لي تسع سنين ، وتزوجني بكرة لم يشركه في أحد من الناس ، وكان يأتيه الوحى وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنت من أحب الناس إليه (١) ، ونزل في آية من القرآن كادت الأمة أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نساؤه غيري ، وقبض في بيتي لم يله أحد غير الملك وأنا .

• • •

قال أبو جعفر : وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما قيل - في شوال ، وبني بها حين بنى بها في شوال .

• ذكر الرواية بذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبني لي في شوال . وكانت عائشة تستحب أن يبني بالنساء (٢) في شوال .

(١) كلا في ر ، وفي ط : « هو » .

(٢) زاد بنما ر : « وأبنة أحب الناس إليه » .

(٣) كلا في ر وفي ط : « بناتها » .

١٢٦٣/١

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أُمّى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عُرْوَةَ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشة ، قالت : تزوّجني رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم في شوال ، وبني بى في شوال ، فأبى نساء رسول الله كانت أحظّلى عنده منى ! وكانت عائشة تستحبّ أن يدخُلَ بالرجال بالنساء (١) في شوال .

قال أبو جعفر : وقيل : إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بنى بها في شوال يوم الأربعاء ، في منزل أُمّى بكر بالسُّنح .

وفي هذه السنة بعثَ النبيُّ صَلَّى الله عليه وسلّم إلى بناتِهِ وزوجتهِ سَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ ، زَيْدَ بنِ حَارِثَةَ وَأَبَا رَافِعٍ ، فحملهنَّ (١) من مكّة إلى المدينة .

ولارجع - فيما ذكر - عبد الله بن أَرْيَظٍ إلى مكّة أخبر عبد الله بن أُمّى بكر بمكان أبيه أُمّى بكر ، فَخَرَجَ عبدُ الله بِعِيَالِ أبيه إليه ، وَصَحْبِهِمْ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ الله ، معهم (٢) أُمّ رُومَانَ ، وهى أُمّ عائشة ، وعبد الله بن أُمّى بكر حتى (٣) قدّموا المدينة .

وفي هذه السنة زَيْدٌ في صلاة الحَضَرِ - فيما قيل - ركعتان ، وكانت صلاة الحَضَرِ والسَّفَرِ ركعتين ؛ وذلك بعد مقدّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم المدينة بشهر ، في ربيع الآخر ، لمُضَى اثنتى عشرة ليلة منه (٤) ، زعم الواقديّ أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

* * *

ولها - في قول بعضهم - وَلَيْدُ عبد الله بن الزُّبَيْرِ . وفي قول الواقديّ : وَلَيْدٌ في السَّنَةِ الثانية من مقدّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم المدينة في شوال .

(١) كذا في ر وفي ط : « بناتها » .

(٢) ر : « معه » .

(٣) م : « حين » .

(٤) ر : « مضت منه » .

١٢٦٤/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن
عُمر الواقدي : ولِد ابنُ الزَّبير بعد الهجرة بعشرين شهراً بالمدينة .

قال أبو جعفر : وكان أولُ مولود ولد من المهاجرين في دار الهجرة ،
فكبر - فيما ذكر - أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُلِد ،
وذلك أنَّ المسلمين كانوا قد تحدَّثوا أنَّ اليهود يذكرون أنَّهم قد سَحَرَوْهم
فلا يُولد لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سروراً منهم بتكذيب الله اليهود
فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماء بنت أبي بكر ، هاجرت إلى المدينة وهي حاملٌ به .

وقيل أيضاً : إنَّ النعمان بن بشير وُلِد في هذه السنة ؛ وإنَّه أول مولود
وُلِد للأَنْصار بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ وأنكر ذلك
الواقدي أيضاً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا الواقدي ،
قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنيفة ، عن أبيه ، عن
جدِّه ، قال : كان أول مولود من الأنصار^(١) النعمان بن بشير ؛ ولد بعد
الهجرة بأربعة عشر شهراً ، فتوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن
ثمانين سنين ، أو^(٢) أكثر قليلاً .

قال : وولد النعمان قبل بدر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن
عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، قال : ذكِر
النعمان بن بشير عند ابنِ الزَّبير^(٣) ، فقال : هو أَسْنُ مني بستة أشهر .

قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزَّبير على رأس عشرين شهراً من مهاجرة

(١) ر : « ولد للأنصار » .

(٢) م : « وأكثر » .

(٣) ح : م : « عبد الله بن الزبير » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهراً في ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : قيل : إن المختار بن أبي عبيد الثقفي وزياد ابن سميّة فيها ولدا .

• • •

قال : وزعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض^(١) لغيرات^(٢) قريش ، وأن حمزة لقي أبا جهل [بن هشام]^(٣) في ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مَجْدِي بن عمرو الجهني فاغترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد .

١١٦٥/١

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد أيضاً في هذه السنة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في شوال ، لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لواء أبيض ، وأمره بالمسير^(٤) إلى بطن رابغ ، وأن لواءه كان مع مسطح بن أثاثة ، فبلغ ثنية المرة - وهي بناحية الجحفة - في ستين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ، فكان بينهم الرمي دون المسابقة^(٥) .

قال : وقد اختلفوا في أمير السرية ، فقال بعضهم : كان أبو سفيان بن حرب ، وقال بعضهم : كان مكرز بن حفص .

قال الواقدي : ورأيت الثبت على أبي سفيان بن حرب ، وكان في مائتين من المشركين .

(١) ر : « ليعترض » .

(٢) الغارات : جمع الغارة وهي الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها ، قال سيوطي : « جمعوه بالألف والياء لمكان التأنيث » وحركوا الياء لمكان الجمع بالياء .

(٣) من ر .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسابقة : الضارب بالسيف .

قال : وفيها عقد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص إلى الخُرَّارِ لواءً أبيض يحملُه المقداد بن عمرو في ذى القعدة . وقال : حدثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر^(١) بن سعد ، عن أبيه ، قال : خرجتُ في عشرين رجلاً على أقدامنا - أوقال : واحد^(٢) وعشرين رجلاً - فكُنَّا نكمنُ النهار ، ونسير الليل حتى صَبَحْنَا الخُرَّارَ صُبْحَ خامسة ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قد عهد إلى آلِ أجواز الخُرَّارَ ، وكانت العيرُ قد سبقَتني قبل ذلك يوم ، وكانوا ستين ، وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين .

• • •

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق في أمر كلِّ هذه السرايا التي ذكرتُ عن الواقدي قوله فيها غير ما قاله الواقدي ، وأنَّ ذلك كلُّه كان في السنة الثانية من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حمَّيد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقي من شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجماديين . ورجب وشعبان ورمضان وشوالاً وذَا القعدة وذَا الحجة - وولى تلك الحجة المشركين - والمحرَّم . وخرج في صفرَ غازیاً على رأس اثني عشر شهراً من مقدَّمة المدينة ، ليشتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، حتى بلغ ودَّان ، يريد قريشاً وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهي غزوة الأنواء ، فوادعته^(٣) فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادَّعه منهم عليهم سيدهم كان في زمانه ذلك ، متخفياً بن عمرو ، رجل^(٤) منهم .

(١) ح : م ، و عامر .

(٢) ح : و في واحد وعشرين .

(٣) وادَّعه : سلَّمه وطلَّعه ألا تحاربه .

(٤) ح : ورجل . . .

قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلقَ كَيْدًا ، فأقام بها بقيةَ صفر وصدراً من شهر ربيع الأول^(١) .

وبعث في مقامه ذلك عبدة بن الحارث بن المطَّلَب في ثمانين أو ستين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بَلَغَ أحياء (ماء بالحجاز بأسفل ثنيةِ المرأة) ، فلقِيَ بها جَمْعًا عظيمًا من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذٍ بسهم ، فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حاميةً ، وفرَّ من المشركين إلى المسلمين الميقداد بن عمرو البهْراني حليف بنى زُهرة ، وعُتْبة بن غَزْوَان بن جابر حليف بنى نوفل بن عبد مناف - وكانا مسلمين ، ولكنهما خرجا يتوصَّلا^(٢) بالكُفَّار إلى المسلمين - وكان على ذلك الجمع^(٣) عِكْرِمَةُ بن أبي جهل :

قال مُحَمَّد : فكانت رايةُ عبدة - فيما بلغني - أول راية هقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام لأحد من المسلمين^(٤) .

وحدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعثه حين أقبل من غزوة الأَبْواء قبل أن يصلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المطلب في مقامه ذلك إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبًا من المهاجرين ، وهي من أرض جهينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بملك الساحل في ثلاثمائة

(١) في السيرة : « قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها » ، وانظر في السيرة ٥٤ : ٢ .

(٢) في ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أي أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

(٣) و : « ذلك الجمع من المشركين » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٥٥ : ٢ .

راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بْنُ عَمْرِو الْجُهَنِّي ، وكان ١٢٦٨/١
مُوَادِعًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فأنصرف القومُ بعضهم عن بعض ، ولم يكن
بينهم قتال .

قال : وبعضُ القومِ يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدتها رسول الله
صلَّى الله عليه وسلَّم لأحد من المسلمين ، وذلك أَنْ بَعَثَهُ وَبَعَثَ
عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ كَانَا مَعًا ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ .

قال : وَالَّذِي سَمِعْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَنَا أَنَّ رَايَةَ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ
كَانَتْ أَوَّلَ رَايَةٍ عَقِدَتْ فِي الْإِسْلَامِ ^(١) .

قال : ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ،
يُرِيدُ قَرِيشًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بُوَاطَ مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى رَجَعَ وَلَمْ يَكُنْ
كَيْدًا ، فَلَبِثَ بَقِيَّةَ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ وَبَعْضَ جُمَادَى الْأُولَى ^(٢) .

ثُمَّ غَزَا يُرِيدُ قَرِيشًا ، فَسَلَكَ عَلَى نَقَبِ بَنِي دِينَارِ بْنِ النَّجَّارِ ، ثُمَّ
عَلَى فَيْفَاءِ الْخَبَّارِ ، فَتَرَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِطُحَاءِ ابْنِ أَزْهَرَ ، يُقَالُ لَهَا :
ذَاتُ السَّاقِ ، فَصَلَّى عِنْدَهَا ، ثُمَّ مَسَجَدَهُ . وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا
طَعَامٌ فَأَكَلَ مِنْهُ وَأَكَلَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَمَوْضِعُ أَثَافِي الْبَرْمَةِ مَعْلُومٌ
هُنَاكَ . وَاسْتَقْبَى ^(٣) لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْمُشِيرِبُ ^(٤) . ثُمَّ ارْتَحَلَ
فَتَرَكَ الْخِلَاقَ ^(٥) بَيْسَارَ ، وَسَلَكَ شَعْبَةَ يُقَالُ لَهَا شَعْبَةُ عَيْدِ اللَّهِ - وَذَلِكَ اسْمُهَا
الْيَوْمَ - ثُمَّ صَبَّ لَيْسَارَ ، حَتَّى هَبَطَ يَكْنِيسَ ، فَتَرَلَّ بِمَجْتَمَعِهِ وَمَجْتَمِعِ
الضُّبُوعَةِ ، وَاسْتَقْبَى لَهُ مِنْ بَثَرٍ بِالضُّبُوعَةِ . ثُمَّ سَلَكَ الْفَرَشَ ، فَرَشَ
مَلِكًا ، حَتَّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصَخِيرَاتِ الْيَمَامِ . ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقَ حَتَّى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستقى » ؛ وما أثبت من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المُشِيرِب » .

(٥) في ياقوت : « وَكَانَ لَعِيدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ يُقَالُ لَهَا الْخِلَاقُ بِنَوَاحِي الْمَدِينَةِ » .

نزل العُشْبِرَة من بطن يَتْنَبُع ، فأقام بها بقية جُمادى الأولى وليالى من جُمادى الآخرة ، ووادَعَ فيها بنى مُدَلَج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلقَ كيداً .

وفي تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم من غَزْوَةِ العُشْبِرَة بالمدينة إلّا ليلَى قلائل لا تَبْلُغ العَشْر ، حتى أغار كُرُزُ بن جابر القهري على سَرَح المدينة ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في طلبه ، حتى بلغ وادياً يقال له سَعْوَان من ناحية بدر ، وفاتته كُرُز فلم يدركه ، وهى غزو بدر الأولى ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقية جُمادى الآخرة ورجب وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سَعْد بن أبى وقاص في ثمانية رهط ^(١) .

١٢٧٠/١

• • •

وزعم الواقدي أن في هذه السنة — أعنى السنة الأولى من الهجرة — جاء أبو قيس بن الأسلت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فقال : ما أحسنَ ما تدعو إليه ! أنظرُ في أمرى ، ثم أعود إليك . فلقيةُ حيدُ الله بن أبى ، فقال له : كرهت والله حرب الخروج ! فقال أبو قيس : لا أسلم ^(٢) سنة ، فبات في ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨٠٥٧ .

(٢) ابن الأثير : « إل سنة » .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - في قول جميع أهل السَّيَر - فيها ، في ربيع الأوَّل بنفسه غَزْوَةَ الْأَبْوَاء - ويقال وَدَّان - وبينهما ستة أميال هي بحداثتها ، واستخلف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة حين خرج إليها سعدُ بن عُبَادَةَ بن دُكَيْم . وكان صاحبَ لوائه في هذه الغَزَاة حمزة بن عبد المُطَّلِب ، وكان لوائه - فيما ذكر - أبيض .

وقال الواقدي: كان مقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قدِم المدينة.

• • •

قال الواقدي: ثم غزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في مائتين من أصحابه ، حتى بلغ بواط في شهر ربيع الأوَّل ، يمرض لِعِمْرَات قريش ، ١٢٧٠/١ وطبها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بغير . ثم رَجَعَ ولم يَلْقَ كَيْدًا .

وكان يحمل لوائه سعدُ بن أبي وقَّاص ، واستخلف على المدينة سعدُ ابن معاذ في غَزْوَتِهِ هذه .

• • •

قال^(١): ثم غزا في ربيع الأوَّل في طلب كُرُزَيْن بن جابر الفِهْرِي من المهاجرين ، وكان قد أغار على سَرَح^(٢) المدينة ، وكان يرعى^(٣) بالجمَّام فاستاقه ، فطلبه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حتى بلغ بدرًا فلم يلحقه ، وكان يحمل لوائه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيدُ بن حارثة .

(١) ح : « قال الواقدي » . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يلقى به ويراح . (٣) ح ، ر : « وكانت ترمى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعترض لِعَبِيرَات قريش حين أبدأت^(١) إلى الشام في المهاجرين - وهي غزوة ذات العُشيرة - حتى بلغ يَنْبُع ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : حدثنا محمد بن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يزيد بن خُثَيْم^(٢) ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلى رقيقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة العُشيرة ، فزلنا متراً ، فرأينا رجلاً من بني مُذَلِج يعملون في نخل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشِينَا التُّعَاسُ ، فعمدنا إلى صَوْر^(٣) من النخل ، فسمنا تحته في دُعَاء^(٤) من التراب ، فما أيقظنا^(٥) إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أتانا وقد تَتَرَبَّعْنَا في ذلك التراب ، فحرك علياً^(٦) برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس ؟ أحمر ثمود عاقر الناقة ، والذي يضرُّك [يا علي]^(٧) على هذا

١٢٧٢/١

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ إذا خرج منها إلى غيرها .

(٢) في ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خُثَيْم » .

(٣) الصور : جماع النخل ، ولا واحد له من لفظه .

(٤) الدُعَاء : التراب اللين .

(٥) في ابن هشام : « فراقه ما أحبنا إلا رسول الله » ، وأهنا : أيقظنا .

(٦) ح : « فحرك علياً » ، وفي ابن هشام : « يحركنا برجله » .

(٧) من سيرة ابن هشام .

— بمعنى قَرَنَتْه — فيمخضِب^(١) هذه منها ؛ وأخذ بلحيته^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم^(٣) المَخَارِي ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن محمد بن خُثَيْم — وهو أبو يزيد — عن عمار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى رقيقين ، فذكر نحوه .

وقد قيل في ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدثني به محمد بن عبيد المَخَارِي ، قال : حدثنا عبيد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل^(٤) بن سعد : إن بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك نَسْبٌ علياً^(٥) عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سَمَّاه بذلك^(٦) إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قلتُ : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : دخل عليّ علي فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في فتيحة المسجد . قال : ثم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علي فاطمة ، فقال لها : أين ابنُ عمك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال : فجاءه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، ونحلتس التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سَمَّاه به إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ووالله ما كان له اسمٌ أحب إليه منه !

• • •

(١) ابن هشام : « حتى يبل منها هذه » .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السهيلي : « وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه ؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده في المسجد قائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يمسح التراب من جنبه ويقول : ثم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار يخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة في المسجد ، ومرة في هذه الفترة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التحريق ، بجمجمة ومثقة ، مصغراً .

(٤) م : « لسهيل » . (٥) م : « علي » (٦) ر ، م : « ذلك » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة في صفر ، الليال بقيت منه ، تزوج علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها ، حدثت بذلك ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مسبرة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي هريرة ، عن أبي جعفر .

• • •

[سرية عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبري : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب كرز بن جابر الفهري إلى المدينة ، وذلك في جمادى الآخرة ، بعث في رجب^(١) عبد الله بن جحش معه ثمانية رهط من المهاجرين^(٢) ، ليس فيهم من الانتصار أحد ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الزهري ويزيد بن رومان ، عن هريرة بن الزبير ، بذلك .

• • •

وأما الواقدي فإنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن جحش سرية في اثني عشر رجلا من المهاجرين .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن هريرة ، قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم له كتاباً — يعني ١٢٧٤/١

(١) زاد ابن هشام : « ومثله من بدر الأول » .

(٢) في ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حليفة بن حبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وابن حلفائهم عبد الله ابن جحش ، وهو أمير القوم ، وحكاشة بن محمد بن حريان ، أحد بني أسد بن خزيمه ، حليف لهم . ومن بني نضل بن عبد مناف حبة بن خزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بني زهرة بن كلاب سعد ابن أبي وقاص . ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة ، حليف لهم من عذ بن وائل ، ووالده بن عبد الله بن عبد مناف بن مرين بن ثعلبة بن يربوع ، أحد بني قيس ، حليف لهم ، وعاله بن البكير أحد بني سعد بن لوث حليف لهم . ومن بني الحارث بن فهر سهيل بن يضاء » .

لعبد الله بن جحش - وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يمين ، ثم ينظر فيه فيُصْغى له أمره به ، ولا يستكره أحدًا من أصحابه ، فلما سار عبدُ الله ابن جحش يمين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه : « وإذا نظرتَ في كتابي هذا ، فسيرٌ حتى تنزلَ نَحْلَةً ^(١) بين مكَّة والطائف ، فترصدُ بها قريشًا ، وتعلمُ لنا من أخبارهم . » فلما نظرَ عبدُ الله في الكتاب ، قال : سمعُ وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أمضيَ إلى نَحْلَةٍ ، فأرصد بها قريشًا حتى آتيتهم منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فليطيق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فأنصُرُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فصلى وصلى معه أصحابه ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمُعْدَن فوق الفُرع ^(٢) [يقال له بُحْران] ^(٣) ، أصل سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غَزْوَان بغيراً لهما كانا يعتقبانه ^(٤) ، فتخلفا عليه في طلبه . وصلى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنحلة ، فترت به عيرٌ لقريش تحمل زبيبا وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمي ^(٥) ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة الهزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة . فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم حُكَّاشَةُ بن عَحْصَن - وقد كان حلق رأسه - فلما رآوه أمِنوا ، وقالوا : هُمَا ^(٦) لا بأس عليكم منهم ^(٧) . وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ؛

(١) : « بنحلة » .

(٢) : كذا ضبطه ياقوت ، بضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهلي : هو بضمين .

(٣) : من سيرة ابن هشام .

(٤) : يعتقبانه ، أي يركبه هذا عقبة وهذا حقبة ، وللمقبية : التوبة .

(٥) : قال ابن هشام : « واسم الحضرمي عبد الله بن عباد ، أحد الصنف ، واسم للصنف عمرو ابن مالك . أحد السكون بن المغيرة بن أقرس بن كنة » ، ويقال : كتنى .

(٦) : همار ، أي محزون ، والاعتبار زيارة البيت الحرام . (٧) : ح : « مه » .

فقال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخلنَّ الحرمَ ؛ فليمتنعنَّ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام . فتردَّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجعوا^(١) عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدَّروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ؛ فرى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضريّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين ؛ حتى قدَّروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قال : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ، أن عبد الله بن جحش ، قال لأصحابه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ممَّا غنمتم الخمس - وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس - فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس الغنيمة ، وقسم سائرهما بين أصحابه ؛ فلما قدَّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقَّف العير والأسيرين ؛ وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا . وقالوا لهم : صنعتم ما لم تؤمروا به ، وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال ؛ وقالت قريش : قد استحلَّ محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدَّم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال من ردَّ ذلك عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ، تغافل^(٢) بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضريّ قتلته واقد بن عبد الله ؛ عمرو وعمرت الحرب ، والحضريّ حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ؛ وقدت الحرب ؛ فجعل الله عزَّ وجلَّ ذلك عليهم لاهم^(٣) .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ على رسوله صلى الله عليه

١٢٧١/١

(١) التفسير : « ثم شجعوا » .

(٢) و : « تغافلا » ؛ وفي التفسير : « تغافل » .

(٣) ح والتفسير : « وهم » .

وَسَلَّمَ : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾ ^(١) الآية .
فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفتح الله عن المسلمين ما كانوا فيه من
الشفق ^(٢) ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ^(٣) .

وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا نغديكموهما ؛ حتى يقدّم صاحبانا - يعني سعد
ابن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما تقتل
صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة ، فقاداهما ^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ؛ فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بدر معونة شهيداً ^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وخالف في بعض هذه القصة محمد بن إسحاق والواقدي
جميعاً السدي ؛ حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
١٢٧٧/١ قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ كُلُّ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ؛ وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر ، عليهم
عبد الله بن جحش الأسدي وفيهم عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة بن
ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان السلمي حليف لبني
نوفل ، وسهيل بن يضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله
اليربوعي ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره
ألا يقرأه حتى يترل بطن ملك ؛ فلما نزل بطن ملك فتح الكتاب ؛
فلذا فيه : أن سير حتى ترل بطن نخلة ؛ فقال لأصحابه : من كان يريد

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) الشفق : الخوف والحذر .

(٣) الخبر إلى هنا في التحرير : ٣٠٢ - ٣٠٠ .

(٤) ابن هشام : فقاداهما .

(٥) ابن هشام : ٢ : ٥٩ ، ٦٠ .

الموت فليتمنّص وليؤمّر ، فلإني مؤمّر وماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسار وتخلّف عنه سعد بن أبي وقاص وعُثْبَةُ بن غزوان ، أخْبَلًا راحلة لهما ، فأتيا بُحْرانَ يطلُبانيها ، وصار ابنُ جَحْشٍ إلى بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كيسان ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمر بن الحضرمي ، فاقْتَلَوْا ، فأسرّوا الحكم بن كيسان وعبد الله بن المغيرة ، واقتلت (١) المغيرة ، وقُتِلَ عمرو بن الحضرمي ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أول غنيمَةٍ غَنِمَها أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما أصابوا من الأموال ، أراد أهل مكة أن يُقَادُوا الأسيرين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حتّى ننظرَ ١٢٧٨/١ ما فعل صاحبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادّى بالأسيرين ، ففجّر (٢) عليه المشركون ، وقالوا : محمّد يزعم أنّه يتبع طاعة الله (٣) ، وهو أولُ من استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب ! فقال المسلمون : إنّما قُتِلَناه في جمادى - وقيل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى - ومحمّد (٤) المسلمون سيوفهم حين دخل رجب ، فأنزل الله عز وجل يُعَيِّرُ أهل مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ الآية (٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد قيل إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان

(١) ح ، و : واقتلت .

(٢) و : وفجّر .

(٣) م : هو .

(٤) و : وأغمد ؛ وغمد السيف وأغمد : أدخله في القعد .

(٥) (الحرير في التفسير : ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

انتدب^(١) لهذا المسير أبا عبيدة بن الجراح، ثم بدا له^(٢) فيه، فندب له عبد الله بن جحش.

• ذكر الخبر بذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى؛ حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، أنه حدثه رجل عن أبي السَّوَّار؛ يحدثه عن جُندَب بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث رجلاً، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح؛ فلما أخذ لينطلق بكى صباباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث رجلاً مكانه يقال له عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا : « ولا تكرهن أحدكم من أصحابك على السير^(٣) معك ». فلما قرأ الكتاب استرجع، ثم قال : سبعا وطاعة لأمر الله ورسوله ! فخبّرهم بالخبر؛ وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا ذلك اليوم من^(٤) رَجَب أو من جُمَادَى ! فقال المشركون للمسلمين : فعلتم كذا وكذا في الشهر الحرام ! فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فحدثوه الحديث، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾، الفتنه هي الشرك.

وقال بعض الذين - أظنه قال - : كانوا في السرية : والله ما تشكوا إلا واحداً؛ فقال : إن يكن خيراً فقد وليت، وإن يكن ذنباً فقد حميت^(٥).

• • •

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبيلة المسلمين من الشام

(١) و : « لذهب » .

(٢) بدا له في الأمر بعدا وبدا : أي نشأ له فيه رأي آخر؛ ومنه قولهم : « هو ذو بدوات » .

(٣) و : « المسير » .

(٤) التفسير : « ولم يدروا ذلك اليوم من رجب أو من جمادى » .

(٥) كلما في م و التفسير، وفي ط و حميت والخبر في التفسير : ٤ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

إلى الكعبة ، وذلك في السنة الثانية من مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة في شعبان .

• • •

واختلف السلف من العلماء في الوقت الذي صُرِّفَ^(١) فيه من هذه
السنة ؛ فقال بعضهم — وهم الجمهور الأعظم : صُرِّفَ في النصف من شعبان
على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال :- حدثنا أسباط ، عن السدي — في خبر ذكره — عن أبي مالك ، وعن
أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود —
و عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان الناس يصلون
قبيل بيت المقدس ؛ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس
ثمانية عشر شهراً من مهاجره ، كان^(٢) إذا صلى رفع رأسه إلى السماء
ينظر ما يؤمر ، وكان يصل قبيل بيت المقدس ؛ فنسختها الكعبة ، وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يصل قبيل الكعبة ، فأنزل الله
عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾^(٣) ، الآية .

١٢٨٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
صُرِّفَ القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة .

وحدثت عن ابن سعد ، عن الواقدي مثل ذلك . وقال : صُرِّفَت القبلة
في الظُّهْر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

• • •

(١) ح : « صُرِّفَت القبلة له » .

(٢) ط : « وكان » ، وباقيته من التفسير .

(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والتعبير في التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنما صُرفت القبلة إلى الكعبة لسنة عشر شهراً مضت من سنَى الهجرة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا المشي بن إبراهيم الآملي ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا همام بن يحيى ، قال : سمعت قتادة ، قال : كانوا يصلُّون نحو بيت المقدس ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلَّى نحو بيت المقدس سنة عشر شهراً ، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام ^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : ١٢٨١/١ سمعتُ ابنَ زيد يقول : استقبل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بيت المقدس سنة عشر شهراً ، فبلغه أن يهودَ تقول : والله ما درى محمدٌ وأصحابه أين قبلتهم حتى هدَّيناهم ! فكرِهَ ذلك النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ ^(٢) الآية .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فُرض - فيما ذكر - صومُ رمضان . وقيل : إنَّه فُرض في شعبان منها . وكان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم حين قدِم المدينة ، رأى يهودَ تصوم يومَ عاشوراء ، فسألهم فأخبروه أنَّه اليوم الَّذي غرَّقَ الله فيه آلَ فرعون ، ونجَّى موسى ومن معه منهم ، فقال : نحنُ أحقُّ بموسى منهم . فصامَ وأمر الناسُ بصومه ، فلمَّا فُرض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .

(١) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، مع اختلاف في الرواية .

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إنَّ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلم خطب الناس قبل [يوم] ^(١) الفِطْرِ يومَ أوَّيَمين ، وأمرهم بذلك . وفيها خرج ^(٢) إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد ، وكان ذلك أوَّلَ خَرَجَةٍ خرجها بالنَّاس إلى المصلى لصلاة العيد .

وفيها - فيما ذكر - حُمِلَت العَنَزَةُ ^(٣) له إلى المصلى فصلى إليها ، وكانت للزبير بن العوام - كان النجاشيَّ وهبها له - فكانت تحمَلُ بين يديه في الأعياد ، وهى اليوم فيما بلغنى عند المؤذنين بالمدينة .

وفيها كانت وقعة بدر الكبرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفار من قريش ، وذلك في شهر رمضان منها .

• • •

ثم اختلفوا في اليوم الذي فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

١٣٨٢/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة ليلة من رمضان ، فإنها ليلة بدر .

حدثنا محمد بن عمار الأسدي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حُجَّير الثعلبي ، عن الأسود

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في شرح مواهب القسطلاني للزرقاني (٣ : ٤٣٧) : « العنزة ، يفتح المهملة والتون والزاي ، قال الخافظ : صاع أقصر من الريح يقال لها سنان ؛ وقيل : هى الحربة القصيرة ، وفى رواية : ضا عليها زج . وفى طبقات ابن سعد أن النجاشي أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ... ، وروى أنها للزبير أهداها من مشرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من الحبشة » .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان ، فإن صبيحتها كانت صبيحة بدر .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عبيد بن محمد الهاربي ، قال : حدثنا ابنُ أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خازجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحِبُّ ليلةً من شهر رمضان كما يحِبُّ ليلة تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفرًا مِنْ أَثَرِ السَّهَرِ ، فقليل له ، فقال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَّقَ فِي صَبِيحَتِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

• • •

وقال آخرون : كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدث عن حُجَير ، عن الأسود وعلقمة ، أن^(١) عبد الله بن مسعود ، قال : التمسوها في سبع عشرة . وثلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ التَّقَىٰ يَجْعَلُ ٱلْجَمْعَ ٱلْحَرَامَ ۚ ﴾^(٢) ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن الزبير بن عدي ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانت بدر صبيحة تسع عشرة من رمضان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله . قال الحارث : قال ابنُ سعد ، قال الواقدي : فذكرتُ ذلك لِمُحمَّد بن

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أن أحدًا من أهل الدنيا شكَّ^(١) في هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان^(٢) ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : ومعتَّ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ، يقولان ذلك . قال لي محمد بن صالح : يا ابن أخي ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال في هذا ! هذا أبين من ذلك^(٣) ؛ ما يحفل هذا النساء في بيوتهن .

قال الواقدي : فذكرته لعبد الرحمن بن أبي الزناد ، فقال : أخبرني أبي ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْثِي ليلةَ سبع عشرة من شهر رمضان ؛ وإن^(٤) كان ليُصْبِحَ وعلى^(٥) وجهه أثر السَّهَرِ ، ويقول : فرَّق الله في صَبِيحَتِهَا بين الحقِّ والباطل ، وأعزَّ في صُبْحِهَا^(٦) الإسلام ، وأنزل فيها القرآن^(٧) ، وأذلَّ فيها أئمةَ الكفر .

١٢٨٤/١

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عَوْن محمد ابن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميَّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسن بن علي بن أبي طالب : كانت ليلة الفُرْقَان يوم التقى الجمعان ، لسبع عشرة من رمضان .

وكان اللَّدى هاجَ وقعة بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش - فيما قال عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر - ما كان من قَتْلِ واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي .

(١) و : « يشك » .

(٢) و : « من شهر رمضان » .

(٣) و : « ذاك » .

(٤) و : « وأنه » .

(٥) م : « على » .

(٦) ح ، و : « صبيحتها » .

(٧) و ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدثنا علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث - قال علي : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدثني أبي - قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلى أبي سفيان وخرجته ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلها ، كانوا ١٢٨٠/١ تجاراً بالشام ، فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارتهم ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى ، وقتل ابن الحضرمي في ناس بنتخله ، وأسيرت أسارى من قريش ، فيهم بعض بني المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقده حليف بني عدى بن كعب ، في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام . ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش^(١) مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقله عديهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ يَكُونَ كَبِيرُ قِتَالٍ إِذَا لَقِوهُمْ ، وَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ يَكُونَ كَبِيرُ قِتَالٍ إِذَا لَقِوهُمْ ۝ ﴾ .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له^(٢) ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل في السفر . وفي م : « رؤساء قريش » .

(٢) سورة الأنفال ٧ ، والظهر في التفسير ١٢ : ٣٩٩ .

(٣) د ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إن محمدًا وأصحابه معترضون لكم ، فأجبروا^(١) تجارتكم^(٢) . فلما أتى قريشًا الخبر - وفي حير أبي سفيان ، من بطون كعب ابن لؤي كلها - نفروا أهل مكة ؛ وهي نفرة بني كعب بن لؤي ، ليس فيها من بني عامر أحدٌ إلا من كان من بني مالك بن حسل ؛ ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ؛ حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا - وكان طريق ركبان قريش ؛ من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام - فخفض^(٣) أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرصد^(٤) على بدر ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرس قريشًا من بدر ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصاة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا^(٥) يحسبون أن قريشًا خرجت لهم ، فيينا النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ؛ إذ ورد بعض روايا^(٦) قريش ماء بدر ، ولين ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ؛ فأخذه النفر الدين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في معرسته ، فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه ؛ لا يحسبون إلا أنه معهم ، فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رموسهم ، ويصدفهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حيث بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ؛ يركع ويسجد يرى ويسمع ما يصنع^(٧) بالعبد ، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ؛ فجعل العبد إذا

١٢٨٦/١

١٢٨٧/١

(١) و : « فأجبروا » .

(٢) م : « فأجبروا تجارتكم » .

(٣) الخفض : السير القين .

(٤) الرصد : المرتصون المترقبون على الطريق .

(٥) و : « ليس » .

(٦) روايا : جمع رواية ، ويراد بالرواية هنا القوم يستقرون الماء على النوايا .

(٧) م : « ما صنع » .

أَذْلَقُوهُ بِالضَرْبِ^(١) وَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ وَأَصْحَابِيهِ^(٢) - وَلَيْسَ لَهُ بِهِمْ عِلْمٌ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَوَايَا قُرَيْشٍ - قَالَ : نَعَمْ ، هَذَا^(٣) أَبُو سَفْيَانَ ، وَالرَّكْبُ حَيْثُذُ اسْفَلَ مِنْهُمْ^(٤) ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَمُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾^(٥) ، فَعَلَفُوا إِذَا قَالَ لَهُمُ الْعَبْدُ : هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَنتَكُمُ ضَرْبُهُ ، وَإِذَا قَالَ لَهُمُ : هَذَا أَبُو سَفْيَانَ تَرْكُوهُ .

فَلَمَّا رَأَى صَنِيعَهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرفت من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم ، فَرَعَوْهُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَلِلدِّي نَفْسِي يِيده ، إِنَّا نَكُفُّ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَّقَ ، وَتَرْكُونَهُ إِذَا كَذَبَ ! قَالُوا : فَإِنَّهُ يَحْدِثُنَا أَنْ قُرَيْشًا قَدْ جَاءَتْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ صَدَّقَ ؛ قَدْ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ تَجِيرُ^(٦) رِكَابَهَا ، فَعَدَا الْغَلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِقُرَيْشٍ ، وَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِأَبِي سَفْيَانَ ، فَسَأَلَهُ : كَمِ الْقَوْمُ^(٧) ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ؛ وَاللَّهِ هُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ^(٨) . فَرَعَوْهُ أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : مَتَى أَطْعَمُهُمْ^(٩) أَوَّلَ مَيِّنٍ أَمْسَ ؟ فَسَمِيَ رَجُلًا أَطْعَمَهُمْ ، فَقَالَ : كَمِ جَزَائِرُ تَحَرَّمُ لَهُمْ^(١٠) ؟ قَالَ : تَسَعُ جَزَائِرُ ، قَالَ : فَتَنَ أَطْعَمَهُمْ أَمْسَ ؟ فَسَمِيَ رَجُلًا ، فَقَالَ : كَمِ نَحْرُ لَهُمُ ؟ قَالَ : عَشْرُ جَزَائِرَ ، فَرَعَوْهُ أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَاتَةِ إِلَى الْأَلْفِ . فَكَانَ نَقْصَرُهُ^(١١) قُرَيْشٌ يَوْمَئِذٍ خَمْسِينَ وَتَسْعِمَاتَةَ .

١٢٨٨/١

(١) أَذْلَقُوهُ بِالضَرْبِ : أَضْعَفُوهُ .

(٢) سَاقَطَ مِنْ ح ، م .

(٣) م : « هُوَ » .

(٤) ر : « مِنْكُمْ » .

(٥) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ٤٢ .

(٦) و : « تَجِيرُ » .

(٧) ح : « سَأَلَهُ عَنِ الْقَوْمِ » .

(٨) ر : « عَدَدٌ كَثِيرٌ » .

(٩) ر : « أَطْعَمَكُمْ » .

(١٠) و : « لَكُمْ » . وَالْجَزُورُ : النَّاقَةُ الْمَجْزُورَةُ ، وَالْجَمْعُ جَزَائِرُ .

(١١) النَّقْصَرُ وَالنَّفَرُ وَالنْفِيرُ : الْقَوْمُ يَنْفَرُونَ إِلَى الْقِتَالِ .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فتزل الماء وملأ الحياض، وصفت عليها أصحابه، حتى قدم عليه القوم. فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا قال: هذه مصارعهم؛ فوجئوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه. فلما طلعا^(١) عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذه قريش قد جاءت بجلبتها^(٢) وفخرها؛ تحادك^(٣) وتكذبُ رسولك! اللهم إني أسألك ما وعدتني.

فلما أقبلوا استقبلهم، فحشًا في وجوههم التراب؛ فهزمتهم الله. وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه: أن ارجعوا^(٤) - والركب الذين يأمرون قريشًا بالرجعة بالجحفة - فقالوا: والله لا نرجع حتى نزل بدرًا، فنقيم به^(٥) ثلاث ليال، ويرانا من غشيتنا من أهل الحجاز؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا. وهم الذين قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾^(٦)؛ فالتصواهم والنبي صلى الله عليه وسلم، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر وشق صدور المسلمين منهم^(٧).

حدثني هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، قال: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن حازمة، عن علي عليه السلام، قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها، فاجتويتناها، وأصابنا بها وعلك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخبر عن بدر؛ فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين، منهم رجل من

١٢٨٩/١

(١) و: «اطلعا».

(٢) ح: و: «بجلبتها».

(٣) ر: م: «تجادل».

(٤) في التفسير: «إنا أجزنا القوم، وأن ارجعوا».

(٥) و، والتفسير: «فيه».

(٦) سورة الأنفال ٤٧.

(٧) الخبر ورد مرفوعًا في التفسير ١٣: ٤٤٣، ٥٧٨.

قريش ، ورسولاً لعنبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فأنفلت^(١) ، وأما مولى
عنبة فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ،
شديد بأسهم ، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ،
شديد بأسهم ، فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم ، فأبى . ثم
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجحر ؟ فقال :
عشراً كل يوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ألف .

ثم إنه أصابنا من الليل طش^(٢) من المطر ، فأنطلقنا تحت الشجر
والجحف^(٣) نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا نعبد في الأرض . فلما أن
طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر
والجحف ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على
القتال ، ثم قال : إن جمّع قريش عند هذه الضلعة^(٤) من الجبل . فلما
أن دنا القوم منا وصافقناهم^(٥) ، إذا رجل من القوم على جمل أحمر يسير
في القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ، نادِ لي حمزة - وكان
أقربهم إلى المشركين - : من صاحب الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يكن في القوم من يأمر بالخير ، فعسى
أن يكون صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتبة بن ربيعة ،
وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إني أرى قوماً مستحيين لا تصلون^(٦)
إليهم وفيكم خير ، يا قوم اعصموا اليوم برأسي ، وقولوا : جبن عتبة
ابن ربيعة ، ولقد علمتم أنني لست بأجنيكم .

(١) ر : « فأفلت » .

(٢) الطش : المطر الصغير فوق الرذاذ .

(٣) الجحف : ضرب من التربة ، واحتها حفرة ، وهي من الجلود خاصة .

(٤) الضلعة : الجانب .

(٥) صاف القوم غيرهم في القتال مصافقة ، أي وقفوا مصطفين .

(٦) و : « لا يصل إليهم » .

قال : فسمع أبو جهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضته^(١) ! لقد ملئت ريشك وجوفك رُعبًا ، فقال عتبة : إياي تُعَيِّر يا مصقر^(٢) استه ! ستعلم اليوم آيتنا أجبن !

قال : فبرز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد ، حمية ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار ستة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن يبارزنا من بنى تحننا من بنى عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي قم ، يا حمزة قم ، يا عبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة بن الحارث ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسروا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا ، فقال : يا رسول الله ، والله ما هذا أسرتي ، ولكن أسرتي رجل أجلح^(٣) من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد آزرك الله بملك كريم . قال علي : فأسير من بنى عبد المطلب العباس وعقيل ونوفل بن الحارث .

حدثني جعفر بن محمد البزوري ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن علي ، قال : لما أن كان يوم بدر ، وحضر البأس اتفقنا برسول الله ، فكان من أشد الناس بأسًا ، وما كان منا أحد أقرب إلى العدو منه .

١٢٩١/١

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب^(٤) ، عن علي ، قال : سمعته

(١) ح : « لعضضته » .

(٢) مصفر استه ، قال السهيل : « إنما أراد مصفر ينفه » ولكنه قصد المبالغة في التلميح ، بالذكر ما يسهو أن يذكر .

(٣) أجلح : انصار الشعر من جانبي الرأس ، وفج : « أجلع للرأس » .

(٤) و : « مصرف » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْدَاد بن الأسود ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائمٌ ، إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائماً إلى شجرة يصلي ، ويدعو حتى الصبح .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جمعَ بأبي سفيان بن حربٍ مقبلاً من الشام في حيرٍ لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم ؛ وفيها ثلاثون راكباً من قريش — أو أربعون — منهم غزوة بن نوفل بن أمية بن عبد مناف بن زهرة ، وعمر بن العاص بن وائل بن هشام ابن سعيّد بن سهم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن مسلم الزهريّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكرٍ ويزيد بن رومان ؛ عن عروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم ١٢٩٢/١ فيها سكتٌ من حديث بدر ، قالوا : لما جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندبَ المسلمين إليهم ، وقال : هذه حيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعلَّ الله أن ينقلبكموها ، فانتدب الناس فحفظ بعضهم وقتل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلتقي حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لقي من الرُكبان تخوفاً على أموال الناس ؛ حتى أصاب خيراً من بعض الركبان ؛ أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحلب عند ذلك ، فاستأجر ضَمَضَمَ بن عمرو الغفاريّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرّض لها في أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق :
وحدثني من لا أتتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد
ابن رومان ، عن عروة ، قال : وقد رأيت عائكة بنت عبد المطلب قبل قدم
ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفرعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب
فقال له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفضعني ^(٢) ، وتفرقت
أن يدخل على قومك منها شرٌ ومصيبة ، فاكتم على ^(٣) ما أحدثك [به] ^(٤)
قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف
بالأبطح . ثم صرخ بأعلى صوته : أن ^(٥) انفروا يا آل خُدرٍ ^(٦) لمصارعكم في
ثلاث ! فأرى الناس ^(٧) اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فينأون
حولَه مَثلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن
انفروا يا آل خُدرٍ لمصارعكم في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس
أبي قُبَيْسٍ ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى
إذا كانت بأسفل الجبل ارفقت ^(٨) فما بقى بيت من بيوت مكة ، ولا دارٌ من
دورها إلا دخلت منها فلقمة .

١٢٩٢/١

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا رأيت فاكتمينا ولا تذكرها لأحد .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ .

(٢) أفضعني : اشتدت علي .

(٣) ابن هشام : « اكتم عني » .

(٤) من سيرة ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « ألا انفروا » .

(٦) كذا في ط ، يضم الدين ويصح الدال . وفي اللسان : « ورجل غادر وغدار ويغدر ويغور ، وكذلك الأثني بغير هاء ، ويغدر (يضم الدين ويصح الدال) ، وأكثر ما يستعمل هذا التثنية في الشتم ، يقال : يا غدر ، وفي الحديث : « يا غدر ، أأنت أسمى في غدرتك ! » ، ويقال في الجمع : يا لغدر (يضم الدين ويصح الدال) ، ومنه حديث عائكة : يا لغدر يا الفجر ! » . وقال السهيلي : « هو يضم الدين والدال ، جمع غدر » .

(٧) في سيرة ابن هشام : « فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه » .

(٨) أي ما حولَه ، مثل به بعيره . ويصل به : قام به » .

(٨) ارفقت : تفرقت .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث ، حتى تحدثت به قريش [في أنديةها] ^(١) .

قال العباس : فغلبت أطوف باليت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش فعودت يتحدثون برؤيا عائكة ، فلما رآني أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . قال : فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبئة ؟ قال : قلت : وما ذلك ؟ قال : للرؤيا التي رأت عائكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسندبص بكم هذه الثلاث ، فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن نمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوافقه ما كان مني إليه كبير إلا أني جمعت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد وافقه فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لا تعرضن له ، فإن عاد لأكفيناكموه ^(٢) .

قال : فغلبت في اليوم الثالث من رؤيا عائكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ، فوافقه إنني لأمشي نحوه أنعرضه ^(٣) ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ،

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا كفيناكموه » .

(٣) ح : « أنعرض له » .

حديد النظر - إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : قلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرقا من أن أشأته ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمغم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ بطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع^(١) بعيره ، وحوّل رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قریش ، اللطيمة اللطيمة^(٢) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تتركوها ، الفوت الفوت !

قال : فشطى عنه وشغله حتى ما جاء من الأمر . فجهز الناس سراعا ، وقالوا : أيقن محمد وأصحابه أن تكون كميبر ابن الحضرمي ! كلا والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلا ، وأوصبت^(٣) قریش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لب بن عبدالمطلب تخلف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكان لاط له^(٤) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعته ، فخرج عنه وتخلف أبو لب^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخا جليلا قبيلا ، فأتاه عقبه بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجسرة يحملها ، فيها نار ومجمر^(٦) ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجير ، فلما أنت من النساء ، قال : قبلك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهز ، فخرج مع الناس ، فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السيئر ، ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا^(٧) .

(١) جدع بعيره : قطع الله .

(٢) اللطيمة : الإبل التي تحمل البز والطين .

(٣) أوصبت القوم : إذا غريبوا كلهم الغزو .

(٤) لاط له : أربى ، وفدح والأغالي : دلت .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، والأغالي ٤ : ١٧١ - ١٧٤ (طبعة الدار)

(٦) المجمر : المود يجمر به .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغالي ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ،
وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش
المسهر ، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك أن يقتلهم ، فبذرى
لهم إبليس في صورة سُرّاقة بن جُعْشُم المُدَلّجى - وكان من أشراف كنانة -
فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتاكم كنانة بشئ تكرهونه . فخرجوا سراعا^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن
غير ابن إسحاق - ثلاث ليالٍ خَلَونَ من شهر رمضان في ثلثائة وبضعة
عشر رجلا من أصحابه ، فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة .
فقال بعضهم ، كانوا ثلثائة وثلاثة عشر^(٢) رجلا .

١٢٩٧/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدثنا
أبو إسحاق^(٣) ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أن أصحاب بدر يوم
بدر^(٤) كعدة أصحاب طالوت ، ثلثائة رجل وثلاثة عشر رجلا ، الذين
جاوَزُوا النهر ، فسكت^(٥) .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا أبو مالك الجثنبي ، عن
الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون
يومَ بدر سبعة وسبعين رجلا ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ،
وكان صاحبُ راية رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب عليه
السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعد بن عُبّادة^(٦) .

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغاني ٤ : ١٧٥ .

(٢) و : « وعشرين » .

(٣) كذا في ط ، و في م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما في ط ، وأبو إسحاق بن روى عن

البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) و : « أنهم كانوا » . (٥) كذا في ط .

(٦) الأغاني ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثائة رجل وأربعة عشر ، من شهد منهم ، ومن ضُربَ بسهمه وأجره ؛ حدثنا بذلك ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثائة وسبعة .

• • •

وأما عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثائة رجل وبضعة عشر رجلا .

ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨/١

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قالوا : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أنّ عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طلوت الذين جاوزوا معه النهر — ولم يَجْزُ^(١) معه إلاّ مؤمن — ثلثائة وبضعة عشر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أنّ أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم كانوا يوم بدر ثلثائة وبضعة عشر رجلا ، على عدّة أصحاب طلوت ، من جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلاّ مؤمن .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ؛ عن سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، بنحوه .

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرّملي ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن مسعر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : عدّة أهل بدر عدّة أصحاب طلوت .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا
ميسعر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن
قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم
بدر : أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت ، وكان أصحاب نبي الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي ، قال : خلتص طالوت في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ،
عدّة أصحاب بدر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
ميسر ، عن قتادة ، قال : كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة
وبضعة عشر رجلاً .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أصحابه ، وجعل على الساقة ^(١) قيس بن أبي صغصمة
أخا بني مازن بن النجار ، في ليال مضت من شهر رمضان ، فسار حتى إذا كان
قريباً من الصفراء ، بعث بسبس بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة
وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر ، يتحسنان ^(٢) له
الأخبار عن أبي سفیان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقد قدّمهما ، فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبيلين - سأل
عن جبيلينهما : ما أمماؤهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مُسْلِح ، وقالوا للآخر :
هذا مُخَرِّج ، وسأل عن أهلها ، فقالوا : بنو النار وبنو حُرّاق (بطنان
من بني غِفَار) ، فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ،

(١) ساقة الجهمش : مؤخرته .

(٢) ابن هشام والأغاني : يتحسنان ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفاءل^(١) بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فتركهما والصفر^(٢) بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأناه الخبر عن قریش بمسيرهم ليمتنعوا عيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قریش ، فقام أبو بكر رضى الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٣) ؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعنى مدينة الحبشة - لخالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم غيراً ، ودعاً له بخير^(٤) .

• • •

حدثنا محمد بن عبيد المحاربى ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : ١٣٠١/١ لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما فى الأرض من شيء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمرارت وجنتاه ؛ فأناه المقداد على تلك الحال^(٥) ، فقال : أبشر يا رسول الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفتح الله لك^(٦) .

• • •

(١) الفأل فى الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفى الحديث : « ويمجنى للفأل الصالح » ، قال فى اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) فى بعض النسخ : « الصفر » . (٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٥) ج ، م : « ذلك الحال » . (٦) الأغانى ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس - وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله ، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ؛ فممنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته ؛ إلا ممن دهمته بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم - فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنت تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقتناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت^(١) بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ؛ ما تخلف منا رجل واحد ؛ وما نكرو أن تلقى بنا عدونا غدا ؛ إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

١٣٠٢/١

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ؛ والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلك على ثنانيا يقال لها الأصافر^(٢) ، ثم انحط منها على بلد يقال لها الدبة ، وترك الحنّان بيمين ؛ - وهو كتيب عظيم كالجبل - ثم نزل قريبا من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب^(٣) ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

(١) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً . (٢) في بعض النسخ : « الصفراء » .

(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الصنري » .

١٣٠٣/١ الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنما ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال : وذلك بذلك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فلأنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدقتني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي حدثني صدقتني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : « ما من ماء ، أمين ماء العراق » (١) !

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نكير من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر عليه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير - فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم ، غلام بني الحجاج ، وعريس أبو يسار ، غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فسألوهما ، فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا لنسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، ففرضوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلم ، فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقاً والله ! إنهما لقريش ، أخبراني : أين (٢) قريش ؟ قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكتيب : العتقنقل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : كم القوم ؟ قالوا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسماً ويوماً عشراً ، قال رسول

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ؟ قال : عُنْتَبَةُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَنُوفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ نُوفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بْنُ نُوفَلٍ ، وَالنَّضَرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَزَيْنَةُ بْنُ الْأَسود ، وَأَبُو جَهْلٍ ابْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنَبِيَّهِ ، وَمُنَبِّهُ ابْنُ الْحِجَاجِ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، ١٢٠٥/١ وعَمْرٍو بْنُ عَبْدِود . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَيْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ^(١) كَيْدِهَا .

قالوا : وقد كان يَسْبِسُ بْنُ عَمْرٍو وَعَدِيٌّ بْنُ أَبِي الزَّغْبَاءِ مَضْيَا حَتَّى نَزَلَا بَدْرًا ، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَخَذَا شَا^(٢) يَسْتَقِيَانِ فِيهِ - وَجَدِيٌّ بْنُ عَمْرٍو الْجُهَنِيُّ عَلَى الْمَاءِ - فَسَمِعَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ جَارَيْتَيْنِ مِنَ جَوَارِي الْحَاضِرِ^(٣) ، وَهُمَا تَتَلَاوِمَانِ^(٤) عَلَى الْمَاءِ ، وَالْمُزْوِمَةُ^(٥) تَقُولُ لِمَا حَبَّتْهُمَا : إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَأَعْمَلَ لَهُمْ ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ . قَالَ : مَسْجُدِي : صَدَقْتَ ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا ، وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا ، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا .

وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ قَدْ تَقَدَّمَ الْعَيْرَ حَذَرًا حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَقَالَ لِهَجْدِيٍّ بْنُ عَمْرٍو : هَلْ أَحْسَسْتِ أَحَدًا ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْكَرُهُ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَاكِبِينَ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَرْنِ لُحْمَا ، ثُمَّ انْطَلَقَا . فَأَتَى أَبُو سَفْيَانَ مَنَاخَهُمَا ، فَأَخَذَ مِنْ أُبْعَارِ بَعِيرَيْهِمَا فَفَتَنَهُ ، فَلِذَا فِيهِ نَوَى^(٦) . فَقَالَ : هَذِهِ وَاقَّةٌ عَلَافٍ يَشْرَبُ ! فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا ، فَضَرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَسَاحَلَ

(١) الأفلاذ : القطع .

(٢) الشن : الزرق البال .

(٣) الحاضر : القوم النازلين على الماء .

(٤) التلازم : تعلق الغريم بغيره .

(٥) المزومة : المدينة .

(٦) ابن هشام : انتهى .

بها^(١) ، وترك بلداً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا بالبحفة رأى جهنم بن الصلت بن مخزومة ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : لئن رأيتُ فيما يرى النائم ، وإنني لبين النائم واليقظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ حتى وقف وبعه بعيرٌ له ، ثم قال : قَتِيلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفُلان وفلان ، فعَدَدَ رجالاً ممن قتل يومئذٍ من أشرف قريش ، ورأيتُ ضرب في لَبَةِ بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خبياء من أخبية العسكر . إلا أصابه تَضَحُّعٌ^(٢) من دمه .

قال : فبلغتُ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخرٌ من بني المطلب ، سَيَعْلَمُ غداً مَنْ المقتول إن نحن التقينا !

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نَرِدَّ بَدْرًا - وكان بلداً موسماً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سوقٌ كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، ونُسَحَّرَ الحُرَّ ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونُسَقَى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون بها يومنا أبداً ، فامضوا . فقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالبحفة : يا بني زُهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل ، ولاتما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بني جُبَنتها وارجعوا ، فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة ؛ لا ما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجعوا ، فلم يشهدوا زهرياً واحداً ، وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نَفَرَ منهم ناس ، إلا بني عدي بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بلداً من هاتين القبيلتين أحداً . ومضى القوم .

(١) ساحل بها ، أي أخذ بها طريق الساحل .

(٢) تَضَحُّع ، أي لطف .

قال : وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين ١٣٠٨/١ بعض قريش مجاورة^(١) ، فقالوا : والله لقد صرّفنا يا بني هاشم - وإن^(٢) خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن^(٣) رجع .

• • •

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبي ، فإنه قال فيها حدثت عنه : شخص طالب بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين ، أخرج كرهاً . فلم يرجد في الأسرى ولا في القتلى ، ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :
يَا رَبُّ إِمَّا يَفْزُونُ طَالِبُ^(٤) فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْقَائِبِ^(٥)
فَلْيَكُنِ السُّلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ^(٦)

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، خلف العنققل ، وبطن الوادي وهو يكتيل ، بين بدر وبين العنققل ، الكتيب الذي خلفه قريش ، والقلب^(٧) ببدر في العدوة الدنيا من بطن يكتيل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهباً^(٨) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ، ولم يمنهم المسير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقتلوا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكادروهم إلى الماء ، ١٣٠٩/١ حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به^(٩) .

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « وإن » .

(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .

(٥) ابن هشام : « في حصة تحالف محارب » ، والمقنب : الجملة من التحليل ، مقدار ثلاثمائة أو نحوها .

(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير واحد من الرواة للشعر .

(٧) القلب : جميع قلب ، وهو البئر .

(٨) الذهب : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملًا .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا أن الحُبَاب ابن المُثَنَّى بن الجُمُوح ، قال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أم ترل أنزلكه الله ليس لنا أن نقتدمه ولا نتأخره ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بلى هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس لك بمترل ، فانهض بالناس حتى نأق أدنى ماء من القوم فنترله ، ثم نغور^(٢) ما سواه من القُلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ، فترل عليه ، ثم أمر بالقُلب فتحورت ، وبني حوضاً على القليب الذى نزل عليه فلىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآية^(٣) . ١٣١٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى بكر ، أن سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نبشنى لك حريشاً من جريد فتكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا^(٤) كان ذلك مما^(٥) أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلعقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ، ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحنك ويجهادون معك . فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه^(٦) خيراً ، ودعا له بخير .

(١) م : « منزل » .

(٢) حور العين ، إذا دفنها ، وفي ابن هشام : « نغور » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والآغا ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) ح : « عليه » .

(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .

(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُعِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ ، فَكَانَ فِيهِ ؛ وَقَدْ ارْتَحَلَتْ قَرِيشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ ، فَأَقْبَلَتْ ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَوَّبَ^(١) مِنَ الْعَقَتَيْنِ - وَهُوَ الْكَيْبُ الَّذِي مِنْهُ جَاءُوا إِلَى الْوَادِي - قَالَ :
اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلَانِهَا وَفَخْرَاهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ؛
اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ فَأَحْنِيهِمْ^(٢) الْغَدَاةَ !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - ورأى عتبة بن ربيعة في القوم ، على جمل له أحمر : إن يكن عند أحد من القوم خير ؛ فعند صاحب الجمل ١٣١١/١
الأحمر ؛ إن يُطِيعوه يَرشُدُوا . وقد كان خُفَافُ بْنُ لِمَاءٍ بن رَحْصَةَ الْغِفَارِيِّ - أَوْ أَبُوهُ لِمَاءُ بن رَحْصَةَ - بعث إلى قريش حين مرّوا به ابناً له يجزائر^(٣) أهداها لهم ، وقال : إن أحبيهم أن أمِدَّكم بسلّاح ورجال فنعلمنا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنة : أن وصلتلك الرّحم^(٤) ! فقد قضيت الذي عليك ؛ فلتعمرى لئن كنا إنما نقاتل الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنا نقاتل الله - كما يزعم محمد - فإلّا لأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فما شرب منهم رجل إلا قُتِلَ يومئذ ؛ إلا ما كان من حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، فإنه لم يُقْتَل^(٥) ؛ نجا على فرس له يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والله نجاتي ١٣١٢/١
يوم بلر^(٦) !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

(١) التصوب : الانحدار من علو .

(٢) أحنيهم : أهلكهم .

(٣) الجزائر : اللبالع ؛ واحدا جزور .

(٤) ابن هشام : « رحم » .

(٥ - ٥) ابن هشام : « فإنه لم يقتل » ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأهاني ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القوم ، بعثوا حمير بن وهب الجُمَحِيّ ، فقالوا : احزُرْ^(١) لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون^(٢) ، ولكن أمهلني حتى أنظر ، ألقوم كبن أم مدَد ؟ قال : فضرب في الوادي ، حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئا ، ولكني قد رأيتُ شيئا معشرَ قريش - الوَلَايا^(٣) تحمل المنايا ، نواضع^(٤) يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم^(٥) منعة ولا منجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى [أن]^(٦) يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رَأْيَكُمْ .

فلما سمع حكيم بن حزم ذلك ، مشى في الناس^(٧) ، فأقى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قريش الليلة وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك ألا تزال^(٨) تذكر منها^(٩) ، بخير إلى آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرمي ! قال : قد فعلت ، أنتَ على بئسك ، إنما هو حليفني فعلى عتقك ، وما أصيب من ماله ، فأنت ابن الحنظلية^(١٠) ، فلأنتي لأخشى أن يشجر^(١١) أمرُ الناس غيره .

(١) الحزُر : الضيق .

(٢) كلما في ابن هشام ، وفي ط : « ينقصونه » .

(٣) الولايا : جمع ولية ، وهي البرذعة التي تكون تحت الرجل ، وفي ابن هشام : « البلياء » .

(٤) النواضع : الإبل التي يستقى عليها الماء . ثم استعمل في كل بئر ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكملة من ابن هشام .

(٧) ح : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام : « فيها » .

(١٠) في ابن هشام : « والحنظلية أم أبي جهل ، وهي أساء بنت مخزبة ، أحد بني نضل

ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » .

(١١) يشجر ، من الشجار ، وهو الخالعة والخاصة .

يعنى أبا جهل بن هشام^(١)

حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنا عثمان^(٢) بن عمرو السهمي ، قال :
حدثني مسور بن عبد الملك اليربوعي ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيب ،
قال : بينما نحن عند مروان بن الحَكَم ، إذ دخل حاجبه ، فقال : هذا
أبو خالد حكيم بن حزام ، قال : إئذْنُ له ، فلما دخل حكيم بن حزام ،
قال : مرحباً بك يا أبا خالد ! ادْنُ ، فحال له مروان عن صدر المجلس ،
حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله مروان ، فقال : حدثنا حديث بَدْر ،
قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأمرها ،
فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بَدْرًا . ثم خرجنا حتى نزلنا العدة التي ذكرها^(٣) ١٣١٤/١
الله عز وجل ، فجئت عتبة بن ربيعة ، فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك أن
تذهب بشرّف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنكم لا تطلبون
من محمد إلا دَمَ ابن الحضرمي ، وهو حليفك ، فتحمل ديتته وترجع
بالناس . فقال : أنت وذاك ، وأنا أتحمّل يديته ، واذهب إلى ابن الحنظلية
— يعنى أبا جهل — فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمنّ مَعك عن ابن عمك ؟
فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه ، وإذا ابن الحضرمي واقف
على رأسه ، وهو يقول : قد فسخت عقدي من عبد شمس ، وعقدي إلى
بنى مخزوم . فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم
عن ابن عمك بمنّ مَعك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ! قلت : لا ، ولم أكن
لأكون رسولاً لغيره . قال حكيم : فخرجت مبادراً إلى عتبة ، لثلاث بقونتي
من الخبر شيء ، وعتبة متكئ على إماء بن رَحْضة الغفاري ، وقد أهدى
إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشر في وجهه ، فقال لعتبة : انفضخ
سحرُك ! فقال له عتبة : ستعلم ! فسَلَّ أبو جهل سيفه ، فضرب به متن
فرسه ، فقال لإماء بن رَحْضة : بشس الفأل^(٤) هذا ! فعند ذلك قامت الحرب^(٥) .

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، ٦٧ ، والأغاني ٤ : ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) ط : « عمارة » ، وافظ الفهرس . (٣) كلما في و ، وفي ط : « قال » .

(٤) الأغاني : « المقام » . (٥) الخبر في الأغاني ٤ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تكلفوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا^(١) منه ماتريدون . قال حكيم : فانطلقت أوم^٢ أبا جهل ، فوجدته قد نكّل^(٣) حرماً له من جرباها ، فهو يهينها^(٤) . فقلت : يا أبا الحكم ، إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا - للذي قال - فقال : انتزع والله سحره^(٥) حين رأى محمداً وأصحابه ، كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ، وما بعثه ما قال ، ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفتم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال له : هذا حكيفك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، قم فانشد خفرتك^(٦) ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكشف ثم صرخ : واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب ، وحكيب^(٧) أمر الناس ، واستحقوا^(٨) على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة .

فلما بلغ عتبة بن ربيعة قول أبي جهل : « انتزع سحره » ، قال : سيعلم المصطفى أسنّه من انتزع سحره ، أنا أم هو ! ثم التمس بيضة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك احتجّر^(٩) على رأسه بيرد له .

(١) الأمان : « ولم تملوا » .

(٢) قل : أخرج .

(٣) ابن هشام : « هينها » ، أي طليها بمكر الزيت .

(٤) انتزع سحره : أي ربه ، يقال ذلك للجان .

(٥) انشد خفرتك : أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أي عهدهم ، لأنه كان حليفاً لهم وبنواً .

(٦) حقب أمرهم : اشتد .

(٧) استحقوا : اجتمع أمرهم .

(٨) الاحتجار : لف الصامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق - فقال : أحاهد الله لأشربن من حوضهم ولا هدمته أو لأموتن^(١) دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة ، فأطن^(٢) قلعه بنصف ساقه ؛ وهو كدون الحوض ، فوقع على ظهره تشخُب^(٣) رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبس إلى الحوض حتى انقحم فيه ، يريد ١٣١٧/١ - زعم - أن يُبرئ يمينه ، واتبه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شعبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دحاً إلى المبارزة ، فخرج إليه شعبة من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفرأ - ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ؟ ثم نادى منادهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب ، فلما قاموا ودكوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفأكم أكرام أبارز عبيدة بن الحارث - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شعبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شية أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه^(٤) ، وكر حمزة وعلي ١٣١٨/١ بأسيافهما على عتبة ، فلحقا^(٥) عليه فقتلاه ، واحتللا صاحبهما عبيدة فجاءا به^(٥) إلى أصحابه ، وقد قطعت رجله ، فحُفها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألسن شهيداً يا رسول الله ! قال :

(١) أطن : اطار .

(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .

(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يلم منها .

(٤) فلحقا عليه : أسرعا لقطعه .

(٥) ابن هشام : « فحازاه » .

بلى ، فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أنى أحق بما قال منه حيث يقول :
وَنُسَلِمُهُ حَتَّى تُنْصَرِّحَ حَوَالَهُ ^(١) وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْخَلَائِلِ ^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :
وحدثني حاصم بن عمر بن قتادة ، أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار
حين انتسبوا : أكفاه كرام ، إنما نريد قومنا ، ثم تراحف الناس ، ودنا بعضهم
من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يعملوا حتى
يأمرهم ، وقال : إن اكتنقكم القوم فانضحوهم ^(٣) عنكم بالنبل ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من
شهر رمضان ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال
محمد بن إسحاق ، كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين . وحدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني
١٣١٩/١ حبان بن واسع بن حبان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح ^(٤) يعدل
به القوم ، لم يستواد ^(٥) بن غزيرة ، حليف بني عدى بن النجار ، وهو
مستنفل ^(٦) من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه
بالقدح ، وقال : استوي يا سواد بن غزيرة ، قال : يا رسول الله أوجعتني
وقد بعثك الله بالحق ، فأقذني ^(٧) . قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بطنه ثم قال : استقيد ، قال : فاعتقه وقبل بطنه ، فقال : ما حملك

(١) انظر إلينا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٨٧-١٩٠

(٢) م : ودونه .

(٣) التلح بالنبل : الرمي به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغاني ٤ : ١٩٠

(٥) القلح : السهم .

(٦) كلما في ط ، وقال ابن هشام : يقال وسواد ، مثقلة ، وسواد في الأنصار غير هذا غطف .

(٧) مستنفل : متخلف . قال ابن هشام : يقال : « مستنفل » .

(٨) أقذني : أي أخلص لي من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى فلم آمن القتل . فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّوْفَ ، ورجع إلى العرش ، ودخله ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة اليوم — يعنى المسلمين — لا تبعث بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله عز وجل منجز لك ما وعدك^(١) . ١٣٢٠/١

• • •

فحدثني محمد بن عبيد المصائبي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : حدثني ممالك الحنفى ، قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعيدهم ، ونظر إلى أصحابه نيئاً على ثلثائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهم أنجز لى ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداؤه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفاك يا نبي الله ، بأبى وأنت وأبى ، مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُبْدٍكُمْ بِالْفَرِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِينَ ﴾^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا الثقفى — يعنى عبد الوهاب — عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال وهو فى قبته يوم بدر : اللهم إني أسألك عهدك وعهدك ، اللهم إن شئت لم تبعث بعد اليوم !

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والتحرير فى التفسير ١٣ : ٤٠٩ ، والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا نبي الله ، فقد ألححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبُرَ . بَلَى السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴾^(١) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خفقت^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ، ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أذاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناباه النقع^(٣) . قال : وقد رُميَ مِهْجَجٌ مولى عمر بن الخطاب بهم فقتل ، فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رُميَ حارثة بن سراقه ، أحد بني عدى بن النجار وهو يشرب من الخوض فقتل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، وقتل كل امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عُمَيْرُ بْنُ الْحُصَامِ ، أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بَخْ بَخْ^(٤) ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلتني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتِلَ^(٥) وهو يقول :

رَكَضًا إِلَى اللَّهِ بِفَيْرٍ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمِلَ الْمَمَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْجَاهِدِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
• غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّغَادِ •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحارث - وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر في الأغاني ٤ : ١٩٢ .

(٢) عقق : نام نوماً خفيفاً .

(٣) النقع : التراب .

(٤) بَخْ ، بكسر الخاء وإسكانها ، كلمة تقال للإعجاب .

(٥) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣ .

عقراء - قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ^(١) الربَّ من عبده ؟ قال : غَمَسُهُ يَدَهُ فِي الْعُلُوِّ حَاسِرًا . فترع دُرْعًا كانت عليه ، فقلعها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ العُثْرِيِّ ، حليف بني زُهْرَةَ ، قال : لما التقى النَّاسُ ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ ، وَأَتَانَا بِمَا لَا يَعْرِفُ ، فَأَحْنِهِ^(٣) الْغَدَاةَ ، فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتَحَ^(٤) عَلَى نَفْسِهِ .

ثم إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفَنَةً مِنَ الْخَصْبَاءِ ، فَاسْتَقْبَلَ بِهَا قَرِيشًا ، ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ! ثُمَّ نَفَّحَهُمْ بِهَا ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : شُدُّوا ، فَكَانَتِ الْمُزِيمَةُ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قَرِيشَ ، وَأَسِيرَ مَنْ أَسِيرَ مِنْهُمْ . فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَاسِرُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَتَوَسِّحًا السِّيفَ ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعُلُوِّ ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ النَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَكَأَنَّكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ !
قال : أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِالْمُشْرِكِينَ ، فَكَانَ الْإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أَعْجَبَ إِلَيَّ^(٥) مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ^(٦) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُودٍ ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) ما يضحك ربك ، أي ما يرضيه غاية الرضا .

(٢) ابن هشام : ٢ : ٦٨ ، ٦٩ . (٣) أحته : أهلكه .

(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا النعاه ، وانظر اللسان (فتح) .

(٥) سيرة ابن هشام : ٢ : ٦٠٩ ، والأغاني : ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرهاً .

قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألحيت^(١) السيف . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة ، يقول : أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضرب^(٢) بن^(٣) عتقه بالسيف ، فوالله لقد نافقت .

١٣٢٤/١

— قال^(٤) عمر : والله إنه لأول يوم كُتاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأبي حفص —

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمين من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عن الشهادة . فقُتِل يوم اليمامة شهيداً .

قال : وإنما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري ، لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت ليرش على بني هاشم وبني المطلب ، فلقيه المجذّر بن زياد البكوي ، حليف الأنصار من بني عدى ، فقال المجذّر بن زياد لأبي البختري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهي عن قتلك — ومع أبي البختري زميل^(٥) له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن ملسحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بني ليث . واسم أبي البختري العاص بن هشام

(١) لألحيت ، أي لأطعن لحه بالسيف وأخاططه ، وقال ابن هشام : ويقال : لألحيت

بالسيف ، أي لأضربه به في وجهه .

(٢) و : « فلا أضرب » ، وكذلك في ابن هشام .

(٣) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذي يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد - قال : وزميلي ؟ فقال : المهجدر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ، قال : لا والله إذا ، لأموتن أنا وهو جميعاً ، لاتحدث عني نساء قريش من أهل مكة أني تركت زميلي حراً صفاً على الحياة . فقال أبو البخري حين نازله المهجدر ، وأبي إلا القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ أَكِيلَةً حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ ١٣٢٥/١

فاقتلا ، فقتله المهجدر بن زياد .

قال : ثم أتى المهجدر بن زياد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والتدي بعثك بالحق ، لقد جهلت عليه أن يستأير قاتيك به ، فأبى إلا القتال ، فقاتلته فقتلته^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال . وحدثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة - وكان اسمي عبد عمرو ، فسميت حين أسلمت : « عبد الرحمن » ، ونحن بمكة - قال : فكان يلقاني ونحن بمكة ، فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سأكه أبوك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : فلأنتي لا أعرف « الرحمن » ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : « يا عبد عمرو » ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بيني وبينك يا أبا علي ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن أمية ، آخذاً يده ، ومعى أذراع قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلما رأي^(٢) قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ،

١٣٢٦/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغاني ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) م : « رأي ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك في ، فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ، هلُمَّ إِذَا^(١) . قال : فطرحْتُ الأذراع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه علي ، وهو يقول : ما رأيتُ كالיום قطاً ! أما لكم حاجة في اللبن^(٢) ؟ قال : ثم خرجت أمشي بهما^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه ، آخِذُ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم ، المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنني لأقودهما إِذْ رآه بلال ممي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام فيخرجه إلى رَمَضَاءَ^(٤) مكة إِذَا حَمِيَتْ ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ - فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أمية ابن خلف ، لا نجوتُ إن نَجَوْتُ^(٥) ، قال : قلت : أي بلال ، أسيرى^(٦) ! قال : لا نجوتُ إن نجوا . قال : قلت : تسمع^(٧) يا ابن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجوا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأس الكفر أمية ابن خلف ، لا نجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا في مثل المسكة^(٨)

١٣٢٧/١

(١) ابن هشام : « ها اقد ذا » ، وها تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد بالبن ، أن من أسرى افتديت منه بإبل كثيرة البن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والألفاظ ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) الرضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) في ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبأ سيري » .

(٧) ابن هشام : « اسمع » والتسميع : التشهير .

(٨) في مثل المسكة ، أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحاطوا بنا .

وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ^(١١) ، قَالَ : فَضْرِبْ رَجُلٌ ابْنَهُ فَرَقَعَ . قَالَ : وَصَاحَ أُمَيَّةٌ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهَا قَطُّ . قَالَ : قُلْتُ : ائْتِجْ بِنَفْسِكَ ، وَلَا نَجَاءَ ، فَوَاقَهُ مَا أَغْنَى عَنْكَ شَيْئًا . قَالَ : فَهَبْرُوهُمَا^(١٢) بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى قَرَعُوا مِنْهُمَا .

قَالَ : فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ بَلَالًا ! ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرِي^(١٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، قَالَ : أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بَنَاءً عَلَى بَدْرٍ ، وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ . نَتَنَظَّرُ الرُّقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ، فَتَنْتَهِبُ مَعَنَا مِنْ يَنْتَهِبُ . قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ ، إِذْ دَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ ، فَسَمِعْنَا فِيهَا حَمْحَمَةَ الْحَيْلِ ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا : ١٣٢٨/١ يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيِزُومَ^(١٤) . قَالَ : فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَانْكَشَفَ قِنَاعَ قَلْبِهِ فَاتَّ مَكَانَهُ ، وَأَمَّا أَنَا فَكَلَّمْتُ أَهْلِيكَ ، ثُمَّ تَمَاسَكْتُ^(١٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقَ بْنُ يَسَّارٍ ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي مَازِنَ بْنِ النَّجَّارِ ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ — وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرٍ — قَالَ : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رِجَالًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَضْرِيهِ ، إِذْ وَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَصْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ^(١٦) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ بِمَنْحَا : وَقَالَ : فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ « ؟ » وَيُقَالُ : أَخْلَفَ الرَّجُلُ السَّيْفَ ، إِذَا سَلَّهُ مِنْ غَمِّهِ .

(٢) هَبْرُوهُمَا : قَطَعُوهُمَا . (٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٧١ ، وَالْأَغَاثِيُّ ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٤) قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْخَثَنِيُّ . « قَالَ ابْنُ سُرَّاجٍ : أَقْدِمَ ، كَلِمَةً تَزْجُرُ بِهَا الْحَيْلُ ، وَحَيِزُومَ

اسْمُ فَرَسٍ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُقَالُ فِيهِ : جَبْرِوَنٌ » .

(٥) ابْنُ هِشَامٍ ٢ : ٧١ ، وَالْأَغَاثِيُّ ٤ : ١٩٨ .

(٦) هُوَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْبُكَيْرِ .

كثير ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخزّمة ، عن أبي أمامة ابن سَهْل بن حَنْتِف ، قال : قال لي أبي : يا بُنَيَّ ، لقد رأيتُنا يوم بدر ، وإنّ أحدنا ليشيرُ بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف^(١) .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنِي الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمام بيضاً قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمام حمراً ، ولم تقاثل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون^(٢) .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد : وحدّثنِي ثور بن زيد مولى بني الدَّيْل ، عن عكرمة مولى ابنِ عباس ، عن ابن عباس قال : وحدّثنِي عبد الله بن أبي بكر ، قالاً : كان معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة يقول : لما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حذوه ، أمرَ بأبي جهل أن يلتصق في القتل ، وقال : اللهم لا يعجزنك ، قال : فكان أول من لقى أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرّجة^(٣) وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلّص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمدت نحوه ، فلما أمكني حملت عليه فضربت ضربة أظنّت^(٤) قدّمه بنصف ساقه ، فوالله ما شَبَّهْتُها حين طاحت إلا النّواة تطيح^(٥) من تحت مِرْضَخَة^(٦) النّوى حين يُضرب بها .

(١) الأغانى ٤ : ١٩٩ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، ٧٠ ، والأغانى ٤ : ١٩٩ .

(٣) قال ابن هشام : « الحرّجة الشجر الملتف ، وفي الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأله عن الحرّجة فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها » .

(٤) أظنّت نفسه : أطارتها .

(٥) تطيح : تلعب .

(٦) المرصعة : التي يلقى بها النّوى للعلف .

قال : وضربني ابنه عِكْرَمَة على عاتقي ؛ فطرح بدى ، فتعلقت بجملته من جنبي ، وأجهضني ^(١) القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامّة يوي ، وإني لأسحبها خلقي ؛ فلما آدّيتني جعلت عليها رجل ، ثم تمطّيت بها ، حتى طرحتها .

قال : ثم عاش مُعَاذ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبي جهل - وهو عقير ^(٢) - مُعَوّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتته ^(٣) ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوذ حتى قُتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتَمَس في القتل ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : انظروا إن خفيَ عليكم في القتل إلى أثر جرّح بركبته ، فإني أزدحم أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله ابن جلدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشف منه يسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبته ، ففجّحش ^(٤) في إحداهما جحشاً لم يزل أثره فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بأخر رمق ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضبّت ^(٥) بي مرة بمكة ، فأذاني ولكنّي . ثم قلت : هل أخزأك الله يا علوّ الله ! قال : وبما ذا أخزاني ! أحمّد من رجل قتلتموه ^(٦) ! ١٣٣١/١ أخبرني لمن الدّبرة ؟ [اليوم] ^(٧) قال : قلت : لله وليّسوله ^(٨) .

حدثنا ابن حُسيم ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود ، كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيت يا رؤيى الغنم مرتقى صعباً ! ثم احتزرت رأسه ؛ ثم جث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس علوّ الله

(١) أجهضني : غلبني واشتد علي . (٢) العقير : المجروح .

(٣) أثبتته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) جحش : غلش .

(٥) ضبّت ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه » .

(٦) يقال : أهد من رجل قتل قومه ، أي أعجب ، قال أبو حنيفة : معناه عمل زامل سيد قتل قومه !

أي أن هذا ليس بما . (٧) من الألفاظ . (٨) سيرة ابن هشام ٧١ : ٢ ، والألفاظ ٢٠١ : ٢٠٢ .

أبي جهل ، قال : فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : آله الذي لا إله غيره^(١) ! — وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلَّم — قال : قلتُ : نعم ؛ والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلَّم . قال : فحمد الله^(٢) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالقتل أن يُطرحوا في القليب^(٣) ؛ طُرحوا فيه ؛ إلا ما كان من أمية بن خلف ؛ فإنه انتفض في درعه حتى ملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فترايل^(٤) فأقروه ، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم في القليب ، وقف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عليهم ، فقال : يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقاً . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟ قال : لقد علموا أن ما وعدتهم حق ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد علموا»^(٥) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدثني حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وهو يقول من جوف الليل : يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام — فعدّد مَنْ كان معهم في القليب : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؛ فإني قد وجدتُ ما وعدني

(١) قال السهيلي : «الله الذي لا إله إلا هو» ، هو بالحق عند سيبيويه وغيره ؛ لأن الاستهزاء عوف عن الخلف عنده .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) ترايل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

رَبِّي حَقًّا ! قال : المسلمون : يا رسولَ الله ! أتتأذى قومًا قد جَئَفُوا^(١) ! فقال : ما أنتم بأسمَحَ لِمَا أقولُ منهم ، ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(٢) .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني بعضُ أهلِ العلم ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة : قال : يا أهلَ القَلْبِيب ، بشس عشرة أنبيء كُتِمَ لَنبيكم ! كلُّ بَتموني وصدَّقني الناس ، وأخرَجتموني وآوَى النَّاسُ ، وقَاتَلتموني ونَصَرني الناس . ثم قال : هل وُجِدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ؟ للمقالة التي قال . قال : ولا أمر بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلقُوا في القَلْبِيب ، أُخِذَ عَبة بن ربيعة ١٣٣٢/١ فسحب إلى القَلْبِيب ، فنظر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عَبة ، فإذا هو كتيب قد تغيَّر ، فقال : يا أبا حذيفة ، لعلَّك دخلك مِن شَأْنِ أيلك شيء - أو كما قال صَلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : لا والله يا نبيَّ الله ، ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنتُ أعرف من أبي رأيًا وحِلْمًا وفضلًا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، حرَّرتني ذلك ، قال : فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم له بخير ، وقال له خيرًا .

ثم إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أمر بما في العسكر مما جَمَعَ الناس فجَمَعَ ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال مَنْ جَمعه : هو لنا ، قد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نَقَلَ كلَّ امرئٍ ما أصاب ، فقال الذين كانوا يقاتلون العدوَّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . فقال الذين يحرسون رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحقَّ به منَّا ، لقد رأينا أن نقتل العدوَّ إذ ولَّانا الله ، ومنحنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع

(١) جفوا : أي صاروا جفًا .

(٢) ابن هشام ٧ : ٧٤ ، والأهواز ٤ : ٢٠٢ .

حين لم يكن دونه من يمنه ؛ ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهة العلو ، قمنا دونه ؛ فأنتم بأحق به منا^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 ١٣٣٤/١ وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ؛ حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بّواء — يقول على السّواء — فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

قال : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند القنق عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين صوّنا التراب على رقيقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلعني عليها مع عثمان .

قال : ثم قدم زيد بن حارثة فجثته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس وهو يقول : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخري بن هشام ، وأمّية بن خلف ونيه ومنبه ابن الحجاج . قال : قلت : يا أباه^١ أحق هذا ! قال : نعم والله يا بُنى . ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ، فاحتمل معه النفل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن زيد ابن عوف بن مبلول بن عمرو بن مازن بن النجار . ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء ، نزل على كتيّب بين المضيق وبين النازية — يقال له سَيْر — إلى سَرْحَة به ، فقسّم هنالك النفل

١٣٣٥/١

الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ، وَاسْتَقْبَلَ لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْأُرَوَاقُ .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء ، لقيه المسلمون يَهْتَفُونَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنُ وَقْشٍ — كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَيزِيدُ بْنُ رُومَانَ : وَمَا الَّذِي تَهْتَفُونَ بِهِ ! فَوَاقَهُ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَازَ صَلُوعًا كَالْبُدُنِ الْمَعْقَلَةِ ، فَنَحَرْنَاهَا . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يَا بَنِي أَنْحَى ، أُولَئِكَ الْمَلَأُ^(١) . قَالَ : مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا ، وَكَانَ مِنَ الْقَتْلِ مِثْلَ ذَلِكَ — وَفِي الْأَسَارَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَالنَّضَرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ — حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفْرَاءِ ، قَتَلَ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ ، قَتَلَهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَرْقِ الظُّبْيَةِ ، قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ حِينَ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتُلَ : فَمَنْ لِلصَّبِيَةِ يَا مُحَمَّدُ ! قَالَ : النَّارُ ، قَالَ : فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَثَلِجِ الْأَنْصَارِيَّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ يَاسِرٍ ، قَالَ : وَلَا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حِرْقِ الظُّبْيَةِ حِينَ قَتَلَ عُقْبَةَ لَقِيَهُ أَبُو هِنْدٍ مَوْلَى فِرْعَوْنَ بْنِ عَمْرِو الْبَيْضَانِيِّ بِحَمِيَّتٍ مَمْلُوءَةٍ حَيْسًا^(٣) ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ ، ثُمَّ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) الْمَلَأُ : الْأَثَرُ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٧٧ ، وَالْأَخْلَافُ ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْحَمِيَّةُ : الْفَرْقُ . وَالْحَمِيْسُ : السَّمْنُ يَحْمِلُ بِالْأَمْرِ وَالْأَمْلَ .

وكان حجّام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أبو هند امرؤ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوه إليه ، ففعلوا . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى يوم^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة ، قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في منأحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء . قال : وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب . قال : تقول سودة : والله إني لأعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، قالت : فرحنت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ، مجموعة يده إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتكم بأيديكم ، ألا متم كراما ! فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سودة ، أعل الله وعلى رسوله ! قالت : قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني نُبَيْسَةُ بن وهب ، أخو بني عبد الدار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرّقهم في أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيرا . قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى . قال : فقال أبو عزيز : مرّ بي أخي مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال : شدّ يديك به ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغاني ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلها أن تفتديتهُ منك . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكأنوا إذا قدّموا غداً عليهم وعشاءهم خصّوني ١٣٣٨/١ بالخبز ، وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لإياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفعني بها . قال : فأستحي ، فأردّها على أحدهم فإردّها عليّ ما يمسّها^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أوّل مَنْ قدم مكة بمُصّاب قريش الحَيَسُّمان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعة بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعيّ — قال أبو جعفر : وقال الواقديّ : الحيسُّمان بن حابس الخزاعيّ — قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخريّ بن هشام ونُبيّه ومنه ابنا الحجاج . قال : فلمّا جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صَمَوْن بن أمّية وهو قاعد في الحجر : والله إنّ يعقل هذا فسَلُّوه عني ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمّية ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مال كثير مخرّق في قومه ، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلف رجل إلّا بعث مكانه رجلاً ، فلمّا جاء الخبر عن مُصّاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً .

قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القيداح ، أنحتُها في حَجْرَةٍ
 زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت القيداح ، وعندى أم الفضل جالسة ،
 وقد سرتنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبلَ الفاسق أبو لب يجرّ رجله بشرّ ،
 حتى جلس على طُنبِ الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس
 إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال :
 فقال أبو لب : هلمّ إلىّ يا بن أخي ، فعنك الخبر . قال : فجلس إليه ،
 والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني ، كيف كان أمر الناس ؟
 ١٣٤٠/١ قال : لا شيء ، والله إن كان إلاّ أن لقيناهم ، فنحنهم أكتفنا ، يقتلوننا
 ويأمرون كيف شاءوا ، وإيمُ الله مع ذلك ما لُحِتُ الناس ، لقينا
 رجلاً بيضاً حلّ خيل بُلُتَي بين السماء والأرض ، ما تليق ^(١) شيئاً ولا يقوم
 لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنب ^(٢) الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك
 الملائكة . قال : فرفع أبو لب يده لضرب وجهي ضربة شديدة ، قال :
 فتاورته ^(٣) ، فاحتملني ، وضرب بي الأرض ثم برك علىّ يضربني - وكنت رجلاً
 ضعيفاً - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمود الحجرة ، فأخذته فضرته به
 ضربة فشجّت ^(٤) في رأسه شجرة منكراً ، وقالت : تستضعفه أن غاب عنه سيده !
 فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلاّ سبع ليالٍ حتى رماه الله عز وجل بالعدسة ^(٥)
 فقتلته ، فلقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنن في بيته - وكانت
 قريش تتقى العدسة وعدّوها كما يتقى الناس الطاعون - حتى قال لها
 رجل من قريش : ويحكما ! ألا تستحيان أن أباكما قد أنن في بيته
 لا تغيبانها ! فقالا : إنا نخشى هذه القرحة ، قال : فانطلقا فأنا معكما ،
 فاغسلوه إلا قلداً بالماء عليه من بعيد ، ما يمسون ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى
 مكة إلى جدار ، ودفنوا عليه الحجارة حتى واروه ^(٦) .

(١) ما تليق : ما تبقى . (٢) طنب الحجرة : طرفها .

(٣) تاورته : وثبت إليه .

(٤) كذا في الأمان ، وفي ط : « ولقت » .

(٥) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، والأمان ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : لما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبسون في الوثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت نضور العباس في وثاقه ، قال : فقاموا إلى العباس فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة بن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ، وكان العباس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر : كيف أسر العباس يا أبا اليسر ؟ فقال : يا رسول الله ، لقد أحانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيته كذا وكذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أحانك عليه ملك كريم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قریش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيلن ذلك محمداً وأصحابه ، فيشمت ^(٢) بكم ، ولا تبغثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم ^(٣) ، لا يتأرب ^(٤) عليكم محمد وأصحابه في الفداء ^(٥) .

(١) الأغاني ٤ : ٢٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام والأغاني : وفشتوا .

(٣) حتى تستأنوا بهم : أي توكفروا فداكم ، وفي الأغاني : « حتى تأسوا » .

(٤) يتأرب : يتأرب ويتشد . وفي السيرة واللسان - مادة أرب : « لا يارب » ، وأرب : تشدد .

(٥) سيرة ابن هشام ٧٩ ، والأغاني ٤ : ٢٠٦ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطلب^(١) قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعَةُ بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ، وكان يحب أن يبكي على بنيه ، فينا هو كذلك ، إذ سمع فائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحيل النتحب ؟ هل بكت قريش على قتلها ؟ لعلني أبكي على أبي حكيمة - يعني زَمْعَةَ - فإن جَوَّي قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بغيرها أضلته. قال : فلذلك حين يقول :

أَتَبْكِي أَنْ يَغِيلَ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ^(٢) ١٣٤٣/١
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَسَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ^(٣)
عَلَى بَذْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ وَخَزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ^(٤)
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ^(٥)
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسَيِّ^(٦) جَمِيعًا فَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمٌ بِبَذْرِ لَمْ يَسُودُوا^(٧)

قال : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيعة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له ابناً تاجراً كيساً ذا مال ، وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه ! قال : فلما قالت قريش : لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب^(٨) عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حنئ - : صلقتهم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم .

(١) كذا في السيرة ، وهو الموافق لما في حسنة أبي تمام والاشفاق لابن دحية ٩٤ ، وفي ط : ابن عبد يثوث .

(٢) حسنة أبي تمام - يشرح البحر رزى ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) البكر : اللقن من الإبل . تقاصرت الجلود ، أي توافست الخطوط .

(٤) سرادة : جمع سرى ، وهو السيد الكريم .

(٥) بكاء بالتضعيف ، كبكاء الخفيف .

(٦) لا تسي تخفف ، لا تسمي .

(٧) قال ابن هشام : « هذا إلقاء » .

(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرب » .

ثم انسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعث قريش في فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حصص ابن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسر ه مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعلم^(١) من شفته السفلى^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

حدثني محمد بن عمرو بن عطاء بن عياش^(٣) بن علقمة ، أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله انزع ثيبتى سهيل بن عمرو السفليتين يدلح^(٤) لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبيا .

قال : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه ؛ فلما قاوم فيه مكرز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلوا سبيل سهيل ، وجسوا مكرزا مكانه عندهم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عباس ، افد نفسك وابني^(٦) أخيك عتيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحشم ، أخا بني الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال .

(١) الأعم : المشقوق الشفة العليا ، وأما المشقوق الشفة السفلى ، فهو الأفلح .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغاني ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبت ، وانظر كتب التراجم .

(٤) يدلح : يخرج .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .

(٦) الأغاني : « ابن » .

فقال : يا رسول الله ؛ إني كنتُ مُسْلِمًا ؛ ولكنَّ القوم استكروهني ، فقال :
الله أعلم بإسلامك ؛ إن يكن ما تذكر حقًا فالله يجزيك به ، فأما ظاهرُ
أمرِكَ فقد كان علينا ، فافدِ نفسك - وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم
قد أخذ منه عشرين أوقيةً من ذهب - فقال العباس : يا رسول الله ، احسبها
لي في فداي ، قال : لا ؛ ذاك شيء أعطانا الله عزَّ وجلَّ منك ، قال : فإنه
ليس لي مال . قال : فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجت من عند
١٣٤٥/١ أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلتُ لها : إن أُصِبتُ في
سفري هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولقُشَم كذا وكذا ،
ولعبيد الله كذا وكذا . قال : والذي بعثك بالحق ما عليم هذا أحد
غيري وغيرها ؛ وإني لأعلم أنك رسول الله ، ففدني العباس نفسه وابني^(١)
أخيه وحليفه^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ،
قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان
عمرو بن أبي سفيان بن حرب - وكان لابنة عقيبته بن أبي مُعَيْط - أسيرًا في
يدى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أسارى بدر ، فقيل لأبي سفيان :
افدِ عَمْرًا ، قال : أجمع على دى ومالي ! قتلوا حَنظَلَةَ وأفدى
عمرًا ! دَعَوْهُ في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوبٌ
عند رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، خرج سعدُ بن التَّمِيم بن أكَال ،
أخو بني عمرو بن عوف ، ثم أحد بني معاوية معتمرًا ، ومعه مُرَيَّة^(٣) له ؛
وكان شيخًا كبيرًا مسلمًا في غنم له بالنقيع^(٤) ؛ فخرج من هنالك معتمرًا ؛
ولا يخشى الذي صنَّع به ؛ لم يظن أنه يُحبَس بمكة ؛ إنما جاء معتمرًا ؛

(١) الأغانى : « وابن أخيه » .

(٢) الأغانى ٤ : ٢٠٧ .

(٣) مريّة ، تصغير امرأة .

(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما في ط والسيرة ؛ والنقيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع :
موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عهد قريشا لا تعرض لأحد حاجباً أو معتمراً إلا بجير ؛ فعدا عليه ١٣٤٦/١
أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكة بآبائه عمرو بن أبي سفيان ، ثم قال
أبو سفيان :

أَرْهَطَ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَ^(١)
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لَتَامُ أَذِلَّةٌ لَنْ لَمْ يَفْكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبَلَا

قال : فثنى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا شيوخهم ؛
ف فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى
سبيل سعد .

قال : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد المزى بن
عبد شمس^(٢) اختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زينب ، وكان
أبو العاص من رجال مكة الملعودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان هائلة بنت خويلد
[وكانت]^(٣) خديجة خالته ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يزوجه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ؛ وذلك قبل
أن ينزل عليه ، فزوجه ؛ فكانت تعدّه بمنزلة ولدها ؛ فلما أكرم الله عز وجل
رسوله بنسبته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقته وشهدن^(٤) أن ما جاء
به هو الحق ؛ ودين دينه ؛ وثبت أبو العاص على شيركة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب
إحدى ابنتيه ربيعة أو أم كلثوم ؛ فلما بادی قريشا بأمر الله عز وجل
وباعلوه^(٥) ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمداً من همه ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغلوه
بهن ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارق صاحبك ؛ ونحن

(١) كفافي السيرة ، و ، و ط : « تعاقدتم » .

(٢) قال ابن هشام : « أسره عيراش بن الصمة ، أحد بني حرام » .

(٣) من ابن هشام .

(٤) م : « وشهدت » .

(٥) ابن هشام : « بالملو » .

نزولك أئى امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذا ؛ لأفارق صاحبتى وما أحب أن لى بأمرأتى امرأة من قريش ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صهره خيراً - فيما بلغنى .

قال : ثم مشوا إلى الفاسق ابن الفاسق ، عتبة بن أبى لب ، فقالوا له : طلق ابنة محمد ونحن نزولك أئى امرأة من قريش شئت ؛ فقال : إن زوجتكم ابنة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها . فزوجه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عدو الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ؛ فخلف عليها عثمان بن عفان بعده ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع ؛ إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر على أن يفرق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهم وهو على شيركة ؛ حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب فى الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا مسleme ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها . ١٣٤٨/١

قالت : فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رقى لها رقّة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذَ عليه - أو وعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يخلّي سبيلَ زينب إليه ، أو كان فيما شرطَ عليه في إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيعلم ما هو إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وعلّي سبيلهُ ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببعن يا جتج ، حتى تمرُ بكما زينب فتصحبها ، حتى تأتياي بها ، فخرجتا مكانهما ؛ وذلك بعد بدر بشهر أو شتيعه^(١) . فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحق بأبيها ؛ فخرجت تجهز^(٢) .

فحدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهزُ بمكة للحق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : أي ابنة محمد^(٣) ؛ ألم يبلغنني أنك تريدان للحق بأبيك ؛ قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك ، قالت : أي ابنة عمي ، لا تفعل ؛ إن كانت لك حاجة بمناح مما يرفق بك في سفرك ، أو بما لا تبلغن^(٤) به إلى أبيك ، فإنّ عندى حاجتك فلا تضطني^(٥) مني ؛ فإنّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : ووالله ما أراها قالت ذلك إلا لضعل . قالت : ولكنني خفتُها ، فأكرتُ أن أكون أريد ذلك ، وتجهزُ .

فلما فرغت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من تجهيزها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودج لها . وتحدث بذلك رجال قريش ،

(١) شهية : قريب منه .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام : « يا بنت محمد » .

(٤) سيرة ابن هشام : « تبلغنني » .

(٥) لا تضطني : لا تستحي ، وأصله الهزء ؛ يقال : اضطننت المرأة : استحييت ؛ اضطننت الهزء تخفيفاً .

فخرجوا في طلبها حتى أحركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها
هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ونافع بن عبد القيس ،
والفهرى^(١) . فروعها هَبَّار بالرمح وهي في هودجها - وكانت المرأة حاملا ، فيما
يزعمون - فلما رجعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حَمُومها ، ونثر كنانته ثم
قال : والله لا يلدنئو منى رجلٌ إلا وضعت فيه سهما ، فتكركر^(٢) الناس عنه ،
وأتاه أبو سفيان في جلّة قريش ، فقال : أيها الرجل ، كفت عنا نبيلك
حتى نكلّك ، فكفت . فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك
لم تُصيب ، خرجت بالمرأة على رموس الرجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا
ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظنّ الناس إذا خرج بابنته علانية من
بين أظهرنا أن ذلك عن ذلّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التي كانت ، وأن
ذلك منا ضعف ووَهْنٌ ، لَتَعْمَرِي ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها ، وما لنا في
ذلك من ثورة^(٣) ؟ ولكن أرجع المرأة ، فلذا هدا الصوت ، وتحدث الناس
أنا قد رددناها ، فسلّها سرا فألحقها بأبيها^(٤) . ففعل حتى إذا هدا الصوت
خرج بها ليلا ، حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقد ما بها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٣٥٠/١

قال : فأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة ، قد فرق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج
تاجرا إلى الشام - وكان رجلا مأمونا بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها
معه - فلما فرغ من تجارته - وأقبل قافلا - لقيته سرية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هربا ، فلما قدِمَت السرية بما أصابوا
من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ، حتى دخل على زينب بنت رسول الله

(١) ط : « الفهرى » . ؟ . وما أثبت من الروض الأنف . قال السهيلي : وقال : وسيق
إليها هبار بن الأسود ، والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن
عبد قيس ، وفي غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس .
(٢) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .
(٣) الثورة : طلب الثأر .
(٤) م : « بأهلها » .

صَلَّى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبْح - فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدثني يزيد بن رومان - فكَبَّرَ وكَبَّرَ الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة^(١) النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : أيُّها النَّاسُ ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما وَالَّذِي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك ، فإنك لا تحلين له^(٢) .

١٣٥١/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السريَّة الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منَّا حيث قد علمتم ، وقد أصبَّتم له مالا ، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له ، فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فتى الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . قالوا : يا رسولَ الله ، بل نرده عليه !

قال : فردوا عليه ما لمحقى إن الرجل ليأق بالحبل^(٣) ، ويأق الرجل بالشنة^(٤) والإداوة^(٥) ، حتى إن أحدهم ليأق بالشُّطَاظ^(٦) ، حتى ردوا عليه ماله بأسره ، لا يفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدَّى إلى كل ذي مال من قريش

(١) الصفة : السقيفة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) ابن هشام : والدلو .

(٤) الشنة : السقاء البالي .

(٥) الإداوة : إلاء صغير من جلد .

(٦) الشُّطَاظ : عشة مقلقة تدخل في عروة الجواقي ، والجمع أسطة .

ماله من كان أبضع معه ، ثم قال : يا معشر قريش ؛ هل بقي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً ؛ فقد وجدناك وفياً كريماً ، قال : فلانى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ؛ والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أكل أموالكم ؛ فلما أداها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بالنكاح الأول ، ولم يحدث شيئاً بعد ست سنين^(١) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش يبسّر في الحجر - وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهم بمكة ، وكان ابنه وهب بن عُمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إن في العيش خير بعدهم ، فقال عُمير : صدقت والله ! أما والله لولا ديني على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قيلهم حلّة ، ابني أسير في أيديهم .

فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال : على دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي وأوسيعهم ما بقوا ، لا يسعنى شيء ويعجز عنهم ، قال عُمير : فاكسّم على شأني وشأنك : قال : أفعل .

١٣٥٣/١

قال : ثم إن عميراً أمر بسيفه فشحذ له وسماً ، ثم انطلق حتى قديم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عز وجل به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ! وهو الذي حرش^(١) بيننا ، وحرزنا^(٢) للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخيله على .

قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبّيه بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحلروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسله يا عمر ، ادن يا عمير ، فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف في عنقك ! قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقني بالذي جئت له ، قال : ما جئت إلا لذلك ، فقال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل عملاً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له . والله عز وجل حائل بيني وبينك . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنت يا رسول الله نكذ بك بما كنت

١٣٥٤/١

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحرز : تقدير المدد تحية .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ؛ وهذا أمر لم يحضروا إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أأتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتقهُوا أخاكم في دينه ، وأقرّوه وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه .

قال : فتعجلوا ، ثم قال : يا رسول الله : إني كنت جَاهِدًا في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإنني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعُهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعل الله أن يهديهم ؛ وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه برفع أبداً . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير^(١) .

• • •

فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها . حدثنا أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عاصم بن علي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ؛ حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسير سبعون رجلاً ، فلما كان يومئذ شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ؛ فإني أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وصلى الله أن يهديهم ،

١٣٥٥/١

فيكونوا لنا عَصُدًا^(١). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترى يا بن الخطاب؟ قال: قلت: لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخ له فيضرب عنقه، وتمكن علياً من حَقِيل فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هَوَادَةٌ للكُفَّار، هؤلاء صناديدهم وقاضهم وأئمتهم.

قال: فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت أنا، فأخذ منهم الفداء، فلما كان الغد قال عمر: غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاعد وأبو بكر، وإذا هما يبكيان، قال: قلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تبكيت لبكائكما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: للذي عرض علي أصحابك من الفداء. لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْثِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)؛ ثم أحل لهم الغنائم.

فلما كان من العام القابل في أحد عَوَقِيَّوَا بما صنعوا، قُتِلَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون، وأسر سبعون، وكسرت رباعيته^(٣) وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وصعدوا الجبل، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ نَأْتِكُمْ مَعْصِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَيْسَ هَذَا﴾ إلى قوله: ١٣٥٦/١ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)، ونزلت هذه الآية الأخرى: ﴿إِذْ تَصِيدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ الْقَمِ امْنَةً﴾^(٥).

(١) سورة الأنفال ٦٧

(٢) سورة آل عمران ١٦٥

(٣) سورة آل عمران ١٥٣ ، ١٥٤

محدثني مسلم بن جندادة ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر ، وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقيهم واستأنهم ؛ لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عُمَرُ : يا رسول الله كذبك وأخرجوك ، قدّمهم فضرّب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قطعتك رحيمك ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجيبهم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ^(١) ؛ وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ بَرَّحِيمٌ ﴾ ^(٢) ، ومثلك يا أبا بكر ، مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَازِيُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ^(٤) ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ^(٥) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم حالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عتق ، قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل ابن بَيْضَاء ؛ فإن سمعته يذكر الإسلام . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١٣٥٧/١

(١) م : ه القين ه .

(٢) سورة إبراهيم ٢٦

(٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة نوح ٢٦

(٥) سورة طه ٨٨

فأرأيتني في يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلا سهيل بن بيضاء » قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : لما نزلت - يعني هذه الآية : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نزل عند أب من السمَاء لم يَنْتَجُ منه إلا سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبي الله ، كان الإِثْمَانُ في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال .

• • •

قال أبو جعفر : وكان جميع من شهد بدرًا من المهاجرين ، ومن ضَرَبَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأَجْرُهُ ثلاثةٌ وثمانين رجلاً في قول ابن إسحاق .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : وجميع من شهد من الأوس معه ومن ضَرَبَ له بسهمه واحدٌ وستون رجلاً . وجميع من شهد معه من الخزرج مائة وسبعون رجلاً في قول ابن إسحاق ، وجميع من استشهد ١٣٥٨/١ من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

وكان المشركون - فيما زعم الواقدي - تسعمائة وخمسين مقاتلاً ، وكانت خيلهم مائة فرس .

وردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ جماعة استصفرهم - فيما زعم الواقدي - ففهم فيما زعم عبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وأسيّد بن ظُهَيْر ، وعُمَيْر بن أبي وقاص ثم أجاز عُميراً بعد أن ردّه فقتل يومئذ .

وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، إلى طريق الشام يتحسّسان الأخبار عن العير ، ثم رجعا إلى المدينة ، فتقدّماها يوم وثّعة بدر ، فاستقبلا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بترَبَّان ، وهو منحدرٌ من بدر يريد المدينة .

• • •

قال الواقدي : كان خروج رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من المدينة في ثلثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا ، وصائرهم من الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسهّمانهم : ثلاثة من المهاجرين ، أحلم عثمان بن عفان كان تخلف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بعتّهما يتحسّسان الخبر عن العير ، وخمسة من الأنصار : أبو لُبابة بشير بن عبد المنذر ، خلّفه على المدينة ، وعاصم بن عديّ بن العجلان ، خلّفه على العالية ، والحارث بن حاطب ، رذه من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث ابن الصمة ، كُسِرَ بالروحاء ، وهو من بني مالك بن النجار ، وختواتُ بن جُبَيْر ، كسر من بني عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيرا ، والخيول فرسين : فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمُرثد بن أبي مرثد .

١٣٥٩/١

• • •

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : ورثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر المشركين يوم بدر مُصْلِقًا السَيْفَ ، يتلو هذه الآية : ﴿ سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبُرَ ۖ ﴾ ^(١) .

قال : وفي غزوة بدر انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار ،

وكان لمُسَبِّه بن الحَجَّاج .

قال : وفيها غم جَمَلٍ أبى جهل ، وكان مَهْرِيًّا يَغزو عليه ويضرب في لِقَاحه .

• • •

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة ، مُنْصَرَفَهُ من بدر ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودَها ، على أن لا يُعِينُوا عليه أحدًا ، وأَنَّهُ إن دَهَمَهُ بها عَمُوٌّ نصره . فلمَّا قَتَلَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مَنْ قَتَلَ بيلر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغى ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحْسِنُ القتالَ ؛ ولو لَقِينَا لَأَقَى عِنْدَنَا قِتَالًا لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظهروا نقضَ العهد .

• • •

غزوة بنى قَيْنُقَاع

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بنى قَيْنُقَاع ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم جمعهم ١٣٦٠/١ بسوق بنى قَيْنُقَاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذَرُوا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النُقْمَةِ ، وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ؛ إِنَّكَ تَرَى أَنَا كَقَوْمِكَ لا يَفِرُّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لا عِلْمَ لَهُم بِالْحَرْبِ ، فَأَصَابَتْ مِنْهُمْ فُرْصَةٌ ؛ إِنَّا وَالله لَنُحَارِبَنَّا لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بنى قَيْنُقَاع كانوا أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر :

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى القينقاع كانت في شوال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهري عن عروة : نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْذِرْ لَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ (١) ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخاف من بني قينقاع ، قال عروة : فصار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية .

قال الواقدي : وحدثنى محمد بن صالح ، عن حاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد . ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتفوا وهو يريد قتلهم ، فكتله فيهم عبد الله بن أبي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن حاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سكلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في مولى - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أحسن في مولى ، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فأدخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى رأوا في وجهه ظلالاً (٢) - يعني تلونا - ثم قال : ويحك أرسلني ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى مولى . أربعمائة حاصروا ثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر ، تحصدهم في غداة واحدة ! وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك (٣) .

(١) سورة الأنفال ٨٨ .

(٢) ابن هشام « ظلال » ، وهما جمع ظلة ، وهي السحابة ، استمارها لتغير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمد بن عمر في حديثه عن محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خلوهم لعنهم الله ولعنته معهم ! فأرسلهم . ثم أمر بإجلالهم ، وغنم الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون ، إنما كانوا صاغحة - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم ، وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بلراريهم عبادة بن الصامت ، ففنى بهم حتى بلغ بهم دباب^(١) وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر .

١٣٦٢/١

• • •

قال أبو جعفر : وفيها كان أول خميس خَمْسَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَبيَّه^(٢) والخُمُسَ سهمه ، وفَض^(٣) أربعة أحماس على أصحابه ، فكان أول خميس قبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ليواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بني قينقاع لواء أبيض ، مع حمزة بن عبد المطلب ، ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ، فدُكِرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى وأهل البُسْر من أصحابه ، يوم العاشر من ذى الحجة ، وخرج بالناس إلى المصلى فصلى بهم ، فذلك أول صلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس بالمدينة بالمصلى في عيد ، وذبح فيه بالمصلى بيده شاتين - وقيل ذبح شاة .

قال الواقدي : حدثني محمد بن الفضل ، من ولد رافع بن خديج ، عن أبي مبشر ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، يقول : لما رجعنا من بني قينقاع ضحينا في ذى الحجة صبيحة عشر ، وكان أول أضحى رآه

(١) ط : « ذباب » ، وانظر الفهرس والتهذيب . (٢) الصق : سهم الرئيس من النخبة .

(٣) يقال : فصر الشيء على القوم ، أى فرقته وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا في بني سليمة فعددت في بني سلمة سبع عشرة أضحية .

• • •

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق فلم يُؤكِّت لغزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي غزاها بني قينقاع وقتاً ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السويق وخروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يريد غزوة قريش ؛ حتى بلغ بني سليم وبحرآن ، متعدينا بالحجاز من ناحية القرع ^(١) .

١٣٦٢/١

وأما بعضُهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا الأولى وغزوة بني قينقاع ثلاث غزوات وسريّة أسراها . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنَّما غزاها تسع ليالٍ خلت من صفر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانٍ ليالٍ بقيت من رمضان ، وأنه أقام بها بقية رمضان . ثم غزا قمرقرة الكدُر حين بلغه اجتماع بني سليم وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ، غرة شوال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

وأما ابن حميد ، فحدثنا عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر في عقب شهر رمضان - أو في أول شوال - لم يقيم بالمدينة إلا سبع ليالٍ ، حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكدُر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش ^(٢) .

وأما الواقدي ، فزعم أن غزوة النبي صلى الله عليه وسلم الكدُر كانت في الحرم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن لواءه كان يحمله فيها علي بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبى طالب ، وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم المصيصي على المدينة .

وقال بعضهم : لمّا رجع النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدُر إلى المدينة ، وقد ساق النّعم والرّعاء ولم يلق كيداً . وكان قلوبهم منها - فيما ١٣٦٤/١
زعم - لعشر خكّون من شوال ، بعث غالب بن عبد الله الليثي يوم الأحد لعشر ليال مضين من شوال إلى بنى سليم وعطفان في سرية ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا النّعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقام بالمدينة إلى ذى الحجة ، وإن رسول الله صلّى الله عليه وسلم غزا يوم الأحد لسبع ليال بقيت من ذى الحجة غزوة السويق .

• • •

غزوة السويق

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدُر إلى المدينة ، أقام بها بقية شوال من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذى الحجة . قال : وولّى تلك الحجة المشركون من تلك السنة^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتتهم ، عن عبيد الله ابن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال : كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة ، ورجع فكل^(٢) قريش إلى مكة من بدر ، نكدر ألاّ يمس رأسه ماء من جنباته حتى يغزو محمداً . فخرج في مائتي راكب ١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

(٢) الفل : القوم المهزومون .

من قريش ، ليُسِيرَ يمينه ، فسلك التجديفة حتى نزل بصلور فتاة إلى جبل يقال له تَيْت ، من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حُيَيَّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ، فأبى فانصرف إلى سلام بن ميشكم — وكان سيد النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كتهم^(١) — فاستأذن عليه فأذن له فقرأه سقاه ، وبَطَن^(٢) له خبر الناس ، ثم خرج في عقيب ليلته ؛ حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض ، فحرقوا في أصوار^(٣) من نخل لها ، وجعلوا رجالا من الأنصار حليفاً له في حرث لها فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ، ونكدر بهم الناس ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، حتى بلغ قرقرة الكدُر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا من مزاد القوم ما قد طرحوه في الحرث ؛ يتخفون منه للتجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنطعم أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم^(٤) .

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة آياتاً من شعرٍ حَرَّضَ قريشاً :

تَكْرُوا عَلَى يَثْرِبٍ وَجَنَمِهِمْ فَإِنْ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَقْلُ
إِنْ يَكُ يَوْمُ الْقَلِيبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنْ مَا بَسَدَ لَكُمْ دَوْلُ
أَكَيْتُ لَا أَقْرَبُ النَّاءِ وَلَا يَمْسُ رَأْسِي وَجُلْدِي النَّسْلُ
حَتَّى تُبِيرُوا قِبَالَ الْأَوْسِ وَالْ خَزْرَجِ ، إِنَّ الْفَوَادَ مُشْتَعْلُ
فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

تَلَهْتُ أُمَّ الْمَسْبُوحِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بِالْحَرَّةِ النَّسْلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ الرِّجَالَ مِنْ سَمِّ الطَّيْرِ تَرْقَى لَقْنَةُ الْجَبَلِ

(١) الكثر هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهامهم ونوايلهم .

(٢) بطن له ، أي أعلمه سرهم .

(٣) الأصوار : جمع صور ، وهو النخل مجتمعة .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩

جاءوا بمجمع لو قيس مبركة ما كان إلا كفض الدليل^(١)
 عار من القصر والثره ومن أبطال أهل البطحاء. والأسل

وأما الواقدي فزعم أن غزوة السويق كانت في ذى القعدة من سنة اثنين
 من الهجرة . وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من
 أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصة أبي سفيان نحو ما ذكره
 ابن إسحاق ، غير أنه قال : فرّ - يعني أبا سفيان - بالعرينض ، برجل معه
 أجير له يقال له معبد بن عمرو ، فقتلها وحرّق آياتاً هناك وتبناً ، ورأى أن
 يمينه قد حُلّت ، وجاء الصريخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستنفر
 الناس ، فخرجوا في أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون
 جرّب الدقيق ويتخفّون ، وكان ذلك عامّة زادهم ، فلذلك سُميت غزوة
 السويق .

وقال الواقدي : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لياثة
 ابن عبد المنذر .

• • •

قال أبو جعفر : ومات في هذه السنة - أعني سنة اثنين من الهجرة - في
 ذى الحجة عثمان بن مظعون ، فدفنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيع ،
 وجعل عند رأسه حَجَرًا علامة لقبره .
 وقيل : إن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكذا في هذه
 السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن
 إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن علي بن أبي طالب عليه السلام بنى

(١) البيت في اللسان (دال) ، وروايته :

جاءوا بمجمع لو قيس مُعرّسه ما كان إلا كمُعرّس الدليل

بفاطمة عليها السلام في ذى الحجة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إن في هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاقيل^(١)
فكان معلقاً بسيفه .

(١) المالل : جمع مقلة ، يغم الثاف ؛ وهي الهبة .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذي أمر]

فحدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقبعة ذي الحجة والمحرم ، أو قريبا منه ، ثم غزا نجدا يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبا من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا ، فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلا منه .

ثم غزا يريد قريشا وبني سليم ، حتى بلغ بحران (معدنا بالحجاز من ناحية الفرع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا^(١).

خبر كعب بن الأشرف

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة سرى النبي صلى الله عليه وسلم سرية إلى كعب بن الأشرف ، فزعم الواقدي أن النبي وجه من وجه إليه في شهر ربيع الأول من هذه السنة .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعهد الله بن رواحة إلى أهل العالية^(٢) بشيرين ، بهنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث ابن أبي بردة بن أسير الظفري ، وعهد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، قال : كل

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) السالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها ومعارها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

١٣٦٩/١

قد حدثني بعض حديثه ، قال : قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيء ،
 ثم أحد بني نَبْهَان ، وكانت أمه من بني النَّضِير ، فقال حين بلغه الخبر :
 ويلكم أحق هذا ! أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان
 - يعنى زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ؟ هؤلاء أشرف العرب وملوك
 الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لنا
 من ظهرها^(١) .

فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فترل على
 المطلب بن أبي وداعة بن ضبييرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن
 أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزلته وأكرمه ، وجعل يحترض
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويكي على أصحاب
 القليب الذين أصيبوا ببلر من قريش . ثم رجع كعب بن الأشرف إلى
 المدينة ، فشجب بأُم الفضل بنت الحارث ، فقال :

أراجل أنت لم تحلل بمنقبة	وتارك أنت أم الفضل بالحرمة !
صفراء رادة لو نعتصر أنصرت	من ذي القوارير والحناء والكم
يرتج ما بين كفيها ومرفقها	إذا تأنت قياماً ثم لم تقم
أشبه أم حكيم إذ توأصنا	والحبل منها متين غير منجذم
أحدي بني عامر بن القواد بها	ولو تشله شقت كعباً من السقم
فرع النساء وفرع القوم والدأ	أهل التحلة والإيفاء بالذمم
لم أر شمساً بليل قبلها طلعت	حتى تجلت لنا في ليلة الظلم ^(٢)

ثم شجب بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن
 إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بردة : من لي من ابن الأشرف !

(١) م : وظاهرها .

(٢) لم تذكر هذه الأبيات في رواية ابن هشام ؛ وذكر موضعها أحياناً مطلقاً :

طلعت رحي بدر لملك أهله وليل بدر تسهل وتلمع

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، ١٣٧٠/١
 أنا أقتله . قال : فاضل إن قدّرت على ذلك ، فرجع محمد بن مسلمة ،
 فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب . إلا ما يعلّق [به]^(١) نفسه ، فذكر ذلك
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركت الطعام والشراب ؟
 قال : يا رسول الله ، قلت قولاً لا أدرى أفسى به أم لا ! قال : إنما عليك الجهد ،
 قال : يا رسول الله ، إنه لا بدّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فإنتم
 في حلّ من ذلك !

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسيلكان بن سلامة بن وقش -
 وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرضاة - وعبداد
 ابن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ،
 أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر ، أخو بني حارثة . ثم قدّموا
 إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سيلكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدّث
 معه ساعة ، وتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال : ويحك
 يا ابن الأشرف ! إني قد جئت لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتم عليّ ، قال :
 أفعل ، قال : كان قنوم هذا الرجل بلاء [علينا]^(١) عادتنا^(٢) العرب ورمونا
 عن قوم واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهدت
 الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهدنا عيالنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ،
 أما والله لقد كنت أخبرتك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول ،
 فقال سيلكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزّهتكم ونوثق لك ، وتحسن
 في ذلك . قال : ترهونني أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تفضحنا ! إن معي
 أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في
 ذلك ، ونزّهتكم من الحلقة^(٣) ما فيه لك وفاء - وأراد سيلكان ألا ينكر
 السلاح إذا جامعوا بها - فقال : إن في الحلقة لوفاء ، قال : فرجع سيلكان إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) م : « عادتنا » .

(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني ثور بن زيد الدثلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعينهم . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته في ليلة مقمرة ، فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة - وكان حديث عهد بعرس - فوثب في ملحقته ^(٢) ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن صاحب الحرب لا يتزل في مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ، لو جلني نائمًا لما أيقظني ، قالت : والله إني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب : لو دعيت الفتي لطعنة ^(٣) أجاب ، فتزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشى إلى شعب العجوز ^(٤) ، فتحدث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شم يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيب عطري قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ثم مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودي رأسه ، ثم قال : اضربوا علو الله ، فاختلقت عليه أسيافهم ، فلم تخن شيئًا . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغزولاً ^(٥) في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح علو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار . قال : فوضعت في ثنودته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانتته ، ووقع علو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رأسه أو رجله ، أصابه بعض أسيافنا .

١٣٧٢/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) الملحة : اللباس فوق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى طعنة » ، ابن هشام : « لو يدعى إلى طعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ذكره ياقوت ، وقال : « قتل عنده كعب

ابن الأشرف » .

(٥) المغزول : السكين التي تكون في الموط .

قال : فخرجنا حتى سلكنّا على بنى أميّة بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا^(١) في حرّة العرّينصر ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزّله الدّم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحملناه فبحثنا به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وفعل على جرّح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقتنا بعلو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوئب محبصة بن مسعود على ابن سُنَيْثَة - رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله - وكان حوَيْصَة بن مسعود إذ ذاك لم يُسَلِّم ، وكان أسن من محبصة - فلما قتله جعل حوَيْصَة يضربه ويقول : أي عدو الله ! قتله^(٢) ! أما والله لرُبّ شحْم في بطنك من ماله ! قال محبصة : قتلت له : والله لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأوك إسلام حوَيْصَة ، وقال : لو أمرك محمد بقتل لمقتلني ! قال : نعم والله ، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن دينك بلغ بك هذا لتعجب ! فأسلم حوَيْصَة^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق . قال : حدثني هذا الجديث مولى لبي حارثة ، عن ابنة محبصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدي أنهم جاؤوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

• • •

وزعم الواقدي أن في ربيع الأول من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وأُدْخِلَتْ عليه في جمادى

(١) أسند في الحرّة : صمحا .

(٢) ابن هشام : « أقتله ! » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

الآخرة ، وأنّ في ربيع الأول من هذه السنة غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم غزوة أنمار - ويقال لها : ذو أمّر - وقد ذكرنا قول ابن إسحاق في ذلك قبل .
قال الواقدي : وفيها وليد السائب بن يزيد ابن أخت النعمير .

• • •

غزوة القرّة

قال الواقدي : وفي جمادى الآخرة من هذه السنة ، كانت غزوة القرّة وكان أميرهم - فيما ذكر - زيد بن حارثة ، قال : وهى أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً .

١٣٧٤/١

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سرية زيد بن حارثة التى بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها حين أصاب عير قريش ، فيها ^(١) أبو سفيان بن حرب ، على القرّة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت ^(٢) طريقها التى كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلّكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهى عظمت تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فُرّات بن حَيّان ، يدلّهم على ذلك ^(٣) الطريق ، وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة ، فلقيتهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ^(٤)

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فزعم أن سبب هذه الغزوة كان أن قريشاً قالت : قد حوّر علينا محمد متجركنا وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان

(١) ابن هشام : « ولها » .

(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .

(٣) ابن هشام : « في ذلك على الطريق » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية : إن أقمتنا بمكة أكلنا رموس أموالنا . قال أبو زمعة^(١) بن الأسود :
 فأنا أدلكم على رجل يسلك بكم التجديبة ، لو سلكها مغمض العينين
 لاهتدى . قال صفوان : من هو ؟ فحاجتنا إلى الماء قليل ، إنما نحن
 شاتون . قال : فرات بن حيان ، فدعوه فاستأجره ، فخرج بهم في الشتاء ،
 فسلك بهم على ذات عيرق ، ثم خرج بهم على غمرة ، وانتهى إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم ، فخرج خبر العير وفيها مال كثير ، وآنية من فضة حملها
 صفوان بن أمية ، فخرج زيد بن حارثة ، فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت
 أعيان القوم ، فكان الخمس عشرين ألفاً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقسم الأربعة الأخماس على السرية ، وأتى بفرات بن حيان العجلى
 أسيراً ، فقيل : إن أسلمت لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما
 دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم ، فأرسله .

• • •

مقتل أبي رافع اليهودي

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان مقتل أبي رافع اليهودي - فيما
 قيل - وكان سبب قتله ، أنه كان - فيما ذكر عنه - يظهر كعباً بن
 الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجه إليه - فيما ذكر -
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة
 عبد الله بن عتيك ، فحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : حدثنا
 مصعب بن المقدام ، قال : حدثني إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن
 البراء ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي
 - وكان بأرض الحجاز - رجالاً من الأنصار ، وأمر عليهم عبد الله بن عتبة -
 أو عبد الله بن عتيك - وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ويغني عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دقوا منه وقد غربت
 الشمس ، وراح الناس بسرّحهم ، قال لهم عبد الله بن عتبة - أو عبد الله بن

عَتِيكَ : اجلسوا مكانكم ، فَإِنِّي أَنْطَلِقُ وَأَتَلَطَّفُ لِلْبَوَّابِ ، لَعَلِّي أَدْخُلُ ! قَالَ :
فَأَقْبَلَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْبَابِ ، تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ ، كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً ، وَفَدَّ دَخَلَ
النَّاسُ ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ . يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ ،
فَلَمَّا أَرِيدُ أَنْ أَغْلِقَ الْبَابَ . قَالَ : فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ^(١) تَحْتَ آرِي^(٢)
حِمَارٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ ثُمَّ عَسَقَ الْأَقَالِيدَ عَلَى وَدَّ^(٣) . قَالَ :
فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَسْمُرُ
عِنْدَهُ فِي عِلَالٍ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ ، فَصَعِدْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا
فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُهُ عَلَى مَنٍ دَاخِلٍ . قُلْتُ : إِنْ الْقَوْمُ نَكَدُوا بَنِي لَمْ يَخْلُصُوا
إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ . قَالَ : فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مَظْلَمٍ وَسَطٍ عِيَالِهِ ،
لَا أُدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ ! قُلْتُ : أَبَا رَافِعٍ ! قَالَ : مَنَ هَذَا ؟ قَالَ :
فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَأَضْرَبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ ، وَأَنَا دَهِيْشٌ لَمَّا أَغْنَى
شَيْئًا وَصَاحَ ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ وَكُنْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ ،
فَقُلْتُ : مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ ؟ قَالَ : لِأَمْكِ الْوَيْلُ ! إِنْ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ
ضَرَبْنِي قَبْلَ بِالسَّيْفِ ، قَالَ : فَأَضْرِبُهُ فَائْخَنَهُ وَلَمْ أَقْتُلَهُ . قَالَ : ثُمَّ وَضَعْتُ
ضَبِيبَ^(٤) السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ ، حَتَّى أَخْرَجْتُهُ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ ،
فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا فَيَابَا ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي ،
وَأَنَا أَرَى أَنِّي انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مَقْمَرَةٍ ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي ،
قَالَ : فَصَعَبَتْهَا بِعِمَامَتِي ، ثُمَّ إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ :
وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ : أَقْتُلْتُهُ أَمْ لَا ؟ قَالَ : فَلَمَّا صَبَّاحَ الدَّيْكَ ،
قَامَ النَّاحِي عَلَيْهِ عَلَى السُّورِ ، فَقَالَ : أَنْتَ يَا أَبَا رَافِعٍ رِبَّاحُ أَهْلِ الْحِجَازِ ! قَالَ :
فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : النَّجَاءُ ! قَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى

١٣٧٧/١

(١) م : « فَلَكَت » .

(٢) الآرِي : عِمَامَةُ النَّبَاةِ .

(٣) الْوَدَّ : الْوَيْدُ ، بِلُغَةِ تَمِيمَ ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ : « وَدَّ » .

(٤) ضَبِيبُ السَّيْفِ : حَبْلُهُ .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثته فقال : أبسط رجلك ، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ؛ فإنه زعم أن هذه السرية التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق إنما وجهها إليه في ذي الحجة من سنة أربع من الهجرة ، وأن الذين توجهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، والأسود بن خزاعي ١٣٧٨/١ وعبد الله بن أنيس .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قص من قصة هذه السرية ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : كان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - ممن كان حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتل كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخير ، فأذن لهم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان ^(٢) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناه ^(٣) إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، فلا يتهمون حتى يوقعوا مثلها . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلما أحبابت الأوس

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩

(٢) يتصاولان : يتفاعران .

(٣) غناه : كفاية وبخير .

كعب بن الأشرف في حديثه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الخرج : لا يذهبون بها ففضلا علينا أبداً . قال : قتلواكموا : من رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخرج ثم من بني سلمة خمسة^(١) نفر : عبد الله بن عتيك ، وسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعه ، وخزاعي بن الأسود ، حليف لهم من أسلم ، فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

١٣٧٩/١

فخرجوا حتى قتلوا خير ، فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهلها ، وكان في حليته^(٢) له إليها حكمة^(٣) رومية ، فاستندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ فقالوا : نفر من العرب نلتهم الميرة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلما دخلنا أغلقنا عليها وعلينا عليه باب الحجر ، ونخوفنا أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافا ، والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قبطية^(٤) ملقاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكف يده ، ولولا ذاك فرغنا منها بليل ، فلما ضربناه بأسيافنا ، تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطنى قطنى !

١٣٨٠/١

قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سبي البصر ، فوقع من الدرجة فوثقت رجله وكنا شديدًا واحتملناه حتى نأق به منهراً من حينهم ، فدخل فيه . قال : وأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبونا ، حتى إذا

(١) ط : وثمانية ، والصواب ما أثبتته من ابن هشام .

(٢) الحلية ، بالكسر والضم : بيت منفصل عن الأرض بيت أو نحو .

(٣) قال ابن الأثير : وفي صلة من نخل ، هو أن ينقر الجلع ويصل فيه مثل الدرج

ليصل فيه إلى الدرف ونحوها . (٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قبط مصر

(بالكسر) على غير قياس .

يشسوا رجسوا إلى صاحبهم فاكثفوه؛ وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن
نعلم أن عدو الله قد مات ! فقال رجل منّا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى
دخل في الناس ، قال : فوجدته ورجال يهود عنده ، وامرأته في يدها المصباح
تنظر في وجهه . ثم قالت تحدثهم وتقول : أما والله لقد عرفت صوت ابن عتيك ؛
ثم أكذبت ، فقلت : أنتى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتنظر في وجهه
ثم قالت : فاظ (١) وإله يهود ! قال : يقول صاحبنا ؛ فاسمعت من كلمة
كانت ألدّ إلى نفسي منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده
في قتله ؛ وكلنا يدعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ،
فجثناه بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه
أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام
ابن أبي الحقيق :

للهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ لَا قَيْتَهُمْ يابنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بِنَ الْأَشْرَفِ (٢)
يسرونَ بِالْبَيْضِ الْخُفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَشَدِّ فِي عَرِينٍ مُفْرَفٍ (٣)
حَقٌّ أَنْتُكُمْ فِي مَحَلٍّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَقًّا بَيْضَ ذُفَفٍ (٤)
مُسْتَبْصِرِينَ لَنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُتَضَمِّنِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْهِفٍ (٥)

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي وعبيد بن عبد العظيم
العنبري ، قالا : حدثنا جعفر بن عون ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ،
قال : حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن أباه حدثه
عن أمه ابنة عبد الله بن أنيس ، أنها حدثته عن عبد الله بن أنيس ، أن

(١) فاظ : هلك . (٢) ديوانه ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، والعبادة : الجماعة من الناس .

(٣) يسرون ، من السرى ؛ وهو السر ليل . والبَيْضُ الْخُفَافُ : السيوف . ومرحاً : نشاطاً .
مفرف : أى في غريف ؛ وهو الأجمة من البردى والخلفاء والقصص .

(٤) ذفف ، أى سرية القتل .

(٥) رواية الديوان : « مستصفرين لكل أمر » . والخبر والشعر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩-٢١١ .

الرمط الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن أبي الحقيق ليقتلوه : عبد الله بن عتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ، وأنهم قدِمُوا خيبر ليلاً . قال : فعمدنا إلى أبوابهم فغلقتها من خارج ، وفأخذ المفاتيح ، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم ، ثم أغلنا المفاتيح فألقيناها في فقير^(١) ، ثم جئنا إلى المشربة^(٢) التي فيها ابن أبي الحقيق ، فظهرت عليها^(٣) أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا في الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ، فقالت امرأة ابن أبي الحقيق : إن هذا لصوت عبد الله بن عتيك . قال ابن أبي الحقيق : ثكلتك أمك ! عبد الله بن عتيك يشرب ؛ أين هو عنك هذه الساعة ! افتح لي ؛ إن الكريم لا يرد عن بابه هذه الساعة . فقامت ففتحت ، فلخلت أنا وعبد الله على ابن أبي الحقيق ، فقال عبد الله بن عتيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والولدان ، فأكف عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبي الحقيق . قال : فأنظر إليه في مشربة مظلمة إلى شدة ياضه ، فلما رأى ورأى السيف ، أخذ الوسادة فأتقانى بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوزعته بالسيف وخزاً . ثم خرج إلى عبد الله بن أنيس ، فقال : أقتله ؟ قال : نعم ، فلخل عبد الله بن أنيس فلخف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عتيك ، فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وابيآتاه وابيآتاه ! قال : فسقط عبد الله بن عتيك في الدرجة ، فقال : وارجلاه وارجلاه ! فاحمله عبد الله بن أنيس ، حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلق ، ليس برجلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قومي أنى تركتها في الدّجة^(٤) ، فرجعت إلى قومي ؛ فإذا أهل خيبر يعوج بعضهم في بعض ؛ ليس لهم

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : العروة ؛ لأنهم كانوا يشربون فيها .

(٣) و : « عليه » . (٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلا مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق؟ مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق؟ قال :
 فجعلت لا أنظر في وجه إنسان ، ولا ينظر في وجهي إنسان إلا قلت :
 مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق؟ قال : ثم صعدت الدّرجة ؛ والناس يظهرون
 فيها ، ويتزلون ، فأخلت قوسي من مكانها ، ثم ذهبتُ فأدركتُ أصحابي ،
 فكُنْتُ نكمنُ النهار ونسير الليل ، فإذا كمنّا بالنهار أقعدنا منّا ناطوراً^(١)
 ينظر لنا ، فإن رأى شيئاً أشار إلينا ، فانطلقنا حتى إذا كنّا بالبيضاء كنت -
 قال موسى : أنا ناطورهم ، وقال عباس : كنتُ أنا ناطورهم - فأشرت إليهم
 فلذهبوا جُمزاً^(٢) وخرجت في آثارهم ، حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم ،
 قالوا : ما شأنك ؟ هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لا ، إلا أني قد عرفت أن قد
 بلغكم الإحياء والوصب ، فأحببت أن يحملكم الفرع .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تزوّج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة
 بنت عمر في شعبان ، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي في
 الجاهلية ، فتوفّي عنها .

وفيهما كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا ، وكانت في
 شوال يوم السبت لسبع ليالٍ خلون منه - فيما قيل - من سنة ثلاث من
 الهجرة .

• • •

غزوة أحد

قال أبو جعفر : وكان الذي هاج غزوة أحد بين رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ومشركي قريش وقعة بلى وقتل مَنْ قُتِلَ بيدٍ من أشرف
 قريش ورؤسائهم ، فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن
 إسحاق ، قال : وحدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب

(١) الناطور في الأصل : حارس الكرم والنمل .

(٢) الجُمز : السير السريع .

الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين
ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ؛ كلهم قد
حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما
سُقِيَ من الحديث عن يوم أحد ، قالوا^(١) :

لما أصيبت قريش - أو من قاله منهم - يوم بدر من كفار قريش من
أصحاب القليب ، فرجع فلهم^(٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب
بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ،
في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبنائهم وإخوانهم بدر ، فكلوا
أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا :
يا معشر قريش ، إن محمدًا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا
المال على حربته ؛ لعلنا أن نلذك منه ثارًا بمن أصيب منا ، فاجتمعت
قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب
العير بأحايشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تيمامة ؛ وكل أولئك قد
استعوا^(٤) على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٣٨٥/١

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمحي قد من عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم بدر . وكان فقيرًا ذا بنات^(٥) ، وكان في الأسارى ،
فقال : يا رسول الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن علي
صلى الله عليك ! فن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان

(١) أخبار غزوة أحد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ - ١٤٣ ، والأخافى
١٥ : ١٧٩ - ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) القوم المنهزمين .

(٣) الأحايش : الجماعة أي كانوا ؛ أو هم أحايش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبئر
الحون بن خزيمة ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعوي القوم ؛ أي يستيث بهم ؛ وفي الأخافى : « استعوا » بالعين
المسجمة ؛ وهما سواء .

(٥) ابن هشام : « عيال » .

ابن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعرٌ ، فأعنا بلسانك ، فأخرج معنا . فقال : إن عمداً قد منّ علىّ فلا أريد أن أظاهِرَ عليه ، فقال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله^(١) إن رجعت أن أغتبتك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبن ما أصابن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير في تهامة ، ويدعو بني كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمح ، إلى بني مالك بن كنانة يحرصهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا جبير بن مطعم غلاماً له يقال له وحشٍ ، كان حبشياً يقلب بحرية له قد ذف الحبشة ، قلماً يُخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بمعنى طعيمة بن عدي فأنت عتيق .

فخرجت قريش بعدها وجدّها وأحايشها ، ومن معها^(٢) من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالطعن^(٣) التماس الحفيظة ، ولثلاً يفرّوا . فخرج أبو سفيان بن حرب - وهو قائد الناس ، معه هند بنت عتبة ابن ربيعة - وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأمر حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة - قال أبو جعفر : وقيل ببرة - بنت مسعود بن عمرو بن عمير الشافية ، وهي أم عبد الله ابن صفوان - وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريطة بنت منبه بن الحجاج ، وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلفاة بنت سعد بن شهيد - وهي أم بني طلحة مسافع والخلّاس وكلاب ، قتلوا يومئذ وأبوهم - وخرجت خنّاس بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك ابن حنّس ، مع ابنها أبي عزيز بن عمير ، وهي أم مصعب بن عمير ،

(١) ابن هشام : والله الله .

(٢) م : وتبعها .

(٣) الطعن : جمع ظنة ، وهي المرأة ما قامت في المديح .

١٣٨٧/١

وخرجت عَمْرَةَ بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛ وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشَى أَوْ مَرَّتْ بِهَا قَالَتْ : إِيَّاهُ ^(١) أبا دَسَمَةَ ! اشْفِ واشْتَفِ - وكان وحشَى يكنى أبا دَسَمَةَ . فأقبلوا حتى نزلوا بمَعيْنين بجبل بطن السَّبْحَةِ ؛ من قناة على شفير الوادي ممّا يلي المدينة .

فلَمَّا سمع بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم للمسلمين : إني قد رأيت بقرًا فأولتها خيرًا ، ورأيت في ذُباب سِنَى ثَلَمًا ، ورأيت أننى أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ؛ فإن رأيتُم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلتها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة . وراح رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين صَلَّى الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحد . فالتقوا يوم السبت للتصّف من شوال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبي ابن مسكول مع رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، يرى رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في ذلك : ألا يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ^(٢) ، لا يروُن أنّا جَبُنّا عنهم وضعفنا ، فقال عبدُ الله بن أبي بن مسكول : يا رسولَ الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلا أصاب منّا ، ولا دخلها ^(٣) علينا إلا أصابنا منه ، فدعهم يا رسولَ الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

١٣٨٨/١

(١) ابن هشام : « وها » .

(٢) م : « أعداء الله » .

(٣) الأغاني : « دخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائفين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حباً لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجار ، فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

• • •

قال أبو جعفر : وأما السديّ ، فإنه قال في ذلك غير هذا القول ، ولكنه قال ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بتزول المشركين من قريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا عليّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عدوك لنا قطّ أتانا في ديارنا ^(١) ، فكيف وأنت فينا ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلّول — ولم يدعه قطّ قبلها — فاستشاره فقال : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاريّ ، فقال : يا رسول الله لا تحرمني الجنة ، فوالذي بعثك بالحقّ لأدخلنّ الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأنّي أشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّك رسول الله ، وأنّي لا أفرّ من الزحف . قال : صدقت ، فقتل يومئذ . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما راؤه قد لبس السلاح ندّموا وقالوا : بش ما صنعنا ! نشير على رسول الله والوحي بأنّيه ! فقاموا فاعتلّوا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لنتي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل . فخرج

١٣٨٩/١

رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى أحد في ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلما خرج رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السلمى يدعومهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطلعنا لترجعن معنا ، قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾^(١) فهم بنو سلمة وبنو حارثة ، هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم الله عز وجل ، وبنى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في سبعمائة .^(٢)

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما^(٣) خرج عليهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : يا رسولَ الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ! فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ؛ فخرج رسولُ الله في ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ؛ والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الرئب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بنى سلمة ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من علومهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم ؛ ولكننا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استمعوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغنى الله عنكم !

• • •

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقدي : انخزل عبد الله بن أبي عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الشيخين بثلاثمائة ، وبقي رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخليل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) م. : « فلما » .

ما تقي فرس ، والظنن خمس عشرة امرأة .

قال : وكان في المشركين سبع مائة دارع ، كان في المسلمين مائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل إلا قرسان : فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي . فأدلىج^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من ١٣٩١/١ الشيخين حين طلعت الحمراء - وهما أطمان ، كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما ، فيتحدثان فلذلك ، سُميَا الشيخين ، وهو في طرف المدينة - قال : وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة بالشيخين بعد المغرب ، فأجاز من أجاز ، ورد من رد ، قال : وكان فيمن رد زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعرة بن أوس . قال : وهو الذي قال فيه السماخ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَنْبِي إِلَى الْخَيْوَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرَيْنِ^(٢)
إِذَا مَا رَايَهُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

قال : ورد أبا سعيد الخدري ، وأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد استصغر رافعا ، فقام على خنثين له فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف أصابعه ، فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجازته .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سمرة بن جندب تحت مروة بن سنان بن ثعلبة ، عم أبي سعيد الخدري ، فكان ربيبه ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، وعرض أصحابه ، فرد من استصغر رد سمرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سمرة بن جندب لربيبه مروة بن سنان : يا أبت ،

(١) أدلىج : سار في آخر الليل .

(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧

١٣٩٢/١

أجاز رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم رافع بن خديج ، وردتي وأنا أصرع
 رافع بن خديج ، فقال : مَرَّتْ بَن سنان : يا رسول الله ، رددت ابني ،
 وأجزبت رافع بن خديج وابني يصرعه ! فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم لرافع
 وسُمرة : تصارعا ، فصرع سُمرة رافعاً ، فأجازه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 فشهدا مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم أبو حشمة الحارثي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : ومضى رسولُ الله صَلَّى
 الله عليه وسلَّم حتى سلك في حرّة بنى حارثة ، فلدبّ فرس بذنبه^(١) ، فأصاب
 كلاب^(٢) سيف ، فاستلّه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - وكان
 يُحبُّ الفأل ولا يعتاف - لصاحب السيف : شيم سيفك ، فلاني أرى السيوف
 تستسلّ اليوم . ثم قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لأصحابه : مَنْ
 رجلٌ يخرج بنا على القوم من كُتُب ، من طريق لا يمرُّ بنا عليهم ؟
 فقال أبو حشمة^(٣) أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدّمه فنفلد به
 في حرّة بنى حارثة وبين أمواهم حتى سلك به في مال الميربع بن قيطي - وكان
 رجلاً منافقاً ضرير البصر - فلما سمع حسّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 ومن معه من المسلمين ، قام يتحشّى في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت
 رسولُ الله ، فلاني لا أحلّ لك أن تدخل حائطي ، قال : وقد ذكر لي أنه
 أخذ حَقْنَةً من تراب في يده ، ثم قال : لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك يا محمد
 لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم :
 لا تفعلوا ، فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بدّر إليه سعد بن
 زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عنه ،

١٣٩٢/١

(١) ذب بذنبه ، أي حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : مسبار يَكُونُ في قائم السيف ، وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٣) ابن هشام والأغاني : غيشة .

فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ووضي رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على وجهه ، حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحدٌ حتى تأمره بالقتال ، وقد سرتحت قريش الظهْر^(١) والكراع في زروع كانت بالصنفة^(٢) من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حين نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن القتال : أترعى زروع بني قيلة^(٣) ! ولما تُضارب ! وتعباً رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعبات قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على مينة الخيل خالد بن الوليد وعلى يسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على الرّماة عبد الله بن جُبَيْر ، أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلمٌ بشياب ييُض ، والرّماة خمسون رجلاً ، وقال : انضج^(٤) عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا تؤثّيس من قبلك ، وظاهر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين درعين^(٥) .

• • •

فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، قال : ١٣٩٤/١ : حدثنا إسرائيل . وحدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : لما كان يومُ أحد ، ولقي رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المشركين أجلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رجالاته يلزّاء الرّماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جُبَيْر ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا خلعهم ، وإن رأيتموهم ظهرُوا علينا فلا تعينونا . فلما لقي القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رَفَعْنَ عن سوقهن ، وبدت

(١) الظهْر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٢) الصنفة : موضع قرب أحد .

(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج .

(٤) انضج الخيل : أي اخلعهم .

(٥) ظاهر بين درعين : أي ليس دبراً فوق درع .

خلاصيلهن ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلا ، أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صرّف الله وجوههم ، فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال ، حتى نزل أحدًا ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأذن في الناس فاجتمعوا ، وأمر الزبير على الخيل ، ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندي ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء (١) رجلاً من قريش يقال له مصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسر (٢) ، وبعث حمزة بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ، ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ، وقال : استقبل خالد (٣) بن الوليد ، فكن بلزائمه حتى أؤذك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحن (٤) حتى أؤذك . وأقبل أبو سفيان يحمل الثلاث والعزى ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد ، فهزمه الله ومن معه ، فقال : ﴿ وَقَدْ صَدَّقَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ — إلى قوله — ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحْيُونَ ﴾ (٥) ، وإن الله عز وجل وعد المؤمنين أن ينصرهم (٦) ، وأنه معهم . وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناساً من الناس ، فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا ها هنا ، فردوا وجه من فر منّا ، وكونوا حراساً لنا من قبيل ظهورنا . وأن رسول

(١) الأغاني : « الراية » .

(٢) الأغاني : « بالهيش » .

(٣) و : « خالد » .

(٤) و : « لا تبرحن » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .

(٦) الأغاني : « النصر » .

الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جعلوا من ورثتهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصعدات في الجبل ، ورأوا الغنائم : انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركوا الغنيمة^(١) قبل أن يسبقونا^(٢) إليها ، وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثبت مكاننا ، فلذلك قوله لهم : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الذين أرادوا الغنيمة ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ الذين قالوا: نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها ، حتى كان يومئذ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد أمر الرماة ، فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين ، وقال [لهم]^(٣) : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم [أننا]^(٤) قد هزمناهم ، فلأننا لا نزال غاليين ما ثبتتم مكانكم . وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير . ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام ، فقال : يا معشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا^(٥) بسيفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيفنا إلى الجنة ، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة ، أو يعجلني بسيفه إلى النار ! فقام إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك^(٥) بسيفي إلى النار ، أو تعجلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه على فخذ رجله فسقط فأنكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرحم يا بن عم ! فتركه ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لعلي : ما منعك أن تجهز علي ؟ قال : إن ابن عمي ناشلني حين انكشفت

(١) الأغاني : « الغنائم » .

(٢) الأغاني : « يسبقوا » .

(٣- ٤) من الأغاني .

(٥) الأغاني : « تعجلنا » .

(٥) الأغاني : « يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار » .

هورته فاستحييت منه . ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزمهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد - وهو على خيل المشركين - حمل فرمته الرماة فانقمع ^(١) . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين يتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانطلق عامتهم فلحقوا ^(٢) بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ، وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل ، نادوا فشدوا على المسلمين ، فهزمهم وقتلهم .

١٣٩٧/١

فحدثني بشر بن آدم ، قال : حدثنا عمرو بن عاصم الكيلاني ، قال : حدثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزبير : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً في يده يوم أحد ، فقال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقلت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عني ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقلت فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عني ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقال أبو دُجَانَة سِمَاك بن خَرَشَة ، فقال : أنا آخذه بحقه ، وما حقه ؟ قال : حقه ألا تقتل به مسلماً ، وألا تفرّ به عن كافر ، قال : فلنعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أحلّهم بمصابة ، قال : فقلت : لأنظرن اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل ، معهن دُفُوفٌ لهن ، فيهن امرأة تقول :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تُقْبِلُوا نُسَاقِ
وَنَبْسُطُ النَّمَارِقَ أَوْ تَذْبِرُوا نَفَارِقَ
• فِرَاقَ قَبِيرٍ وَاقٍ •

(١) انقمع : انفض .

(٢) و : و فلق .

قال : فرفع السيف ليضربها ، ثم كف عنها . قال : قلت : كل عملاك قد رأيت ، وأريت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأسكبه عنهم ^(١) ؛ حتى قام إليه أبو دُجَّانَةَ سَمَّاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحني ؛ فقال : أنا أخذه بحقه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه — وكان أبو دُجَّانَةَ رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقا تل — فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عصابته تلك ، فعصب ^(٢) بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصفين . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَّانَةَ يتبختر : إنها لمشينة يبغيضها الله عز وجل إلا في هذا الوطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم . فردوه بما يكره .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد ^(٣) عمرو بن صفى بن مالك بن النعمان بن أمة ^(٤) ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج إلى مكة مباعدًا

(١) الأغاني : بينهم .

(٢) ابن هشام : « فأعصب بها » .

(٣) ساقطة من الأغاني .

(٤) الأغاني : « أمة » .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، منهم عثمان ابن حنيفة - وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر - فكان يعد قريشاً أن لو قد لقي محمد لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما اتى الناس ، كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية «الراهب» ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم «الفاسق» - فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قوى بعدى شر . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة ^(١) ، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم ولستم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإذا أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فسكنفيكموه . فهموا به وتواعلوه ، وقالوا : نحن نسلّم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلما اتى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها ، وأخذت الدُّفوفَ بضربن خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

إِنْ تُقْبِلُوا تُعَانِقْ وَتَفْرَشِ التَّمَارِقُ
أَوْ تَذْبُرُوا تُفْسِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَايِقُ

وتقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ^(٢) وَيَهًا حُمَاةَ الْأَذْبَارِ ^(٣) !
• ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ ^(٤) •

(١) الأغاني : « الحجارة » . والمرادضة : المراماة .

(٢) الأغاني : « إهًا » .

(٣) حماة الأذبار : الذين يحسون أحقاب الناس .

(٤) البتار : السيف القاطع .

واقْتَلَ الناسَ حتى حميت الحرب ، وقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمِنَ فِي الناسَ ، وَحِمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصْرَهُ ، وَصَدَقَهُمْ وَعَدَهُ ، فَحَسُّوهُمْ ^(١) بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ ، وَكَانَتِ الْمَرْيَمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا .

• حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرَ إِلَى حَدَثَمِ هِنْدَ بِنْتِ عُبَيْةٍ وَصَوَاحِبِهَا ^(٢) ١٤٠١/١ مَشْمَرَاتِ هَوَارِبٍ ، مَا دُونَ أَخَذِهِمْ قَلِيلٌ كَثِيرٌ ، إِذْ مَالَتِ الرُّمَاهُ إِلَى الْعَسْكَرِ حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ يَرِيدُونَ النَّهْبَ ، وَخَلُّوا ظُهُورَنَا لِلْخَيْلِ ، فَأَتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا وَصَرَخَ صَارِيخٌ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ - أَفَانَكُنَا ^(٣) ؟ وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ ، بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللَّوَاءِ حَتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ اللَّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيحًا حَتَّى أَخَذَتْهُ صَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ ، فَرَفَعَتْهُ لِقُرَيْشٍ ، فَلَا تُلَوُّا بِهِ ^(٤) ، وَكَانَ اللَّوَاءُ مَعَ صَوَابٍ ، غُلَامٌ لِبْنِي أَبِي طَلْحَةَ ، حَبَشِيٌّ ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ ، ثُمَّ بَرِكَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ اللَّوَاءُ بِصَدْرِهِ وَصَنَّقَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَلْ أَعْدَرْتُ ! فَقَالَ فَحَسْبَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي قَطْعِ يَدِ صَوَابٍ حِينَ تَقَاذَفُوا بِالشَّعْرِ :

فَقَرَرْتُمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لَوْ لَا حِينَ رُدُّوا إِلَى صَوَابٍ ^(٥)
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِمَا لَتُبْدِيَنَّ مِنَ الْأَعْمِ مَنْ وَطِئَ حَقَرَ التَّرَابِ ^(٦)

(١) حَسُّوهُمْ : اسْتَأْصَلُوهُمْ . (٢) و : « وَصَوَاحِبُهَا » .

(٣) الْكَفَاءُ : رَجَعْنَا .

(٤) لَا تُلَوُّا بِهِ : اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ . وَفِي الْأَثَرِ : « فَلَا تُلَوُّوا بِهِ » . (٥) دِيْوَالَهُ ٦٢

(٦) ابْنُ حِشَامٍ وَالْدِهْلَوِيُّ : « مَنْ وَطِئَ حَقَرَ التَّرَابِ » .

ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ
بَأَنَّ جِلْدَنَا يَوْمَ التَّقِيْنَا ١١٠٢/١
أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ
وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ
بِمَكَّةَ بَيْنَكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ
وَمَا إِنْ تُصْبَنَانِ عَلَى خَضَابِ (١)

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا حبيبان
ابن عليّ ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جده ، قال :
لما قَتَلَ عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية (٢) ، أبصر رسولُ الله صلَّى الله
عليه وسلَّم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعليّ : احمل عليهم ، فحمل
عليهم ؛ ففرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحِيُّ . قال : ثم أبصر
رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعليّ :
احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ؛ وقتل شيبة بن مالك أحد
بنى عامر بن لؤي ، فقال جبريل : يا رسولَ الله ، إنَّ هذه لتُمواساة ،
فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنه مني وأنا منه ، فقال جبريل :
وأنا منكما ، قال : فسمعوا صَوْتَا :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَّارِ وَلَا قَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

قال أبو جعفر : فلمّا أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم
المشركون ، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلث قَتِيلَ ،
وثلث جريح ، وثلث منهزم ؛ وقد جهده الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ،
وأصابت ربّاعية (٣) رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم السفلى ، وشقَّتْ شفته ، ١١٠٣/١

(١) قال ابن هشام : « آخرها يتا يدرى لأبي غرأش الملوك ، وأنشدني له خلف الأحمر :

أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهَا وَمَا إِنْ تُصْبَنَانِ عَلَى خَضَابِ

في أبيات له يعني أمرائه في غير حديث أحد ، وروى الأبيات أيضاً لحقل بن غويلد الملوك .

(٢) الأَخَانِي : « لما قتل أصحاب الألوية . »

(٣) الرباعية : السن التي بين الثانية والثالث .

وَكُلِّمَ فِي وَجْهِهِ وَجْهَتُهُ فِي أَصُولِ شَعْرِهِ ، وَعَلَاهُ ابْنُ قَمِيْثَةَ بِالسَّيْفِ عَلَى شَقَّةِ الْإِيمَنِ ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ .

• حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشُجَّ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْهَيْمِ . وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ (١) الْآيَةُ .

• • •

قال أبو جعفر : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيته القوم : مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ !

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، عَنْ عُمُودِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ ، قَالَ : فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي نَفَرٍ خَمْسَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : إِنَّمَا هُوَ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ ، فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا ، ثُمَّ رَجَلًا ، يَقْتُلُونَ دُونَهُ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ - أَوْ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ (٢) - فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، ثُمَّ فُتَّتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِئْتَةٌ (٣) حَتَّى أَجْهَضُوا (٤) عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَدْنُوهُ مِنِّي ، فَأَدْنُوهُ مِنْهُ ، فَوَسَّدَهُ قَدَمَهُ ، فَاتَّ وَخَدَهُ عَلَى قَدَمَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَسَ دُونَ ١٤٠٤/١

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .

(٢) الْأَخْبَاطُ : « زِيَادُ بْنُ عُمَارَةَ بْنِ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ » .

(٣) الْفِئْتَةُ : الْجُمَاعَةُ .

(٤) أَجْهَضُوا : أَزَالُوا وَغَلَبُوا .

(٥) الْأَخْبَاطُ : « مِنْ دُونِ » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانة بنفسه يَتَمَعُ النَّبِيلَ فِي ظَهْرِهِ
وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِ النَّبِيلُ ، وَرَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دُونَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنَاولُنِي وَيَقُولُ :
ارْمِ لِي ذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي ! حَتَّى إِنَّهُ لَيَنَاولُنِي السَّهْمَ مَا فِيهِ نَصْلٌ ، فَيَقُولُ :
ارْمِ بِهِ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى
عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَتْ سَيْبَتُهَا ^(١) ، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ؛ فَكَانَتْ
عِنْدَهُ ، وَأَصْبَحَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ؛ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ،
قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَدَّهَا بِيَدِهِ ؛ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِهِ وَأَحَدَهُمَا .

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَمَعَهُ لَوَاهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ ابْنُ قَمَيْثَةَ ^(٢) الْبَيْتِيُّ .
وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ :
قَتَلْتُ مُحَمَّدًا . فَلَمَّا قَتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أُعْطِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عَلَى يَدِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
حَتَّى قَتَلَ أَرْطَاةَ بْنِ عَبْدِ ^(٣) شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ
قُصَيٍّ ؛ وَكَانَ أَحَدُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللَّوَاءَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى
الغُبَشَانِيُّ - وَكَانَ يَكْنَى بِأَبِي نَيْيَارٍ - فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : هَلُمَّ
إِلَى يَا بْنَ مَقْطَعَةَ الْبُظُورِ - وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَمَّارٍ مَوْلَاةُ شَرِيْقٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ
وَهْبِ الثَّقَفِيِّ ، وَكَانَتْ خُتَّانَةً بِمَكَّةَ - فَلَمَّا التَقِيَ ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ

(١) سِيَةُ الْقَوْسِ : طَرَفُهَا .

(٢) الْأَغَانِي وَابْنُ حَشَامٍ : « ابْنُ قَمَيْثَةَ » . (٣) سَاحِلَةٌ مِنْ رِوَايَةِ الْأَغَانِي .

وَحَنُفِيٍّ غُلَامٌ جَبْرِ بنِ مَطْعِمٍ : وَاقِهْ إِيَّيْ لَأَنْتَظِرُ إِلَى حِمْرَةٍ يَهْدُ^(١) النَّاسَ بِسِفْنِهِ ، مَا يَلِيقُ^(٢) شَيْئًا يَمُرُّ بِهِ ، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ ، إِذْ تَقْدُمُنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ، فَقَالَ لَهُ حِمْرَةٌ : هَلُمَّ إِلَىَّ يَا بْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ ! فَضَرَبَهُ ، فَكَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَمِزْزَتْ حَرَبِيَّ حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي لَبَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ نَحْوِي ، فَغَلَبَ فَوْقَهُ ، فَأَمَهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِثْتُ فَأَخَذْتُ حَرَبِيَّ ، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بَشْيٌ حَاجَةٌ غَيْرِهِ . وَقَدْ قَتَلَ حَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ابْنَ الْأَقْلَحِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مَسَافِعَ بْنَ طَلْحَةَ وَأَخَاهُ كِلَابَ بْنَ طَلْحَةَ ، كَلَامَهُمَا يَشْمُرُهُ^(٣) سَهْمًا ، فَيَأْتِي أُمُّهُ سُلَافَةٌ فَيَبْضَعُ رَأْسَهُ فِي حَجَرِهَا ، فَتَقُولُ : يَا بُنَيَّ ، مَنْ أَصَابَكَ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ رَجُلًا حِينَ رَمَانِي يَقُولُ : خَذَهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَقْلَحِ ! ١٤٠٦/١ فَتَقُولُ : أَتَقْلِحِي ! فَلَذَرْتُ اللَّهَ إِنْ أَلَّهِ أَمَكْنَهَا مِنْ رَأْسِ حَاصِمٍ أَنْ تَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ . وَكَانَ حَاصِمٌ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ أَلَّا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا وَلَا يَمَسَّهُ .

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ ، أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ التَّجَارِ ، قَالَ : انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النُّضَرِ ، هَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، إِلَى عَمْرِو بْنِ الْأَخْطَابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْلِيهِمْ ، فَقَالَ : مَا يَجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا : قَتَلْنَا مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ؟ قَوْمُوا فَمُوتُوا [كِرَامًا]^(٤) عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ، وَبِهِ سَمَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ

(١) هَلَهُ بِالسِّيفِ : قَطَعَهُ .

(٢) مَا يَلِيقُ : مَا يَتَرَكُ وَمَا يَلِيقُ .

(٣) أَشْمَرُهُ سَهْمًا : خَالَطَهُ بِهِ .

(٤) مِنَ الْأَعْلَى .

النَّضْرَ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَطَعَنَ فَا عَرَفَهُ إِلَّا أُخْتَهُ ، عَرَفْتُهُ بِحَسَنِ بَنَانِهِ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 كان أولَ مَنْ عَرَفَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعد الهزيمة وقول الناس :
 « قُتِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » - كما حدثني ابنُ شهاب الزهري - كعب بن
 مالك ، أخو بني سليمة ، قال : عرفت عينيه تهرَّان تحت المغفر ، فناديت :
 بأعلى صوقي : يا معشرَ المسلمين أبشروا ! هذا ^(١) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم !
 فأشار إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت . فلما عرف المسلمون
 رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم نهضوا به ، ونهضَ نحو الشعب ، معه علي بن
 أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله
 والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمَّة ، في رهط من المسلمين ^(٢) . فلما أسند ^(٣)
 رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين
 مُحَمَّدٌ ! لا نجوتُ ! إن نجوتُ ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيعطف عليه
 رجلٌ ميتاً ؟ قال : دعوه ، فلما دنا تناول رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 الحربة من الحارث بن الصمَّة - قال : يقول بعضُ الناس فيما ذكر لي :
 فلما أخذها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، انتفض بها انتفاضة تطايرَ ناعنه تطايرُ
 الشعراء ^(٤) عن ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة
 تدَّاد ^(٥) منها عن فرسه مرَّاراً .

وكان أبي بن خلف - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن محمد ابن إسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
 - يلتقي رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بمكة ، فيقول : يا مُحَمَّدُ
 إن عندى العتودَ ، أعلفه كلَّ يومٍ فترقا ^(٦) من ذرة أقتلك عليه ! فيقول

(١) م : « هناك » . (٢) الخبر إل هنا في التفسير ٧ : ٢٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند في الجبل : رق فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، وقيل أزرق ، يقع على الإبل ويخذيها أدنى شديد .

(٥) تداداً : تفسرج .

(٦) الفرق : مكياك لأهل المدينة يسع ثلاثة أصولح .

رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش ، وقد خلشه في عنقه^(١) خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد . قالوا : ذهب والله فؤادك ، والله إن بك بأس^(٢) . قال : إنه قد كان بمكة قال لي : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني . فأت عترة الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درعته من المهراس^(٣) . ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ، ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه ، وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، عن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت لسيء الخلق ، مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله» .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أتى ابن قميصة الحارثي أحد بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، فرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجّه في وجهه ، فأثقله وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله !

(١) الألفاني : « حلقه » .

(٢) الألفاني : « ما بك بأس » .

(٣) المهراس : ماء يجبل أحد .

١٤٠٩/١ إلى عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماء طلحة ، فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي ، وقد حلف ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذاب ، أين تنقير ! فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع ، فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خوار الثور ، فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فاجزئك ؟ قال : أليس قال : « لا تقتلنك » ! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ، فيأخذ لنا أمة من أبي سفيان ! يا قوم إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . قال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل ، فإن رب محمد لم يقتل . فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد : اللهم أني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شد^(١) سيفه فقاتل حتى قتل ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه وضع رجل سهماً في قوسه ، فأراد أن يرميه فقال : أنا رسول الله ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

١٤١٠/١

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ^(١).
 فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا
 عليه ، وأهمهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليس لهم
 أن يعلّونَا ، اللهمَّ ! إن تقتل هذه العصابة لا تُعبد ! ثم ندب أصحابه ،
 فرمّوهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذ : اهلُ هُبَل ، حنظلة
 بحنظلة ، ويومٌ يوم ^(٢) بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جنبًا
 ففسلته الملائكة ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتِل يوم بدر ، وقال أبو سفيان :
 لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : قل : الله
 مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكُم ^(٣) محمد ! أما إنها ^(٤) قد كانت
 فيكم مثلة ، ما أمرت بها ولا نبيت عنها ، ولا سرّتنى ولا ساءتنى ، فذكر الله
 عز وجل إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَنَابَكُمْ غَاً بِنَمٍ لِكَيْلَا
 تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والنم الأول ما فاتهم من الغنيمة
 والفتح ، والنم الثاني إشراف العدو عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ ١٤١١/١
 من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ^(٥) من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان ^(٦) .
 قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال - فيما حدثنا ابنُ حميد
 قال : حدثنا سلمة عنه - بينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ،
 ومعه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قریش الجبل ، فقال رسولُ
 الله صلى الله عليه وسلم : اللهمَّ ! إنه لا ينبئني لهم أن يعلّونَا ، فقاتل عمر بن
 الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ، ونهض رسولُ
 الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدت رسول

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) م : « ويوم أحد يوم بدر » .

(٣) م : « فيكم » .

(٤) م : « قال : أما إنها » ، وفي التفسير « قالوا : نعم » ، قال .

(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين درعين^(١) ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى استوى عليها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهى بعضهم إلى المنى دون الأعرص ، وفرّ عثان بن عفان وعقبة بن عثان وسعد بن عثان (رجلا من الأنصار) ، حتى بلغوا الجحكعب (جبلا بناحية المدينة مما يلي الأعرص) ، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : لقد ذهبتُم فيها عريضة^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل ، التقى هو وأبوسفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود وكان يقال له . ابن شعوب قد علا أباسفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم^(٤) - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة . فسلا أهله : ما شأنه ؟ فسلّستُ صاحبه ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهامة^(٥) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسّلته الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود في قتله حنظلة :

لأَخِيَيْنِ صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْنَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ

(١) وظاهر بين درعين ، أى لبس إحداها على الأخرى .

(٢) الخبر في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) عريضة ، أى وأسمه ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ . (٤) ر : صاحبكما .

(٥) الهامة : الصوت الذى تفرع منه وتخالفه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب : وهو يذكر صبره ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب شداد بن الأسود إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نجحتُ كَمَيْتٌ طِمْرَةٌ ولم أحمِلِ الثَّجَاءَ لَإِنِ شَعُوبٌ^(١)
 فإزال مُهْرَى مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ لَدَى غُدُوٍّ حَقَّ دَنْتٌ لِفُرُوبٍ^(٢)
 أَقَاتِلُهُمْ وَأَدْعِي بَالَ غَالِبٍ وَأُدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبٍ
 فَتَكُنِّي وَلَا تَرْعَى مَقَالَةَ عَاذِلٍ وَلَا تَسْأَلْنِي مِنْ عَصْبَةٍ وَتَحْمِيهِ^(٣)
 أَبَاكِ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا وَحَقٌّ لَمْ مِنْ عَصْبَةٍ بِنَصِيبٍ
 وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْتَى قَتَلْتَ مِنَ النَّجَارِ كُلَّ نَجِيبٍ
 وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا نَجِيًّا وَمُضْعَبًا وَكَانَ لَدَى الْمُهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبٍ^(٤)
 وَلَوْ أَنْتَى لَمْ أَشَفْ مِنْهُمْ قُرُوتِي لَكَانَتْ شَجَى فِي الْقَلْبِ ذَاتُ لُدُوبٍ^(٥)
 فَأَبُوءَا وَقَدْ أَوْدَى الْحَلَابُ مِنْهُمْ لَمْ خَدَبْتُ مِنْ مُضْعَبٍ وَكُثِيبٍ^(٦)
 أَصَابُهُمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كَفَيَّا وَلَا فِي خَطَلَةٍ بِضَرْبٍ
 فَأَجَابَهُ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ :

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتَ لَزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبٍ^(٧)
 أَتَمَجَّبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمَزَةَ مِنْهُمْ نَجِيًّا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبٍ^(٨)
 أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَأَبْنَ حَبِيبٍ

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثوب .

(٢) مزجر الكلب : أي لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يهجر الكلب فيه .

(٣) القرم : الفعل الكريم من الإبل : يريد حمزة .

(٤) القروقة : النفس ، وذو ابن هشام : « لم أشف نفسي منهم » .

(٥) الحلاب : الجصاصات ، أو أنصار الرجل من بني عمه . ورواية البيت في ابن هشام :

قَالُوا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَابِيْبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُضْعَبٍ وَكُثِيبٍ

(٦) أبيات أبو سفيان وجواب حسان : في ديوان حسان ٦٤ - ٦٦ .

(٧) أصله : رواية .

غَدَاةً دَعَا الْعَامِىَ عَلَيْهِ فَرَاهَهُ بِضَرْبَةٍ عَصَبٍ بِهِ بِخَضِيبٍ

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبي سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلَوْلَا دِفَاعِىَ يَابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِى لَأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ حَبِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرَتِى الْمُهَرَّ بِالنَّعْفِ قَرَقَرَتْ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ مُرَاهُ كَلِيبٍ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان فى قوله :

• وما زال مُهْرَى مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ •

وظنّ أنه يعرض به لاذفر يوم بدر :

وَأَنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لَأَبْتُ بِقَلْبِى مَا بَعِثَ تَحْيِيبٍ^(١)
لَدَى صَعْنٍ بَذَرْتُ وَأَقَامْتُ نَوَائِحَ عَلَيْكَ، وَلَمْ تَعْمَلْ مُصَابَ حَبِيبٍ
جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بِبَذْرِ كَمَثَلِهِ عَلَى سَابِغٍ ذِى مَيْعَةٍ وَشَبِيبٍ^(٢)

١٤١٥/١

• • •

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان - والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلتى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتجدعن الآذان والأنوف^(٣) ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدما^(٤) وقلائد ، وأعطت خدما وقلائدها وكبرطتها وحشيشا ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة

(١) التحبيب : الجلبان الفرح .

(٢) السابغ : الفرس الذى كأنه يسبح فى جريه . والميعة : الخفة والنشاط ، شبيب ، أى شاب .

(٣) الأنوف : الآنف .

(٤) الخدم : جمع غنمة ، بالتحريك ، وهى الخلخال .

فلاكتنها فلم تستطع أن تسيبها فكلفتها . ثم عكت على صخرة مشرفة ،
فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، أنه حدث أن عمر بن الخطاب
قال لحسان : يا بن الفريضة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها ، قائمة
على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال له حسان : والله
إنني لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارح - يعني أطمه - فقلت :
والله إن هذه سلاح ما هي بسلاح العرب ، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ؛
ولا أدري . أسمعني بعض قبيل أكفيكموها ، قال : فأنشده عمر بعض
ما قالت ، فقال حسان يهجو هنداً :

أشِرتَ لكّاعٍ وكانَ عَادَتُهَا لَوْ مَا إِذَا أَشِرتَ مَعَ الْكُفْرِ^(١)
لَعَنَ الْإِلَهُ وَزَوْجَهَا مَعَهَا هِنْدَ الْهُنُودِ عَظِيمَةَ الْبُظْرِ
أُخْرِجَتِ مُرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ فِي الْقَوْمِ مُتَقَبَّةً عَلَى بَكْرِ^(٢)
بَكْرٍ فَقَالَ لَا حَرَكَ بِهِ لَا عَنْ مُعَاتِبَةٍ وَلَا زَجَرٍ^(٣)
وَعَصَاكَ إِشْتِكَ تَتَقَبَّحُ بِهَا دُقِيَ السُّجَاةَ هِنْدُ بِالْفَهْرِ^(٤)
قَرِحتُ عَجِيزَتَهَا وَمَشَرَجُهَا مِنْ دَائِهَا نَصًّا عَلَى الْقَتْرِ^(٥)

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكّاع : كفى بما من هند ، وامرأة لكّاع : لئمة ، ورواية الأمان :
« من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يجعل البعير على الخلب ، وفي الديوان : « معتقة على بكر » .

(٣) الفضال : البطي . من الإهبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أي ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على المطية حتى تسير .

والمجاعة : المصب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النقص : ضرب من السير السريع ، والقتر : بالضم : الناحية والجانب .

١٤١٧/١

ظَلَّتْ تَدَاوِيَهَا زَمِيلَتَهَا بِالماءِ تَنْفَعُهُ وَبِالسَّدْرِ
أَخْرَجَتْ نَائِرَةً مَبَادِرَةً بِأَيْكِ وَابْنِكِ يَوْمَ ذِي بَدْرِ
وَبِعَمِّكَ الْمَسْتَوْ فِي رَدْعٍ وَأَخِيكَ مُنْعَرِّينَ فِي الْجَفْرِ (١)
وَنَسِيتِ فَاحِشَةَ أَتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ، وَيَحْكُ سُبَّةَ الْأَهْرَاءِ (٢)
فَرَجَّتِ صَاغِرَةً بِلا تِرَةٍ مِنَّا ظَلَمْتَ بِهَا وَلَا نَصْرٍ
زَعَمَ الْوَلَدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرِ

قال أبو جعفر: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم - فيما حدثنا
هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المقدم، قال: حدثنا إسرائيل.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثني أبي، عن إسرائيل، قال: حدثنا
أبو إسحاق، عن البراء، قال: ثم إن أبا سفيان أشرف علينا، فقال:
أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه، مرتين،
ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: لا تجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثاً، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: أمّا
هؤلاء فقد قُتِلُوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا، فلم يملك عمر بن الخطاب
نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، قد أبى الله لك ما يخزيك! فقال:
اعلُ هُبَل! اعلُ هُبَل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه،
قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلنى وأجلى! قال أبو سفيان: ألا
لنا العزى ولا عزى لكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه،
قالوا: ما نقول؟ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبو سفيان: يوم

١٤١٨/١

(١) المستو: المضروب في اسه. والردع: الدم. الديوان: «المسلوب يزه» وفي ط:

«ردع»، وما ألبته من الأغاني.

(٢) الأغاني: «سيرة الدهر».

يوم بدر ، والحرب سجال ، أما إنكم ستجلون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسفئ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال في حديثه : لما أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلم يا عمر ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنيته فانظر ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أكلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، فقال : أنت أصدق عندي من ابن قميصة^(١) وأبر ، لقول ابن قميصة لهم : إني قتلت محمداً . ثم نادى أبو سفيان ، فقال : إنه قد كان في قتلكم مثلاً^(٢) والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نهيت ولا أمرت^(٣) .

وقد كان الحليسي بن زبَّان أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مرَّ بأبي سفيان بن حرب ، وهو يضرب في شدة حمزة بزج الرمح ، وهو يقول : ذق ذق^(٤) فقال الحليسي : يا بني كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بآبن عمه كما ترون لحما^(٥) ! فقال : اكتمها ، فلما كانت زلة ، فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر ١٤١٩/١ للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل نعم هي بيننا وبينك موعد .

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتمعوا الخيل ، وامتلأوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ، فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا

(١) الأغاني : قصة . (٢) الأغاني : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مظلة .

(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٤) ذق ذق ، أي ذق جزءاً فلك يا علي ، وطق : معدول عن عاق المبالغة ، كغندر

من غادر .

(٥) لحما ، أراد وهو قتل .

يصنعون ؛ فلما اجتنبوا الخيل وامتلوا الإبل توجهوا إلى مكة ؛ وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أى ذلك كان فأخفنه ^(١) حتى تأتيتى . قال على عليه السلام : فلما رأيتهُم قد توجهوا ^(٢) إلى مكة أقبلت أصبح ، ما أستطيع أن أكرم الذى أمرونى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما بى من الفرح ؛ إذ رأيتهُم انصرفوا إلى مكة عن المدينة .

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى أخى بنى النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ - وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج - أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل ؛ فنظر فوجده جريحاً فى القتلى به رمى ، قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرونى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنا فى الأموات ، أبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزأك الله خيراً ما جزى نبي عن أمته ؛ وأبلغ عنى قومك السلام ، وقل لم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خليص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف . ثم لم أبرح حتى مات ؛ فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده يبعث الوادى قد بقير بطنه عن كبده ، ومثله به ، فجذع أنفه وأذناه .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صبغة أو تكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ؛ ولئن أنا أظهرت الله على قریش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ؛ فلما رأى

المسلمون حزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغظه على ما فعل بعمة ،
قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمُتكنَ بهم مُثْلَةً لم يثْلُها ١٤٢١/١
أحد من العرب بأحد قط ! .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن
إسحاق ، قال : أخبرني بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن
كعب القرظي ، عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلمة : وحدثني
محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ،
عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ
مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) ، إلى آخر السورة ،
فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المُثْلَةِ .

قال ابن إسحاق : وأقبلتُ - فيما بلغني - صفية بنت عبد المطلب
لتنظر إلى حمزة - وكان أخاها لأبيها وأُمها - فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها
الزبير فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن ترجعي ،
فقلت : ولم ، وقد بلغني أنه مثيل بأخي وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان
من ذلك ! لاحتسبن ولاصبرن . إن شاء الله . فلما جاء الزبير رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصَلَّتْ
عليه ، واسترجعت واستغفرت له ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به
فدُفِنَ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن
إسحاق ، قال : فزعم بعض آل عبد الله بن جحش - وكان لأُمَيَّة بنت
عبد المطلب خاله حمزة ، وكان قد مثيل به كما مثيل بحمزة ، إلا أنه

لم يُبْقَر عن كبده - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَهُ مع حمزة في قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وقع ^(١) حُسَيْلُ بن جابر - وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان - وثابت بن وقش بن زَعَوْرَاء في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ؛ وهما شيخان كبيران : لأبالك ! ماتتتظر؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظِلْمٌ حِمَارٌ ^(٢) ، إنما نحن هامة اليوم ^(٣) أو غَدٌ ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله عز وجل يرفعنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا في النَّاس ، ولم يُعْلَم بهما ؛ فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْلُ بن جابر ، اليَمَان ، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ؛ ولا يعرفونه . فقال حذيفة : أبى ! قالوا : والله إن عرفناه . وصدقوا ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدْبَهُ ^(٤) فتصدق حذيفة بيديته على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا .

١٤٢٣/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد : فأتى به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهل الدار ؛ فجعل المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أبشِر يا بن حاطب يا بلغة ،

(١) كذا في م ، وفي الأغاني : « رجع » .

(٢) ظم الحمار : ما بين الشريطين له ؛ وليس شيء من الدواب أقصر ظنا من الحمار ، يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين .

(٣) هامة اليوم أي سنوت اليوم أو غدا .

(٤) دباه ، أي أمى دبه .

قال : وكان حاطبٌ شيخاً قد عا^(١) في الجاهلية ، فتنجس يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شيء تبشرونه ، أبجنة من حرمل^(٢) ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه ، ولنجتموني به !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتى^(٣) لا يدري من أين هو ، يقال له قُزَمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكره : إنه لمن أهل النار ، فلمّا كان يوم أحد ، قاتل قتالا شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة ، وكان شهيداً شجاعاً ذا بأس ، فأبنته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُزَمان ! فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا على أصحاب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلمّا اشتدت عليه جراحته ، أخذ سهماً من كنانته فقطع رواجه فترقه الدم فأت ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد أني رسولُ الله حقاً !

وكان ممن قُتِل يوم أحدٍ مُخَيَّرِيقُ اليهودي ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفطيسين ، لمّا كان ذلك اليوم قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحقٌ . قالوا : إن اليوم يوم السبت ، فقال : لا سبت ، فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصيبتُ فإلى محمد يصنع فيه ما شاء . ثم غداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : مُخَيَّرِيقُ خيرُ يهود .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن

(١) عا ، أى كبر وأسن .

(٢) قال السهيلي : يريد الأرض التي دفن فيها ؛ وكانت نبت الحرمل : أى ليس له جنة

إلا ذلك .

(٣) الأتي : الغريب ليس من القوم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلَهم إلى المدينة . فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنهم حيث صرُّعُوا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سليمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد . قال : فلما احترق معاوية القناة أخرجا وهما يثنيان ^(١) كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حمصة بنت جحش - كما ذكر لي - فنعيت لها ^(٢) أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعيت لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعيت لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج ^(٣) المرأة منها لمكان ، لما رأى من تبُّثها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال : ومَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظلَّهم ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، ففكرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال : لكن حمزة لا يواكى له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيّد بن حُضَيْر إلى دار بني عبد الأشهل أمرَ نساءهم أن يتحرَّضنَّ ثم يذهبن فيبكين على حم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عَوْن ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ،

(١) م : « يثنيان » .

(٢) م : « إليها » .

(٣) م : « لزوج » .

قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ؛ فلما نعموا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبين ؛ قالت : أرنيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأيته قالت : كل مصيبة بعدك جلك^(١) !

• • •

قال أبو جعفر : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله ناول^{١٢٦/١} سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ؛ وناولها على عليه السلام سيفه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقتي اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدقت معك سهل بن حنيف ، وأبو دجانة سمالك بن خترشة . وزعموا أن علي بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أَفَاطَمَ هَآكَ السِّيفُ غَيْرَ ذِمِّهِ فَلَسْتُ بِرَعِيدٍ وَلَا بَعْلِمِ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحَدٍ وَطَاعَةِ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِمِ
وَسَيِّفِي بِكَفِّي كَالشَّهَابِ أَهْزُهُ أَجْذُ بِهِ مِنْ عَاتِقِي وَصِمِ
فَارَزَلْتُ حَتَّى فَضَّ رَبِّي جُوعَهُمْ وَحَقِّ شَفِينَا نَفْسَ كُلِّ حَلِمِ

وقال أبو دجانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالل به قتالا شديداً - وكان يقول : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشا شديداً فصمدت له ، فلما حملت عليه بالسيف ولولت ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة - وقال أبو دجانة :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّيْفِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَا أَتَوْمُ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوِيلِ أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ^(٢)

١٢٦٧/١

(١) جلال ، أى صغيرة ، وهو من الأضداد . (٢) الكيول : آخر الصفوف في الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت؛ وذلك يوم الواقعة بأحد؛ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، قال: كان يوم أحد يوم السبت؛ للنصف من شوال؛ فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يطلب العدو؛ وأذن مؤذنه: ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: يا رسول الله، إن أبى كان خلفني على أخواتي سبع، وقال لي: يا بُنى؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أؤثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي؛ فتخلف على أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج معه؛ وإنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مرهباً للعدو؛ وليبلغهم أنه خرج في طلبهم؛ ليظنوا به قوة؛ وأن الذي أصابهم لم يوهينهم عن عدوهم. ١٤٢٨/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لي، فرجعنا جريحيين؛ فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي وقال لي: أنفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم! والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل؛ فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنت أيسر جرحاً منه - فكنت إذا غلب حملته عقبة^(١) ومشى عقبة؛ حتى

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهى إلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ؛ وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرَّ به — فيما حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ عن ابنِ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم — معبدُ الخَزَاعِي ، وكانت خِزَاعَةُ مسلمهم ومشرِكهم عَيْبَةً ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهمة ، صَفَقْتُهُمْ ^(٢) معه ، لا يخفون عليه شيئاً كان بها — ومعبد يوشذ مشرك — فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ؛ ولَوْ دَنَا أَنْ اللَّهَ كَانَ أَهْوَكَ فِيهِمْ ! ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ؛ حتى لَقِيَ أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ وَمِنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدَّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لَنَتَكْرَنَ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ ؛ فَلَنَقْرَعَنَّ مِنْهُمْ . فلَمَّا رَأَى أَبُو سَفِيَّانٍ مَعْبِدًا ، قال : ما وراك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط ؛ يتحرقون عليكم تحرقاً ؛ قد اجتمع معه مَنْ كَانَ تَخْلَفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ ، ونلموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : وياك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل ^(٣) بقيتهم ، قال : فلأنتي أنهارك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه آياتاً من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهْدِي مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلِي إِذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ ^(٤)

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

(٢) ساقطة من رواية الأخاف .

(٣) في الأخاف : « نستأصل شأفتهم » .

(٤) تهدي : يبلغ منها الجهد وتكسر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس القصير الشعر .

والأبابيل : الجماعات .

تَرَدَّى بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَهُ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَازِيلِ ١٤٣٠/١
 فَظَلْتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لِمَا سَمَوُا بِرَيْسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
 قُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّلْتَ الْبَطْحَاءَ بِالْجِيلِ (١)
 إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي لِرَابَةٍ مِنْهُمْ وَمَقُولِ (٢)
 مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ قَنَائِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ (٣)

قال : ففنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومَرَّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلَّغون عنى عمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إيلكم هذه غداً زيباً بعكَّاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسيرَ إليه وإلى أصحابه ، لنستأصل بقيتهم . فرَّ الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ، فزعم بعضُ أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر في وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبى عزة الحمصي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلَّف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابنَ أم مكتوم .

• • •

(١) تغطلت : اضطربت . والجيل : الأمة وكل صنف من الناس .

(٢) في الأُخاني : « لأهل السيل » ؛ والسيل : من أسماء مكة . ضاحية : علانية . المقول المقل .

(٣) الوحش : رذالة الناس وسفاهم . والقنائل : جمع قنبلة ؛ وهي الطائفة من الناس . وفي الأُخاني : « تنابله » .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث من الهجرة - وُلِدَ الحَسَنُ بن
 عليّ بن أبي طالب في النصف من شهر رمضان .
 وفيها عَلِقَتْ فاطمة بالحسين صلوات الله عليهما. وقيل : لم يكن بين
 ولادتهما الحسن وحملها بالحسين إلاّ خمسون ليلة .
 وفيها حملت - فيما قيل - جميلة بنت عبد الله بن أبي عبد الله بن
 حنظلة بن أبي عامر في شوال .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرجيع في صفر . وكان من أمرها ما حدثني به ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة^(١) فقالوا له : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً وخيراً ، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفَقِّهُونَا^(٢) في الدين ، ويقرءُونَا^(٣) القرآن ، ويعلمُونَا^(٤) شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرًا سبعة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الفُتَوَي حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير حليف بني عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخُبَيْب بن عدى أخا بني جَحْجَجِي بن كُلفَة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثينة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفًا لبني ظُفَر من بَلِيّ .

١١٣٢/١

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهداة) غدروا بهم ، فاستصرخوا^(٥) عليهم هُدَيْلًا ، فلم يَسْرِعِ القومُ وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف ، قد غَشُّوهم . فأخذوا أسياهم ليقاتلوا^(٦) القوم ، فقالوا لهم : إننا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا

(١) قال ابن هشام : « عضل والقارة : من الهون بن خزيمه بن مدركة » .

(٢) في رواية الأغانى ، بحذف النون على الجزم في جواب الطلب ، وإثباتها على أن تكون الجملة صفة للنفر .

(٣) استصرخوا : استنصروا .

(٤) ابن هشام : « ليقاتلهم » .

نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .
فأما مرتد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقالوا : والله
لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، فقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

وأما زيد بن الدثينة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فلأنوا ورقوا
ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم^(١) ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعهم بها حتى إذا كانوا بالظهران ، انزع عبد الله بن طارق يده
من القيران^(٢) ، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى
قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثينة ، فقد دُما بهما بمكة ، فباوهما
فابتاع خبيبا حُجَيْرُ بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبه بن
الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حُجَيْرُ أخا الحارث بن عامر لأمه - ليقته
بأبيه ، وأما زيد بن الدثينة ، فابتاعه صَفْوَان بن أمية ليقته بأبيه أمية بن
خلف ، وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه لبيعوه
من سُلَاقَة بنت سعد بن شُهَيْد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم
أحد : لن نذرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر ، فنتعه
الدبر^(٣) . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يُحْسِي فتذهب عنه ،
فتأخذه ، فبعث الله الوادي . فاحتل عاصم فذهب به ، وكان عاصم قد
أعطى الله عهداً ألا يمسّه مشرك أبداً ولا يمسّ مشركاً أبداً ، تنجساً^(٤)
منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدبر منعه : عجباً ،
لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألا يمسّه مشرك ، ولا يمسّ مشركاً
أبداً في حياته ، فنتعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته^(٥) .

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القيران : الحبل يربط به الأمير .

(٣) الدبر : الزناير والخنث .

(٤) يقال : فلان يتنجس ، إذا فعل فلان يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأم ويتحرج
ويتحنث ، إذا فعل فلان يخرج به عن الإثم والحرج والحنث .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغاني ٤ : ٢٢٥ - ٢٢٧
(طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنه قصّر من خبر هذه السريّة غير الذي قصّه ، والذي قصّه غيره من ذلك ما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا جعفر بن عون العمريّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو - أو عمرو - بن أنس ، عن أبي هريرة ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عشرة رهط ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهداة ذكروا حتى من هذيل ، يقال لهم : بنو ليحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل راميّ ، فوجدوا ماكلتهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : هذه نوى يثرب ، ثم اتبعوا آثارهم ، حتى إذا أحس بهم عاصم وأصحابه التجثوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستزلوهم ، وأعطوهم المهد ، فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر ، اللهم أخبر نبيك عنا . ونزل إليهم ابن الدثينة البياضيّ ، وخبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قسيهم ، ثم أوثقوهم ، فخرجوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أول القدر ، والله لا أتبعكم . فضربوه قتلوه ، وانطلقوا بخبيب وابن الدثينة إلى مكة ، فلفسوا خبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد ، فبينما خبيب عند بنات الحارث ، إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحد^(١) بها للقتل ، لها راع المرأة - ولها صبي يدعى - إلا بخبيب قد أجلس الصبي على فخذه ، والموسى في يده ، فصاحت المرأة ، فقال خبيب : أتخشين أني أقتله ! إن الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيت وما بمكة من ثمة ، وإن في يده لقطناً من عنب يأكله ، إن كان إلا يرزقاً رزقه الله خبيباً .

وبعث حتى من قريش إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار^(٢) ، بأحد ، فبعث الله عليه دبراً ، فحمت لحمه ، فلم

(١) يستحد : يحلق شعر عاتقه ، وفي اللسان - حد : وفي حديث خبيب أنه استعار موسى يستحد بها ، لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شعر عاتقه عند قتله .
(٢) آثار : جمع ثار على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً ، فلمّا خرجوا بخُبَيْبٍ من الحرم ليقتلوه ، قال : ذَرُونِي أَصِلْ رَكْعَتَيْنِ ، فَرَكَوهُ فَصَلَّى سَجْدَتَيْنِ ، فَجَرَتْ سُنَّةٌ لِمَنْ قُتِلَ صَبْرًا أَنْ يَصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ قَالَ خُبَيْبٌ : لَوْلَا أَنْ يَقُولُوا جَنَزَعَ لَزِدْتُ ، وَمَا أَبَالِي :

• عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي •^(١)

ثم قال :

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ^(٢)
اللَّهُمَّ احْتَصِمِمْ^(٣) عِدَدًا ، وَخُذْهُمْ بَدَدًا^(٤) .

ثم خرج به أبو سَيْرُوعَةَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نُوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ^(٥) .

• • •

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال : وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحده حينئذٍ إلى قريش ، قال : فجئت إلى خشبة خُبَيْبٍ وأنا أتخوف العين ، فرقيتُ فيها ، فحللت خُبَيْبًا ، فوقع إلى

(١) صدره :

• فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا •

من أبيات ذكرهما ابن هشام في السيرة ٢ : ١٧٠ ، ينسبها إلى خبيب ، وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكروها له » .

(٢) في ذات الإله ، أي في طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصل ، وهو الضرب . والشلو : الجسد .

(٣) أحصم ، أي أهلكهم بحيث لا يبق من عددهم أحدًا .

(٤) عظم بداءً ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ، جمع بدء ، وهي الحصة والنصيب ، أي اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التهديد ، أي متفرقين في القتل ، وأحدًا بعد واحد » .

(٥) نقله في الأغاني ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الأرض ، فانتقلت^(١) غير بعيد ، ثم التفت فلم أر لحبيب رِمة^(٢) ؛ فكأنما الأرض ابتلعتة ؛ فلم تذكر لحبيب رِمة حتى الساعة^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وأما زيد بن الدثينة ؛ فإن صفوان بن أمية بعث به — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — مع مولى له يقال له نسطاس إلى التَّخِيم ، وأخرجه من الحرم ليقْتُلَه ، واجتمع إليه رَهْطٌ من قريش ؛ فبهِم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قُدمَ ليقْتَلَ : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدًا عندنا الآن مكانك تضرب عنقه ، وأنك في أهلك ! قال : والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيتُ في النَّاسِ أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحاب محمد محمدًا . ثم قتله نسطاس^(٤) .

• • •

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري

إذ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب

ولما قُتل من وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عضل والقارة من أهل الرَجِيع ، وبلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار ، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أبيه ، عن جده — يعني عمرو بن أمية — قال : قال عمرو بن

(١) انتقلت : تنحيت .

(٢) ط : « أربة » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني ٤ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٤) الأغاني ٤ : ٢٣٠ .

أُمِيَّة : بعثني رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعد قتل خُيَيب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : اثبتا أبا سفيان بن حربٍ فاقْتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعى بعير لي ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علَّة . فكنت أحمله على بعيري ، حتى جئنا بطن يأجج ، ففعلنا ما بعيرنا في فِئاءِ شُعْب ، فأسندنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان ، فلما حاول قتله . فانظر ، فإن كانت مجاولة أو خشيت شيئاً فالحقْ ببعيرك فاركه ، والحقْ بالمدينة فأت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره الخبر ، ونخلتُ عني ، فلما رجل عالم بالبلد ، جرىء عليه ، نجيب الساق . فلما دخلنا مكة ومعى مثل خافية النسر - يعني خنجره^(١) - قد أعددتُه ، إن عانقني^(٢) ، إنسان قتلتُه به ، فقال لي صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوفَ بالبيت أسبوعاً ، ونصلي ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهل مكة منك ، إنهم إذا أظلموا رشوا أفئدتهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرف بها من الفرس الأبق .

قال : فلم يزل بي حتى أتينا البيت ، ففعلنا به أسبوعاً ، وصلينا ركعتين ، ثم خرجنا فررنا بمجلس من مجالسهم ، فمررتُ رجل منهم ، فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أُمِيَّة ! قال : فتبادرتُنا أهلُ مكة وقالوا : تالله ما جاء بعمرو خير ! والذي يُحلف به ما جاءها قط إلا لشر - وكان عمرو رجلاً فأنكا متشيطناً في الجاهلية - قال : فقاموا في طليي وطلب صاحبي ، فقلت له : النجاء ! هذا والله الذي كنت أحذر ، أما الرجل فليس إليه ١٤٢٩/١ سبيل ، فانج بنفسك ، فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في الجبل ، فدخلنا في غار ، فبتنا فيه ليلتنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترتُ دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهلني حتى يسكنَ الطلب عنا ، فإنهم والله ليطلبُنا ليلتهم هذه ويومهم هذا^(٣) حتى يمسوا . قال : فوالله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي ، يتخيل^(٤) بفرس له ، فلم يزل يدنو ويتخيل بفرسه حتى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابنُ مالك ؛

(١) و : « خنجرًا » . (٢) ابن الأثير : « عانق » . (٣) و : « غداً » .

(٤) يتخيل ، أي يجب بنفسه ، وفي ط : « يتخل » . وفي ابن الأثير : « يتخل » .

واقفه لئن رأنا ليعلمن بنا أهل مكة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثدى ، فصاح صبيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكاني ، فلخلت فيه ، وقلت لصاحبي : مكانك ! قال : واتبع أهل مكة الصوت يشتدون ، فوجدوه وبه رمق ، فقالوا : ويلك من ضربك ! قال : عمرو بن أمية : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : واقفه لقد علمنا أنه لم يأت الخبر ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب . ثم خرجنا إلى التثعيم ، فإذا خشبة خبيب ، فقال لي صاحبي : هل لك في خبيب تنزله عن خشبته ؟

١٤٤٠/١

فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأهلني وتبع عني . قال : وحوله حرس يحرسونه . قال عمرو بن أمية : فقلت للأصمعي : إن خشيت شيئا فخذ الطريق إلى جمتك فاركبه والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتلته واحملته على ظهري ، فوالله ما مشيت إلا نحو أربعين ذراعا حتى نذروا بي ، فطرحته ، لما أنسى وجبته حين سقط ، فاشتدوا في أثرى ، فأخذت طريق الصفراء فأصيرت ، فرجعوا ، وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أمرنا ، وأقبلت أمشي ، حتى إذا أشرفت على الغليل ، غليل^(١) ضجنان ، دخلت غارا فيه ، ومعى قوسي وأسهمي ، فبينما أنا فيه إذ دخل علي رجل من بني الدليل بن بكر ، أعور طويل يسوق غنما له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بني بكر ، قال : وأنا من بني بكر ، ثم أخذ بني الدليل . ثم اضطلع معي فيه ، فرفع عقيرته يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمين

فقلت : سوف تعلم . فلم يلبث الأعرابي أن نام وغط ، فقامت إليه فقتلته أسوأ قتلة قتلها أحد أحد ، فقامت إليه فجعلت سيئة قوسي في عينه الصحيحة ، ثم تعاملت عليها حتى أخرجتها من فقا .

١٤٤١/١

قال : ثم أخرج مثل السبع ، وأخذت الحجفة كأنى نسر ، وكان النجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على ركوبة ، ثم على التقيع ، فإذا رجلا

(١) الدليل ، وأحد الغلان : رعى منابت الطلع ، وضجنان : موضع بعته .

من أهل مكة بعثتهما قريش يتحسّسان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فعرفتهما فقلت : استأسيرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرى أحدهما بسهم
 فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسير ، فاستأسر ، فأوثقته ، فقدمتُ به على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
 سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أمية ، قال : لما قدمتُ المدينة ،
 مررتُ بمشبخة من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أمية ، فسمع
 الصبيان قولهم ، فاشتدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه ، وقد
 شددت لإبهام أسيرى بوتر قوسي ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إليه فضحك
 حتى بدت نواجذه ، ثم سألتني فأخبرته الخبر ، فقال لي خيرا ودعا لي بخير .

• • •

وفي هذه السنة تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة
 أمّ المساكين من بني هلال في شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدكها
 اثنتي عشرة أوقية ونشأ^(١) ، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة أربع من الهجرة - كان
 من أمر السريّة التي وجهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقُتلت بئر
 معونة . وكان سبب توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لإباهم ليمّا وجههم له ،
 ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثني محمد بن إسحاق ،
 قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية شوال وذا القعدة
 وذا الحجة والمحرم ، وولى تلك الحجة المشركون .

ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ،
 وكان من حديثهم ما حدثني أبي : لإسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن
 ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،
 وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو يركاء عامر بن مالك بن جعفر ملاعبُ

(١) انش : وزن فؤاة من ذهب ؛ ويقيل : هو وزن عشرين درهما .

الأسنة - وكان سيد بني عامر بن صعصعة - على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأهدى له هدية ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها ، وقال : يا أبا براء ، لا أقبل هدية مشرك ، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يعد ، وقال : يا محمد ، إن أمرك هذا الذي تدعو إليه حسن جميل ، فلو بعث رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعواهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ! فقال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المصنعي^(١) ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع ابن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، في رجال مسممين من خيار المسلمين^(٢) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو في سبعين راكباً ، فساروا حتى نزلوا بر سعوة - وهي أرض بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، كيلاً بالبلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفّر أبا براء ، قد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم : عصية ، ورعلا ، وذكوآن ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا

(١) الملقب : المرع ، وإتاسى بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤

بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أدخلوا السيوف ، ثم قاتلوه حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار ، فلنهم تركوه وبه رفق ، فارتث^(١) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل^(٢) من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف ، فلم يُنبئتهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشفأنا ، فأقبلا لينظرا إليه ، فإذا القوم في دماهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكنني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال . ثم قاتل القوم حتى قُتل ، وأدخلوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضَر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجَزَّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظل هوفيه ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : معن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثور^(٣) من بني عامر ، بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد قتلت قتيلين لأدينتهما . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفأر عامر لئلا ، وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة^(٤) .

• • •

(١) ارتث ، أى وقع وبه جراح .

(٢) قال ابن هشام : « هو المنذر بن محمد بن عتبة بن أحمدة بن الجلاح » .

(٣) الثور : النخار . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ .

حدثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدثنا سَكَمَةُ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ،
عن هشام بن عُرْوَةَ ، عن أبيه ، أنَ عامرَ بن الطَّمِيلِ ، كان يقول : إنَّ
الرجلَ منهم لما قتل رأيته رُفِعَ بين السماءِ والأرضِ حتى رأيت السماءَ من
دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة ^(١) .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، عن أحدِ بني جعفر ، رجل من بني جبار بن سُلَيمٍ بن مالك
ابن جعفر ، قال : كان جبار فيمن حَضَرها ^(٢) يومئذ مع عامر ، ثم أسلم
بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممَّا دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلا
منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرَّمح حين خرج من صدره ،
فسمعتة يقول حين طعنته : فَرَزْتُ وَاللَّهِ ! قال : فقلت في نفسي : ما فاز !
أليس قد قتلَ الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ،
قال : فقلت : فاز لعمرُ الله ! فقال حسان بن ثابت يُحَرِّضُ بني أبي
البراءِ على الطَّمِيلِ :

بِني أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرْهَكُمُ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ بَجْدٍ ^(٣)
نَهَكُمُ عَامِرٌ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخْفِرَهُ ، وَمَا خَطَا كَمَنْدَرٍ
أَلَا أَبْلَغَ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَايِ فَاأَحْدَثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي ^(٤)
أَبُوكَ أَبُو الْعُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ وَخَالَكَ مَا جِدَّ حَكَمُ بْنُ سَعْدٍ

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضًا :

لَقَدْ طَارَتْ شَعَاها كُلُّ وَجْهِ خِفَارَةٌ مَا أَجَارَ أَبُو بَرَاءٍ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥

(٢) أي فيمن حضر يوم بدر المعوية .

(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٤) المسامي : السبي في طلب الجهد والكرام .

فَسَلُّ مُسَهِّبٍ وَبَنِي أَبِيهِ
 بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ
 وَتَنَوْبَةَ الصَّرِيحِ عَلَى وَلَسْكَرٍ
 فَمَا صَفَرَتْ عِيَابُ بَنِي كِلَابٍ
 أَعَامِرَ عَامِرِ السَّوَاتِ قَدِمًا
 أَخْفَرَتْ النَّبَى وَكُنْتُ قَدِمًا
 فَلَسْتُ كَجَارِ جَارِ أَبِي دُوَادٍ
 وَلَكِنْ عَارَكُمْ دَاهٍ قَدِيمٌ
 بِحَنْبِ الرَّدْوَةِ مِنْ كَفَنِي سَوَاءٍ^(١)
 دُعَاءُ الْمُسْتَفِثِ مَعَ السَّاءِ !
 عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدَقُ اللَّقَاءِ
 وَلَا الْقُرْطَاهُ مِنْ دَمٍ الْوَفَاءِ
 فَلَا بِالْمَقْلِ فُرْتُ وَلَا السَّاءِ
 إِلَى السَّوَاتِ تَجْرَى بِالْعَرَاءِ !
 وَلَا الْأَسَدَى جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ
 وَدَاهِ الْفَدْرِ فَأَعْلَمُ شَرُّ دَاهٍ

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي البراء قول حسان وقول كعب ، حمل على عامر بن الطفيل فطعنه ، فشطب الرُمح عن مقلته ، فخر عن فرسه . فقال : هذا عمل أبي براء ! إن مت فدمي لعمري ولا يتبعن به ؛ وإن أعش فسأرى رأيي فيما أني إلى^(٢)

• • •

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ، قال : حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدرى ، أربعين أو سبعين ؛ وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجهمي ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين بئعوا ؛ حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء فعدوا فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال — أراه ابن ملحان الأنصاري — : أنا أبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج حتى أتى حواء منهم ، فاحتسب أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إنني رسول رسول الله إليكم ،

إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .
فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ كَيْسَرِ الْبَيْتِ بِرِمَحٍ فَضْرِبَ بِهِ فِي جَنْبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الشَّقِّ
الْآخِرِ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَزُتْ رَبُّ الْكَعْبَةِ ! فَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ
فِي الْغَارِ ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ .

قال إسحاق : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِيهِمْ
قُرْآنًا : « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرَضِيَ عَنَّا ، وَرَضِينَا عَنْهُ ، ثُمَّ
نُسِخَتْ ، فَرَفَعَتْ بَعْدَ مَا قُرِئَ زَمَانًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .
﴿ قَرِّبِينَ ﴾ (١)

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الْكَلَابِيِّ
سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ : فَقَالَ أَمِيرُهُمْ : مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ بِخَبَرِ الْقَوْمِ !
فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالُوا : لَتَكُونُنَّ نِسِي حَتَّى أَخْبَرَكُمْ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُمْ ، إِذْ وَخَزَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسَّيْفِ . قَالَ : فَقَالَ
الرَّجُلُ : فَزُتْ رَبُّ الْكَعْبَةِ ! فَقَتَلَ ، فَقَالَ : عَامِرُ : لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنْ لَهُ
أَصْحَابًا ، فَاقْتَصَوْا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْهُمْ فَقَتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ .
قَالَ أَنَسُ : فَكُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نُسِخَ : « بَلِّغُوا عَنَّا إِخْوَانَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا
رَبَّنَا ، فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ » .

١٤٤٨/١

وفي هذه السنة - أعني السنة الرابعة من الهجرة - أَجَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ .

ذَكَرَ خَيْرُ جَلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قتل عمرو بن

أُمِيَّةُ الضَّمَرِيُّ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمَا فِي مَنْصَرَفِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِ بَرْمَعُونَ، وَكَانَ لَهَا مَن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ. وَقِيلَ إِنَّ عَامَرَ بْنَ الطُّفَيْلِ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لَهَا مِنْكَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ؛ فَابْعَثْ يَدَيْتَيْهِمَا. فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قُبَا، ثُمَّ مَالَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ مُسْتَعِينًا بِهِمْ فِي دِيَّتَيْهِمَا، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ^(١) مِنْ بَنِي عَامِرِ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عُمَرُو بْنُ أُمِيَّةِ الضَّمَرِيُّ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقْدَهُ لَهَا؛ — كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ — وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ حِلْفٌ وَعَهْدٌ؛ فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ؛ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نَعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعْنَتْ بِهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ^(٢) مِنْ بَيْتِهِمْ، قَاعِدٌ — فَقَالُوا: مَن رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَقْتُلُهُ بِهَا فَيَرْحَنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عُمَرُو بْنُ جِحَاشٍ بْنُ كَعْبٍ أَحَدَهُمْ؛ فَقَالَ: أَنَا لَذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ — كَمَا قَالَ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ؛ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ مِمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أَتِيَكُمْ، وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلْبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ بِمَا كَانَتْ يَهُودٌ قَدْ أَرَادَتْ

١٤٤٩/١

من الغدر به ، وأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بالتهيثُ لحربهم ، والسير
إليهم .

ثم سار بالنَّاسُ إليهم ؛ حتى نزل بهم ، ففتحَصنوا منه في الحصون ،
فأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بقطع النخل والتَّحريق فيها ، فنادَوْه :
يا محمد ، قد كنتَ تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع
النخل وتحريقها^(١) !

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه ذكر أن بني النضير لما تأمروا بما
تأمروا به من إلقاء الصخرة على رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، نهاهم عن
ذلك سَلَامُ بن مِشْكَمٍ وخوفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ،
فعضوه ، فصعد عمرو بن جِحا ش لِيُدَحْرِجَ الصخرة ، وجاء النبي صَلَّى الله
عليه وسلم الخبر من السماء ، فقام كأنه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ،
فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟
فقال كنانة بن صُورِيَا^(٢) : جاءه الخبر بما همم به ، قال : ولا رجع أصحابُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهبوا إليه وهو جالس في المسجد ، فقالوا :
يا رسول الله ، انتظرناك ومضيت ، فقال : هممت يهود بقتلي ، وأخبرتني الله
عز وجل ، ادعُوا لي محمد بن مسلمة ، قال : فأتى محمد بن مسلمة^(٣) ،
فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادى فلا تسكنوني وقد
هممت بما همم به من الغدر .

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إن رسولَ الله صَلَّى الله
عليه وسلم يأمركم أن تظعنوا من بلاده ، فقالوا : يا محمد ، ما كنا نظن أن
يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيرت القلوب ، وبها الإسلام العهود ؛

(١) قال السجستاني : وقال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ؛ حتى
أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . . ﴾ الآية .

(٢) م : « من موريا » .

(٣) م : « قال محمد » .

فقالوا : نتحمل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبيّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معي من العرب ومنّ انضوى إلى من قوى ألفين ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بني قريظة فقال : لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حتى ، فقال سلام بن مشكم لحبيّ بن أخطب : يا حبيّ اقبل هذا الذي قال محمد ، فإنما شرفنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شرٌّ منه . قال : وما هو شرٌّ منه ؟ قال : أخذ الأموال وسبى النرية وقتل المقاتلة ، فأبى حبيّ ، فأرسل جدّي ١١٠١/١ ابن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نريم^(١) دارنا فاصنع ما بدا لك ا قال : فكبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكبر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جدّي إلى ابن أبيّ يستمده . قال : فوجدته^(٢) جالساً في نفر من أصحابه ، وينادي النبيّ صلى الله عليه وسلم ينادى بال سلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ ، وأنا عنده ، فأخذ السلاح ، ثم خرج يعدّو ، قال : فأيست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حبيّاً ، فقال : هذه مكيدة من محمد ، فزحف إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه عليه وسلم خمسة عشر يوماً ، حتى صالحوه على أن يحقن لهم دماءهم ، وله الأموال والخليفة .

فحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — يعني بني النضير — خمسة عشر يوماً حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذربعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بغيراً وسقاً .

(١) م : قدح .

(٢) و : فوجده .

حدثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، على أن لهم ما أكلت الإبل من شيء إلا الحلقة - والحلقة : السلاح .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهطاً من بني عوف بن الحزرج ، منهم عبد الله بن أبي بن سكل ووديعة ومالك بن أبي قوئل ، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ؛ فإننا لن نسلمكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا فلم يفعلوا ؛ وقلق الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجلبيتهم ، ويكف عن دماهم ؛ على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلا الحلقة . ففعل . فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(١) بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ؛ فكان أشرفهم ممن سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحبيي بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم ، وأن فيهم يومئذ لأم عمرو ، صاحبة عروة بن الورد العبسي ؛ التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار^(٣) بزهاء^(٤) وفخخر ، ما رأيته مثله من حى من الناس في

(١) النجاف : الحجة التي يأمل الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨ .

(٣) هي سلمى ، وقال الأصمعي : اسمها ليل بنت شمواء ، وقال أبو الفرج : هي سلمى أم وهب ، امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة في مزينة ، فأغار عليها عروة بن الورد فسبها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : الكبر والإعجاب .

زمانهم ، وخلصوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بضمها حيث يشاء ، فقسّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سيمّاك بن خنشة ، ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يسلم من بنى النصير إلا رجلان : يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما^(١).

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج لحرب بنى النصير - فيما قيل - ابن أم مكتوم ، وكانت رابته يومئذ مع علي بن أبي طالب عليه السلام .

• • •

وفي هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان ، في جمادى الأولى منها ، وهو ابن ست سنين ، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل في حضرته عثمان بن عفان . وفيها ولد الحسين بن علي عليه السلام ، لليال خلون من شعبان .

• • •

[غزوة ذات الرقاع]

واختلف في التي كانت بعد غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بنى النصير من غزواته ، فقال ابن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النصير شهر ربيع ، وبعض شهر جمادى . ثم غزا نجداً - يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان - حتى

١٤٥١/١ نزل نخلًا ، وهى غزوة ذات الرقاع^(١) ، فلقى بها جمعًا^(٢) من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضًا ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين^(٣) .

وأما الواقدي ، فإنه زعم أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الرقاع ، كانت فى المحرم سنة خمس من الهجرة . قال : وإنما سُميت ذات الرقاع ، لأن الجبل الذى سُميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمرة ، فسميت الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة على المدينة عثمان بن عفان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير وعبد الرحمن - يعنى ابن عبد الرحمن - عن عروة بن الزبير ، عن أبى هريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد ، حتى إذا كنّا بذات الرقاع من نخل ، لقي جمعًا من غطفان ، فلم يكن بيننا قتال ، إلا أن الناس قد خافوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فصعد أصحابه صدين ، فقامت طائفة مواجهة العدو ، وقامت طائفة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركع يمين خلفه ، وسجد بهم ، فلما قاموا مشوا القهقري إلى مصاف أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وجلسوا ، ورجع الذين كانوا مواجهين العدو^(٤) ، فصلوا الركعة الثانية ، ١٤٥٠/١

(١) قال ابن هشام : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رعدوا بها إياهم . ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع » .

(٢) ابن هشام : « جسمًا عظيمًا » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ : « بالناس » .

(٤) من : « مواجهي العدو » .

فجلسوا جميعاً ، فجمعهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالسلام ، فسلمَ عليهم .

• • •

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرواية في صفة صلاة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم هذه الصلاة ببطن نخل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره^(١) في هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله في كتابنا المسمّى « بسبط القول في أحكام شرائع الإسلام » في كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان الشكري ، أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة : أي يوم أنزل ، أو في أي يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نلتقي^(٢) عبرة قريش آتية من الشام ، حتى إذا كنا بنخل جاء رجل من القوم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنحك مني ؟ قال : الله يمنني منك ، قال : فسلّ السيف ثم تهده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح . ثم نودي بالصلاة ، فصلى نبي الله صَلَّى الله عليه وسلّم بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرّسهم ، فصلى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخّر الذين يلونه على أعقابهم ، فقاموا في مصاف أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلم ، فكانت للنبي صَلَّى الله عليه وسلّم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ، فيومئذ أنزل الله عز وجل في إقصار الصلاة ، وأمير المؤمنين بأخذ السلاح^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن ١٤٥٦/١ إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، أن رجلاً من بني محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتيك به ، فأقبل إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو جالس ، وسيف

(١) كذا في ر ، وفي ط : « ذكرها » . (٢) ط : « ملق » ، وما أتبع من التفسير

(٣) الخبر في التفسير ٩ : ١٣٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، انظر إلى سيفك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزه ويهم به ، فيكبه الله عز وجل . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ! قال : ثم غمّد السيف ، فردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ يَسْتَطْعَمُونَ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صدقة بن يسار ، عن حنظل بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف ألا يتنهي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الشعب ، من بطن الوادي - فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري ، أي الليل تحب أن أكفيكه ؟ أوله أو آخره ؟ قال : بل أكفي أوله ، فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأتى زوج المرأة ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريبة القوم ، فرى بسهم فوضعه فيه فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فترعه فوضعه ثم ركب وسجد ، ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أثبت (٢) .

١١٥٧/١

قال: فوثب المهاجرى، فلما رآهما الرجل، عرف أنهم قد نذروا به؛ ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من اللما، قال: سبحان الله! أفلا، أهبتنى أول ما رماك! قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدتها؛ فلما تتابع على الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدتها^(١).

• • •

ذكر الخبر عن غزوة السوق

وهي غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا الثانية لمعاد أبي سفيان .
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سكرة، عن ابن إسحاق، قال: ١٤٥٨/١ لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب، ثم خرج في شعبان إلى بدر لمعاد أبي سفيان حتى نزل، فأقام عليه ثمانى ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة، حتى نزل مسجدة من ناحية مر الظهران - وبعض الناس يقول: قد قطع عسفان - ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنّه لا يصلحكم إلا عام خيصب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب، وإننى راجع فارجعوا. فرجع ورجع الناس، فسمّاهم أهل مكة جيش السوق. يقولون: إننا خرجهم تشربون السوق.

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأثاه مخشى بن عمرو الضميرى، وهو الذى وادعه على بنى ضمرة في غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجنث للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أبا بنى ضمرة، وإن شئت مع ذلك ردّنا إليك ما كان بيننا وبينك،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ ، ١٨٣ .

• هي غير الغزوة التي عرفت بهذا الاسم أيضاً ؛ وقد مر ذكرها في حوادث السنة الثانية ص ٤٨٣ .

ثم جالدناك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ؛ فمر به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوي^(١) به فقال :

١٤٥٩/١ قد نفرت من رُفَّتِي محمد وعجوة من يثرب كالمنجد^(٢)

تهوي على دين أيها الأنلد^(٣) قد جعلت ماء قديز موعدي

• وماء ضجنان لما ضعى الند^(٤) •

• • •

وأما الواقدي ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذب أصحابه لغزوة بدر لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحد رأس الحول للقتال في ذى القعدة . قال : وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : من يثرب ، قال : وهل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبته لغزوكم ، — وذلك قبل أن يسلم نعيم . — قال : فقال له أبو سفيان : يا نعيم ، إن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمد ، فالحق بالمدينة فشبطنهم وأعلمهم أننا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فبأى الخلف منهم أحب إلى أن يأتي من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في^(٥) يد سهيل بن عمرو يضمونها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أنضمن^(٦) هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأببطه ؟ فقال : نعم ، فخرج نعيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهزون ، فلتعس لهم ، وقال : ليس هذا برأى ،

(١) تهوي : تصرع .

(٢) المنجد : حب الزبيب .

(٣) الدين هنا : الأدب والمادة . والأتلد : القديم .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦ .

(٥) و : « هل » .

(٦) م : « تضمن » .

ألم يُجرح محمد في نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فثبَّط الناس ، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلَّم ، فقال : واللّٰه نفسى بيده ، ١٤٦٠/١
لو لم يخرج معى أحد لخرجت وحدى .
ثم أنشجَّ الله عزَّ وجلَّ للمسلمين بصائرهم ، فخرجوا بتجاراتهم ، فأصابوا
الدرهم درهمين ، ولم يلقوا عدوًّا ، وهى بدْر الموعود ، وكانت موضع سوق لهم
في الجاهلية ، يجتمعون إليها في كلِّ عام ثمانية أيام .
قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة
عبد الله بن رَوَاحَة .

• • •

قال الواقدي : وفي هذه السنة تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمَّ
سلمة بنت أبي أمية في سؤال ، ودخل بها .
قال : وفيها أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلَّم
كتاب يهود ، وقال : إئتني لا آمن أن يبدلوا كتابي .
ووليَّ الحجَّ في هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

ففي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش .
 حدثت عن محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي
 عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بيت زيد بن حارثة ، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد ، ربما فقدته
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله
 يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً^(١) ، فأعرض
 عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسول الله ،
 فادخل بأبي أنت وأمي ! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل ، وإنما
 عجبت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله^(٢) صلى الله عليه وسلم
 على الباب ، فوثبت عجيلاً ، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولى
 وهو يهيمهم بشيء لا يكاد يفهم ، إلا أنه أعلن : سبحان الله العظيم !
 سبحان الله مصترف القلوب ! قال : فجاء زيد إلى منزله ، فأخبرته امرأته أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل !
 فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعت^(٣) يقول شيئاً ؟ قالت :
 سمعت^(٤) يقول حين ولّى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصترف القلوب !
 فخرج زيد حتى أتى^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ،
 بلغني أنك جئت منزلي^(٦) ، فهلاً دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ،
 لعل زينب أعجبتك فأفارقها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك

(١) يقال : امرأة فضل ، أي تلبس ثوباً واحداً . (٢) س : « هذا رسول الله » .

(٣) كذا في م ، وفي ط : « فسمعت » . (٤) و : « قد سمعته » .

(٥) س : « رأى » . (٦) س : « إلى منزلي » .

عليك زوجك، فما استطاع زيد إليها سيلا بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسيك عليك زوجك، ففارقها زيد واعتزلها وحلت.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشيبة، فسرى عنه وهو يتبسّم ويقول^(١): مَنْ يذهب إلى زينب يبشرها، يقول: إن الله زوجنيها؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾^(٢) القصة كلها.

قالت عائشة: فأخذني ما قَرُبَ وما بَعُدَ لما يبلغنا من جمالها؛ وأخرى هي أعظمُ الأمور وأشرفها، ما صنع الله لها؛ زواجها، فقلت: تفخّر علينا بهذا.

قالت عائشة: فخرجت سَلَمَى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبرها بذلك، فأعطتها أوصاحاً عليها^(٣).

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريد، وعلى الباب ستر من شعر؛ فرفعت الريح الست فانكشف وهي في حُجْرَتِها حاسرة، فوقع لإعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كَرِهَتْ إلى الآخر، قال: فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك! أراك منها شيء! فقال: لا والله يا رسول الله، ما رأيت منها شيء، ولا رأيت إلا خيراً. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسيك عليك زوجك واتق الله؛ فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ

(١) م ٤ وهو يقول: «

(٢) سورة الأحزاب ٣٧.

(٣) الأوصاح: جمع وضع؛ وهو حل من قصة.

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، تَخْفَى فِي نَفْسِكَ إِنَّ فَارِقَهَا تَرْجِعَهَا (١) .

• • •

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقدي : وفيها غزاة دومة الجندل في شهر ربيع الأول ، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعاً تجمعوا بها ودنوا من أطرافه . فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ دومة الجندل ، ولم يلق كيداً ، وخلف على المدينة سباع بن عُرْفَطَةَ الْغِفَارِي .

• • •

قال أبو جعفر : وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عُبَيْنَةَ ابْنِ حِصْنٍ أَنْ يَرعى بِتَغْلَمِينَ وَمَا وَالَاهَا .

قال محمد بن عمر - فيما حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه - وذلك أن بلاد عُبَيْنَةَ أَجْدَبَتْ ، فَوَادَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرعى بِتَغْلَمِينَ إِلَى الْمَرَّاضِ ، وَكَانَ مَا هُنَاكَ قَدْ أَخْصَبَ بِسَحَابَةٍ وَقَعَتْ ، فَوَادَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرعى فِيهَا هُنَاكَ .

قال الواقدي : وفيها ثُوِفِتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ وَسَعْدُ غَائِبٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ .

• • •

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق (٢) في شوال ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَكَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ :

(١) الخبر في التفسير ٢٢ : ١٠ - ١١ (يولاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ - ١٩٣ .

وكان الذي جرّ غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق - فيما قيل - ما كان من إجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النصير عن ديارهم .

فحدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ومن لا أنهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن ١٤٦٤/١ محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا ، كل قد اجمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض ، أنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري^(١) وحبيّ بن أخطاب النضري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، وهوذّة بن قيس الوائلي ، وأبو عمّار الوائلي ، في نفر من بنى النصير وتكر من بنى وائل ، هم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ، فدعّوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إننا سنكون معكم عليه حتى نساويه ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن وعهد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيًّا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^(٢) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ما قالوا ونشيطوا لما دعّوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا لذلك واتّعدوا له .

(١) قال السهيل : « ونسب طائفة من بنى النصير ، فقول فيهم : النضري ، وهكذا تفيد في النسخة المتبعة ، وقياس النصيري ، إلا أن يكون من باب قولهم : « نفن وقرشي » وهو خارج عن القياس » .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غَطَفَانَ من قَيْسِ عَيْلَانَ
فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ
مَعَهُمْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنْ قَرِيشًا تَابِعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْمَعُوا فِيهِ ، فَأَجَابُوهُمْ .

فَخَرَجَتْ قَرِيشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ
وَقَائِدُهَا عُبَيْيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَلَرٍ فِي بَنِي قَزَازَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ
عَوْفٍ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّي فِي بَنِي مَرَّةَ ، وَمَسْعُودٌ ^(١) بْنِ رُحَيْلَةَ بْنِ نُؤَيْرَةَ
ابْنِ طَرِيفٍ بْنِ سَحْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالٍ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعٍ بْنِ
رَيْثَ بْنِ غَطَفَانَ ؛ فِيمَنْ تَابِعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَشْجَعٍ .

* * *

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ ،
ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ . فَحَدَّثَتْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، قَالَ : كَانَ الَّذِي
أَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ سَلْمَانَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَشْهَدٍ
شَهِدَهُ سَلْمَانُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهُوَ يَوْمُ ثَلَاثَةِ حَرٍّ ، وَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّا كُنَّا بِفَارِسٍ إِذَا ^(٢) حَوْصَرْنَا خَنَدْنَا عَلَيْنَا .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ ، وَعَمَلٌ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ : فَدَأَّبَ فِيهِ وَدَأَّبُوا ، وَأَبْطَأَ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ،
وَجَعَلُوا يُؤَرِّوْنَ بِالضَّعْفِ ^(٣) مِنَ الْعَمَلِ ، وَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهَالِيهِمْ
بَغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا إِذْنٍ . وَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَابَتْهُ نَاقِبَةٌ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا بَدْءَ مِنْهَا يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي الْحَقِّ بِحَاجَتِهِ ^(٤) ؛ فَيَأْذِنُ لَهُ ؛

(١) كَذَا فِي ط ؛ وَهُوَ يَوْلِقُ مَا فِي الْإِصَابَةِ ٣ : ٣٩٠ ؛ وَفِي السِّيرَةِ : « سَمَر » .

(٢) م : « إِنْ » .

(٣) ابْنُ حَشَامٍ : « بِالضَّعِيفِ » . وَيُورِدُونَ : « يَسْتَرْوُونَ » .

(٤) س : « بِأَمَلِهِ لِحَاجَتِهِ » .

فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير ، واحتساباً له ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١). فترلت هذه الآية في كل من كان من أهل الحسبة من المؤمنين والرغبة في الخير ؛ والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم . ثم قال يعنى المناققين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّغَاءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾^(٢) ، أى قد علم ما أنتم عليه من صدق أو كذب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعَيْل ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمراً » ، فقالوا :

سَمَاءُ مِنْ بَدْرِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا^(٣)

فإذا مروا بعمره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمراً » ، ١٤٦٧/١ ، وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ظهرًا »^(٤) .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) الظهر : القوق والمهولة ؛ والضمير في « سماء » النبي صلى الله عليه وسلم . وقال : أبو ذؤانب : « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره : وكان المال للبائس يومًا ظهرًا ؛ فاصبر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فأنتي ؛ أى إذا كان اليوم غداً . »

(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أجْمُ الشَّيْخَيْنِ^(١) طرف بنى حارثة ، حتى بلغ المذاد^(٢) ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة ، فاحتق^(٣) المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي - وكان رجلاً قوياً - فقالت الأنصار : سلمان منّا ، وقالت المهاجرون : سلمان منّا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منّا أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنْتُ أنا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، ولنعمان بن مقرن المزني ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ذوباب حتى بلغنا الندى^(٤) ، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة^(٥) بيضاء فكسرت حديدنا ، وشققت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، فلما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإمّا أن يأمرنا فيها^(٦) بأمره ، فلإنا لا نحب أن نجاوز خطّه .

فَرَاقَى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضاربٌ عليه قُبَّةٌ ثُرْكِيَّةٌ ، فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمتنا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق^(٧) مَرَّةً ، فكسرت حديدنا ، وشققت علينا حتى ما نُحْيِكَ^(٨) فيها قليلاً ولا كثيراً ، فمرُنا فيها بأمرك ، فلإنا لا نحب أن نجاوز خطك .

(١) الأجم : واحد آجام المدينة ، وهو معنى الأطم ، وآجام المدينة أطامها وحصونها .
والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . الفخر ياقوت (أجم - شيخ) .

(٢) المذاد ، قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في اللسان : « أحق القوم » قال كل واحد منهم : الحق في يدي ؛ وفي حديث ابن عباس في قراءة القرآن : « ما تفلوا في القرآن تحتقوا ، يعنى المراد في القرآن ؛ ومعنى تحتقوا تختصموا فيقول كل واحد منهم : الحق في يدي . وفي س ، و ، والتفسير : « فاختلف » .

(٤) م : « آتى » ، س : « الشرى » ، التفسير : « الصربي » .

(٥) المرو : حجارة بيضاء براقّة تكون فيها النار ، وتلقح منها ، واحتلتها مروة .

(٦) كذا في التفسير ، وفي ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المروة » .

(٨) التفسير : « حتى ما يحيى منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم مع سلمان في الخندق ، ورقبنا نحن التسعة على شقّة^(١) الخندق ، فأخذ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم المِعْوَل من سلمان ، فضرب الصخرة ضربةً صدّعتها ، وبرقت منها بركةٌ أضاء ما بين لابتيتها^(٢) - يعني لابي المدينة - حتّى لكانَ مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم تكبيرَ فتح ، وكبرَ المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم الثانية ، فصدّعتها وبرق منها بركةٌ أضاء ما بين لابتيتها ، حتّى لكانَ مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم تكبيرَ فتح وكبرَ المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم الثالثة فكسرها ، وبرقَ منها بركةٌ أضاء ما بين لابتيتها ، حتّى لكانَ مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم تكبيرَ فتح وكبرَ المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقى ، فقال سلمان : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ! لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط ! فالتفت رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالنّور ، فرأيناك تكبرُ فنكبرُ ، ولا نرى شيئاً غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أنّ أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحُمر من أرض الروم ، كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أنّ أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتي الثالثة ، فبرق منها الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريلُ أنّ أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا بيلغهم النصر ، وأبشروا بيلغهم النصر ، وأبشروا بيلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**^(٣)

(١) من والتفسير : « شقّة الخندق » . (٢) الآية : الحرة ، والمدينة تقع بين لا بين .

(٣) سورة الأحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدّثكم ويُنصّبكم ويَعِدُّكم الباطل! يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى؛ وأنها تُفتح لكم؛ وأنتم تحضرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا! وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق عمن لا يتهم، عن أبي هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوا ما بدلكم! فواللذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى محمد مفاتيحها قبل ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: كان أهل الخلق ثلاثة آلاف. قال: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخلق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة (٢)، في عشرة آلاف من أحابشهم، ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذي نخمس إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليه والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سبعم، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره (٣)، وأمر بالمرأى والنساء. فرفعوا (٤) في الآطام (٥). وخرج عذو الله حيي بن أخطب؛

(١) سورة الأحزاب ١٢، والخبر في التفسير ٢١: ٨٥، ٨٦ (بولاق).

(٢) كلا في ط، وفي ابن هشام: «زغبة». قال السجبل: «زغبة: اسم موضع، بالعين المقرونة والزاي المفتحة».

(٣) م: «عسكرهم».

(٤) م: «فلفوا»، وابن هشام: «فجعلوا».

(٥) الآطام: الحصون، الواحد أطم.

حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بحبي بن أخطب ، أغلقت دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حبي : يا كعب ، افتح لي ، قال : ويحك يا حبي ! إنك امرؤ مشغوم ، إني قد عاهدت محمداً فليست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال : ويحك ! افتح لي أكلتك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دوفي إلا على جثيثتك ^(١) أن أكل معك منها ، فأخفظ ^(٢) الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جثتك بعز الدهر وبيت حري طام ، جثتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياك من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بدك ب نقتسى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . فقال له كعب بن أسد : جثتي والله بذل الدهر ! بجهنم قد هراق ماءه يرعيد ويبرق ، ليس فيه شيء ! ويحك فدعني ومحمداً وما أنا عليه ، فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً ! فلم يزل حبي بكعب يقتله في الدرة والغارب ، حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من ١٤٧٢/١ الله وميثاقاً : لن رجعت قریش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل - وهو يومئذ سيد الأوس - وسعد بن عباد بن دكيم ، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيد الخزرج - ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج ، ونحوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا : أحق ما بلغنا عن

(١) الجثيثة : طعام يصنع من الجثيش . وهو البر يلعن خليفاً .

(٢) أخفظه : أفضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لَحْنًا نعرفه ، ولا تَقْتُوا فى أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أنحبث ما بلغتهم عنهم ، وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد . فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه ، وكان رجلا فيه حد^(١) ، فقال له سعد ابن معاذ : دَعْ عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى^(٢) من المشامة . ثم أقبل سعد وسعد ومن^(٣) معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَصَلْ والقارة [أى] ^(٤) كغدر عَصَلْ والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع ، خُبَيْب بن عدي وأصحابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين ، وعظّم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنّ المؤمنون كل ظن^(٥) ، ونجس التفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب ابن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد^(٦) بعيدنا أن نأكل كنوز كسرى وقبصر ، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن قيثى ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا لعورة من العدو— وذلك عن ملأ من رجال قومه — فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا ، فإنها خارجة من المدينة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي^(٧) بالنبل والحصار .

فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى — إلى

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ وما معنى الغضب .

(٢) أربى : أعظم .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « الرما » بكسر الميم والراء المشددين وتخفيف الياء ؛ وهى المراماة .

عُيَيْنَ بن حصن ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري - وهما قاتلا غَطَفَان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعنا بمنّ معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة في ذلك ، ففعلوا ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ، أمرٌ تحبه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله عز وجل به ، لا بدّ لنا من عمل به ، أم شيءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ، والله ما أصنعُ ذلك إلا أنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالتبوكم ^(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم لأمرٍ ما ساء . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة اللأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قري ^(٢) أو يبعّا ، أحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزّنا بك ، نعطهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك ! فتناول سعد الصحيفة ، فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجتهدوا علينا .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ، ١٤٧٥/١ لم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، ونوفل بن عبد الله ، وضرار بن الخطاب ^(٣) بن مرداس ، أخو بني محارب بن فيهر ، قد تلبسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومروا على بني كنانة ، فقالوا : تهيئوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون اليوم

(١) كالتبوكم : اشتلوا عليكم .

(٢) القري : ما يصنع للضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الْفَرَسَانِ ! ثُمَّ ^(١) أَقْبَلُوا نَحْوَ الْخَنْدَقِ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ^(٢) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِمَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا ؛ ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا مِنْ الْخَنْدَقِ ضَيْقًا ، فَضَرَبُوا خَيْولَهُمْ ، فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ، فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبْخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَخَرَجَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي نَقَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَتَّى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الثُّغْرَةَ الَّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا خَيْلَهُمْ ، وَأَقْبَلَتِ الْفَرَسَانِ تَعْنِيقُ ^(٣) نَجْوَاهُمْ . وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِوُدٍّ قَاتِلُ يَوْمِ بَدْرٍ ؛ حَتَّى أَثْبَتَهُ الْجِرَاحَةُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا ^(٤) لِيُرَى مَكَانَهُ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ هُوَ وَخَيْلُهُ ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا عَمْرُو ؛ إِنَّكَ كُنْتَ تَعَاهِدُ اللَّهَ أَلَّا يَذَّعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَهْلَتَ مِنْهُ إِحْدَاهُمَا ! قَالَ : أَجَلٌ ! قَالَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ ، قَالَ : وَلَيْمَ يَا بْنَ أَخِي.؛ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَتُكِّلَ ! قَالَ : عَلِيٌّ : وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَتُكِّلَ . قَالَ : فَحَمَيْتَ صَمْرُوَ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَمَقَرَّه - أَوْ ضَرَبَ وَجْهَهُ - ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَتْ خَيْلُهُ مَنْهَزَةً ؛ حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً ، وَقَتِلَ مَعَ عَمْرُو رَجُلَانِ : مُنَبِّهُ بْنُ عُمَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ فَاتَ مِنْهُ بِمَكَّةَ ؛ وَمِنْ بَنِي غَزْوَمِ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ؛ وَكَانَ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ فَتَوَرَّطَ فِيهِ ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، قَتَلْتُمُو أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ ! فَتَزَلَّ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ ، فَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَسَدِهِ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَيِّعَهُمْ جَسَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا حَاجَةَ لَنَا بِجَسَدِهِ وَلَا ثَمَنَهُ ؛ فَشَأْنُكُمْ بِهِ . فَخَلَّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

(١ - ١) سيرة ابن هشام : « ثُمَّ أَقْبَلُوا تَعْنِيقَ بِهِمْ خَيْلَهُمْ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ » .

(٢) الملم : الذي جعل له علامة يعرف بها .

(٣) تعني : تبرع .

عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، ثم أحد بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فر سعد وعليه درع مقلصة ^(١) ، قد خرجت منها ذراعه كلها ؛ وفي يده حربته يرقد ^(٢) بها ويقول :

كَبْتُ نَيْلًا يَشْهَدُ الْهَيْبَتَا حَلَّ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ ^(٣)
قالت له أمه : الحق يا بني ، فقد والله أخرت .

قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ؛ والله لو ددت أن درع سعد كانت أسيع ^(٤) مما هي ؛ قالت : ونخت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل ^(٥) ، رماه - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العريقة أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها وأنا ابن العريقة ؛ فقال سعد : عرق الله وجهك في النار ! اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تميمني حتى تفر عيني من بني قريظة .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت :

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشيء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفي و :

« مفاضة » . (٢) يرقد : يسرع .

(٣) قال المصنف : « هو بيت تمثل به ، يعني به حمل بن سدة بن حارثة بن معقل بن كعب

ابن عليم بن جناب الكلبي » .

(٤) أسيع : أكل .

(٥) الأكحل : عرق في اللراع .

خرجتُ يومَ الخَنْدَقِ أَقْفُوا آثَارَ النَّاسِ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ وَثِدًا^(١) الْأَرْضِ خَلْقِي - تَعْنِي حَيْسَ الْأَرْضِ - فَالْتَفْتُ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدٍ ؛ فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ - شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو - يَحْمِلُ مِجَنَّتَهُ ، وَعَلَى سَعْدٍ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ خَرَجَتْ أَطْرَافُهُ مِنْهَا .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ ، فَمَرَّ بِي يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

كَبْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمْلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !

قالت : فَلَمَّا جَاوَزْنِي قَمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً فِيهَا نَقَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فِيهِمْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ تَسْبِغَةٌ لَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ : وَالتَّسْبِغَةُ الْمِغْفَرُ - لَا تُرَى إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَقَالَ عَمْرٌ : إِنَّكَ لَتَجَرِيثَةٌ ؛ مَا جَاءَ بِكَ ؟ مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَكُونُ تَحَوُّزٌ أَوْ بَلَاءٌ ! فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يُلَوِّمُنِي حَتَّى وَدَدْتُ أَنْ الْأَرْضُ تَنْشَقَّ لِي فَأَدْخُلَ فِيهَا ، فَكَشَفَ الرَّجُلُ التَّسْبِغَةَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ طَلْحَةُ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ ، أَيْنَ الْفَرَارُ ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ !

١٤٧٩/١

قالت : فَرُمِي سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ ، رَمَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِيقَةِ ؛ فَقَالَ : خَذَهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ ؛ فَقَالَ : سَعْدٌ : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ ! فَأَصَابَ الْأَكْحَلَ مِنْهُ قِطْعَةً . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْقَطِعْ مِنْ أَحَدٍ قَطًّا إِلَّا لَمْ يَزَلْ يَبِضُّ دَمًا حَتَّى يَمُوتَ . فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ لَا تَمِيتْنِي حَتَّى تَقْرَأَ عَيْنِي فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ! وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ لَابِتْهِمْ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ كَانَ

(١) قَالَ فِي اللِّسَانِ : « فِي حَدِيثٍ عَائِشَةَ : خَرَجَتْ أَقْفُوا آثَارَ النَّاسِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ؛ فَسَمِعْتُ وَثِدَ الْأَرْضِ خَلْقِي . الْوَثِدُ : شِدَّةُ الْوَطْدِ عَلَى الْأَرْضِ يَسْمَعُ كَالْوَدِيِّ مِنْ بَعْدِ » .

يقول : ما أصاب سعداً يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجُشمي حليف بني عزم ، فافقه أعلم أي ذلك كان !

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَكَمَة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع (حِصْنِ حَسَّانَ بن ثابت) . قالت : وكان حَسَّانَ مَعَنًا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فر بنا رجل من يهود ، فجعل يُطِيف بالحِصْنِ ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يلغ عَنَّا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحورِ عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن^(١) أنا آت . قالت : فقلت : يا حَسَّانَ ، إن هذا اليهودي كما ترى ، يُطِيف بالحِصْنِ ، وإنِّي والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عَنَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فائزٌ إليه فاقطعه . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلمّا قال ذلك لي ، ولَمْ أَرْ عنده شيئاً احتجرت^(٢) ، ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه فضربته بالعمود حتى قتله ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحِصْنِ ، فقلت : يا حَسَّانَ ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب^(٣) .

قال ابنُ إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛

(١) و : « إذا »

(٢) احتجرت : شدت وسلى ، قال أبو ذر الحفصى : « ومن رواه : احجرت ، فعناء شدت

معجى » .

(٣) قال السهيلي : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جهالاً شهيداً الجهن ، وقد رفع هذا بعض العلماء وأذكروه ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، وقال : لو صح هذا لمجى به حسان ؛ فإنه كان جاهلي الشراء ، كفسار وابن الزبير وغيرهما ، وكانوا يتنافسون ويردون عليه ، لما عبره أحد منهم مجن ، ولا رحمه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح قلعه كان معطلاً في ذلك اليوم بملة منته من شهيد القتال » .

فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدّة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، ولإتيانهم من قوّتهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنثيف بن ثعلبة بن قنفل بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إننى قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمترني بما شئت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودّي لإياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد ، وقد ظاهروهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم ^(١) ، البلد ببلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرّون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدكم بغيره ، فليسوا كهيتكم ، إن رأوا نهضةً وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وختلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقّة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ، ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ، حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يا معشر قريش ، قد عرفتم ودّي لإياكم ، وفراقى محمداً ، وقد بلغني أمرٌ رأيته حقاً على أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا على . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرافهم ، فتعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ، ثم تكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهوداً يلتمسون منكم رهناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال :

١٤٨١/١

١٤٨٢/١

يا معشر غطفان ؛ أنتم أصيل وعشيرة ، وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تتهموني !
قالوا : صدقت ، قال : فاكتموا علي ، قالوا : نفعل ، ثم قال لهم مثل ما قال
لقريش ، وحدّهم ما حدّهم ، فلمّا كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس ،
وكان ممّا صنع الله عزّ وجلّ لرسوله [أن] ^(١) أرسل أبو سفيان ورموس غطفان
إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم :
إنّا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخلف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز
محمدًا ونفرغ ممّا بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت ، وهو يوم
لا نعمل فيه شيئًا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدّك فأصابه ما لم يخف
عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم ،
يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمدًا ، فلمّا نخشى إن ضررناكم
الحرب ، واشتدّ عليكم القتال ، أن تشرّوا إلى بلادكم وتتركوا الرجل في
بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك من محمد . فلمّا رجعت إليهم الرّسل بالذي قالت
بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : تعلمون والله أن الذي حدّكم نعيم بن
مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً
من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة
حين انتهت الرّسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ،
ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك
تشرّوا ^(٢) إلى بلادهم ، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم . فأرسلوا إلى
قريش وغطفان : إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم ،
وحدّ الله بينهم ، وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح في ليل شاتية شديدة
البرد ، فجعلت تكفأ قلوبهم ، وتطرّح أبنيتهم . فلمّا انتهى إلى رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا
حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ،
قال : حدّثنا يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال فتي

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله وصحبته ! قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نهجد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا ابن أخي ؛ والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى هويّا^(١) من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يرجع]^(٢) — يشرط له رسول الله أنه يرجع^(٣) — أدخله الله الجنة ؟ فما قام رجل . ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله الرجعة — أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد . فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة ؛ اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا ؛ قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقرأ لهم قيدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشر قريش ؛ لينظر امرؤ جليسه ، قال : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ؛ إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا^(٤) بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكروه ؛ ولقينا من هذه الريح ما ترون ؛ والله ما تعلمن لنا قيدرا ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جمسه وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ؛ فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ؛ ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا أحدث^(٥) شيئا حتى آتبه ، ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة :

(١) الهوى : المزيج من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .

(٤) التفسير : « وأخلفت » .

(٥) ابن هشام : « ألا تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم يصلي في مِرْطٍ لبعض نسائه مَرْحَلٍ ، فلما رآني أدخلني بين رجليه وطرح عليّ طرف المِرْطِ ^(١) ثم ركع وسجد ، فأذْكَتْهُ . فلما سلّم أخبرته الخبر ، وصعّت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم ^(٢) .

١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : فلما أصبح نبي الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعو السلاح .

• • •

غزوة بني قريظة

فلما كانت الظهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ^(٣) ، عن ابن شهاب الزهري — معجراً ^(٤) بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ^(٥) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أقْد ^(٦) وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكةُ السلاحَ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرُك يا محمد بالسَّيرِ إلى بني قُريظة ، وأنا حامدٌ إلى بني قُريظة .

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ناديا ، فأذّن في الناس : إن ^(٧) من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلا في بني قُريظة ^(٨) .

(١) المِرْط : كساء من صوف وعز أو كتان يوزّره .

(٢) الخبر في التفسير : ٢١ : ٨٠ : ٨١ (بولاق) .

(٣) أخبار غزوة بني قريظة ما نقل عن ابن إسحاق ، في سيرة ابن هشام : ٢ : ١٩٤ - ٢٠٣ .

(٤) الاحتمار : أن يعمم الرجل دين تلح ، أي لا يلقى شيئاً تحت لحيه .

(٥) الرحالة : السرج .

(٦) ابن هشام والتفسير : « أقْد »

(٧) ساقطة من ابن هشام .

(٨) يمدح في ابن هشام : « واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم » .

وقدّم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على بن أبي طالب برأيه إلى بني قُرَيْظَةَ ، وابتدأها الناس ، فسار على بن أبي طالب عليه السلام ، حتى إذا دَنَا من الحصون ، سمِعَ منها مقالة قَبِيحَةً لرسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فرجع حتى لَقِيَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأَخْيَارِ (١) ! قال : لِمَ ؟ أَظُنُّكَ مَعَتَى مِنْهُمْ أَذَى ! قال : نعم يا رسولَ الله . لو قد رَأَوْنِي لم يَقُولُوا من ذلك شيئاً . فلمّا دَنَا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من حُصُونِهِمْ ، قال : يا إِخْوَانُ الْقِرْدَةِ ، هل أَخْرَاكُمُ اللهُ ، وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ! قالوا : يا أبا القاسمِ (٢) ، مَا كُنْتُ جَهُولاً . ومَرَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على أَصْحَابِهِ بِالصُّورَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فقال : هل مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، قَدَ مَرَّ بَنَا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ، عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ ، عَلَيْهَا رِحَالَةٌ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ دِيْبَاجٌ ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : ذلك جَبْرِيلُ ، بُعِثَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَكِّزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ ، وَيُقَدِّفُ الرُّعْبَ فِي تَلُوبِهِمْ . فلمّا أَتَى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بني قُرَيْظَةَ ، نَزَلَ عَلَى بَثْرٍ مِنْ آبَارِهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، يَقَالُ لَهَا بَثْرُ أَنَا (٣) ؛ فَلَاحَقَ بِهِ النَّاسُ ، فَأَتَاهُ رِجَالٌ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَمْ يُصَلِّتُوا الْعَصْرَ ، لِقَوْلِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لَا يَصَلِّتِينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، لَشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْهُ بُدٌّ مِنْ حَرَبِهِمْ ؛ وَأَبَوْا أَنْ يُصَلِّتُوا ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَتَّى تَأْتُوا بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ بِهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ . فَمَا عَابَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ؛ وَلَا عَنَّفَهُمْ بِهِ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . وَالْحَدِيثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مَعْبُدِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ .

• • •

(١) التفسير : « الأَخْيَارِ » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أَنَا ، مِثْلُ « هُنَا » ، أَوْ مِثْلُ « حَتَّى » ، أَوْ بِكَسْرِ التَّوْنِ الْمَشْدُودَةِ ، وَيُرْوَى بِمَوْجِدَةٍ يَدُلُّ التَّوْنُ : مِنْ آبَارِ بَنِي قُرَيْظَةَ - يَأْتُونَ .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سعد قُبَّة في المسجد ، ووضع السلاح — يعني عند منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق — ووضع المسلمون السلاح ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال : أَوَضَعْتُمُ السِّلَاحَ ! ١٤٨٧/١ فوالله ما وضعت الملائكة بَعْدُ السلاح ، اخرجُ إليهم ^(١) فقاتِلْهُمْ ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأمتِه فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فرَبَّنِي غَنِّمْ ، فقال : من مَرَّ بِكُمْ ؟ قالوا : مَرَّ علينا دِحْيَةُ الْكَلْبِيِّ — وكان بشبه سُنْبُتِه ^(٢) وليحيته ووجهه بجبريل عليه السلام — حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُبَّتِه التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فحاصروهم شهراً — أو خمساً وعشرين ليلة — فلما اشتدت عليهم الحصار قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو ثُبَابَةَ بن عبد المنذر إنه الذبيح ، فقالوا : نزل على حكم سعد بن مُعَاذ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : انزلوا على حكمه ، فنتزلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحمار بِلَاكَافٍ من لَيْف ، فحمل عليه . قالت عائشة : لقد كان بَرًّا كَلَمَهُ ^(٣) حتى ما يرى منه إلا مثل الخُرْص ^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة ؛ حتى جَهَنَّمُ الحِصَارَ ؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب — وقد كان حِيَّتِي بن أخطب دخل على بني قُرَيْظَةَ في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه — فلما أيقنوا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : ١٤٨٨/١ يا معشرَ يهود ، إنَّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ^(٥) ، ولاني عارض ^(٦)

(١) س : «هم» . (٢) لساننا : الصورة ، وقيل : صفحة الخد .

(٣) الخرص : حلقة القرط ؛ وقول عائشة في الفائق ١ : ٣٣٥ .

(٤) س : «قد نزل» . (٥) س : «أعرض» .

عليكم خيلاً ثلاثاً فخذوا أيها شتم ! قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع ^(١) هذا الرجل ونصده ، فوافقه لقد كان تبين لكم أنه لئبي ^(٢) مرسل ، وأنه للذي كنتم تجعلونه في كتابكم ، فتأمنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فلأؤيتم هذه على ^(٣) فلهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصليين السيوف ، ولم نترك وراءنا ثَقَلًا يهمتنا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلكم مري لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فلأؤيتم هذه على ^(٤) فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيره . قالوا : نفسي سبتنا ، ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من ^(٥) كان قبلنا ، إلا من قد علمت . فأصابه ^(٦) من المسخ ما لم يخف عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازباً .

قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف — وكانوا ^(٧) حلفاء الأوس — نستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ، وبهش ^(٨) إليه النساء والصبيان في وجهه ، فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن نترى على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه : إنه الدّيح ، قال أبو لبابة : فوافقه ما زالت قدامى حتى عرفت أني خنت الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن هشام والتفسير : « فابع » .

(٢) و : « نبي » .

(٣) للتفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء : خطوا إليه ، وفي ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من حُمدِه ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىَّ مما صنعت ، وعاهد الله ألاَّ يعطى بنى قريظة أبدًا .
وقال : لا يرانى الله في بلد خُنت الله ورسوله فيه أبدًا . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وأبطأ عليه - وكان قد استبطأه - قال : أما لو جاعنى لاستغفرت له ، فأما إذ فعل ما فعل ، فإنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ^(١) .

• • •

حدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، أن توبة أبى لُبابة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو في بيت أم سلمة . قالت أم سلمة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك فقلت : مِمَّ تضحك يا رسول الله ، أضحك الله سنك ! قال : تيب على أبى لُبابة ، فقلت : ألاَّ أبشّره بذلك يا رسول الله ! قال : بلئى إن شئت ، قال : فقامت على باب حجرها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت : يا أبا لُبابة ، أبشّر فقد تاب الله عليك . قال : فنار الناس إليه ليُطلقوه ، فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطلقنى بيده ، فلما مرَّ عليه خارجًا إلى الصبح أطلقته ^(٢) .
قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعِيَةَ وأَسَيْدَ بن سَعِيَةَ ، وأَسَدَ ابن عُبَيْد - وهم نفر من بنى هذيل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك - هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وخرج في تلك الليلة عمرو بن

(١) خبر ابن إسحاق كله في التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بولاق) .

(٢) بعد ما في السيرة من ابن هشام : « أقام أبو لُبابة مرتبطًا بالجلع ست ليال ، تأتبه امرأه

في كل وقت صلاة فصله لصلاة ثم تعود قتريله بالجلع ، فيما حدثني بعض أهل العلم . والآلة التى نزلت في توبته قبل الله مزيج : (وَآخِرُونَ اعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

سُعْدَى الْقُرْظَى ، فَرُّ بِحَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ تِلْكَ اللَّيْلَةُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخلَ مع بنى قُريظة في غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال : لا أُغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أَبَدًا - فقال مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حِينَ عَرَفَهُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي عَشْرَاتِ الْكَرَامِ . ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى بَاتَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . ثُمَّ ذَهَبَ فَلَا يُدْرَى ^(١) أَيْنَ ذَهَبَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا ! فَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُ ، فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ .

قال ابن إسحاق : وبعضُ النَّاسِ يزعمُ أنه كان أوثقَ برُمة ^(٢) فيمن أوثقَ من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمته مُلقاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم متوألينا دون الخزرج ، وقد فعلت في مواليي الخزرج بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قبل بنى قُريظة حاصر بنى قَيْنُقَاعَ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فتركوا على حكمه ، فسأله لِيَنَامَ عبد الله بن أبي بن سلُول ، فوجههم له . فلما كلمه الأوس قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ - وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في خَيْمَةِ امْرَأَةٍ ^(٣) من أسلم ^(٤) يقال لها رُفَيْدَةُ في مسجده ، كانت تُدَاوِي الْجُرْحَى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ : اجعلوه في خيمة رُفَيْدَةَ ، حتى أعودَه من قريب - فلما

(١) في ابن هشام : فلم يدري .

(٢) الرمة : الحبل .

(٣) س : لامرأة .

(٤) كذا في ابن هشام وفي ط : المسلمين .

حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، آتاه قومه ، فاحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم - وكان رجلاً جسيماً - ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسين فيهم . فلما أكرهوا عليه قال : قد أتى لسعد ألا تأخذَه في الله لومة لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعتي لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه .

• • •

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة : في حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخدري : فلما طلع - يعني معداً - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم - أو قال : إلى خيركم - فأنزلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احكم فيهم ، قال : فإتني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تُسبى ذراريهم ، وأن تُقسَم أموالهم . فقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال في حديثه : فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك [أمر] ^(١) مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بملك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا ؟ - في الناحية التي فيها رسولُ

١٤٩٣/١

الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله له - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإنني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتسبى اللواتي والنساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١) .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار ابنة الحارث ، امرأة من بني النجار . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخلق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يُخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم سبائة أو سبعمائة ، المكشّر لم يقول : كانوا من السبعمائة إلى التسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد - وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا^(٢) - : يا كعب ، ما ترى ما يصنع بنا ! فقال كعب : في كل موطن لا تغلقون : ألا ترون الداعي^(٣) لا يترع ، وأنه من دُحِيب به منكم لا يرجع ، هو واقه القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتى يحيى بن أخطب عدو الله عليه حلة له فتأخّرت^(٤) قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الأتمة ، أنملة أنملة ، لئلا يسلبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يتخذك الله يتخذك .

١٤٩٤/١

(١) الأتمة : السموات ، واحدا رقيق .

(٢) أرسالا ، أي طائفة بعد طائفة .

(٣) س : والرامي .

(٤) حلة لفاحية : حل لوز الورود حين هم أن يقطع .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقدَّره ، وملهمة قد كتبت ^(١) على بني إسرائيل . ثم جلس ففُضِرَت عنقه ، فقال جبل بن جَوَّال الثعلبي :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلْ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عَذْرَهَا وَقَلَّلَ يَبْنِي الْعِرَّ كُلَّ مُقْلَقِلٍ

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من فصالهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنَّها لعندي تحدَّثتُ معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يقتلُ رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : ويلك مالك ! قالت : أحتل ! قلت : ولِمَ ؟ قالت : حدَّثتُ أحدثه . ١٤٩٥/١
قالت : فأنطَلِقَ بها ففُضِرَت عنقُها ^(٢) . فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفتُ أنها تُفْتِكِل !

وكان ثابت بن قيس بن شمس — كما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري — أتى الزبير ^(٣) بن باطل القرظي — وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شمس في الجاهلية . قال محمد : بما ذكَّر لي بعضُ ولد الزبير ، أنه كان مَنَّ عليه يوم بُعث ، أدخله فجرًا فاصبته ، ثم خلَّى سبيله — فجاءه ^(٤) وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهلُ مثلُ مثلك !

(١) في ابن هشام : « كتبها الله » .

(٢) قال أبو ذر الغفري : « هي امرأة الحسن القرظي » .

(٣) قال السهيلي : « هو الزبير ، يفتح الزاي وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن الماكور في الموطأ في كتاب النكاح » .

(٤) ابن هشام : « فجاء ثابت » .

قال : إني قد أردتُ أن أجزيك بيديك عندي ، قال : إن الكريم يجزي الكريم . ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، قد كانت للزبير عندي يدٌ ، وله على منةٌ ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك . فأثاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فأتي ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أهله وولده ، قال : هم لك ، فأثاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولدتك فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم ! فأتي ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأثاه فقال : إن رسول الله قد أعطاني مالك فهو لك ، قال : أي ثابت ! ما فعل الذي كان وجهه ميرة صبيبة تترأى فيها^(١) عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادى ، حُيَ بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا كررنا ، عزّال بن شمويل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان — يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة — قال : ذَهَبُوا ، قَتَلُوا . قال : فلأنتى أسألك بيدي عندك يا ثابت ، إلاّ ألحقننى بالقوم ، فواقه ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قبلة مَلُو^(٢) نَصَحَ حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّةَ ! فقدّمه ثابت فضرب عنقه ، فلما بلغ أبا بكر قوله : « أتى الأحبة » قال : يلغاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مُخَلَّداً أبداً . فقال ثابت بن قيس بن الشماس فى ذلك ، يذكر الزبير بن باطا :

١٤٩٦/١

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فيه » .

(٢) فى ابن هشام : « قتلة » ، قال أبو ذر الخشى : « ومن رواه : « قبلة » بالقاف والباء

فهو بمقدار ما يقتل الرجل الدلو ليصبها فى الخوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال

وَقَتَّ ذِئْبِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَتَقِي صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَيْدٌ أَغْظَمَ النَّاسِ مِنَّةً عَلَى فَلَانٍ شَدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفُكَّهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بَحْرًا لَنَا يَجْرِي

قال : وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أُنْبِتَ

منهم .

فحدثنا ابنُ حُصَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْنَةَ ، أخى بنى
عدى بن النجار ، أن سَلَمَةَ بنت قيس أم المنذر أخت سَلَيْطِ بن قيس
— وكانت إحدى خالات رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، قد صَلَّتْ معه
القبليتين ، وبايعته (١) بيعة النساء — سألتَه رفاعَةَ بن شمويل (٢) القرظي —
وكان رجلاً قد بلغ ولاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك — فقالت : يا نبي الله ،
يا بِي أُنْتُ وأُمِّي ! هَبْ لِي رفاعَةَ بن شمويل ، فإنه قد زعم أنه سيُصَلِّي ،
ويأكل لحم الجمل ، فوهبه لها ، فاستحيته .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم قَسَمَ أموال
بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سَهْمَانِ
الخييل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ،
للفرس سهمان وللفارسه سهم ، وللراجل ممن ليس له فرس سهم ، وكانت
الخييل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول فتى وقع فيه السهمان
وأخرج منه الخمس ، فعلتى سُنَّتُها وما مضى من رسولِ الله صَلَّى الله عليه
وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة في المغازي ، ولم يكن يُسْهِم للخييل
إذا كانت مع الرجل إلا لفارسين .

ثم بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم سعدَ بن زيد الأنصاري ،

(١) و : « وبايعت » .

(٢) ابن هشام : « شمويل » .

قال علقمة : أى أمه ! كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالت : كانت عينه لا تدّمعُ على أحد ، ولكنه كان إذا اشتدَّ وجدهُ
على أحد ، أو إذا وجد فلانما هو آخذٌ بلحيته .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ،
قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقُتل من المشركين
ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بنى قريظة خلد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو
ابن بلحارث بن الخزرج ، طُرحت عليه رحى فشلخه شلخاً شديداً .
ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمه ، ورسولُ
الله صلى الله عليه وسلم محاصراً بنى قريظة ، فدفن في مقبرة بنى قريظة .
ولمّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق ، قال : الآن نخزؤهم
— يعنى قريشاً — ولا يغزؤنا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم مكة .

وكان فتح بنى قريظة في ذى القعدة أو في صدر^(١) ذى الحجة ، في قول
ابن إسحاق . وأما الواقدي فإنه قال : غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذى القعدة ، لياليتين منه ؛ وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر أن يُشقت لبنى قريظة في الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل على والزبير
يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أن المرأة التي قتلها النبي صلى الله عليه وسلم
بوملح كانت تسمى بُنْآنَة ، امرأة الحَكَم القرظي ، كانت قتلت خلد بن
سويد ، رمت عليه رحى ، فدعا له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب
عنقها بخلد بن سويد .

• • •

واختلف في وقت غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق ، وهى
الغزوة التى يقال لها غزوة المريسيع — والمريسيع اسم ماء من مياه خزاعة
بناحية قديد إلى الساحل — فقال : ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ،

قال : حدثنا سلمة ، عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدي : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم المريسيع في شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بني المصطلق من خزاعة .

وزعم ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف بعد فراغه من بني قريظة ، وذلك في آخر ذي القعدة أو في صلب ذي الحجة - فأقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وولى الحجة في سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في جُمادى الأولى على رأسِ ستَّة أشهر من فتح بني قُرَيْظَةَ إلى بني لِحْيَان ، يطلب ١٥٠١/١ بأصحاب الرِّجِيع ، خُبَيْب بن عدى وأصحابه ؛ وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غيرةً . فخرج من المدينة ، فسلك على غُرَاب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام) ثم على مَخِيض ، ثم على البَرَاء ؛ ثم صفق^(١) ذات اليسار ، ثم على يَتْن ، ثم على صُخَيْرَات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ، فأغْدَلَ السير سريعاً ؛ حتى نزل على غُرَّان ؛ وهى منازل بني لحيان - وغُرَّان واد بين أمّج وعُسْفان - إلى بلد يقال له ساية ، فوجدهم قد حيلروا وتمنعوا في رموس الجبال ، فلمَّا نزلها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأخطأ من غرهم ما أراد ، قال : لو أنا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه ؛ حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم ، ثم كَرَّرا وراح قافلاً^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق .
- قال : والحديث في غزوة بني لحيان - عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبيد الله بن كعب .

قال ابن إسحاق : ثم قدِم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ، فلم يُقِمْ إلاَّ ليالِي قلائل حتى أغار عُبَيْيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل لطفان على لِقَاح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة ؛ ١٥٠٢/١ وفيها رجلٌ من بني غِفَّار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح^(٣) .

• • •

(٢) انظر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٢ .

(١) صفق: عدل .

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

غزوة ذي قرد

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أنهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، كلٌ قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث ، أنه أول من نذر^(١) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبته ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

• • •

وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما روي عن سلمة بن الأكوع كان إما في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وإما في أول سنة سبع ، وذلك أن انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذي وقته ابن إسحاق لغزوة ذي قرد والوقت الذي روي عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدثنا حديث سلمة بن الأكوع الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا حكيم بن عمار اليمامي ، عن أناس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - يعني بعد صلح الحديبية - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهوره^(٢) مع رباح غلام رسول الله ، وخرجت معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عبيدة قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقه أجمع ، وقتل رابعه . قلت : يا رباح ، خذ هذا الفرس وأبلغه طلحة . وأخبر رسول الله أن المشركين قد أغاروا على سرحيه . ثم قمت

١٥٠٣/١

(١) نذر : علم .

(٢) الظهور : الإبل تمتد الركوب أو حمل البخل .

على أكمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثة أصوات: يا صبا حاه ! ثم خرجت في آثار القوم أريهم بالتسبل ، وأرتجز وأقول : : « أنا ^(١) ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

قال : فوالله ما زلت أريهم وأعقر بهم ^(٢) ، فإذا رجع إلى فارس منهم أتيت شجرة وقعدت في أصلها ، فرميتُ فغررت به ، وإذا تضايقت الجبل فدخلوا في متضايقتي ^(٣) علوت الجبل ، ثم أردتهم بالحجارة ، فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلقتُ الله بغيراً من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جعلته وراء ظهري ، وخلتوا بيني وبينه وحتى ألغوا أكثر من ثلاثين رُحماً وثلاثين بُردة ^(٤) ، يستخفون ^(٥) بها لا يلثون ^(٦) شيئاً إلا جعلت عليه آراماً ^(٧) حتى يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى إذا انتهوا إلى متضايقت من ثنية ^(٨) وإذا هم قد أتاهم عبيثة بن حصن بن ١٠٠/١ بلر مُبداً ، ففعلوا يستخفون ^(٩) ، وقعدت على قرن ^(١٠) فوقهم ، فنظر

(١) كذا في صحيح مسلم ، وفي ط : « وأنا » .

(٢) في اللسان : « أصل المقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . . . ومنه حديث ابن الأكوع : وما زلت أريهم وأعقرهم » ، أي أقتل مركوبهم ، يقال : عقرت به ، إذا قتلت مركوبه » .

(٣) صحيح مسلم : « فدخلوا في تضايقه » . والتضايقت : عند الاتساع .

(٤) صحيح مسلم : « ثم أتبعهم أريهم حتى ألغوا أكثر من ثلاثين بردة » .

(٥) يستخفون ، أي يطلبون بإلغائها الخفة ، ليكونوا أندر حل الفرار .

(٦) صحيح مسلم : « لا يطرحون » .

(٧) الآرام : الأعلام .

(٨) الثنية : العقبة والطريق في الجبل ، وفي صحيح مسلم : « حتى أتوا متضايقا من

ثنية » .

(٩) في نهاية ابن الأثير : « بينما نحن نتضحي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي نتضحي ، والأصل فيه أن العرب كانوا يسرون في ظلمهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلاً وعشب قال قائلهم : ألا ضحوا رويداً ! أي ارفقوا بالإبل حتى نتضحي أي نزال من هذا المرمى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبع ، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل في وقت الضحى : هو يتضحي ، أي يأكل في هذا الوقت ، كما يقال : يتندى ويتشى في الغداة والعشاء » .

(١٠) القرن : الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير ، وفي صحيح مسلم : « وجلس على

رأس قرن » .

عِيسَى، فقال : ما الذى أرى^(١) ؟ قالوا : لقينا من هذا البَرْحِ^(٢) ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَسَ ، يرمينا حتى استنقذ^(٣) كلَّ شيءٍ فى أيدينا . قال : فليَقْسُمْ لى إليه منكم أربعة . فعَمِدَ إلى أربعة^(٤) منهم . فلما أمكنوه من الكلام ، قلت : أتعرفون ؟ قالوا : من ؟ أنت ؟ قلت : سلمة بن الأكوع ، والذى كَرَّم وجهه محمد لا أطلبُ أحداً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبنى زجل منكم فيدركنى . قال أحدهم : أنا^(٥) أظن ، قال : فرجعوا فما برحت مكاني ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلَّلون الشجر ، أو لم الأخرم الأسدي ، وعلى إثره أبو قتادة الأنصاري ، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي ، فأخذت بعنان فرس الأخرم ، [فولوا مدبرين]^(٦) ، فقلت : يا أخرم ، إن القوم قليل ، فاحذرهم لا يقطعوك حتى يلحق بنا رسولُ الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحلَّ بيني وبين الشهادة . قال : فحلبتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيسى ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ، فطعنه عبد الرحمن فقتله ، وتحول عبد الرحمن على فرسه ، ولحق أبو قتادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقر عبد الرحمن بأبي قتادة فرسه ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ، فانطلقوا هاربين . قال سلمة : فولد كَتَم وجه محمد ، لتبعيَّتهم أعدو على رجل ، حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيئاً .

١٠٠٥/١

قال : وبعد لَوْن قبل غروب الشمس إلى شِعب فيه ماء يقال له ذو قَرَد

(١) صحيح مسلم : « ما هذا الذى أرى ؟ » .

(٢) البرج : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حتى انتزع » .

(٤) صحيح مسلم : « فعمد إلى أربعة منهم في الجبل » .

(٥) ط : « إن » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلى أعدو في آثارهم ؛ فحلبيتهم ^(١) فما ذاقوا منه قطرة .

قال : ويُسْنَدُونَ ^(٢) في ثنية ذى أثير ^(٣) ، ويعطف على واحد فأرشفه بسهم فيقع في نُغْض ^(٤) كفه ، فقلت :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فقال : أَكْوَعِي غُدْوَةً ^(٥) ! قلت : نعم يا عدو نفسه ^(٦) ، وإذا فرسان على الثنية ، فجثت بهما أقودهما إلى رسول الله ^(٧) ، ولحقني عامر عتي بعد ما أظلمت بسطيحة ^(٨) فيها مِدْقَةٌ من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضأتُ وصليتُ وشربت ، ثم جثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلبيتهم ^(٩) عنه ، عند ذى قَرَد ، وإذا رسولُ الله قد أخذ تلك الإبل التي استنقذتُ من العدو ، وكل رُمح ، وكل بُردة ، وإذا بلال قد نسحر ناقة من الإبل التي استنقذت من العدو ، فهو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها ، فقلت : يا رسول الله ؛ خلني فلأنتخب ^(١٠) مائة رجل من القوم ، فأَتَّبِعُ القوم فلا يبق ^(١١) منهم حين . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدا — وقد بانث — نواجذه . [في ضوء النار] ^(١٢) . ثم قال : أَكُنْتَ فاعلًا ! فقلت : إني والَّذِي أكرمك !

(١) حلبيتهم ، أي طردتهم وأجليتهم .

(٢) أسندوا ، أي صنعوا ، وفي صحيح مسلم : « ويعرجون فيثنون في ثنية » .

(٣) كلما ذكر في ط ، ولم أجد هذا الموضع في ياقوت .

(٤) النغض : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمى بذلك لكثرة تحركه .

(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .

(٦-٦) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجثت بهما أسقيهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٧) السطيحة : إزاء من جلود ، سلح بعضها على بعض . والملقة : قليل من لبن مزوج بماء .

(٨) صحيح مسلم : « حلاتهم » .

(٩) صحيح مسلم : « فأنتخب » .

(١٠) صحيح مسلم : « فلا يبق منهم سفير إلا قتلته » .

(١١) من صحيح مسلم .

فلما أصبحنا قال رسول الله إنهم ليُقرَّون^(١) بأرض غَطَطَان . قال ، فجاء رجلٌ من غَطَطَان ، فقال : نحر لهم فلان جزوا ، فلما كَشَطُوا^(٢) عنها جلدها رأوا غُبَارًا ، فقالوا : أتيتم^(٣) ! فخرجوا هارين ، فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع . ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم [سهمين]^(٤) سهم الفارس ، وسهم الراجل ، [فجمعهما لي جميعًا]^(٥) ، ثم أردفني رسول الله ورائه على العَصْبَاء^(٦) ، [راجعين إلى المدينة]^(٧) . فبينما نحن نسير ، وكان رجل من الأنصار لا يُسْبِقُ شِدًّا^(٨) فجعل يقول : ألا من مسابق ! فقال : ذاك مِرَارًا ، فلما سمعته قلتُ : أما تُكْرِم كرميًا ولا تهاب شريفًا ! فقال : لا ، إلا أن يكون رسول الله ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! ائذن لي^(٩) فلاسابق الرجل ! قال : إن شئت ، قال : فطفرت^(١٠) ، فعدوت ، فربطتُ شَرَفًا أو شرفين فألحقته^(١١) وأصكته بين كفيه ، فقلت : سبقتك^(١٢) والله ! فقال : إنني أظن^(١٣) ، فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خيبر^(١٤) .

١٥٠٧/١

* * *

(١) يقرَّون : يضافون .

(٢) صحیح مسلم : « كَشَطُوا جلدها » .

(٣) صحیح مسلم : « أتاكم القوم » .

(٤) من صحیح مسلم .

(٥) العَصْبَاء : لقب لآلة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) شِدًّا ، أي حنوا على الرجلين .

(٧) صحیح مسلم : « وفرد » .

(٨-٨) صحیح مسلم : « فربطت عليه شَرَفًا أو شرفين أستقي نفسي ، ثم عدوت في إثره » .

(٩) فربطت عليه شَرَفًا أو شرفين ، ثم إنني رفعت حتى ألحقه . والشرف : ما ارتفع من الأرض ، ومنه

رُفِط ، حيث نفى عن الجوى الشديد .

(١٠) صحیح مسلم : « وقد سبقت » .

(١١) أي أظن ذلك ، وفي ط : « وإن أظن » .

(١٢) الخبر في صحیح مسلم ٣ : ١٤٣٣ - ١٤٤١ ؛ يستنه عن سلمة بن الأكوع ؛ مع

اختلاف في الرواية .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله -
يعنى مع سلمة بن الأكوع - معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنية
الودّاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلّم ، ثم صرخ :
واصْبَحَا ههنا ! ثم خرج يشتد في آثار القوم - وكان مثل السَّبُع - حتى لحق
بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنَّيْل ، ويقول إذا رى : «خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ ،
واليوم يوم الرضع» .

فإذا وُجِهُتُ الخيل نحوهم ، انطلق هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه
الرُّيُ رَمَى ، ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ واليومُ يوم الرضع^(١)

قال : فيقول قائلهم : أَوَيْكُنَا^(٢) هو أول النهار .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباحُ ابن الأكوع ،
فصرخ بالمدينة : الفرز الفرز ! فتأملت^(٣) الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فكان أولَ من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد
من الانتصار ، عبّاد بن بشر بن وقش بن زُهَبَة بن زُهَوْرَا ، أخو بني
عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، آحد بن كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن
ظُهَيْر أخو بني حارثة بن الحارث - يُشكّ فيه - وعُكَّاشَة بن مِحْصَن ،
أخو بني أسد بن خزيمة ، وسُحْرُز بن نَضْلَة ، أخو بني أسد بن خزيمة ،
وأبو قتادة الحارث بن ربيعة ، أخو بني سَكِمة ، وأبو عيَّاش ، وهو
عُبَيْد بن زيد بن صامت ، أخو بني زُرَيْق .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد .

ثم قال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن رجال من بني
زُرَيْق - لأبي عيَّاش : يا أبا عيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو
أفروسُ منك فلحق بالقوم ! قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(١) الرضع : جبع راضع ، وهو التيم . (٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : «أكيكنا» .

(٣) ابن هشام : «قرأت» .

أفرس^١ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جَرَّيْ خمسين ذراعاً حتى طرحني ؛ فعبَّيت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بني زُرَيْق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عبيّاش مُعَاذ بن معص - أو عائلته بن ما عَص - ابن قيس بن خَلْدَةَ - وكان^(١) ثامناً - وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأَكْرَج أحدَ الثمانية ، ويعطرحُ أسيد بن ظُهَيْر أخا بني حارثة ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وكان أول من لحق بالقوم على رجليه ، فخرج الفرسان في طلب القوم ، حتى تلاحقوا^(٢) .

١٥٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أول فارسٍ لحقَ بالقوم مُحَرِّز بن نَفْثَلَة ، أخو بني أسد بن خزيمَة - ويقال لهُرْز : الأَخْرَم ، ويقال له : قَمِير - وأن الفزع لما كان ، جالَ فرسُ لُهمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَتيَعاً^(٣) جاماً^(٤) ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول في الحائط بجذع من نخل هو مربوط به : يا قُمَيْر ، هل لك في أن تركبَ هذا الفرس - فإنه كما ترى - ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيته إياه ، فخرج عليه ، فلم يَنْشَسِبْ أن يَنْدَ الخيل بِجِسمامه^(٥) حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشرَ اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدرُوا عليه ،

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) الفرس الصنيع : الذي يخنمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : جم الفرس : إذا ترك ولم يركب .

(٥) الجمام كسحاب : الراحة ، وإلباء هنا للسيبة .

حتى وقف على آريته^(١) في بني عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمة^(٢) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حَدَّثَنَا سلمة ، قال : حَدَّثَنِي محمد بن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، أن محرزاً لما كان على فرس لعُكاشة بنِ محصن يقال له^(٣) الجناح ، ١٥١٠/١
فقتل مُحْرز ، واستُلب الجناح . ولما تلاحقت الخيول قَتَلَ أبو قتادة الحارث بن رِبْعَى أخو بني سلمة ، حَبِيبَ بن عيينة بن حصن ، وشِشَاه ببردته ، ثم لحق بالنَّاس ، وأقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون ، فلما حبيب مسجى^(٤) ببرة أبي قتادة ، فاسترجع^(٥) الناس ، وقالوا : قَتَلَ أبو قتادة ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قَتَلَ لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه . وأدرك عُكَّاشَةُ ابنِ محصنٍ أو باراً وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعضَ اللقاح . وسار رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حتى نزل بالجبلِ مِن ذِي قَرْد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وأقام عليه يوماً وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسولَ الله ، لو سَرَحْتَنِي في مائة رجل لاستنقذت بقيةَ السَّرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم — فيما بلغني : إنَّهم الآن لَيُغْنِبُكُونُ^(٦) في غَطَتَان .

وقسم^(٧) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في أصحابه في كلِّ مائة جزوراً ،

(١) الآي : الجبل الذي تخذ به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذي تقف فيه الدابة آرياً أيضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : مطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إلانا وإلنا إليه راجعون .

(٦) يغنيون : يشربون اللبن وقت العشي .

(٧) ابن هشام : « قسم » .

فَأَقَامُوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ^(١) .

فَأَقَامَ بِهَا بَعْضُ جُمَاةِ الْآخِرَةِ وَرَجَبَ . ثُمَّ غَزَا بِلِسْمِصْطَلَقٍ مِنْ غَزَاةٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ مَسَّ .

• • •

ذِكْرُ غَزْوَةِ بَنِي الْمِصْطَلَقِ

١٠١١/١

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ وَعَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، قَالَ : كُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ بَعْضَ حَدِيثِ بَنِي الْمِصْطَلَقِ ، قَالُوا : بَلِّغْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بِلِسْمِصْطَلَقٍ ^(٢) يَجْتَمِعُونَ لَهُ ، وَقَائِدُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ ، أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ ، زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ ^(٣) مِنْ مِيَاهِهِمْ ، يُقَالُ لَهُ : الْمَرْيَسِيْعُ ، مِنْ فَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ ، فَتَرَاخَفَ النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمِصْطَلَقِ ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ، وَنُقِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَقَامَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وَقَدْ أَصِيبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بِنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَيْثِ ابْنِ بَكْرٍ ، يُقَالُ لَهُ هِشَامُ بْنُ صُبَّابَةَ ، أَصَابَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ رَهْطِ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعُلُوِّ ، فَقَتَلَهُ خَطَأً .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤

(٢) ابن هشام : « بنى المصطلق » .

(٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .

(٤) س : « وأصيب » .

فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار يقال له جهنجاه بن سعيد^(١) ، يقود له فرسه ، فازدحم جهنجاه وسنان الجهني^(٢) حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ، ١٥١٢/١ فاقبتلا ، فصرخ الجهني^(٣) : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهنجاه : يا معشر المهاجرين^(٤) ، فغضب عبد الله بن أبي مسكول ، وعنده رهن من قومه^(٥) ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن ، فقال : أقدم^(٥) فعلنوها ! قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدونا^(٦) وجلايب^(٧) قریش ما قال القاتل : « ستمن ككبتك يتا ككلك » ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرز منها الأذل ! ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحلتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه . فأخبره الخبر

(١) ابن هشام : « جهجاه بن سعيد » . وفي الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ، قيل : ابن قيس ، وقيل ابن سميد الفزاري » شهد بيعة الرضوان بالحديبية . . . وذكر خبره في غزاة بني المصطلق .

(٢) في ابن هشام : « وسنان بن وهر الجهني » . وقال السهلي : « وقال غيره : هو سنان ابن تميم - من جهة - بن سويد بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهلي : « ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ، وفي الصحيح أنه عليه السلام قال : دعوها فلها مئة . هي أنها كلمة غيبة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبا ، وإنما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين ، فن دعا في دعوى الجاهلية فيترجمه لفقهائه فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يجلد من استجاب له حين سوطا ، اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده الثانية الجعدي حين سوطا ، حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فقبل يشد بحسبة . والثاني أن فيها الجلد دون المشر لنبيه عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا في حد . والقول الثالث اجتihad الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد القديمه وإغلاق باب الشر ، إما بالويحد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قومه » .

(٥) ابن هشام : « أولده » .

(٦) ابن هشام : « ما أضفنا » .

(٧) جلايب قریش ، كان المشركون يلتقيون من يسلم من قریش بذلك . وأصل الجلايب

الأزر الغلاظ ، وكانوا يلتصقون بها ، فلحقهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرُّ به عَبَادُ بنِ بَشْرٍ بن
وَقَشِشْ فليقتله ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : فكيف يا عُمَرُ إذا
تحدث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل - وذلك في
ساعة لم يكن رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يرتحل فيها - فارتحل الناس ،
وقد مشى عبد الله بن أبيّ بن سَكول إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين
بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه . فعطف بالله : ما قلت ما قال ،
ولا تكلمت به - وكان عبدُ الله بن أبيّ في قومه شريفاً عظيماً - فقال
من حضر رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من أصحابه من الأنصار :
يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم ^(١) في حديثه ولم يحفظ ما قال
الرجل ! حذّباً ^(٢) على عبد الله بن أبيّ ودفعاً عنه .

١٠١٣/١

فلما استقلَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ضار ، لقيه أُسَيْدُ بن
حُضَيْرٍ ، فحياه تحية النبوة ، وسلّم عليه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، لقد
رُحِيتُ في ساعة منكّرة ما كنتُ تروح فيها ! فقال له رسولُ الله صَلَّى الله
عليه وسلّم : أو ما بلغك ^(٣) ما قال صاحبكم ! قال : وأيّ صاحب
يا رسولَ الله ! قال : عبد الله بن أبيّ ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن
رجع إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذلّ ، قال أُسَيْدُ : فأنت والله
يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو والله الدليل وأنت العزيز ! ثم قال :
يا رسولَ الله ، ارفقْ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإن قومه لينظّمون له الخرزَ
ليتوجوه ، فإنه لَيَبْرَى ^(٤) أنك قد استلبته مُلْكاً ^(٥) .

ثم متن ^(٦) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالناس يومهم ذلك
حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس .

(١) يقال : وهم في كذا ، إذا سقط وأخطأ ، وظنه « أيم » .

(٢) التفسير : « حذّب » .

(٣) التفسير : « أما » .

(٤) و : « يرى » .

(٥) س : « سلبه ملكه » .

(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . وبن ، أي سار بهم حتى أضعف

إلهم ، يقال : متن بالإيل ، إذا أضعف حتى الضعف .

ثم نَزَلَ بِالنَّاسِ ، فلم يكن إلاَّ أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ وَقَعُوا نِيَامًا ، وَإِنَّمَا فَتَحَلَّ ذَلِكَ [رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(١) لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي .

ثم راح بالنَّاسِ ، وسلك الحجاز حتى نَزَلَ عَلَى مَاءٍ بِالْحِجَازِ فَوَتَّقَ النَّسِيعَ ^(٢) ، يُقَالُ لَهُ نَقَعَاءٌ ، فَلَمَّا رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَبَّتْ عَلَى النَّاسِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ آذَتْهُمْ ، وَتَخَوَّفُوهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَخَافُوا ^(٣) ، فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عِظَمَاءِ الْكُفَّارِ ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ الثَّائِبِ ، أَحَدَ بَنِي قَيْسِ نَقَعٍ — وَكَانَ مِنْ عِظَمَاءِ يَهُودَ ، وَكَتَهَفًا لِلْمُنَافِقِينَ — قَدِمَاتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَنَزَلَتِ السُّورَةُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ مَسْكُورٍ وَمَنْ كَانَ [مَعَهُ] ^(٤) عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَافِقُونَ ﴾ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُذُنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ فَقَالَ : هَذَا الَّذِي أَوَّلَى اللَّهُ بِأُذُنِهِ .

• • •

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ ، قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عَمَّتِي فِي غَزَاةٍ ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنْسُلُولٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، وَاللَّهِ ، ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ^(٥) ، فَلَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمَّتِي ، فَلَذَكَرَهُ عَمَّتِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا في ط والتفسير ، بالنون ، وفي رواية ابن إسحاق بالباء ، وما قولان ذكرهما بالهوت

في معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : ولا تخافوها .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨٠ .

فحدثته ، فأرسل إلى عبدالله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، قال : فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه ، فأصابني همٌ لم يصيبني مثله قط ، فجلست^(١) في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى^(٢) أن كذبتك رسول الله ومقتنك ! قال : حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها ، ثم قال : إن الله صدقك^(٣) يا زيد^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سكول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي — فيما بلغك عنه — فإن كنت فاعلا فرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرج ما كان بهارجل أبر بوالدمني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نرفق به ، ونحسين صحبتهم ما بقى معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحديث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخضونه ، ويعنفونه ويتوعدونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله ، لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم

(١) التفسير : « فجلست » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) . الخبر في التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (بولاق) .

بقتله لقتلته. قال : فقال عمر : قد والله علمت ، لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمرى . (١)

قال : وقدم مِقْبِسُ بنِ صُبَّابة من مكة مسلماً فيما يظهر ، فقال : يا رسولَ الله ، جئتُك مسلماً وبحث أطلب دية أخى قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صُبَّابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدداً ، فقال في شعر :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدَّ بَاتَ بِالْقَاعِ مُنْذَرًا تَضَرَّجُ ثَوْبِي دِمَاءَ الْأَخْدَاعِ (٢)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تُلِمُ ، فَتَحْمِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ (٣)
حَلَلْتُ بِهِ وَنَرَى ، وَأَذْرَكْتُ تُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ (٤)
نَارَتْ بِهِ فِهْرًا وَحَلَّتْ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِجِ (٥)

وقال مِقْبِسُ بنُ صُبَّابة أيضاً :

جَلَلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ ، لَهَا وَشَلٌ مِنْ نَاقِعِ الْجَوَفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ (٦)
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَشَاهُ أَسِرَّتُهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا (٧)

وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناسٌ كثيرٌ ، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين : مالكا وابنه ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) التفسير ٢٨ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) ، وابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتفرج : تلطخ . والأخداع : حروق القفا ، وإنما هنا أعتنان ، فجعلهما مع يلهما .

(٣) تلم : تحل بى . وتحمى : تمنى . ووطاء المضاجع : ليناتها .

(٤) الوتر : طلب الثأر . واللقوة : الثأر .

(٥) ط : « نارت به قهراً » ، وما أثبتته من ابن هشام . القتل : الدية . وسراة بني النجار :

خيارهم . وفارج : حصن لهم .

(٦) جللته ضربة : علوته بها . وباءت : أخلت بالثأر : يقال : بئت بفلان ، إذا أخذت

بثأره . والوشل : القطر ، ويريد بنافع الجوف الدم . ينصرم : ينقطع .

(٧) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة . (٢٨)

سبيًا كثيرًا ، ففشا قَسَمُهُ في المسلمين ، ومنهم جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار زوج النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جُوَيْرِيَّة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس - أو لابن عم^٢ له - فكاتبته على نفسها - وكانت امرأة حُلْوَةً مَلَاة^(٣) ، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه - فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حُجْرَتِي كَرِهْتَهَا ، وعرفت أنه سِرَى منها مثل ما رأيت ، فلخَلْتُ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومي ، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخَفْ عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عم^٢ له - فكاتبته على نفسي ، فجئتكَ أَسْتَعِينُكَ على كتابتي ، فقال لها : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضِ كتابتك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى النَّاس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال النَّاس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد اعتقَ بتروجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فأعلم امرأة كانت أعظمَ بركة على قومها منها ^(٣) .

. . .

حديث الإفك

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ .

(٢) الملاح : الشديدة الملاح .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك - كما حدثني أبي إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - حتى إذا كان قريباً من المدينة - وكانت [معه] ^(١) عائشة في سفره ذلك - قال أهل الإفك فيها ما قالوا ^(٢) .

١٥١٨/١

حدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي وعن سعيد بن المسيب ^(٣) ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [بن مسعود] ^(٤) قال الزهري : كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض . قال : وقد جمعت لك كل الذي حدثني القوم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قال : وكل قد اجتمع حديثه في خبر قصة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً ، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض ، وكل كان عنها ثقة ، وكل قد حدث عنها ^(٥) .

١٥١٩/١

قالت عائشة : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق ، أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن ، فخرج بي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن الملقق ^(٦) لم يهتجنهن ^(٧) اللحم فيثقلن . قالت : وكنت إذا رُحِلَ بعيري جلستُ في هودجِي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون هودجِي في بعيري ،

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ .

(٣) ابن هشام : سعيد بن جبير . (٤) من التفسير .

(٥) الملقق : بضم قفتح ، وهي ما فيه بلفظ من الطعام إلى وقت الفداء .

(٦) التهجج ، كالورم في الجسم ، قد يكون من سمن وقد يكون من آفة .

ويحملوني فيأخذون بأسفل المودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جترع^(١) ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرجل ذهبت التمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل . قالت : فرجعت عودى على بلدي إلى المكان الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا المودج ، وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكروا أنني فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني الذي ذهبت إليه ، وعرفت أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إلي . قالت : فوالله إنني لمضطجعة ، إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي^(٢) ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس في العسكر ، فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف على فرعتي - وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب - فلما رآني قال : إننا لله وإننا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير فقال : اركبي رحمك الله ! واستأخر عني . قالت : فركبت وجاء فأخذ برأس البعير ، فانطلق بي سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمانوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك في ما قالوا . فارتج^(٣)

(١) الجزع : الحرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ، ينسب إليها الجزع الظفاري .

(٢) قال السهيلي : « يكنى أبا عمرو » وكان يكون على ساقة العسكر ، يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ؛ ولذلك تخلف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا . وقد روي في تخلفه سبب آخر ؛ وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس .

(٣) ابن هشام : « ارتج العسكر » ، أي تحرك واضطرب .

العسكر ، والله ما أعلم بشيء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكث^(١) أن اشتكت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ؛ وقد انتهت الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوتى ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً^(٢) ، إلا أننى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكت رحمى ولطف بى ، فلم يفعل ذلك فى ١٦٢١/١ شكواى^(٣) تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل على وأمى تمرضتى ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت فى نفسى ممّا رأيت من جفاته عنى ، فقلت له : يا رسول الله ، لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فمرضتى ! قال : لا عليك ! قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا أعلم بشيء ممّا كان ، حتى نفهت من رجى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قومًا عربًا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها ، إنما كنا نخرج فى فُسح المدينة ، وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ؛ فخرجت ليلة لبعض حاجتى ، ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنها لتمشى معى ، إذ عثرت فى مِرطِها^(٤) ، فقالت : تيس مسطح^(٥) ! قالت : قلت : بشى لعمرك الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بديراً ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتى ، ورجعت لما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصعد^(٦) كبدى . قالت : وقلت لأمى :

(١) ابن هشام : « ألث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكواى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « وسطح لقب ، واسمعىف » .

(٦) سيصعد : سيق .

يغفر الله لك اتحدت الناس بما تحدثوا به وببلغك ما بلغك ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أى بنية خفضي الشأن ^(١) ، فوالله قلما كانت امرأة حسنة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها . ١٥٢٢/١

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ^(٢) ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوني في أهلي ، ويقولون عليهم "غير الحق" ! والله ما علمت منهم ^(٣) إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ! وما دخل ^(٤) بيتاً من بيوتى إلا وهو معي . قالت : وكان كبير ^(٥) ذلك عند عبد الله بن أبي بن سكول في رجال من الخزرج ، مع الذي قال مسطح وحمينة بنت جحش - وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمينة بنت جحش] ^(٦) ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارتي ^(٧) لأختها زينب بنت جحش - فشقيت بذلك . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير أخو بني عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرأنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب ^(٨) أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عباد - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! قال أسيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن

١٥٢٣/١

(١) خفضي الشأن : هزله عليك .

(٢) و : « فخطبهم » .

(٣) م : « عليهم » .

(٤) و : « ولا دخل » .

(٥) الكبر ، بالضم والكسر : الإثم وعظم الشيء .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) ابن هشام : « تضادني » .

(٨) و : « تضرب » .

المتنافقين ! قالت : وثناوره ^(١) النَّاسُ حتَّى كاذ أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ، وفزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ، قالت : فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ، فأما أسامة فأتني خيراً وقاله ^(٢) ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ، ولا نعلم عليهن إلا خيراً ، وهذا الكلب والباطل . وأما علي فإنه قال : يا رسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنك لقادرٌ على أن تستخلف ، وسيل البحارية فإنها تصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بـريرة يسألها . قالت : فقام إليها على فصرها ضرباً شديداً ^(٣) ، وهو يقول : اصدقي رسول الله ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أصيب ^(٤) على عائشة ، إلا أني كنتُ أعجبن عجبي ^(٥) فأمرها أن تحفظه ^(٦) فتنام عنه ، فيأتي الداجن فيأكله ^(٧) .

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهندي أبوتاي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس فحيد الله وأتني عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنّه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتني الله ، وإن كنتِ قارفتِ سوءاً ^(٨) ممّا يقول النَّاس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، قالت : فوالله ما هو إلا أن قال ذلك ، تقلص ^(٩) دمي ، حتّى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرتُ أبوتاي أن يجيئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلّم . قالت : ولينم الله لأنا كنتُ أحقرُ في نفسي وأصغرُ شأنًا من أن يتزل الله عز وجل في قرآننا يقرأ به في المساجد ،

(١) س : « وثناور » . وفي ابن هشام : « وثناور الناس » ، أي قام بمقهم إلى بعض .

(٢) س : « وقال خيراً » .

(٣) قال السهيلي : « وأما ضرب حل البحارية وهي حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله في ضربها ، فأرى معناه أنه أخطأ لها بالقرن ، وتوجد بالضرب ، واتهمها أن تكون غائت الله ورسوله ، فكنت من الحديث ما لا يسما كنه » .

(٤) س : « أحب » .

(٥) و : « عجنى » .

(٦) س : « يحفظه » .

(٧) ابن هشام : « فأتني الشاة فتأكله » .

(٨) قارفتِ سوءاً : دخلت فيه .

(٩) ابن هشام : « تقلص وتقلص : ارتفع .

ووصلني به ، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني ، لما يعلم من براعتي ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن يتزل في ، فوالله لتفسي كانت أحقّر عندي من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان . قالت : قلت ألا تجيبان رسول الله ! قالت : فقالا لي : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وإيم الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر (١) في تلك الأيام ! قالت : فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أنوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله لئن أقررت بما يقول الناس - والله يعلم أني منه بريئة - لتصدقني ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما تقولون لاتصدقوني . قالت : ثم التمس اسم يعقوب فذكره ، ولكنني أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَبِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجني بثوبه ، ووضعت سادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فرغت كثيراً ولا باليت ، قد عرفت أنني بريئة ، وأن الله غير ظالم لي ، وأما أبواي ، فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سررتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فتركنا أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سررتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجثمان في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشري يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في . ثم أمر بمسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فغيروا (٢) حدّهم . (٣)

١٥٢٥/١

(١) س : « أهل بيت » .

(٢) س : « فجلدوا »

(٣) - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ - ٢٢٢ ، التفسير ١٨ : ٧١ - ٧٤ (بولاى) ، مع اختلاف في آخر الخبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق .
عن أبيه ، عن بعض رجال بني النجار ، أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت
له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال :
بكتي ، وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ! قالت : لا والله
ما كنت لأفعله ^(١) ، قال : فعائشة والله خير منك . قال : فلما نزل القرآن
ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا
بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۖ ۞ ﴾ ^(٢) الآية ، وذلك حسان بن ثابت في أصحابه
الذين قالوا ما قالوا ^(٣) .

ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ۚ ﴾ ^(٤) الآية ، أي كما قال أبو أيوب وصاحبه . ثم قال :
﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ۖ ۞ ﴾ ^(٥) الآية . فلما نزل هذا في عائشة وبيمن قال لها
ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقربته منه وحاجته :
والله لا أنفي عن مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بفتح أبداً بعد الذي قال ١٠٢٦/١
لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عز وجل في ذلك :
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ ۖ ۞ ﴾ ^(٦) الآية .

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .

(٢) سورة النور ١١ ، ١٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ .

(٤) سورة النور ١٥ .

(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام : ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس

ابن حجر الكلبي :

أَلَا رَبَّ خَضَمٍ فِيكَ أَلْوَىٰ رَدَدَتْهُ نَصِيحٌ عَلَىٰ تَعَذُّلِهِ غَيْرَ مُؤْتَلٍ

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ۖ ۞ ﴾ وهو من الآية ، والآية :

البيمن ، قال حسان بن ثابت :

أَكَلْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنْ أَلِيَّةٍ بَرٍّ غَيْرِ إِفْسَادٍ

فهي : « أن يؤتوا » في هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت: فقال أبو بكر: والله لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه؛ وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بآبن المعطل فيه. وبمن أسلم من العرب من مضّر، فقال:

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفَرِيقَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)

قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كَثَرِ صَاحِبِهِ أَوْ كَانَ مُنْتَشِباً فِي بَرَثْنِ الْأَسَدِ^(٢)

مَا لِقَتِيلِ الَّذِي أَعْدُو فَأَخَذَهُ مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ^(٣)

مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَفْطُلُ. وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبْدِ^(٤)

يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَنِي حِينَ تُبْصِرُنِي مِلْفِظُ أَفْرَى كَفَرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٥) ١٠٢٧/١

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه ثم قال - كما حدثنا ابن

حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق:

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غُلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ^(٦)

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن

محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن ثابت بن قيس بن الشماس أخا

(١) ديوانه ١٠٤. قال السهيلي: يعني بالجلابيب الغرباء. وببيضة البلد، يعني منفرداً؛

وهي كلمة يتكلم بها في الملح تارة، وفي معنى القل أخرى، يقال: فلان بيضة البلد؛ أي أنه واحد في قومه عظيم فيهم. وفلان بيضة البلد؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد.

(٢) تكلته أمه: فقدته. والبرثن: الكف مع الأصابع.

(٣) القود: قتل النفس.

(٤) يفتل: يحوّل ويحرك. والعب: جالب البحر.

(٥) ملفظ، أي من اللفظ. أفري: أقطع. والعارض: السحاب. والبرد، بكسر الراء:

الذي فيه برد. وبعده في سيرة ابن هشام:

أَمَا قَرِيشُ فَإِنِّي لَنْ أَسْأَلِمَهُمْ حَتَّى يَشِيبُوا مَنِ الْغِيَاثِ لِلرَّشْدِ

وَيَتَرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرِلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

وَيَسْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ، وَيُؤْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَالْوَكْدِ

بلحارث بن الخزرج ، وكتب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان ، فجمع يدَيْه إلى عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألا أعجبك^(١) ضرب حسان بن ثابت بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله . قال : فقال له عبد الله ابن رواحة : هل عليم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ذلك ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فاحتلني الغضب ففصرته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أتشوه^(٢) على قومي أن يهداهم الله للإسلام ! ثم قال : أحسين يا حسان في الذي قد أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله^(٣) .

١٠٢٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عيوضاً منها بئرحاً - وهي قصر بني حذيلة اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبي طلحة بن سهل ، تصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسان في ضربه - وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد شيل عن صفوان بن المعطل فوجلوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد ابن حمزة ، أن حديث عائشة كان في حمة القضاء .

• • •

قال أبو جعفر : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذى القعدة من سنة ست معتمراً .

(١) : س «ألا أعجل» .

(٢) : أشوهت على قومي ، أي أقبحت ذلك من فعلهم حين سمعهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى

الله ورسوله !

(٣) : سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن مُعمرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
التي صَدَّه المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحُدَيْبِيَّةِ

حدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عمر
ابن ذَرٍّ الهَمْدَانِيُّ ، عَنْ مجاهدٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتمر ثلاث
عُمَرٍ ، كُلَّهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، يَرْجِعُ فِي كُلِّهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

حدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابنِ إِسْحَاقَ ^(١) ، قَالَ : خَرَجَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتمرًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ لَا يَرِيدُ حَرْبًا ، وَقَدْ ١٥٢٩/١
اسْتَنْفَرَ ^(٢) الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ ، وَهُوَ
يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي صَنَعُوا بِهِ أَنْ يَعْضُوا لَهُ بِحَرْبٍ ، أَوْ يَصُدُّوهُ عَنْ
الْبَيْتِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَسَاقَ مَعَهُ
الْهَدْيُ ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ ، لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا
جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، مُعَظِّمًا لَهُ .

حدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ
إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ الزُّهْرِيُّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ
الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَامِلَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، يَرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ، لَا يَرِيدُ قِتَالًا ،
وَسَاقَ مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ ، كَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ
عَنْ عَشْرَةِ نَفَرٍ .

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، فَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ مَخْمَرٍ ،
عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ .

(١) أَعْيَادُ قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٣ .

(٢) س : « اسْتَنْفَرَ » .

وحدثني يعقوب ، قال : حدثني يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدثني معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، في بضعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا مع رسول الله ١٥٣٠/١ صلى الله عليه وسلم الحديبية ، ونحن أربعة عشر (١) ومائة .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : حدثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شريحيل المصري ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد المصري ، قال : حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى ، يقول : كنا يوم الشجرة ألفا وثلاثمائة ، وكانت أسلم ثمن (٢) المهاجرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : كنا أصحاب الحديبية أربعة عشر ومائة .

• • •

قال الزهري : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكمي ، فقال له : يا رسول الله ، هذه ١٥٣١/١

(١) و : « بضع عشرة » .

(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المتطافيل^(١)، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذي طوى، يحلفون بالله^(٢) لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم، قد قدموها إلى كراع الغميم.

• • •

قال أبو جعفر: وقد كان بعضهم يقول: إن خالد بن الوليد كان يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً.

• ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القسبي، عن جعفر - يعني ابن أبي المغيرة - عن ابن أبيزى، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهذلي، وانتهى إلى ذى الحليفة، قال له عمر: يا رسول الله، تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع؟ قال: فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فلم يدع فيها^(٣) كراعاً ولا سلاحاً إلا حمته، فلما دنا من مكة منعه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى، فأثابه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: يا خالد، هذا ابن حمك، قد أتاك في الخيل، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله - فيومئذ سمي سيف الله - يا رسول الله أرمي في حيث شئت. فبعثه على خيل، فلقى عكرمة في الشعب، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾^(٤) قال: وكف الله النبي صلى الله عليه وسلم عليه

(١) العوذ: جمع عاذة، وهن من الإبل: الحديثة التاج. والمطافيل: التي معها أولادها ويريد أنهم خرجوا معهم النساء والصبيان.

(٢) ابن هشام والتفسير: «يماهلون الله».

(٣) من: «مها».

(٤) سورة الفتح ٢٤.

وسلم عنهم بعد أن أظفروهم عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفروهم عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم^(١).

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! قد آكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلووا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وأفرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة . فما تظن قريش ! فوالله لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم على طريق وعبر حزن^(٣) بين شعاب ، فلما أن خرجوا منه - وقد شق ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنها للحيطة^(٤) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها^(٥) .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظهري الحمص في طريق تخرجه على^(٦) ثنية المرار على مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ،

(١) انظر في التفسير ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠ (برلاق) .

(٢) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكفى بانفرادها عن الموت .

(٣) ابن هشام : « فسلك بهم طريقاً وعراً أجراً » ، والجمول : الكثير المجارة .

(٤) يريد قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٦) س : « إلى » .

فلَمَّا رَأَتْ خَيْلَ قُرَيْشٍ قَتَرَةً^(١) الْجَيْشِ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَالَفَهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، رَكَضُوا رَاجِعِينَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا سَلَكَ فِي ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ ، بَرَكَتْ نَاقَتُهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : خَلَّتْ^(٢) . ا فَقَالَ : مَا خَلَّتْ ، وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْقَيْلِ عَنْ مَكَّةَ ، لَا تَدْعُونِي قُرَيْشَ الْيَوْمَ إِلَى خُطْبَةٍ يَسْأَلُونِي صَلَوةَ الرَّحِيمِ إِلَّا أَصَلَّيْتُمْ لِيَا هَا . ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : انْزِلُوا ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِالْوَادِي مَاءٌ نَزَلَ عَلَيْهِ ! فَأُخْرِجَ سَهْمَا مِنْ كَنَانَتِهِ فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَتَزَلَّ فِي قَلْبَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَلْبِ فُغْرُزُهُ فِي جَوْفِهِ ، فَعَجَّاشُ^(٣) الْمَاءُ بِالرَّيِّ^(٤) حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِعُطْنٍ^(٥) .

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ حَدَّثَهُ ، أَنَّ الَّذِي نَزَلَ فِي الْقَلْبِ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاجِيَةٌ [بِنُ جَنْدَبِ] بْنُ عُمَيْرِ ابْنِ يَعْمَرِ بْنِ دَارِمٍ ، وَهُوَ سَاقِي بُدْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ١٥٣٤/١
قَالَ : وَقَدْ زَعَمَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ كَانَ يَقُولُ : أَنَا الَّذِي نَزَلْتُ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَأَنْشَدْتُ أَسْلَمُ آيَاتًا مِنْ شِعْرِ قَالَهَا نَاجِيَةٌ ، قَدْ ظَنَنْتَا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَزَلَ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَزَعَمْتُ أَسْلَمُ أَنَّ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ أَقْبَلَتْ بِدَلْوِهَا ، وَنَاجِيَةٌ فِي الْقَلْبِ بِسَهْمِ عَلَى النَّاسِ^(٦) ، فَقَالَتْ :

(١) قَتَرَةُ الْجَيْشِ : مَا يَشِيرُهُ مِنَ النَّهَارِ . وَفِي الْقِطَاقِ ١ : ٣٢٢ : « فَلَمَّ يَشِيرُ خَالَهُ وَأَصْحَابَهُ إِلَّا وَقَدْ خَالَفَهُمْ قَتَرَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ » .

(٢) خَلَّتْ : بَرَكَتْ ؛ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : « الْخَلَاءُ فِي الْإِبِلِ بِمِزْلَةِ الْحِرَانِ فِي الدَّوَابِّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يُقَالُ إِلَّا لِنَاقَةٍ خَاصَةً » .

(٣) عَجَّاشُ : اِرْتَقَعَ .

(٤) ابْنُ هِشَامٍ : « الْوَرَاءُ » .

(٥) ضَرَبَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِعُطْنٍ ؛ أَسْلَمُهُ فِي الْإِبِلِ ، يُقَالُ : ضَرَبْتُ الْإِبِلَ بِعُطْنٍ ؛ إِذَا رُوِيَتْ ثُمَّ بَرَكَتْ حَوْلَ الْمَاءِ أَوْ عِنْدَ الْحِيَاضِ لَتَعَادَ إِلَى الشَّرْبِ مَرَّةً أُخْرَى لِتَشْرِبَ عَلَا يَمْدُ نَهْلٍ ؛ فَإِذَا اسْتَوَفَتْ رَدَّتْ إِلَى الْمَرَامِيِّ ؛ ضَرَبَ ذَلِكَ مِثْلًا لِاحْتِمَالِ النَّاسِ . وَانْظُرِ السَّانِ (عُطْنٌ) .

(٦) يَمِجُّ عَلَى النَّاسِ : يَمْلَأُ لَدَاهُ لِيَسْتَقِيمَ .

يَأْتِيَا الْمَانِعُ دَلَوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَخْجَدُونَكَ
يُثْنُونَ خَيْرًا وَيَجْعَدُونَكَ .

وقال ناجية ، وهو في القليب يَسِيحُ الناس :

قد علمت جاريةً بِمَانِيَةِ أَنِّي أَنَا الْمَانِعُ وَأَسْمَى نَاجِيَةِ
وَطَنَتِي ذَاتِ رَشَائِشٍ وَاهِيَةِ طَعْنَتْهَا مَحْتٌ صَدُورِ الْعَادِيَةِ (١)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعائي ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة .
وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ،
عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأقصى الحديبية على محمد (٢) قليل الماء ، إنما يتبرضه الناس تبرضا (٣)
فلم يلبثه الناس أن نزعوه ، فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش ، فترع سهما من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال
يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه ، فبيناهم كذلك جاء بدليل بن ورقاء الخزاعي ١٠٣٠/١
في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا حبيبة نصح (٤) رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤي وهامر بن
لؤي قد نزلوا أهداد (٥) مياه الحديبية ، معهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلون
وصادوك عن البيت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نأت لقتال أحد ،
ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم ، فإن شاعوا
ماددناهم مدةً ويحخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاعوا أن يدخلوا

(١) الواحية : الواصة الشق . والحادية : القوم الذين يملكون ، أي يبرعون في العمل .

(٢) الله : موضع يجتمع فيه ماء السماء .

(٣) يقال : هو يتبرض الماء ، كلما اجتمع منه شيء فبرقه .

(٤) حبة نصح رسول الله ، أي خاصته وأصحابه سره .

(٥) الأهداد : جمع حد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها .

فَمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسَ فَحَكَمُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمَعُوا ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرُوا سَالِفِي^(١) ، أَوْ لِيَنْقُذَنَّ اللَّهُ
أَمْرَهُ . فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَنُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ .

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَرِيضًا فَقَالَ : إِنَا قَدْ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ ،
وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا . فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ
لَنَا أَنْ تَحْدِثَنَا عَنْهُ بَشْيْءٌ ، وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ،
قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ التَّقِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُ بِالْوَالِدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ :
أَوْ لَسْتُ بِالْوَلَدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَهَلْ تَتَّهَمُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَلَسْتُ
تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ ، فَلَمَّا بَلَغُوا^(٢) عَلَى جِسْمِكَم بِأَهْلِي وَوَلَدِي
وَمِنْ أَطَاعَنِي ! قَالُوا : بَلَى .

١٠٣٦/١

* * *

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
الزَّهْرِيِّ ، فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ لِسُبَيْعَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبَ . قَالَ : فَإِنْ هَذَا
الرَّجُلُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خَطْبَةً رُشِدَ فَاقْبَلُوهَا ، وَدَعُوْنِي آتِيهِ . فَقَالُوا :
اِئْتِهِ ، فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ مَقَالَتِهِ
لِبُدَيْلٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ ، فَهَلْ
سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ ! وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأَرَى وَجْهًا وَأُشَابًا^(٣) مِنَ النَّاسِ خُلِقَ أَنْ يَنْفِرُوا وَيَدْعُوا عَوْكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
أَمَصَّصَ بَطْنُ اللَّاتِ - وَاللَّاتُ طَاغِيَةٌ ثَقِيفٌ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ - أَمْ هُنَّ نَفَرٌ
وَنَدَّعَا ! فَقَالَ : مَنَ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) السالفة : صفحة المتق ، وهما سالفان من قبائليه .

(٢) بلغوا : أى أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخطا . وفى ط : « أشواب » ، والتصويب من الفائق ١ : ٣٨٨ .

لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزرك بها لأجبتك، وجعل يكلّم النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلّما كلمه أخذ بلحيته - والمغيرة بن شعبة قائمٌ على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلّما ^(١) أهوى عروة يده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف ، وقال : آخر يدك عن لحيته ، فرفع عروة رأسه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة ^{١٥٣٧/١} ابن شعبة ، قال : أي غدرٌ ، ألسنٌ ^(١) أسعى في غدرتك ! وكان المغيرة بن شعبة صحباً قوماً في الجاهلية ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام فقد قبلنا ، وأما المال فلأنه مال غدر ، لا حاجة لنا فيه .

وإن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه . قال : فوالله إن يتنخّم النبي نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا نوضاً كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يحيدون النظر إليه تعظيماً له . فرفع عروة إلى أصحابه ، فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً ، والله إن يتنخّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا نوضاً كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ، وما يحيدون النظر إليه ^{١٥٣٨/١} تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطبة رُشد فاقبلوها . فقال رجل من كنانة : دعوني آتية ، فقالوا : اتية ، فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا فلان ، وهو من قوم يعظّمون البُدن فابعثوا له ، فبعثت له ، واستقبله قومٌ يُلَبّون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغي هؤلاء أن يُصعدوا عن البيت !

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) س : « فلما » .

(٢) س : « أولست » .

الزهرى؛ قال في حديثه: ثم بعثوا إليه الخليل بن علقمة - أو ابن زبَّان - وكان يومئذ سيد الأحابيش؛ وهو أحد بلحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا من قوم يتألهون^(١)، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدى يسيل عليه من صُرض^(٢) الوادى في قلائده^(٣)، قد أكل أو باره من طول الحبس، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش، إني قد رأيتُ ما لا يحل صدّه: الهدى في قلائده، قد أكل أو باره من طول الحبس عن مَحِلِّهِ، قالوا له: اجلس، فإنما أنت رجل أعرابي لا حِلْمَ لك.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أن الخليل غضب عند ذلك، وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم؛ أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له؛ والذي نفس الخليل بيده لتتخلن بين محمد وبين ما جاء له؛ أو لأنفخن بالأحابيش نفرة رجل واحد؛ قال: فقالوا له: مه! كُف عنا يا خليل حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال لهم: دعوني آتية، قالوا: ائت، فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز بن حفص؛ وهو رجل فاجر، فجاء فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

وقال أيوب عن عكرمة: إنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سهّل لكم من أمركم.

• • •

(١) يتألهون: يتصدون ويعظمون الإله.

(٢) عرض الوادى: جالبه.

(٣) القلائد: ما يعلق في أذن الهدى ليعلم أنه هدى.

فحدثني محمد بن عمار الأسدي ومحمد بن منصور — واللفظ لابن عمار —
 قالاً : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة عن إياس
 ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعثت قريش سهيل بن عمرو
 وحويطب بن عبد العزى وحفص بن فلان ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 ليصالحوه ، فلما رآهم رسول الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهيل الله لكم
 من أمركم ، القوم ماتون إليكم بأرحامكم ^(١) ، وسألوكم الصلح ، فابعثوا الهدى ،
 وأظهروا التلبية ، لعل ذلك يلين قلوبهم . فلبوا من نواحي العسكر حتى
 ارتجت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوه الصلح ، قال : فبينما الناس قد
 توادعوا ، وفي المسلمين ناس من المشركين ، وفي المشركين ناس من المسلمين ،
 قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادي يسيل بالرجال والسلاح . قال
 إياس : قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلحين أسوفهم ، ما يملكون
 لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، فأتيت بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يسلب
 ولم يقتل ، وعفا .

• • •

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدثنا قال : حدثنا أبو عامر قال : حدثنا
 حكرمة بن عمار الهامى ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما
 اضطجعنا نحن وأهل مكة ، أتيت الشجرة فكسحت شوكتها ، ثم اضطجعت في
 ظلها ، فأتاني أربعة نفر من المشركين من أهل مكة ، فجللوا يقيمون في
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبغضتهم . قال : فتحولت إلى
 شجرة أخرى ، فعلقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ، فبيناهم كذلك ،
 إذ نادى مناد من أسفل الوادي : يا للمهاجرين ! قتل ابن زُكَيْم !
 فاخترطت سيفي ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود ، فأخذت سلاحهم
 فجعلته ضيقاً ^(٢) في يدي ، ثم قلت : والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه
 وسلم ، لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه . قال : فجئت بهم

(١) و : « بأرحامهم » .

(٢) ضيقاً ، أى حزمة في يده .

١٥٤١/١ أقودهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء عتّى عامر برجل من العبيّلات، يقال له مكرز، يقوده مجتفأ^(١)، حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعوهم يكن لهم بدء الفجور، فعفا عنهم. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ﴾ ٣.

• • •

رجع الحديث إلى حديث محمد بن حمارة ومحمد بن منصور، عن عبيد الله. قال سلمة: فشددنا على من في أيدي المشركين منا، فما تركنا في أيديهم منا رجلاً إلا استقلناه. قال: وغلطنا على من في أيدينا منهم. ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو وحوّلنا فلوهم صلحتهم، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليّاً عليه السلام في صلحهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زكيم، اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون فقتلوه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً، فأتوه بائني عشر رجلاً فارساً من الكفار، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم: هل لكم على عهد؟ هل لكم على ذمة؟ قالوا: لا، قال: فأرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ﴾ - إلى قوله: ﴿يَمَّا تَمْلِكُونَ بَصِيرًا﴾.

وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أن قريشاً إنما بعثت سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان.

(١) مجتفأ، أي لابساً التجفاف (بكر التاء)، وهو آلة للحرب يلبسها الفرس والإبلان لتهيئ في الحرب.
(٢) سورة الفتح ٢٤. والتجبر في التفسير ٢٦: ٦٠، ٦١ (بولاق).

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني بعضُ أهلِ العلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا خيرَ أشـ بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله وأرادوا قتله ، فنعتته الأحابيش ، فخلّوا سبيله ؛ حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني من لا أتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أن قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم - أو خمسين رجلاً - وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه ، فأخذوا أخذاً ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم سوقاً كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل - ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليعبثه ^(٢) إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ؛ إني أخاف قريشاً على نفسي ؛ وليس بمكة من بني عدى بن كعب أحد يمنعني ؛ وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل هو أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان !

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً لحرمته . ١٥٤٣/١
فخرج عثمان إلى مكة ، فلقبه أبنان بن مسعود بن العاص حين دخل مكة - أو قبل أن يدخلها - فتزل عن دابته ، فحملة بين يديه ، ثم ردفه وأجاره ؛ حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف به ؛ قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاحتبسته قريش عندها ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (بولاقي) .

(٢) س : « لينقله » .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه
أن عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ؛ ودعا الناس إلى البيعة
فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

• • •

حدثني ابن عمار الأسدي ، قال : حدثني عبيد الله بن موسى ، عن
موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلمة ، قال : قال سلمة بن الأكوع : بينما نحن
قافلون من الحديبية ، نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ؛ البيعة
البيعة أنزل روح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سَمُرَة ،
قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسحاق
ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من
بنى أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا
القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛
أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة . قال : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعمر أخذ يديه تحت الشجرة ، وهي سَمُرَة ، فبايعناه غير المجتد بن
قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : بايعنا رسول الله على ألا نغير ؛ ولم نبايعه على الموت (٢) .

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٤ ، ٥٥ (بلاق)

وقد قيل في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبر أبو عامر ،
قال : أخبرنا عكرمة بن عمار اليامي ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ،
عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس للبيعة في أصل الشجرة ،
فبايعته في أول الناس ، ثم بايع وبايع ، حتى إذا كان في وسط من الناس ،
قال : بايع يا سلمة ، قال : قلت : قد بايعتكم يا رسول الله في أول الناس !
قال : وأيضاً ، ورواني النبي صلى الله عليه وسلم أعزل ، فأعطاني حجة من
أو درقة . قال : ثم إن رسول الله بايع الناس ، حتى إذا كان في آخرهم ،
قال : ألا تباع يا سلمة ! قلت : يا رسول الله ، قد بايعتكم في أول الناس وأوسطهم !
قال : وأيضاً . قال : فبايعته الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فأين الدرقة ، والحجفة التي أعطيتك ؟ قلت : لقيتني عمتي عامر أعزل ١٠٤٥/١
فأعطيتني إياها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنك كالذي
قال الأول : اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فبايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند
ابن قيس ، آخر بني سلمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأنني أنظر
إليه لاصقاً بإبط ناقته ، قد ضباً^(١) إليها يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعث قريش سهيل بن عمرو ،
أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت
محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله
لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأقى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لستنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدينية^(١) في ديننا ! قال أبو بكر : يا عمر الزم غرز^(٢)ه ، فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أليست برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لستنا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدينية في ديننا ! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعني . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصوم وأنصدق وأصلى وأعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بريرة بن سفيان بن فروة الأحملي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن علقمة ابن قيس النخعي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : ثم دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : «باسمك اللهم» ، فقال رسول الله : اكتب «باسمك اللهم» ، فكتبها . ثم قال : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» . فقال سهيل بن عمرو : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو» ، اصطلمحا على وضع الحرب عن الناس عشرين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أقى رسول الله من قريش بغير

(١) النفقة : المال والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرز^(٢) أي ألزم أمره ، والفرز للرجل بمنزلة الركاب للسر .

إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم تردّه عليه. وأن
 بيننا عيصة مكفوفة^(١)، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغلال^(٣)، وأنه من أحب أن
 يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد
 قريش وعهدهم، دخل فيه - فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد رسول الله وعهده،
 وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدها - « وأنت ترجع عنا
 حاكم هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك،
 فدخلتها بأصحابك، فأقم بها ثلاثاً، وأن معك سلاح الزاكب، السيوف في
 القرب لا تلخلها بغير هذا ».

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو،
 إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: وقد كان أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في نفسه، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى
 كادوا أن يهلكوا - فلما رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ
 بلبّيه^(٤)، فقال: يا محمد قد لجّعت^(٥) القضية بيني وبينك قبل أن
 يأتيك هذا! قال: صدقت، قال: فجعل ينثره^(٦) بلبّيه، ويجرّه ليردّه
 إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين،
 أردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد الناس ذلك شراً^(٧) إلى ما بهم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا جندل، احسب، فإن الله جاعل لك

(١) حية مكفوفة، أي لا تكون مناة بيننا، حل التحمل.

(٢) الإسلال: السرقة الخفية.

(٣) الإغلال: الخيانة.

(٤) ابن هشام: « بلبّيه ».

(٥) بليت القضية: تمت.

(٦) ينثره، أي يجذبه جذباً شديداً مع جلاء.

(٧) ساقطة من ابن هشام.

ولين معك من المستضعفين فترجأً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم
عقداً وصالحاً ، وأعطيناكم على ذلك عهداً ، وأعطونا عهداً ، وإنا لا نغدر
بهم .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول :
اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدكم دم كلب !
قال : ويؤدني قائم السيف منه ، قاله : يقول عمر : رجوت أن يأخذ
السيف فيضرب به أباه ، قال : فضن الرجل بأبيه .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ، ورجالاً
من المشركين : أبا بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة
أخا بني عبد الأشهل ، وميكرز بن حفص بن الأخياف - وهو مشرك - أخا
بني عامر بن لؤي ، وحلي بن أبي طالب ، وكتب ^(١) وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مصعب بن المقدم ، وحدثنا
سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، قالاً جميعاً : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا
أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي
القعدة ، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة ، حتى يقاضيتهم على أن
يقيم بها ثلاثة أيام . فلما كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه
محمد رسول الله » ، فقالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك ، ولكن أنت محمد بن
عبد الله ، قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، قال لعل عليه السلام : امسح
« رسول الله » ، قال : لا والله لا أمحاك أبداً ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه
وسلم - وليس يحسن يكتب - فكتب مكان « رسول الله » و« محمد » فكتب : « هذا
ما قاضى عليه محمد » ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القيراب ، ولا
يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم
بها . فلما دخلها ومضى الأجل ، أثوا عليه السلام ، فقالوا له ^(٢) : قل :

لصاحبك: اخرج عتاً فقد مضى الأجل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن الميسور بن مخزومة . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن الميسور بن مخزومة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضيته ^(١) قال لأصحابه : قوموا فانحروا ، ثم اخلقوا . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ^(٢) ، فلما لم يبق منهم أحد ، قام فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت له أم سلمة : يا نبي الله ، أتحب ذلك ! اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بكتفك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك ، نحر بكتفه ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمماً .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان الذي حلقه صفياً بلغني ذلك اليوم - خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصّر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله الملقطين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله الملقطين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله الملقطين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قالوا : والمقصرين يا رسول الله ، فلم تظاهرت الترحم للملقطين دون المقصرين ؟ قال : لأنهم لم يشكوا .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل ؛ في رأسه بُرة من فضة ، ليغيظ المشركين بذلك .

• • •

رجع الحديث إلى حديث الزهري الذي ذكرنا قبل (١) . ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة — زاد ابن حميد عن سلمة في حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهري ، قال : يقول الزهري : لما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ؛ إنما كان القتال حيث اتقى الناس — فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فالتقوا ، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في دينك (٢) الستين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً في حديثهم عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور ومروان : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بصير ، رجل من قريش — قال ابن إسحاق في حديثه : أبو بصير عتبة بن أسيد ابن جارية — وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله كتب فيه أزر بن عبد صوف والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رجلاً من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم . فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزر والأخنس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير ، إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد طلعت ، ولا يصلح لنا في ديننا الفدر ، وإن الله جاعل لك ولبن مملك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحبا ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال : إن شئت فاستله أبو بصير ، ثم علاه

(١) س : وفي اللوح ذكرناه .

(٢) و : دينك .

به حتى قتله ، وخرج المولى مريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالماً ، قال : إن هذا رجل قد رأى فتوحاً ، فلماً انتهى إلى رسول الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتل صاحبكم صاحبي ؛ فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك ، وأدنى عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل أمه ميسعراً حرباً ! - وقال ابن إسحاق في حديثه : ميسعراً حرباً^(١) - لو كان معه رجال ! فلماً سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بحكمة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : «ويل أمه عشت حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ، وينفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ؛ فكانوا قد ضيقوا على قريش ؛ فوالله ما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوه ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشئونه بالله وبالرحم^(٢) لئلا أرسل إليهم ! فنأى فهو أمين ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن إسحاق في حديثه : فلماً بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري أسند ظهره إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخر ظهري عن الكعبة ؛ حتى يؤدوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا هو السفة ! والله لا يؤدى ! ثلاثاً .

• • •

(١) عشت حرب : مؤنة حرب وبهجتها .

(٢) م : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما : ثم جاءه - يعنى رسول الله - نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عز وجل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ - حتى بلغ : ﴿ رِبِعَهُنَّ الْكُوفَرِ ﴾ ^(١) . قال : فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . قال : فنهاهم أن يردوهن ، وأمرهم أن يردوا الصداق حيث ذ .

قال رجل للزهري : أمينٌ أجل الفروج ؟ قال : نعم ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية .

زاد ابن إسحاق في حديثه : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط في تلك المدة ، فخرج أخوها عماره والوليد ابنا عتبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّهما عليهما بالعهد الذي كان بينه وبين قريش في الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله عز وجل ذلك .

وقال أيضاً في حديثه : كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت عمرو بن جبرول الخزاعية أم عبيد الله بن عمر ، فتزوجها أبو جهنم بن حذافة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما بمكة .

• • •

وقال الواقدي : في هذه السنة - في شهر ربيع الآخر منها - بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محيصن في أربعين رجلا إلى الغمر ، فيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب ، فأخذ السير ، ونذر ^(٢) القوم به فهربوا ، فترى على مياهم وبعث الطلائع ، فأصابوا عينا فدلّهم على بعض ماشيتهم ، فوجدوا مائتي بعير ، فحذروها إلى المدينة .

(١) سورة الممتحنة ١٠

(٢) نذر : علم .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في عشرة نفر في ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه ، فاشعروا إلا بالقوم ، فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحا .

قال الواقدي : وفيها أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القعدة في شهر ربيع الآخر في أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، ووافوا ذى القعدة مع حمّاية الصبيح ، فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصابوا نعمة ورثة^(١) ورجلاً واحداً ، فأسلم ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة بالجحوم ، فأصاب امرأة من مزينة ، يقال لها حليلة ، فدخلتهم على علة من محال بن سليم ، فأصابوا بها نعمة وشاء وأسرء ، وكان في أولئك الأسراء زوج حليلة ، فلمّا قتل بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية زوجها ونفسها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الميصر في جمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجار بزينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأجارته .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف ، في جمادى الآخرة ، إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ، فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله سار إليهم ، فأصاب من نعيمهم عشرين بعيراً . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى حيمى في جمادى الآخرة .

(١) و : « لعملة ورثاء » ، والرت والرتة : السقط من المتاع .

قال : وكان أول ذلك - فيما حدثني موسى بن محمد ، عن أبيه ،
قال : أقبل دحية الكلبي من عند قيصر ، وقد أجاز دحية بمال ، وكساه
كسبي ، فأقبل حتى كان بحسبي ، فلقية ناس من جذام ، فقطعوا
عليه الطريق ، فلم يترك معه شيء ، فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخل بيته
فأخبره ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسبي .

١٠٠٦/١

قال : وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح ،
أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ، فطلقها عمر فتزوجها^(١)
بعده يزيد بن جارية ، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ، فهو أخو عاصم
لأمه .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب .

قال : وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى ذومة الجندل في شعبان ،
وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم ،
فأسلم القوم ، فتزوج عبد الرحمن ثماضر بنت الأصبتج ، وهي أم أبي سلمة ،
وكان أبوها رأسهم وملكهم .

قال : وفيها أجذب الناسُ جذباً شديداً ، فاستسقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى فدك في شعبان .

قال : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج
علي بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدك ، إلى حن من بني سعد بن بكر ،
وذلك أنه بلغ رسول الله أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فصار
إليهم الليل وكتمن النهار ، وأصاب عيننا ، فأقر لهم أنه بُعِث إلى خيبر
يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة في شهر رمضان .

١٠٠٧/١

وفيها قتلت أم قرفة ، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، قتلها قتلاً

حنيفاً ، ربط برجلها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين حتى شقّها شقاً ، وكانت عجوزاً كبيرة .

وكان من قصتها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :
 حدثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى
 الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى وادي القرى ، فلقى به بنى فزارة ، فأصيب
 به أناس من أصحابه ، وارثت زيد من بين القتل ، وأصيب فيها ورد
 ابن عمرو أحد بنى سعد بنى هذيم ، أصابه أحد بنى بدر ، فلما قدم
 زيد نذر ألا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يتخزوا فزارة ، فلما
 استبل من جراحه ^(١) ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش إلى
 بنى فزارة ، فلقيتهم بوادي القرى ، فأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحّر
 اليمعمرى مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أم قرفة - وهي
 فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ، عجوزاً
 كبيرة - وبتاً لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قرفة ،
 فقتلها قتلاً حنيفاً ، ربط برجلها حبلين ثم ربطهما ^(٢) إلى بعيرين حتى شقّها . ١٠٥٨/١
 ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنة أم قرفة وبعد الله بن
 مسعدة ، وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ، كان
 هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول :
 لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب ، فولدت له عبد الرحمن
 بن حزن .

وأما الرواية الأخرى عن سلمة بن الأكوع في هذه السرية ، أن أميرها كان
 أبا بكر بن أبي قحافة ، حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا أبو عامر ، قال : حدثنا
 عكرمة بن حمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم علينا أبا بكر ، فغزونا ناساً من بنى فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا

(١) س : جراحه .

(٢) س : وربطها .

أبو بكر فعزّسنا ؛ فلما صليّنا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشنّنا الغارة عليهم .
قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عُنُقًا ^(١) من الناس ؛
وفيهم النساء والذراريُّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهمًا بينهم
وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ، فعجّث بهم أسوقهم إلى أبي بكر ؛ وفيهم
امرأة من بني فزارة عليها قَشْعٌ ^(٢) أَدَمٌ ، معها ابنة لها من أحسن العرب . قال :
فنفّسني أبو بكر ابتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيتني رسولُ الله صلى الله
عليه وسلّم بالسوق ، فقال : يا سلّمة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ! فقلت :
يا رسولَ الله ؛ والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبًا . قال : فسكت عني
حتى إذا كان من الغد لقيتني في السوق ، فقال : يا سلّمة ، لله أبوك ! هب لي
المرأة ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله ما كشفت لها ثوبًا ؛ وهى لك يا رسولَ
الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكّة ؛ ففادى بها أسارى من المسلمين
كانوا في أيدي المشركين . فهذه الرواية عن سلّمة .

١٥٥٩/١

• • •

قال محمد بن عمر : وفيها سرية كُرْزَيْن جابر الفهريّ إلى العُرَيْنين
الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، واستاقوا الإبل في شوال
من سنة ست ؛ وبعثه رسول الله في عشرين فارسًا .

• • •

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم الرُّسُلَ ؛ فبعث في
ذى الحجة سنة ثمان ثلثة مصطحين ؛ حاطب بن أبى بلتعة من لَحْم حليف بنى
أسد بن عبد العزى إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خزيمة -
حليفًا لحرب بن أمية شهد بدرًا - إلى الحارث بن أبى شَمِر الغساني ، وديحينة
ابن خليفة الكلبيّ إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامريّ عامر بن لؤي
إلى هُوْذَة بن عليّ الحنفيّ . وبعث عبد الله بن حُذافة السهميّ إلى كسرى .
وعمر بن أمية الضمريّ إلى النجاشي .

١٥٦٠/١

وأما ابنُ إسحاق ، فإنه - فيما زعم ، وحدَّثنا به ابنُ حميد - قال :
حدَّثنا سلمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد فرَّق
رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاةً إلى الله عزَّ وجلَّ فيما بين
الحديسيَّة ووفاته .

وحَدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاق ، عن
يزيد بن أبي حبيب المصري ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية مَنْ بعث رسولُ الله صَلَّى
الله عليه وسلَّم إلى ملوك الخبايين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به
إلى ابن شهاب الزُّهري ، نَحْنُ ثقة من أهل بلدة فمرَّفه . وفي الكتاب أنَّ
رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خَرَجَ على أصحابه ذاتَ غَدَاة ، فقال
لهم : إِنِّي بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً ، فَأَدِّوا عَنِّي بِرَحْمِكُمْ اللهُ (١) ، وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ
كَاخْتِلَافَ الْخَوَارِيسِيِّنَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَكَيْفَ
كَانَ اخْتِلَافُهُمْ ؟ قَالَ : دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّا مَنْ قَرَّبَ بِهِ (٢)
فَأَحَبَّ وَسَلِّمَ ، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ فَكْرَهُ وَأَبَى ، فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ عِيسَى إِلَى
اللهِ عزَّ وجلَّ ، فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ ، وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ
الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عِيسَى : هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِ ،
فَامْضُوا (٣) .

قال ابنُ إسحاق : ثُمَّ فرَّق رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بين أصحابه ؛
فبعث سَلِيطَ بْنَ عَمْرِو بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ بْنَ عَبْدِ وَدَّ أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى ١٥٦١/١
هُوْذَةَ بْنَ عَلِيٍّ ، صَاحِبَ الْيَمَامَةِ . وَبعث العَلَاءَ بْنَ الْخَضِرِيِّ إِلَى الْمُنْدَلِجِ
سَاوِي أَخِي بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ صَاحِبَ الْبَحْرَيْنِ ، وَعَمْرِو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرِ بْنِ
جَلْسَنْدَاقِ وَعَبَادِ بْنِ جَلْسَنْدَاقِ الْأَزْدِيِّينَ صَاحِبَيْ عَمَّانَ . وَبعث حَاطِبَ بْنَ
أَبِي بَكْتَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ صَاحِبِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَأَدَّى إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى
الله عليه وسلَّم ، وَأَهْدَى الْمُقَوْسِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلَّم أَرْبَعَ جَوَارٍ ،
مِنْهُمْ مَارِيَّةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلَّم . وَبعث رسولُ الله

(١) س : « وَرَحِمَكُمُ اللهُ » .

(٢) و : « وَلَهُ » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٢ .

دِحْيَةَ بن خليفة الكلبي ثم الخزرجي^(١) إلى قيصر ، وهو هيرقل ملك الروم ، فلما أتاه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فيه ثم جعله بين قفْخِدَيْتَيْهِ وخاصِرَتَيْهِ^(٢) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني أبو سفيان بن حرب ، قال^(٣) : كنّا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكّت أموالنا ، فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ، لم نأمن إلا نجد أماناً ، فخرجت في نفر من قريش تجار إلى الشام ، وكان وجه متجرنا منها غزوة ، فقدمناها حين ظهر هيرقل على من كان بأرضه من فارس ، وأخرجهم منها ، وانترع له منهم صليبه الأعظم ، وكانوا قد استلبوه إياه ، فلما بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استقبل له — وكانت حِمَصُ منزله — خرج منها يمشي على قدميه متشكراً لله حين ردت عليه ماردة ، ليصلي في بيت المقدس ، تبسط له البسط ، وتلقى عليها الرياحين ، فلما انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقه وأشراف الروم ، أصبح ذات غداة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقه : والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهموماً ، قال : أجل ، أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهرًا قالوا له : أيها الملك ، ما نعلم أمة تختن إلا يهود ، وهم في سلطانك وتحت يدك ، فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك ، فمره فليضرب أعناق كل من تحت يديه من يهود ، واستريح من هذا المم ، فوالله إنهم لنفي ذلك من رأيهم يديرونه ، إذ أتاه رسول صاحب بَصْرَى برجل من العرب ، يقوده — وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها — فقال : أيها الملك ، إن

١٥٦٢/١

(١) ط : « الخزرجي » ، والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزرج بن عامر ، وهو جد دحية .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) المعبر في الأغاني ٦ : ٣٤٥ - ٣٤٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشام والإبل ؛ يحدث عن أمر حدث ببلاده عجب ؛ فسله عنه .

فلما انتهى به إلى هيرقل رسول صاحب بصرى ، قال هرقل لترجمانه : سله ، ما كان هذا الحدث الذي كان ببلاده ؟ فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي ، قد أتبعه ناسٌ وصدّقه ، وخالفه ناسٌ ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة ؛ فتركهم على ذلك . قال : فلما أخبره الخبر قال : جرّدوه ، فجرّدوه ، فإذا هو محتشون ، فقال هرقل : هذا والله الذي أريت^(١) ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ، انطلق عنا . ثم دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلبك لهذا الشام ظهراً وبطناً ؛ حتى تأتيني ١٥٦٣/١
برجل من قوم هذا الرجل - يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو سفيان : فوالله إننا لبغزة . إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛ فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ؛ قال : فأيتكم أمس به رجيماً ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وإم الله ما رأيت من رجل أرى أنه كان أنكر من ذلك الأغلف - يعني هرقل - فقال : اذنه فأقعدي بين يديه ، وأقعدي أصحابي خلفي ، ثم قال : إني سأسأله ؛ فإن كذب فردوا عليه ؛ فوالله لو كذبت ما ردوا علي ؛ ولكني كنتُ امرأة سيّداً أتكرم عن الكذب ؛ وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوا ذلك علي ؛ ثم بعدوا به عني ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي ؛ قال : فجعلتُ أزهد له شأنه ؛ وأصغر له أمره ؛ وأقول له : أيها الملك ، ما يهملك من أمره ؛ إن شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئني عمّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سلّ عمّا بدا لك ؛ قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محض^(٢) ؛ أوصطنا نسباً . قال :

(١) الأغانى : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فَأَخْبَرَنِي هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ ؟
 قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : فَهَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلْكٌ فَاسْتَلْبَمَوْهُ لِيَأْهُ ؛ فَجَاءَ بِهَذَا
 الْحَدِيثِ لَتَرْدٍ وَأَعْلِيهِ مُلْكُهُ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنْ أَتْبَاعِهِ مِنْكُمْ ، مَنْ
 هُمْ ؟ قَالَ : قُلْتُ الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْأَحْدَاثُ مِنَ الْفُلُحَانِ وَالنِّسَاءِ ، وَأَمَّا
 ذُووُ الْأَسْنَانِ وَالشَّرَفُ مِنْ قَوْمِهِ ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَخْبَرَنِي
 عَمَّنْ يَتَّبِعُهُ ، أَيُّحِبُّهُ وَيَلْزِمُهُ ^(١) أَمْ يَقْلِيهِ وَيَفَارِقُهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : مَا تَبِعَهُ
 رَجُلٌ ففَارَقَهُ . قَالَ : فَأَخْبَرَنِي كَيْفَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
 سِجَّالٌ يُدَالُ عَلَيْنَا وَنَدَالُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : فَأَخْبَرَنِي هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَلَمْ أَجِدْ
 شَيْئًا مِمَّا سَأَلَنِي عَنْهُ أَغْمَزَهُ فِيهِ غَيْرَهَا ، قُلْتُ : لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هُدًى ،
 وَلَا نَأْمَنُ غَدْرَهُ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا التُّنْتُ إِلَيْهَا مَنَى ، ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى الْحَدِيثِ .
 قَالَ : سَأَلْتُكَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ، فَرُفِعَتْ أَنَّهُ مَحْضَرٌ ، مِنْ أَوْسَطِكُمْ نَسَبًا ؛
 وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّبِيَّ إِذَا أَخَذَهُ ، لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِهِ نَسَبًا .
 وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَقُولُ بِقَوْلِهِ ؛ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِهِ ؛ فَرُفِعَتْ
 أَنْ لَا ؛ وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلْكٌ فَاسْتَلْبَمَوْهُ لِيَأْهُ ؛ فَجَاءَ بِهَذَا
 الْحَدِيثِ يُطَلِّبُ بِهِ مُلْكُهُ ؟ فَرُفِعَتْ أَنْ لَا . وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ ، فَرُفِعَتْ أَنَّهُمْ
 الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْأَحْدَاثُ وَالنِّسَاءُ ؛ وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ ،
 وَسَأَلْتُكَ عَمَّنْ يَتَّبِعُهُ ، أَيُّحِبُّهُ وَيَلْزِمُهُ أَمْ يَقْلِيهِ وَيَفَارِقُهُ ؟ فَرُفِعَتْ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعُهُ
 أَحَدٌ فَيَفَارِقُهُ ؛ وَكَذَلِكَ حُلَاوَةُ الْإِيمَانِ لَا تَدْخُلُ قَلْبًا فَتُخْرِجُ مِنْهُ . وَسَأَلْتُكَ :
 هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَرُفِعَتْ أَنْ لَا ؛ فَلَمَّا كُنْتُ صَدَقْتُ عَنْهُ لِيُغَابِئَنِي ^(٢) عَلَى مَا تَحْتَ
 قَدَمَيْ هَاتَيْنِ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّي عِنْدَهُ فَأَغْسِلَ قَدَمِي . انْطَلَقَ لَشَأْنِكَ . ١٥٦٥/١

قَالَ : فَقُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَا أَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيَّ بِالْأُخْرَى ؛ وَأَقُولُ : أَيْ
 عِبَادَ اللَّهِ ؛ لَقَدْ أَمِيرٌ أَمْرٌ ^(٣) ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ أَوْ أَصْبَحَ مُلُوكُ بَنِي الْأَصْفَرِ بِهَا بَوْنَةُ
 فِي سُلْطَانِهِمْ بِالشَّامِ !

قَالَ : وَقَدْ مَ عَلَيْهِ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ دَحِيَّةِ بْنِ

(١) س : وَيَكْرِهُهُ .

(٢) الْأَلْسَانُ : وَلِيْلَهُنَّ .

(٣) أَمْرٌ أَمْرُهُ : قَوِيٌّ وَاقِعٌ .

خليفة الكلبي : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هيرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : أسلم تسلم ، وأسليم يؤتيك الله أجرك مرتين ، وإن تتول فإن لائم الأكاذين عليك - يعني تحيماته .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن حبيب الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : أخبرني أبو سفيان ابن حرب ، قال : لما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، خرجت ناجرا إلى الشام . ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، إلا أنه زاد في آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخصرته .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : قال ابن شهاب الزهري : حدثني أسقف النصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر هرقل وعقده ، قال : فلما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة ، أخذه هيرقل ، فجعله بين فخذيه وخصرته . ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرؤونه ، يذكر له أمره ، ويتصف له شأنه ، ويخبره بما جاء منه ، فكتب إليه صاحب رومية : إنه لكسبي الذي كنا نتظره^(١) ، لا شك فيه ، فاتبعه وصدقته .

فأمر هرقل ببطارقة الروم ، فجتمعوا له في دسكرة^(٢) ، وأمر بها فأشرجت^(٣) أبواؤها^(٤) عليهم ، ثم أطلع عليهم من عليّة له ، وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشر الروم ، إني قد جمعتكم لخير ، إنه قد أتاني كتاب

(١) و : و نتظره .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيت الأحاجم يكون لها الشراب والملاهي ، وبناء بالقصر حوله بيت ، وهو المراد هنا .

(٣) أشرجت : سدت . (٤) و : بأبواها .

هذا الرجل يدعوني إلى دينه ، وإنه والله لئنيت الذي كنّا نتنظره ونجده في كتبنا ، فهلتموا فلنتبّيعه ونصدّقه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .

قال : فَنَسَخَرُوا نَخْرَةً رجل واحد ، ثم ابتدروا أبواب الدّسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت ، فقال : كرّوهم على - وخافهم على نفسه - فقال : يا معشر الرّوم ، إني قد قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذي قد حدّث ، وقد رأيت منكم الذي أسرّ به ، فوقعوا له سجدًا ، وأمر بأبواب الدّسكرة ففتحت لهم ، فانطلقوا (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدحيّة بن خليفة حين قدّم عليه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحك ! والله إنني لأعلم أنّ صاحبك نبيّ مرسل ، وأنّه الذي كنّا نتنظره ونجده في كتابنا ، ولكني (٢) أخاف الرّوم على نفسي ، ولو لا ذلك لاتبعتّه ، فاذهب إلى صغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله أعظم في الرّوم مني ، وأجوز (٣) قولاً عندهم مني ، فانظر ما يقول لك . ١٥٦٧/١

قال : فجاءه دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى هرقل ، وبما يدعوّه إليه ، فقال صغاطر : صاحبك والله نبيّ مرسل ، نعرفه بصفته ، ونجده في كتبنا باسمه .

ثم دخل فالتقى ثيابًا كانت عليه سودًا ، وليس ثيابًا بيضا ، ثم أخذ عصاه ، فخرج على الرّوم وهم في الكنيسة ، فقال : يا معشر الرّوم ، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ، يدعونا فيه إلى الله عزّ وجلّ ، وإنّي أشهد أنّ لا إله إلا الله ، وأنّ أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وثبّة رجل واحد ، فضربوه حتى قتله . فلمّا رجع

(١) الأهازي ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) و : ولكن .

(٣) ابن الأثير : وأجور .

دَحِيَّةً إِلَى هِرَقْل فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ قَالَ : قَدْ قُلْتَ لَكَ : إِنَّا نَخَافُهُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا ، فَصَبْغَاطِرَ — وَاقِهِ — كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ وَأَجْوَزَ قَوْلًا مِنْى .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَكَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ هِرَقْلُ الْخُرُوجَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَمَعَ الرُّومَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ؛ إِنِّى عَارِضٌ عَلَيْكُمْ أُمُورًا ، فَانظُرُوا فِيمَ قَدْ أَرَدْتُمَا ! قَالُوا : مَا هِىَ ؟ قَالَ : تَعْلَمُونَ وَاقِهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَنَبِىٍّ مَرْسَلٍ ؛ إِنَّا نَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا نَعْرِفُهُ بِصِفَتِهِ الَّتِى وَصَفَ لَنَا ، فَهَلُمُّ فَكُتِّبَتْ بَيْنَهُ ، فَتَسَلَّمَ لَنَا دِيَانَا وَآخِرَتَنَا ، فَقَالُوا : نَحْنُ نَكُونُ تَحْتَ يَدِى الْعَرَبِ ، وَنَحْنُ أَعْظَمُ النَّاسِ مُلْكًا ، وَأَكْثَرُهُمْ رِجَالًا ، وَأَفْضَلُهُمْ بِلَدًا !

قَالَ : فَهَلُمَّ فَأَعْطِيَهُ الْخَزِيرَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، اكْبَسِرُوا عَنِ شَوْكَتِهِ وَأَسْتَرِجُ مِنْ حَرْبِهِ بِمَا لَ أَعْطِيَهُ لِيَاءِهِ ، قَالُوا : نَحْنُ نَعْطِى الْعَرَبَ الذَّلَّ وَالصَّغَارَ ، بِخَرْجٍ ١٥٦٨/١ يَأْخُلُونَهُ مِنَّا ؛ وَنَحْنُ أَكْثَرُ النَّاسِ عِدْدًا ، وَأَعْظَمُهُمْ مُلْكًا ، وَأَمْنَهُمْ ^(١) بِلَدًا ، لَا وَاقِهِ لَا نَفْعَ لِهَذَا أَبَدًا .

قَالَ : فَهَلُمَّ فَلَأَصْلَحْهُ عَلَى أَنَّ أَعْطِيَهُ أَرْضَ ^(٢) سُورِيَّةَ ، وَيَدَّعِى وَأَرْضَ الشَّامِ — قَالَ : وَكَانَتْ أَرْضُ سُورِيَّةَ أَرْضَ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنَّ وَدِمَشْقَ وَحِمَصَ وَمَادِينَ الدَّرْبِ مِنْ أَرْضِ سُورِيَّةَ ؛ وَكَانَ مَا وَرَاءَ الدَّرْبِ عِنْدَهُمُ الشَّامُ — فَقَالُوا لَهُ : نَحْنُ نَعْطِيهِ أَرْضَ سُورِيَّةَ ؛ وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهَا سِرَّةُ الشَّامِ ؛ وَاقِهِ لَا نَفْعَ لِهَذَا أَبَدًا .

فَلَمَّا أَبْثَأَ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَمَّا وَاقِهِ لَتَرَوْنَ أَنَّكُمْ قَدْ ظَفَرْتُمْ إِذَا امْتَنَعْتُمْ مِنْهُ فِي مَدِينَتِكُمْ . ثُمَّ جَلَسَ عَلَى بَغْلٍ لَهُ ؛ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الدَّرْبِ اسْتَقْبَلَ أَرْضَ الشَّامِ ، ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَرْضَ سُورِيَّةَ تَسْلِيمَ الْوُدَاعِ ، ثُمَّ رَكَضَ حَتَّى دَخَلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ .

• • •

(١) س : « وَأَمْنَهُ » .

(٢) س : « عَلَّ أَنْ أَصْلَحَ بِأَرْضِهِ » .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شُجَاعَ بن وهب ، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شَمِير الضماني ، صاحب دمشق .

وقال محمد بن عمر الواقدي : وكتب إليه معه : سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به . إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبي لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهب ، فقرأه عليهم ، فقال : مَنْ يترع مني ملكي ! أنا سائر إليه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : بادَ ملكه (١) !

• • •

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشي ١٥٦٩/١ في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة ، سلم (٢) أنت ، وإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روحُ الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت به عيسى ، فخلق الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاتة على طاعته ، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني ، وإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً (٣) معه من المسلمين ، فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصم بن أبجر . سلام عليك

(١) باد ملكه : ذهب .

(٢) س : « سلام » .

(٣) س : « وبه نفر » .

يَا نَبِيَّ اللَّهِ^(١) وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^(٢) ، من الله الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني
إلى الإسلام . أما بعد ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر
صيمي ، فرب الساء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُسَرُّوْكَ^(٣) ،
إنه كما قلت ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقد قرئنا ابنَ عمك وأصحابه^(٤) ،
فأشهد أنك رسولُ الله صادقاً مصداً ، وقد بايعتك وبايعتُ ابنَ عمك ، ١٥٧٠/١
وأسلمت على يديه^(٥) ، فه رب العالمين ، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصم
ابن أبيجر ، فأني لا أملكُ إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول
الله ، فإنتي أشهد أن ما تقول حق ، والسلام عليك يا رسول الله .
قال ابن إسحاق : وذكر لي أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في
سفينة ، فإذا كانوا في وسط البحر غرقت بهم سفينتهم ، فهلكوا .

وحدثت عن محمد بن عمر ، قال : أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ويبعث بها إليه مع من
عنده من المسلمين ، فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة يخبرها بخبطة رسول الله
صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة ، فأعطتها أوصاحاً^(٦) لها
وفتخاً^(٧) ، سروراً بذلك ، وأمرها أن توكل من يزوجه ، فوكلت خالد بن
سعيد بن العاص ، فزوجها ، فخطب النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وخطب خالد فأنكح أم حبيبة ، ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها ،
فدفعها إلى خالد بن سعيد ، فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير ، قال : جاءت
بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالاً ، وقالت : كنت أعطيتك ذلك ، وليس
بيدي شيء ، وقد جاء الله عز وجل بهذا .

(١) س : « من الله ورحمته » .

(٢) يقال : ماله ثروق ، أي شيء وأصله قمع الثمر ، أو ما يلتزم به قمعها .

(٣) و : « وأصحابك » .

(٤) س : « يله » .

(٥) أوصاحاً ، أي حلياً من فضة .

(٦) الفتحة : عظام كبير يكون في اليد والرجل .

فَقَالَتْ أَبْرَهة : قَدْ أَمَرَنِي الْمَلِكُ أَلَّا أَخْذَلَ مِنْكَ شَيْئًا ، وَأَنْ أُرِدَّ إِلَيْكَ الَّذِي أَخَذْتَ مِنْكَ ، فَرَدَدْتَهُ وَأَنَا صَاحِبَةُ دُهْنِ الْمَلِكِ وَثِيَابِهِ ، وَقَدْ صَدَقْتُ مُحَمَّدًا ^(١) رَسُولَ اللَّهِ وَأَمَنْتُ بِهِ ، وَحَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَقْرِيَنِي مِنَ السَّلَامِ .

قَالَتْ : نَعَمْ ، وَقَدْ أَمَرَ الْمَلِكُ نِسَاءَهُ أَنْ يَبْعَثْنَ إِلَيْكَ بِمَا عِنْدَهُنَّ مِنْ حُودٍ وَعَبِيرٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَاهُ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا فَلَا يَنْكَرُهُ . قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ : فَخَرَجْنَا فِي سَفِينَتَيْنِ ، وَبَعَثَ مَعَنَا التَّوْفَاقَ حَتَّى قَدِمْنَا أَبْجَارَ ، ثُمَّ رَكِبْنَا الظَّهْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ ، فَخَرَجَ مَعَنَا خَرَجَ إِلَيْهِ ، وَأَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يَسْأَلُنِي عَنِ النَّجَاشِيِّ ، وَفَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَبْرَهَةَ السَّلَامَ ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا جَاءَ أَبَا سَفْيَانَ تَرْوِيعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمُّ حَبِيبَةَ قَالَتْ : ذَلِكَ الْفَحْلُ لَا يَقْدَعُ أَفْهَهُ .

• • •

وَفِيهَا كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى ، وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَّافَةَ السَّهْمِيِّ ، فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِيُسْأَلَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، أَسْلِمَ ، تَسْلِمًا ، فَإِنْ أَيْبَتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجْبُوسِ .

فَرَزَقَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مُزَقٌّ مَلِكُهُ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَبِيبٍ ، قَالَ : وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَّافَةَ بْنُ قَيْسٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، إِلَى كِسْرَى بْنِ هَرْمَزٍ مَلِكِ فَارِسَ وَكَتَبَ مَعَهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ

لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لائذ من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، فإن أبيت ، فإن لثم المحيوس عليك .
فلما قرأه مزقه ، وقال : يكتب إلى هذا وهو عبيد !

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، أن عبد الله بن حذافة قديم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلما قرأه شقته ، فقال رسول الله : مُزَّقَ ملكه ! حين بلغه أنه شق كتابه .

• • •

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب . قال : ثم كتب كِسْرَى إلى باذان ، وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جسدَيْن ، فليأتاني به ، فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفُرْس يقال له خُرْتَحْسَره ، ١٥٧٣/١ وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : انت بلد هذا الرجل ، وكلمه وأتني بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش ينتخب من أرض الطائف فسألاه عن ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نصيب^(١) له كسرى ملك الملوك ، كُفَيْم الرجل ! فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه بابويه ، فقال : إن شاهان شاه ملك الملوك كِسْرَى ، قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتتطلق معي ، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّ عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك ، وغرب بلادك ، ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأغصيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، ثم

أقبل عليهما فقال: ويلكُما اَمَنَّ أمركما بهذا ؟ قالَا : أمرنا بهذا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله : لكن ربِّي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقصَّ شاربي . ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتياي غداً ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل ؛ بعد ما مضى من الليل ؛ سلط عليه ابنه شيرويه فقتله . ١٥٧٤/١

— قال الواقدي : قَتَلَ شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين^(١) من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها —

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب . فدعاهما فأخبرهما ، فقالا : هل تدري ما تقول ا إنا قد نَقِمْنَا عليك ما هو أيسرُ من هذا ؛ أفنكتب هذا عنك ، ونخبره الملك ا قال : نعم ، أخبراه ذلك عني ، وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغُ ما بلغ ملك كسرى ، ويتهي إلى منتهى الخُفِّ والحافر ، وقولا له : لئنك إن أسلمت أعطيتك ماتحت يدك ؛ وملكك على قومك من الأبناء ؛ ثم أعطى خُرَّ خسرو منسقة فيها ذهب وفضة ، كان أهداها له بعض الملوك .

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان ، فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، ولأني لأرى الرجل نبياً كما يقول ، ولننظرنَّ ما قد قال ؛ فلئن كان هذا حقاً ما فيه كلام ؛ إنه لنبي مُرْسَلٌ ؛ وإن لم يكن فسرى فيه رأينا .

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه ؛ أما بعدُ فأتى قد قتل كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحلَّ من قتل أشرافهم وتجميرهم^(٢) في ثغورهم ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فخذني إلى الطاعة ممن قبيلك ؛ وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهيجهُ حتى يأتيتك أمرى فيه .

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم باليمن ؛ فكانت حِمَيْرٌ تقول ١٥٧٥/١

(١) و : ديقين .

(٢) التجمير : الحبس في الثغور .

لخرُخُسره : ذو المِعْجَزَةِ ، للمنطقة التي أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم - والمنطقة بلسان حمير المِعْجَزَةُ^(١) - فَبَنَوْهُ اليوم ينسبون إليها خُرُخُسره ذو المِعْجَزَةِ .

وقد قال بابويه لباذان : ما كلمت رجلاً قطَّ أهيبَ عندي منه ، فقال له باذان : هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

• • •

قال الواقدي : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبط ، يدعوهُ إلى الإسلام فلم يُسَلِّم .

• • •

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجة وبعضَ المحرم - فيما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ اسحاق . قال : وولى الحجَّ في تلك السنة المشركون .

—

ثم الجزء الثاني من تاريخ الطبرى ، ويليه
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع .

(١) المعجزة : المنطقة ، بالميمية ، وفي ر : « المعجزة » .

فهرس الموضوعات

صفحة	
١٠ - ٥	ذكر الخبر عن أصحاب أهل الكهف
١٧ - ١١	يونس بن متى
٢١ - ١٨	إرسال الله رسله الثلاثة
٢٣ - ٢٢	شمسون
٣٦ - ٢٤	ذكر خبر جرجيس
٤٣ - ٣٧	ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسفي ملكهم
٥١ - ٤٤	ذكر ملك أردشير بن بابك
٥٣ - ٥١	ذكر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك
٥٣	ذكر ملك هرمز بن سابور
٥٤	ذكر ملك بهرام بن هرمز
٥٤	ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز
٥٤	ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام
٥٤	ذكر ملك نرسی بن بهرام
٥٥ - ٥٤	ذكر ملك هرمز بن نرسی
٦٢ - ٥٥	ذكر ملك سابور ذي الأكتاف
٦٢	ذكر ملك أردشير بن هرمز
٦٢	ذكر ملك سابور بن سابور
٦٣ - ٦٢	ذكر ملك بهرام بن سابور
٦٨ - ٦٣	ذكر ملك یزدجرد الأئیم
٨١ - ٦٨	ذكر ملك بهرام جور
٨٨ - ٨٢	ذكر ملك فیروز یزدجرد
٩٠ - ٨٨	ذكر ما كان من الأحداث فی أيام یزدجرد بن بهرام و فیروز بن
	عالمها علی العرب وأهل اليمن

صفحة

٩٠	ذکر ملك بلاش بن فيروز
٩٠ - ٩٤	ذکر ملك قباذ بن فيروز
٩٨ - ٩٥	ذکر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قياذ في مملكته وبين عماله
٩٨ - ١٠٤	ذکر ملك كسرى أنو شروان
١٠٤ - ١٠٥	ذکر بقية خبر تُبع أيام قياذ وزمن أنو شروان وتوجيه الفرس إلى اليمن لقتال الحبشة
١٠٥ - ١٦٦	ذکر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٦ - ١٧٢	رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباذ أنو شروان
١٧٢ - ١٧٦	ذکر ملك هرمز بن كسرى أنو شروان
١٧٦ - ١٨٧	ذکر ملك كسرى أبرويز بن هرمز
١٨٧ - ١٩٣	ذکر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك فارس عن أهل فارس
١٩٣ - ٢١٢	ذکر خبر يوم ذي قار
٢١٢ - ٢١٨	ذکر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند
٢١٨ - ٢٢٩	ذکر ملك شيرويه بن أبرويز
٢٣٠	ذکر ملك أردشير بن شيرويه
٢٣١	ذکر ملك شهر براز
٢٣١ - ٢٣٢	ذکر ملك بوران بنت كسرى أبرويز
٢٣٢	ذکر ملك جشنسده
٢٣٢ - ٢٣٣	ذکر ملك آزر ميدخت بنت كسرى أبرويز
٢٣٣	كسرى بن مهرا جشنس
٢٣٣	ذکر ملك خرزاد خسروا
٢٣٣	ذکر ملك فيروز بن مهرا جشنس

٢٣٤	ذكر ملك فرخزاد خسروا
٢٣٤	ذكر ملك يزدمرد بن شهریار
٢٣٨ - ٢٣٤	ذكر أقوال علماء المسلمين وغيرهم فيما كان بين هبوط آدم إلى الهجرة من السنين
٢٣٩ - ٢٧٦	ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آباءه وأجداده
٢٤٦ - ٢٥١	عبد المطلب
٢٥٤ - ٢٥١	هاشم
٢٥٤	عبد مناف
٢٥٤ - ٢٦٠	قصي
٢٦٠	كلاب
٢٦١	مرّة
٢٦١	كعب
٢٦٢	لؤي
٢٦٢	غالب
٢٦٢ - ٢٦٣	فهر
٢٦٥ - ٢٦٣	مالك
٢٦٥ - ٢٦٦	النضر
٢٦٦	كنانة
٢٦٦	خزيمة
٢٦٦ - ٢٦٧	ملركة
٢٦٨	إلياس
٢٦٨ - ٢٧٠	مضر
٢٧٠	نزار
٢٧٠ - ٢٧١	معد

صفحة	
٢٧٦ - ٢٧١	علائق
٢٧٩ - ٢٧٧	ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه
٢٨٢ - ٢٨٠	ذكر تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها
	ذكر باقي الأخباز عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتنبأ وما كان بين مولده ونقت نبوته
٢٩٢ - ٢٨٣	من الأحداث في بلده
	ذكر اليوم الذي نبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهر الذي نبئ فيه وما جاء في ذلك
٢٩٧ - ٢٩٣	ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام بوحيه وما تلا ذلك من الأحداث إلى وقت الهجرة
٣٨٧ - ٢٩٨	ذكر الوقت الذي عمل فيه التاريخ
٣٩٣ - ٣٨٨	

• • •

ذكر ما كان من الأمور في أول سنة من الهجرة

٣٩٦ - ٣٩٥	خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة بالمدينة
-----------	--

• • •

السنة التالية

٤٠٩ - ٤٠٨	غزوة ذات العشيرة
٤١٠	سرية عبد الله بن جحش
٤٧٩ - ٤٢١	ذكر وقعة بدر الكبرى
٤٨٣ - ٤٧٩	غزوة بني قينقاع
٤٨٥ - ٤٨٣	غزوة السويق

• • •

السنة الثالثة

٤٨٧	غزوة ذي أقر
٤٩٢ - ٤٨٧	خبر كعب بن الأشرف
٤٩٣ - ٤٩٢	غزوة القرعة
٤٩٩ - ٤٩٣	مقتل أبي رافع اليهودي
٥٣٣ - ٤٩٩	غزوة أحد
٥٣٦ - ٥٣٤	غزوة حمراء الأسد

. . .

السنة الرابعة

٥٤٢ - ٥٣٨	غزوة الرجيع
	ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري حين وجهه رسول الله
٥٤٥ - ٥٤٢	صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب
٥٥٥ - ٥٤٥	ذكر خبر بئر معونة
٥٥٩ - ٥٥٥	غزوة ذات الرقاع
٥٦١ - ٥٥٩	ذكر الخبر عن غزوة السويق

. . .

السنة الخامسة

٥٦٤ - ٥٦٣	زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
٥٦٤	غزوة دومة الجندل
٥٨١ - ٥٦٤	ذكر الخبر عن غزوة الخندق
٥٩٤ - ٥٨١	غزوة بني قريظة

. . .

صفحة

السنة السادسة

غزوة بنى لحيان	٥٩٥
غزوة ذى قرد	٦٠٤ - ٥٩٦
غزوة بنى المصطلق	٦١٠ - ٦٠٤
حديث الإفك	٦١٩ - ٦١٠
ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم الى صده	
المشركون فيها عن البيت ، وهى قصة الحديبية	٦٤٤ - ٦٢٠
ذكر خروج رسل رسول الله الى الملوك	٦٥٧ - ٦٤٤

رقم الإيداع	١٩٩٠ / ٣٧٢٠
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-2944-X

١ / ٩٠ / ٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

